



مرکز تحقیقات رایانگی

اصفهان

گامی



عمر الکرما
علیه السلام

www.

www.

www.

www.

Ghaemiyeh

.com

.org

.net

.ir

مَنْهَاجُ الْبِرِّ

فَتْحُ مَنَاجِجِ الْبِلَاقَةِ

لِلْأَمِيرِ

الْعَالِمِ الْمُتَمَيِّزِ وَالْمُتَمَيِّزِ لِلْإِسْلَامِ وَالْإِسْلَامِيِّينَ

السُّيُودِيِّينَ

الجزء الثالث

من مشورات

الكتاب الإسلامي

في مشورات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

منهاج البراعه فى شرح نهج البلاغه

نويسنده:

حبيب الله خوئى

ناشر چاپى:

المكتبه الاسلاميه

ناشر ديڤيتالى:

مرکز تحقیقات رایانه‌ای قائمیه اصفهان

فهرست

٥	فهرست
١٧	منهاج البراعه فى شرح نهج البلاغه (عربى - فارسى) جلد ٣
١٧	مشخصات كتاب
١٨	تتمه باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام و أوامره
١٨	تتمه الخطبه الثالثه
١٨	تتمه و لا بد قبل الشروع فى تمهيد مقدمات
١٨	المقدمه الثالثه: فى كيفيه غضب أهل الجلافه للخلافه و ما جرى منهم يوم الشقيفه و بعدها
٤٩	المقدمه الرابعه: فى الاشاره الى بعض طرق الخطبه و رفع الاختلاف بينها
٥٣	الفصل الاول
٥٣	اشاره
٥٣	اللغه
٥٤	الاعراب
٥٥	المعنى
٦٣	الترجمه
٦٤	الفصل الثانى
٦٤	اشاره
٦٤	اللغه
٦٦	الاعراب
٦٧	المعنى
٨٨	الترجمه
٩٠	الفصل الثالث
٩٠	اشاره
٩٠	اللغه
٩١	الاعراب

المعنى ٩١

اشاره ٩١

و ينبغي التذييل بامور: ٩٣

الاول ٩٣

اما الاول فقاتله أبو لؤلؤه فيروز غلام المغيره بن شعبه ٩٣

و اما الثانى فالمشهور بين العلماء أنّ قتله كان فى ذى الحجه ٩٤

الثانى ٩٨

الثالث ١٠٤

الترجمه ١١٣

الفصل الرابع ١١٣

اشاره ١١٣

اللغه ١١٤

الاعراب ١١٤

المعنى ١١٤

الترجمه ١١٩

الفصل الخامس ١١٩

اشاره ١١٩

اللغه ١٢٠

الاعراب ١٢١

المعنى ١٢١

الترجمه ١٢٧

الفصل السادس ١٢٨

اشاره ١٢٨

اللغه ١٢٨

الاعراب ١٢٩

المعنى ١٢٩

الترجمه ١٣٠

الفصل السابع ١٣٠

اشاره ١٣٠

اللغه ١٣١

الاعراب ١٣١

المعنى ١٣١

الترجمه ١٣٣

و من خطبه له عليه السلام (بعد مقتل طلحه و الزبير خ) ١٣٤

اشاره ١٣٤

الفصل الاول ١٣٥

اشاره ١٣٥

اللغه ١٣٥

الاعراب ١٣٦

المعنى ١٣٦

الترجمه ١٤٧

الفصل الثانى ١٤٨

اشاره ١٤٨

اللغه ١٤٨

الاعراب ١٤٩

المعنى ١٤٩

الترجمه ١٥٢

و من كلام له عليه السلام لما قبض رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و خاطبه ١٥٣

اشاره ١٥٣

اللغه ١٥٣

الاعراب ١٥٤

المعنى ١٥٥

- ١٥٥ اشاره
- ١٥٩ تكمله
- ١٥٩ الترجمة
- ١٦١ و من كلام له عليه السلام لما اشير اليه بان لا يتبع طلحه
- ١٦١ اشاره
- ١٦١ اللغة
- ١٦١ الاعراب
- ١٦٢ المعنى
- ١٦٢ اشاره
- ١٦٣ و ينبغي التنبيه على امور
- ١٦٣ الاول في ذكر نسب طلحه و الزبير
- ١٦٤ الثاني
- ١٦٦ الثالث
- ١٦٧ الترجمة
- ١٦٨ و من خطبه له عليه السلام و هي الخطبة السابعه
- ١٦٨ اشاره
- ١٦٨ اللغة
- ١٦٨ الاعراب
- ١٦٩ المعنى
- ١٧١ الترجمة
- ١٧٢ و من كلام له عليه السلام يعنى به الزبير في حال اقتضت ذلك
- ١٧٢ اشاره
- ١٧٢ اللغة
- ١٧٢ الاعراب
- ١٧٢ المعنى
- ١٧٦ الترجمة

و من كلام له عليه السلام و هو تاسع المختار فى باب الخطب ١٧٦

اشاره ١٧٦

اللغه ١٧٦

الاعراب ١٧٧

المعنى ١٧٧

الترجمه ١٧٩

و من خطبه له عليه السلام و هى الخطبه العاشره ١٧٩

اشاره ١٧٩

اللغه ١٧٩

الاعراب ١٨٠

المعنى ١٨٠

الترجمه ١٨٢

و من كلام له عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية لما اعطاه ١٨٢

اشاره ١٨٢

اللغه ١٨٣

الاعراب ١٨٣

المعنى ١٨٣

اشاره ١٨٣

تبصره ١٩٨

الترجمه ٢٠٣

و من كلام له عليه السلام لما اظفره الله باصحاب الجمل و هو ٢٠٣

اشاره ٢٠٣

اللغه ٢٠٤

الاعراب ٢٠٤

المعنى ٢٠٤

اشاره ٢٠٤

- ٢٠٧ و هاهنا لطيفه
- ٢٠٨ الترجمة
- ٢٠٩ و من كلام له عليه السلام في ذم أهل البصره و هو الثالث
- ٢٠٩ اشاره
- ٢٠٩ اللغة
- ٢١٠ الاعراب
- ٢١٠ المعنى
- ٢١٠ اشاره
- ٢١٠ الاول ما أشار عليه السلام إليه بقوله: (كنتم جند المرأة)
- ٢١١ الثانى ما تبه عليه السلام عليه بقوله: (و أتباع البهيمه)
- ٢١٣ الثالث ما ذكره بقوله عليه السلام (أخلاقكم دقاق)
- ٢١٤ الرابع ما تبه عليه السلام عليه بقوله: (و عهدكم شقاق)
- ٢١٤ الخامس ما أشار عليه السلام إليه بقوله: (و دينكم نفاق)
- ٢١٤ السادس ملوحه مائهم المشار إليه بقوله: (و مأؤكم زعاق)
- ٢١٤ (و) السابع أنّ (المقيم بين أظهركم مرتين بذنبه)
- ٢١٧ و ينبغى التنبيه على امور
- ٢١٧ الاول
- ٢٢٤ الثانى
- ٢٣٢ الثالث
- ٢٣٢ الترجمة
- ٢٣٣ و من كلام له عليه السلام فى مثل ذلك و هو الرابع عشر من
- ٢٣٣ اشاره
- ٢٣٣ اللغة
- ٢٣٣ الاعراب
- ٢٣٤ المعنى
- ٢٣٥ الترجمة

٢٣٥	و من كلام له عليه السلام فيما رده على المسلمين من قطاع
٢٣٥	اشاره
٢٣٥	اللغه
٢٣٥	الاعراب
٢٣٥	المعنى
٢٣٨	الترجمه
٢٣٨	و من كلام له عليه السلام لما بويع بالمدينه و هو السادس عشر
٢٣٨	اشاره
٢٤٠	الفصل الاول
٢٤٠	اشاره
٢٤١	اللغه
٢٤١	الاعراب
٢٤٢	المعنى
٢٤٢	اشاره
٢٤٨	تكمله
٢٥١	بيان
٢٥٣	الترجمه
٢٥٥	الفصل الثانى
٢٥٥	اشاره
٢٥٥	اللغه
٢٥٦	الاعراب
٢٥٦	المعنى
٢٦٩	الترجمه
٢٦٩	و من كلام له عليه السلام فى صفه من يتصدى للحكم بين
٢٦٩	اشاره
٢٧١	اللغه

- ٢٧٣ الاعراب
- ٢٧٣ المعنى
- ٢٧٣ اشاره
- ٢٨٤ تكمله استبصاريه
- ٢٨٧ الترجمة
- ٢٨٩ و من كلام له عليه السلام في ذم اختلاف العلماء في الفتيا
- ٢٨٩ اشاره
- ٢٩٠ اللغة
- ٢٩٠ الاعراب
- ٢٩١ المعنى
- ٢٩١ اعلم انه لا بد قبل الخوض في شرح كلامه عليه السلام من تمهيد مقدمه
- ٢٩١ اشاره
- ٢٩١ الاول اصول العقائد
- ٢٩١ الثاني الفرعتيات التي استقلّ العقل بحكمها
- ٢٩٢ الثالث الفرعيات العمليه التي قام الدليل القطعي عليها كالضّروريات من العبادات
- ٢٩٢ الرابع الفرعتيات التي لم يستقلّ العقل بحكمها و لم يقم عليها دليل قطعي
- ٣٠٠ تنبيه
- ٣٠٢ الترجمة
- ٣٠٤ و من كلام له عليه السلام و هو التاسع عشر من المختار
- ٣٠٤ اشاره
- ٣٠٤ اللغة
- ٣٠٥ الاعراب
- ٣٠٥ المعنى
- ٣١٤ الترجمة
- ٣١٥ و من خطبه له عليه السلام و هي العشرون من المختار في
- ٣١٥ اشاره

اللغه - ٣١٥

الاعراب - ٣١٥

المعنى - ٣١٥

اشاره - ٣١٥

تكمله - ٣٢٢

الترجمه - ٣٢٣

و من خطبه له عليه السلام و هي الحاديه و العشرون من - ٣٢٣

اشاره - ٣٢٣

اللغه - ٣٢٤

الاعراب - ٣٢٤

المعنى - ٣٢٤

الترجمه - ٣٢٩

و من خطبه له عليه السلام و هي الثانيه و العشرون من المختار - ٣٣٠

اشاره - ٣٣٠

اللغه - ٣٣١

الاعراب - ٣٣١

المعنى - ٣٣٢

اشاره - ٣٣٢

تكمله - ٣٣٥

الترجمه - ٣٤٠

و من خطبه له عليه السلام و هي الثالثه و العشرون من المختار - ٣٤١

اشاره - ٣٤١

الفصل الاول - ٣٤١

اشاره - ٣٤١

اللغه - ٣٤٢

الاعراب - ٣٤٢

المعنى ٣٤٤

اشاره ٣٤٤

تكميل استبصارى ٣٤٧

المقام الاول ٣٤٧

الثانى ٣٤٨

الثالث ٣٥٣

الرابع ٣٥٤

تكمله ٣٥٩

الترجمه ٣٦٠

الفصل الثانى ٣٦١

اشاره ٣٦١

اللغه ٣٦٢

الاعراب ٣٦٢

المعنى ٣٦٢

اشاره ٣٦٢

تبصره ٣٦٤

تكمله ٣٦٤

الترجمه ٣٦٤

و من خطبه له عليه السلام و هى الرابعه و العشرون من ٣٦٤

اشاره ٣٦٤

اللغه ٣٦٧

الاعراب ٣٦٧

المعنى ٣٦٧

اشاره ٣٦٧

اشراق ٣٦٨

الترجمه ٣٧٠

و من خطبه له عليه السلام و هي الخامسة و العشرون من ٣٧٠

اشاره ٣٧٠

اللغه ٣٧٢

الاعراب ٣٧٢

المعنى ٣٧٣

الترجمه ٣٨٣

و من خطبه له عليه السلام و هي السادسة و العشرون من ٣٨٥

اشاره ٣٨٥

الفصل الاول ٣٨٥

اشاره ٣٨٥

اللغه ٣٨٥

الاعراب ٣٨٦

المعنى ٣٨٦

الترجمه ٣٨٩

الفصل الثاني منها ٣٨٩

اشاره ٣٨٩

اللغه ٣٩٠

الاعراب ٣٩٠

المعنى ٣٩٠

الترجمه ٣٩٧

الفصل الثالث منها ٣٩٧

اشاره ٣٩٧

اللغه ٣٩٨

الاعراب ٣٩٨

المعنى ٣٩٨

اشاره ٣٩٨

٤٠٣ تكمله

٤١٠ الترجمة

٤١١ و من خطبه له عليه السلام و هي السابعة و العشرون من

٤١١ اشاره

٤١٣ اللغة

٤١٥ الاعراب

٤١٥ المعنى

٤١٥ اشاره

٤٢٤ تكمله

٤٢٨ الترجمة

٤٣١ درباره مركز

منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه (عربی - فارسی) جلد ۳

مشخصات کتاب

سرشناسه: خوئی، حبيب الله بن محمد هاشم، ۱۲۶۸ - ۱۳۲۴ ق.

عنوان و نام پدیدآور: منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه / لمولفه حبيب الله الهاشمی الخوئی؛ بتصحيحه و تهذيبه ابراهيم الميانجی.

مشخصات نشر: تهران: مکتبه الاسلاميه؛ قم: انتشارات دار العلم، ۱۳ -

مشخصات ظاهری: ۲۰ ج.

شابک: ۱۵۰ ریال (ج. ۸)

یادداشت: عربی.

یادداشت: فهرست نویسی براساس جلد هشتم، ۱۳۸۶ ق. = ۱۳۴۴.

یادداشت: چاپ دوم.

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. -- کلمات قصار

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. -- خطبه ها

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. -- نامه ها

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. . نهج البلاغه -- نقد و تفسیر

شناسه افزوده: میانجی، ابراهیم، ۱۲۹۲ - ۱۳۷۰.، مصحح

شناسه افزوده: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. . نهج البلاغه. شرح

رده بندی کنگره: BP۳۸/۰۲ /خ ۹ ۱۳۰۰ ی

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۹۵۱۵

شماره کتابشناسی ملی: ۱۹۹۲۰۶

تمه باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام و أوامره

تمه الخطبه الثالثه

تمه و لا بد قبل الشروع فى تمهيد مقدمات

المقدمه الثالثه: فى كيفيه غصب أهل الجلافه للخلافه و ما جرى منهم يوم السقيفه و بعدها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فِي كَيْفِيَةِ غَضَبِ أَهْلِ الْجَلَّافَةِ لِلْخِلافَةِ وَ مَا جَرَى مِنْهُمْ يَوْمَ السَّقِيفَةِ وَ بَعْدَهَا

مِنْ إِجْبَارِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْبَيْعَةِ وَ انْكَارِ مَنْ أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ وَ مَا جَرَى فِي تِلْكَ الْوَقَايعِ مِنَ الظُّلْمِ وَ الطَّغْيَانِ لِعَنَةِ اللَّهِ عَلَى أَهْلِ الْبَغْيِ وَ الْعِدْوَانِ، وَ نَحْنُ ذَاكِرٌ هُنَا مَا وَصَلَ إِلَيْنَا مِنْ طَرُقِ أَصْحَابِنَا رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَ أَمَّا مَا ذَكَرَهُ الْعَامَّةُ فِي هَذَا الْبَابِ وَ رَوَاهُ فِي سِيرِهِمْ وَ تَوَارِيخِهِمْ فَتَصَدَّى لَهَا كِبَعْضُ رِوَايَاتِ الْخَاصَّةِ إِنْشَاءً لِلَّهِ فِي شَرْحِ الْخُطْبِ الْآتِيَةِ مِمَّا أَشَارَ فِيهَا الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى هَذَا الْمَرَامِ.

فَنَقُولُ: رَوَى الشَّيْخُ أَبُو مَنْصُورٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبِ الطَّبْرَسِيِّ فِي كِتَابِ الْإِحْتِجَاجِ عَنْ أَبِي الْمَفْضَلِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ الشَّيْبَانِيِّ بِإِسْنَادِهِ الصَّيِّحِ عَنْ رِجَالِ ثِقَةٍ عَنْ ثِقَةٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ خَرَجَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي تَوَفَّى فِيهِ إِلَى الصَّلَاةِ مَتَوَكَّنًا

ص: ٢

على الفضل بن عبيد بن غلام له يقال له: ثوبان و هي الصيلاه التي أراد التخلف عنها لثقله ثم حمل على نفسه صلى الله عليه و آله و سلم و خرج، فلما صلى عاد إلى منزله فقال لغلامه:

اجلس على الباب و لا تحجب أحدا من الأنصار و تجلاه الغشى فجاء الأنصار فأحدقوا بالباب و قالوا: ائذن لنا على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، فقال: هو مغشى عليه و عنده نساؤه، فجعلوا يبكون، فسمع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم البكاء فقال: من هؤلاء؟ قالوا: الأنصار، فقال: من هاهنا من أهل بيتي؟ قالوا: على و العباس فدعاهما، و خرج متوكئا عليهما فاستند إلى جذع (١) من أساطين مسجده و كان الجذع جريد نخل فاجتمع الناس و خطب صلى الله عليه و آله و سلم و قال في كلامه: إنه لم يمت نبى قط إلا خلف تركه و قد خلفت فيكم الثقلين:

كتاب الله و أهل بيتي، ألا فمن ضيعهم ضيعه الله، ألا و إن الأنصار كرشى (٢) و عيبتى التى آوى إليها، و إنى أوصيكم بتقوى الله و الاحسان إليهم، فاقبلوا من محسنهم و تجاوزوا عن مسيئهم.

ثم دعا اسامه بن زيد و قال: سر على بركة الله و النصر و العافيه حيث أمرتك بمن أمرتك عليه، و كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، قد أمره على جماعه من المهاجرين و الأنصار فيهم أبو بكر و عمر و جماعه من المهاجرين الأولين، و أمره أن يعبروا «يغبروا خ ل» على موته (٣) و اد من فلسطين، فقال اسامه: بأبى أنت و أمى يا رسول الله أ تأذن لى فى المقام أيا ما حتى يشفيك الله، فأتى متى خرجت و أنت على هذه الحاله خرجت و فى قلبى منك قرحة، فقال صلى الله عليه و آله و سلم: انفذيا اسامه لما أمرتك، فإن القعود عن الجهاد لا نحب فى حال من الأحوال، فبلغ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أن الناس طعنوا فى عمله، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم:

بلغنى أنكم طعنتم فى عمل اسامه و فى عمل أبيه من قبل، و أيم الله إنه لخليق للاماره و إن أباه كان خليقا لها و إنه لمن أحب الناس إلى، فأوصيكم به خيرا فلان قلت فى أمارته فقد قال قائلكم فى أماره أبيه.

ص: ٣

١- (١) بالكسر ساق النخلة، ق.

٢- (٢) كرش الرجل عياله و صغار ولده و العيبه من الرجل موضع سره، لغه.

٣- (٣) موضع قتل فيه جعفر بن ابى طالب، منه.

ثم دخل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بيته وخرج اسامه من يومه حتى عسكر على رأس فرسخ من المدينة و نادى منادى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أن لا يتخلف عن اسامه أحد ممن أمرته عليه، فلحق الناس به، و كان أول من سارع إليه ابو بكر و عمرو أبو عبيده ابن الجراح، فنزلوا في زقاق (١) واحد مع جملة أهل العسكر.

قال: و نقل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَجَعَلَ النَّاسَ مَمَّنْ لَمْ يَكُنْ فِي بَعْثِ اسَامَةَ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِ إِرسالاً (٢) و سعد بن عباده شاك (٣) فكان لا يدخل أحد من الأنصار على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَّا انصرف إلى سعد يعودوه.

قال: و قبض رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وقت الضحى من يوم الاثنين بعد خروج اسامه إلى معسكره بيومين، فرجع أهل العسكر و المدينة قد رجفت بأهلها، فأقبل أبو بكر على ناقة له حتى وقف على باب المسجد فقال: أيها الناس ما لكم تموجون إن كان محمّد قد مات فربّ محمّد لم يمت.

«و ما محمّد إلا رسول قد خلت من قبله الرّسل أ فإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم و من ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً» ثم اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عباده و جاذبه إلى سقيفه بنى ساعده فلما سمع بذلك عمر أخبر به أبا بكر و مضيا مسرعين إلى السقيفه و معهما أبو عبيده بن الجراح و فى السقيفه خلق كثير من الأنصار و سعد بن عباده بينهم مريض، فتنازعا الأمر بينهم قال الأمر إلى أن قال أبو بكر فى آخر كلامه للأنصار: إنّما أدعوكم إلى أبى عبيده بن الجراح أو عمرو كلاهما قد رضيت لهذا الأمر و كلاهما أراه له أهلاً، فقال أبو عبيده و عمر: ما ينبغي لنا أن نتقدّمك يا أبا بكر أنت أقدمنا اسلاماً و أنت صاحب الغار و ثانى اثنين فأنت أحقّ بهذا الأمر و أولانا به، فقالت الأنصار

ص:٤

-
- ١- (١) زقاق زمين هموار و نرم و خاك بى ريك، لغه. مكرر - الزقاق كغراب السكه من الطريق المنسد، ق
 - ٢- (٢) اى جماعات متتابعين، منه.
 - ٣- (٣) الشوكه داء معروف و حمرة تعلوا الجسد، ق.

نحذر أن يغلب على هذا الأمر من ليس منا ولا منكم فنجعل منا أميرا ومنكم أميرا و نرضى به على أنه إن هلك اخترنا آخر من الأنصار، فقال أبو بكر بعد أن مدح المهاجرين: و أنتم يا معشر الأنصار ممن لا ينكر فضلهم ولا نعمتهم العظيمة في الاسلام، رضىكم الله أنصارا لدينه و لرسوله و جعل اليكم مهاجرته و فيكم محل أزواجه، فليس أحد من الناس بعد المهاجرين الأولين بمنزلتكم فهم الامراء و أنتم الوزراء.

فقال الحباب بن المنذر الأنصارى: يا معشر الأنصار املكوا(١) على أيديكم فأنما الناس فى فيئكم و ظلالكم و لن يجترى مجترى على خلافكم و لن تصدر الناس إلا- عن رأيكم، و أئنى على الأنصار، ثم قال: فان أبى هؤلاء تأميركم عليهم فلسنا نرضى بتأميرهم علينا و لا نقنع بدون أن يكون منا أمير و منهم أمير.

فقام عمر بن الخطاب فقال: هيهات لا يجتمع سيفان فى غمد(٢) واحد أنه لا ترضى العرب أن تأمركم و نبيها من غيركم لكن العرب لا- تمتنع أن تولي أمرها من كانت النبوه فيهم و أولوا الأمر منهم، و كنا بذلك على من خالفنا الحجة الظاهره و السيلطان البين فما ينازعنا سلطان محمّد و نحن أولياؤه و عشيرته إلا مدلّ باطل أو متجانف(٣) باثم أو متورّط فى الهلكه محبّ للفتنه.

فقام الحباب بن المنذر ثانيه فقال: يا معشر الأنصار امسكوا على أيديكم لا تسمعوا مقال هذا الجاهل و أصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، و إن أبوا أن يكون أمير و أمير فاجلوهم عن بلادكم و تولوا هذا الأمر عليهم فأنتم و الله أحقّ به منهم فقد دان بأسيافكم قبل هذا الوقت من لم يكن يدين بغيرها و أنا جديها(٤).

ص:٥

١- (١) يقال املك عليك لسانك اى لا تجره الا بما يكون لك لا عليك، نهايه.

٢- (٢) الغمد بالكسر جفن السيف و هى غلافه، لغه.

٣- (٣) الجنف محرکه كالجنوف بالضم الميل عن الحق و الجانف المائل، ق.

٤- (٤) الجذل واحدا لا جذال و هو اصول الحطب العظام و منه قول حباب بن المنذر انا جديها المحكك و المجاذل المنتصب مكانه لا يبرح شبه بالجذل الذى ينصب فى المعاطن لتحتك به الابل الجربى اراد أنه يستغنى برايه و تدبيره، صحاح.

المحكك و عذيقها المرجب(1) و الله لئن ردّ أحد قولي لأحطمنّ أنفه بالسيف.

قال عمر بن الخطاب: فلما كان حباب هو الذى يجيبني لم يكن لي معه جواب «في كلام خ ل» فأنه جرت بيني وبينه منازعه في حياه رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم فنهاني رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم عن مهازرته(2) فحلفت أن لا أكلمه أبدا.

ثم قال عمر لأبي عبيده: تكلم، فقام أبو عبيده بن الجراح و تكلم بكلام كثير و ذكر فيه فضائل الأنصار و كان بشير بن سعد سيّدا من سادات الأنصار لما رأى اجتماع الأنصار على سعد بن عباده لتأميره حسده و سعى في افساد الأمر عليه و تكلم في ذلك و رضى بتأمير قريش و حث الناس كلهم و لا سيّما الأنصار على الرضا بما يفعله المهاجرون.

فقال أبو بكر: هذا عمرو أبو عبيده شيخا قريش فبايعوا أيهما شئتم.

فقال عمرو أبو عبيده: ما نتولى هذا الأمر امدد يدك نبايعك.

فقال بشير بن سعد: و أنا ثالثكما، و كان سيد الأوس و سعد بن عباده سيد الخزرج، فلما رأت الأوس صنيع بشير و ما دعت إليه الخزرج من تأمير سعد، أكتبوا على أبي بكر بالبيعه و تكاثروا على ذلك و تراحموا فجعلوا يطئون سعدا من شدة الزحمة و هو بينهم على فراشه مريض، فقال: قتلتموني قال عمر: اقتلوا سعدا قتله الله.

فوثب قيس بن سعد فأخذ بلحيه عمرو قال: و الله يابن صهاك الجبان في الحروب الفرار اللئث في الملاء و الأمن لو حركت منه شعره ما رجعت في وجهك واضحه(3) فقال أبو بكر مهلا يا عمر فإن الرفق أبلغ و أفضل، فقال سعد: يابن صهاك و كانت

ص: ٦

١- (١) في حديث السقيفه انا جذيلها المحكك و عذيقها المرجب الرجبه ان تعمد النخله الكريمه بينا، من حجاره او خشب اذا خيف عليها لطولها و كثره حملها ان تقع و رجبتها فهي مرجبه و العذيق تصغير العذق بالفتح و هي النخله و هو تصغير تعظيم و قد يكون ترجيبها بان يجعل حولها شوك لئلا يرتقى اليها «النهايه» و ترجيبها ضم اعذاقها الى سعفاتها و شدها بالخوص لئلا تنفضها الريح او وضع الشوك حولها لئلا يصل اليها آكل و منه انا جذيلها المحكك و عذيقها المرجب، ق

٢- (٢) تهاتر الرجلان اذا ادعى كل واحد منهما على صاحبه باطلا.

٣- (٣) الواضحه الاسنان التي تبد و عند الضحك، ق.

جلده عمر حبشيه: أما و الله لو أن لي قوه على النهوض لسمعتما مني في سكرها زئيرا(١) أزعجك(٢) و أصحابك منها و لا لحقنكما بقوم كنتما فيهم أذنابا أذلاء تابعين غير متبعين، لقد اجترثتما، ثم قال للخزرج احمولوني من مكان الفتنة، فحملوه فأدخلوه منزله، فلما كان بعد ذلك بعث إليه ابو بكر أن قد بايع الناس فبايع فقال: لا و الله حتى أرميكم لكل سهم في كنانتي(٣) و اخضب منكم سنان رمحي و أضربكم بسيفي ما أقلت يدي فأقاتلكم بمن تبغني من أهل بيتي و عشيرتي ثم و أيم الله لو اجتمع الجنّ و الانس عليّ لما بايعتكما أيها الغاصبان حتى أعرض على ربي و أعلم ما حسابي، فلما جاءهم كلامه قال عمر: لا بدّ من بيعته، فقال بشير بن سعد إنه قد أبى و لّج و ليس بمبايع أو يقتل و ليس بمقتول حتى يقتل معه الخزرج و الأوس فتركوه، فليس تركه بضائر فقبلوا قوله و تركوا سعدا.

فكان سعد لا يصلّي بصلاتهم و لا يقضى بقضائهم و لو وجد أعوانا لصال بهم و لقاتلهم فلم يزل كذلك مدّه و لايه أبي بكر حتى هلك أبو بكر، ثم ولى عمر و كان كذلك فخشى سعد غائله(٤) عمر فخرج إلى الشام فمات بحوران(٥) في و لايه عمرو لم يبايع أحدا و كان سبب موته أن رمى بسهم في الليل فقتل و زعم أنّ الجنّ رموه، و قيل أيضا إنّ محمّد بن سلمه الانصارى تولى ذلك بجعل جعلت له عليه و روى أنّه تولى ذلك المغيره بن شعبه و قيل خالد بن الوليد.

قال: و بايع جماعه الأنصار و من حضر من غيرهم و عليّ بن أبي طالب مشغول بجهاز رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم، فلما فرغ من ذلك و صلّى على رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و الناس يصلّون عليه من بايع أبي بكر و من لم يبايع و جلس في المسجد فاجتمع اليه بنوا هاشم و معهم الزبير بن العوام، و اجتمعت بنوا اميّه إلى عثمان بن عفان و بنوا

ص:٧

١- (١) زئير صوت الاسد في صدره ص.

٢- (٢) يزعجك زعجه قلعه من مكانه كازعجه، ق.

٣- (٣) كنانه السهام بالكسر جعبه من جلد لا خشب فيها او بالعكس، ق

٤- (٤) الغائله صفه لخصله مهلكه نهايه.

٥- (٥) كوره بدمشق ق.

زهره إلى عبد الرحمان بن عوف فكانوا في المسجد مجتمعين إذ أقبل أبو بكر و عمر و أبو عبيده بن الجراح، فقالوا: ما لنا نريكم خلقا شتى؟ قوموا فبايعوا ابا بكر فقد بايعته الأنصار و الناس، فقام عثمان و عبد الرحمان بن عوف و من معهما فبايعوا و انصرف علي عليه السلام و بنو هاشم إلى منزل علي و معهم الزبير.

قال: فذهب إليهم عمر في جماعه ممن بايع فيهم اسيد بن حصين و سلمه بن سلامه فألفوهم مجتمعين، فقالوا لهم بايعوا ابا بكر فقد بايعه الناس فوثب الزبير إلى سيفه فقال عمر عليكم بالكلب العقور فاكفونا شره فبادر سلمه بن سلامه فانتزع السيف من يديه فأخذه عمر فضرب به الأرض فكسره و أحدقوا بمن كان هناك من بنى هاشم و مضوا بجماعتهم إلى أبي بكر فلما حضروا، قالوا: بايعوا ابا بكر و قد بايعه الناس و أيم الله لئن أبيتم من ذلك لنحا كمنكم بالسيف، فلما رأى ذلك بنو هاشم أقبل رجل رجل فجعل يبايع حتى لم يبق ممن حضر إلا علي بن أبي طالب عليه السلام.

فقالوا له: بايع ابا بكر فقال علي عليه السلام: أنا أحق بهذا الأمر منه و أنتم أولى بالبيعة لي أخذتم هذا الأمر من الانصار و احتججتم عليهم بالقرايه من الرسول و تأخذونه منا أهل البيت غضبا أستم زعمتم للانصار أنكم أولى بهذا الأمر منهم لمكانكم من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فأعطوكم المقاده و سلموا لكم الاماره و أنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم على الانصار، أنا أولى برسول الله صلى الله عليه و آله حيا و ميتا و أنا وصيه و وزيره و مستودع سره و علمه و أنا الصديق الاكبر أول من آمن به و صدقه و أحسنكم بلاء في جهاد المشركين و أعرفكم بالكتاب و السنه و أذربكم (1) لسانا و أثبتكم جنانا، فعلام تنازعونا هذا الامر، أنصفونا إن كنتم تخافون الله من أنفسكم، و اعرفوا لنا من الامر مثل ما عرفته لكم الانصار و إلا فبوءوا بالظلم و العدوان و أنتم تعلمون.

فقال عمر: أمالك بأهل بيتك أسوه؟ فقال علي عليه السلام سلوهم عن ذلك، فابتدر

ص: ٨

القوم الذين بايعوا من بنى هاشم فقالوا: ما بيعتنا بحجّه على عليّ عليه السّلام و معاذ الله أن نقول: إنّنا نوازيه في الهجره و حسن الجهاد و المحلّ من رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فقال عمر: إنك لست متروكا حتّى تبايع طوعا أو كرها، فقال عليّ عليه السّلام: احلب حلبا لك شطره اشدد له اليوم ليردّ عليك غدا إذا و الله لا أقبل قولك و لا أحفل بمقامكم و لا ابايع، فقال أبو بكر: مهلا يا أبا الحسن ما نشد فيك و لا نكرهك.

فقام أبو عبيده إلى عليّ عليه السّلام فقال: يا بن عمّ لسنا ندفع قرابتك و لا سابقتك و لا علمك و لا نصرتك، و لكنك حدث السن، و كان لعليّ عليه السّلام يومئذ ثلاث و ثلاثون سنه و ابو بكر شيخ من مشايخ قومك و هو أحمل لثقل هذا الامر و قد مضى الامر بما فيه فسلم له، فان عمرك الله يسلموا هذا الامر إليك و لا يختلف فيك إثنان بعد هذا إلا و أنت به خليق و له حقيق و لا تبعث الفتنة في أوان الفتنة فقد عرفت بما في قلوب العرب و غيرهم عليك.

فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: يا معاشر المهاجرين و الانصار، الله الله لا تنسوا عهد نبيكم اليكم في أمرى و لا تخرجوا سلطان محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم من داره و قعر بيته إلى دوركم و قعر بيوتكم، و لا تدفعوا أهله عن حقّه و مقامه في الناس فو الله يا معاشر الناس «الجمع خ» إنّ الله قضى و حكم و نبّيه أعلم و أنتم تعلمون بأنا أهل البيت أحقّ لهذا الامر منكم ما كان «فكان خ» القارى منكم لكتاب الله الفقيه في دين الله المضطلع (١) بأمر الرّعيه و الله إنّه لفينا لا فيكم فلا تتبعوا الهوى فتزادوا من الحقّ بعدا و تفسدوا قديمكم بشرّ من حديثكم.

فقال بشير بن سعد الانصارى الذى وطأ الامر لأبى بكر و قالت جماعه من الانصار:

يا أبا الحسن لو كان هذا الكلام سمعته منك الانصار قبل بيعتها «الانتظام خ» لأبى بكر ما اختلف فيك اثنان.

فقال عليّ عليه السّلام: يا هؤلاء كنت أدع الرّسول و هو مسجّى (٢) لا أواريه

ص: ٩

١- (١) و مضطلع أى قوى عليه ق.

٢- (٢) سجيت الميت تسجيه اذا مددت عليه ثوبا، ق.

و أخرج أنازع في سلطانه، و الله ما خفت «خلت ظ» أحدا يسمو(١) له و ينازعنا أهل البيت فيه و يستحل ما استحلتتموه، و لا علمت أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ترك يوم غدیر خم لأحد حجّه و لا- لقائل مقالا، فأنشد الله رجلا سمع يوم غدیر خم يقول صلى الله عليه و آله: من كنت مولاه فعلىّ مولاه اللهم وال من والاه و عاد من عاداه و انصر من نصره و اخذل من خذله، أن يشهد الآن بما سمع.

قال زيد بن أرقم: فشهد اثنا عشر رجلا بدرّيّا بذلك و كنت ممّن سمع القول من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فكتمت الشّهاده فذهب بصرى، قال: و كثر الكلام فى هذا المعنى و ارتفع الصّوت و خشى عمر أن يصغى «النّاس خ» الى قول علىّ عليه السّلام ففسخ المجلس و قال: إنّ الله يقبّل القلوب و الأبصار و لا- تزال يا أبا الحسن ترغب عن قول الجماعه فانصرفوا يومهم ذلك.

و فى الاحتجاج أيضا عن أبان بن تغلب قال: قلت لأبى عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليهما السّلام: جعلت فداك هل كان أحد فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أنكر على أبى بكر فعله و جلوسه مجلس رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم؟ فقال عليه السّلام: نعم كان الذى أنكر على أبى بكر اثنى عشر رجلا، من المهاجرين: خالد بن سعيد بن العاص و كان من بنى اميه، و سلمان الفارسى، و أبو ذر الغفارى، و المقداد بن الأسود، و عمّار بن ياسر، و بريده الأسلمى و من الانصار أبو الهيثم بن التيهان، و سهل، و عثمان ابنا حنيف، و خزيمه بن ثابت، و ذو الشّهادتين، و أبى بن كعب، و أبو أيوب الأنصارى، قال: فلما صعد أبو بكر المنبر تشاوروا بينهم فقال بعضهم لبعض: و الله لنا تيّنّه و لننزلنه عن منبر رسول الله صلى الله عليه و آله، و قال آخرون منهم و الله لئن فعلتم ذلك إذا لأعتنم(٢) على أنفسكم، فقد قال الله تعالى:

ص: ١٠

١- (١) يقال فلان يسمو الى المعالى اذا تطاول اليها، نهايه.

٢- (٢) الاعنات در كارى افكندن كه از آن بيرون نتوان آمد و من ثم ضبطه فى بعض النسخ اعنتم.

«وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ» فانطلقوا بنا إلى أمير المؤمنين عليه السلام لنستشيره و نستطلع على الأمر و نستطلع رأيه، فانطلق القوم إلى أمير المؤمنين عليه السلام بأجمعهم فقالوا يا أمير المؤمنين: تركت حقاً أنت أحق به و أولى منه، لأننا سمعنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقول: عَلِيٌّ مَعَ الْحَقِّ وَ الْحَقُّ مَعَ عَلِيٍّ يَمِيلُ مَعَ الْحَقِّ كَيْفَ مَالٍ، وَ لَقَدْ هَمَمْنَا أَنْ نَصِيرَ إِلَيْهِ فَنَزِلَهُ عَنْ مَنبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَجِئْنَاكَ لِنَسْتَشِيرَكَ وَ نَسْتَطْلِعَ رَأْيَكَ فِيمَا تَأْمُرُنَا.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: و أيم الله لو فعلتم ذلك لما كنتم لهم إلا حرباً و لكنكم كالملاح في الزاد و كالكحل في العين، و أيم الله لو فعلتم ذلك لأتيموني شاهرين أسيافكم مستعدين للحرب و القتال و إذا لآتونى فقالوا لى: بايع و إلا قتلناك، فلا بد من أن أَدْفَعِ الْقَوْمَ عَنْ نَفْسِي وَ ذَلِكَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَوْ عَزَّ (١) إِلَيَّ قَبْلَ وَفَاتِهِ، وَ قَالَ لِي يَا أَبَا الْحَسَنِ، إِنَّ الْأَمَةَ سَتَغْدِرُ بِكَ مِنْ بَعْدِي وَ تَنْقُضُ فِيكَ عَهْدِي وَ إِنَّكَ مَنَى بَمَنْزِلِهِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى وَ إِنْ الْأَمَةَ مِنْ بَعْدِي بَمَنْزِلِهِ هَارُونَ «كهرون خ» و من اتبعه و السامرى و من اتبعه، فقلت يا رسول الله فما تعهد إلي إذا كان كذلك؟ فقال إن «إذا خ» وجدت أعوانا فبادر إليهم و جاهدهم، و إن لم تجد أعوانا كف يدك و احقن دمك حتى تلحق بى مظلوما، فلما توفى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ اشتغلت بغسله و تكفينه و الفراغ من شأنه، ثم آليت يمينا أن لا أرتدى إلا للصلاة حتى أجمع القرآن، ففعلت ثم أخذت بيد فاطمه و ابنتي الحسن و الحسين فدرت على أهل بدر و أهل السابقه فناشدتهم (٢) الله إلى حقي و دعوتهم إلى نصرتي فما أجابني منهم إلا أربعه رهط: سلمان، و عمّار، و المقداد، و أبو ذر، و لقد اودت في ذلك بقيه أهل بيتي، فأبوا علي إلا السكوت لما علموا من و غاره (٣) صدور القوم و بغضهم لله و لرسوله و لأهل بيت نبيه، فانطلقوا بأجمعكم إلى هذا الرجل فعرفوه

ص: ١١

١- (١) - و عز اليه في كذا ان يفعل او يترك و او عرو و عر تقدم و امر ق.

٢- (٢) ناشده منا شده و نشادا احلفه ق.

٣- (٣) الوغر و يحرك الحقد و الضغن و العداوه و التوقد من الغيظ، ق.

ما سمعتم من قول نبيكم صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم ليكون ذلك أو كد للحجّه وأبلغ للعدو وأبعد لهم من رسول الله إذا وردوا عليه، فسار القوم حتّى أهدقوا بمنبر رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم، وكان يوم الجمعة، فلمّا صعد أبو بكر المنبر قال المهاجرون للأَنْصار: تقدّموا فتكلّموا، فقال الأَنْصار للمهاجرين: بل تكلّموا أنتم فإنّ الله عزّ وجلّ أذ قال الله عزّ وجلّ:

«لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ» فقال أبان: فقلت: يابن رسول الله إنّ الأُمّة لا تقرء كما عندك، قال وكيف تقرء يا أبان؟ قال: قلت: إنّها تقرء لقد تاب الله على النَّبِيِّ والمهاجرين والانصار فقال عليه السّلام: ويلهم وأيّ ذنب كان لرسول الله حتّى تاب الله عليه منه إنّما تاب الله به على أُمَّته، فأول من تكلم به خالد بن سعيد بن العاص ثمّ باقى المهاجرين ثمّ من بعدهم الانصار، وروى أنّهم كانوا غنّيا عن وفات رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم فقدموا وقد تولى أبو بكر وهم يومئذ أعلام مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم.

فقام خالد بن سعيد بن العاص وقال: اتق الله يا أبا بكر فقد علمت أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم قال، ونحن محتوشوه (١). يوم بنى قريظته حين فتح الله له وقد قتل على يومئذ عدّه من صناديد (٢) رجالهم وأولى الباس والنجده (٣) منهم: يا معاشر المهاجرين والانصار إنّى اوصيكم بوصيه فاحفظوها ومودعكم أمرا فاحفظوه، ألا إنّ على ابن أبى طالب أميركم بعدى وخليفتى فيكم بذلك أوصانى ربّى، ألا- وإنّكم إن لم تحفظوا فيه وصيتى وتوازروه وتنصروه اختلفتم فى أحكامكم واضطرب عليكم أمر دينكم ولا-كم شراركم، ألا- إن أهل بيتى هم الوارثون لأمرى والعاملون «لمونخ» بأمر أمتى من بعدى، اللهم من أطاعهم من أمتى وحفظ فيهم وصيتى فاحشرهم فى زمرتى وأجعل لهم نصيبا من مرافقتى يدركون به نور الآخرة، اللهم ومن أساء

ص: ١٢

١- (١) احتوش القوم على كذا جعلوه وسطهم واحاطوا عليه وقد يعدى بنفسه يقال احتوشوه، منه.

٢- (٢) الصندد كزبرج السيد الشجاع او الجواد او الشريف، ق.

٣- (٣) النجده القتال والشجاعه والشده والهول والفرع، ق.

خلافتی فی أهل بیتی فاحرمه الجَنَّة التي عرضها كعرض السماء والارض.

فقال له عمر بن الخطاب: اسكت يا خالد فلست من أهل المشوره ولا من يقتدى برأيه، فقال خالد اسكت أنت يا بن الخطاب فانك تنطق على لسان غيرك و أيم الله لقد علمت قريش أنك من الأمها حسبا و أدناها منصبا و أحسها قدرا و أحملها ذكرا و أقلهم غناء عن الله و رسوله و أنك لجبان في الحروب بخيل في المال لئيم العنصر مالك في قريش من فخر، و لا في الحروب من ذكر و أنك في هذا الأمر بمنزله الشيطان:

«إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَ ذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ» فابلس(1) عمرو و جلس خالد بن سعيد.

ثم قام سلمان الفارسي (رض) و قال: كرديد و نكرديد(2) أ فعلتم و لم تفعلوا و امتنع من البيعه قبل ذلك حتى و جى عنقه فقال يا أبا بكر: إلى من تستند امرك إذا نزل بك ما لا تعرفه و إلى من تفرع إذا سئلت عما لا تعلمه فما عذرک في تقدم من هو أعلم منك و أقرب إلى رسول الله و أعلم بتأويل كتاب الله و سنه نبيه صلى الله عليه و آله و سلم و من قدمه النبي صلى الله عليه و آله و سلم في حياته و أوصاكم به عند وفاته، فنبذتم قوله و تناسيتم وصيته و أخلفتم الوعد و نقضتم العهد و حلتم العقد الذي كان عقده عليكم من النفوذ تحت رايه اسامه بن زيد حذرا من مثل ما اتيموه و تنيها للامه على عظيم ما اجترتموه «حتموه خ» من مخالفه أمره فعن قليل يصفو لك الأمر و قد أنقلك الوزر و نقلت إلى قبرك و حملت معك ما كسبت يداك فلو راجعت الحق من قرب و تلافيت نفسك و تبت إلى الله من عظيم ما اجترمت كان ذلك أقرب إلى نجاتك يوم

ص: ١٣

١- (١) - و ابلس حتى ما او ضحوا لضاحكه و ابلسوا اي سكتوا و المبلس الساكت من الخوف و الحزن، نهايه.

٢- (٢) يعنى كرديد تعيين خليفه باطل پيش خود و نكرديد اطاعت وصى رسول خدا و خليفه بر حق چنانكه بعد از اين ظاهر مى شود، منه.

تفرد في حفرتك و يسلمك ذو و نصرتك، فقد سمعت كما سمعنا و رأيت كما رأينا، فلم يردعك (١) ذلك عما أنت متشبث به من هذا الأمر الذي لا عذر لك في تقامده و لا حظ للدين و لا للمسلمين في قيامك به، فالله الله في نفسك فقد أعذر من أنذر، و لا تكن أنت كمن أدبر و استكبر.

ثم قام أبو ذر الغفاري فقال: يا معشر قريش أصبتم قباحه «قناعه خ» (٢) «قباعه خ» (٣) و تركتم قرابه و الله ليرتدن جماعه من العرب و ليشكن في هذا الدين و لو جعلتم هذا الأمر في أهل بيت نبيكم ما اختلف عليكم سيفان، و الله لقد صارت لمن غلب و لتطمحن إليها عين من ليس من أهلها، و ليسفكن فيها دماء كثيره فكان كما قال أبو ذر، ثم قال:

لقد علمتم و علم خياركم أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال: الأمر بعدى لعلي ثم لابنني الحسن و الحسين ثم للطاهرين من ذريتي، فأطرحتم قول نبيكم و تناسيتم ما عهد به إليكم فأطعتم الدنيا الفانيه و نسيتم «بعتم - شريتم خ» الآخره الباقية التي لا يهرم شبابها و لا يزول نعيمها و لا يحزون أهلها و لا يموت سكانها بالحقير التافه (٤) الفاني الزايل و كذلك الامم من قبلكم كفرت بعد أنبيائها و نكصت على أعقابها و غيرت و بدلت و اختلفت فساويتموهم حذو النعل بالنعل و القذه بالقذه، و عما قليل يذوقون و بال أمركم و تجزون بما قدمت أيديكم و ما الله بظلام للعبيد.

ثم قال المقداد بن الأسود فقال: يا أبا بكر ارجع عن ظلمك و تب إلى ربك و أزم بيتك و ابك على خطيئتك و سلم الأمر إلى صاحبه الذي هو أولى به منك، فقد علمت ما عقده رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في عنقك من بيعته و أزمك من التفوذ تحت رايه اسامه بن زيد و هو مولاه، و تبه على بطلان و جوب هذا الأمر ذلك و لمن عضدك (٥).

ص: ١٤

١- (١) ردعه كمنعه كفه و رده فارتدع، ق.

٢- (٢) و قنعت به قناعه من باب تعب رضيت به، لغه.

٣- (٣) قبع القنفذ كمنع قبوعا ادخل راسه في جلده و الرجل في قميصه و دخل و تخلف عن اصحابه، قاموس

٤- (٤) شيء تافه يفه حقير خسيس و قد تفه تفها من باب لبس مغرب.

٥- (٥) عضده يعضده قطعه و كنصره اعانه و نصره، ق.

عليه بضمه لكما إلى علم التفاق و معدن الشنآن و الشقاق عمرو بن العاص الذى أنزل الله فيه على نبيّه:

«إِنَّ شَانِيكَ هُوَ الْمَأْتَبُ» فلا- اختلاف بين أهل العلم أنّها نزلت فى عمرو و هو كان اميرا عليكما و على ساير المنافقين فى الوقت الذى انفضه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فى غزاه ذات السلاسل و أنّ عمروا قلد كما حرس عسكره فأين الحرس إلى الخلافه اتق الله و بادر إلى الاستقاله قبل فوتها فإنّ ذلك أسلم لك فى حياتك و بعد وفاتك و لا تركز إلى الدنيا «دنياك خ» و لا تغزّك قريش و غيرها فعن قليل تضمحلّ عنك دنياك ثمّ تصير إلى ربك فيجزيك بعملك و قد علمت و تيقنت أنّ على بن أبى طالب عليه السّلام صاحب الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فسلمه إليه بما جعله الله له فأنه أتمّ لسترك و أخفّ لوزرك فقد و الله نصحت لك إن قبلت نصحي و إلى الله ترجع الأمور.

ثمّ قام بريده الأسلمى فقال: إنّنا لله و إنّنا إليه راجعون ما ذا لقي الحقّ من الباطل يا أبا بكر أنسيت أم تناسيت و خدعت أم خدعتك نفسك و سوّلت تلك الأباطيل أو لم تذكر ما أمرنا به رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من تسميه علىّ بامرّه (١) المؤمنين و النّبىّ بين أظهرنا و قوله له فى عده أوقات هذا علىّ أمير المؤمنين و قاتل القاسطين اتق الله و تدارك نفسك قبل أن لا- تدرکها و أنقذها ممّا يهلكها و اردد الأمر إلى من هو أحقّ به منك و لا تتمارى (٢) فى اغتصابه و راجع و انت تستطيع أن تراجع فقد محضتک النصح و دلتك على طريق النّجاه فلا تكوننّ ظهيرا للمجرمين.

ثمّ قام عمّار بن ياسر فقال: يا معاشر قريش و يا معاشر المسلمين إن كنتم علمتم و إلاّ فاعلموا أنّ أهل بيت نبيكم أولى به و أحقّ بارثه و أقوم بامور الدّين و آمن على المؤمنين و أحفظ لملتّه و أنصح لامته فمروا صاحبكم فليردّ الحقّ إلى

ص: ١٥

-
- ١- (١) و الامر على وزن فاعله مصدر امر علينا مثلثه اذ اولى و الاسم الامر بالكسر و قول الجوهري مصدر و اسم ق.
٢- (٢) اى لا تجادل، منه.

أهله قبل أن يضطرب جبلكم و يضعف أمركم و يظهر شئناكم و تعظم الفتنة بكم و تختلفوا فيما بينكم و يطمع فيكم عدوكم، فقد علمتم أنّ بنى هاشم أولى بهذا الأمر منكم و على من بينهم وليكم بعهد الله و رسوله، و فرق ظاهر قد عرفتموه فى حال بعد حال عند سدّ النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم أبوابكم التى كانت إلى المسجد كلّها غير بابه و إيثاره إياه بكريمته فاطمه الزّهاء دون ساير من خطبها إليه منكم، و قوله صلى الله عليه و آله و سلم: إنا مدينة الحكمة و على بابها فمن أراد الحكمة فليأتها من بابها، و إنكم جميعا مضطرون فيما اشكل عليكم من امور دينكم إليه، و هو مستغن عن كل أحد منكم إلى ما له من السّوابق التى لأفضلكم عند نفسه فما بالكم تحيدون(١) عنه و تبتزّون(٢) علينا حقّه «و تغرون على حقّه خ»(٣) و تؤثرون الحياه الدّنيا على الآخرة؟ بئس للظالمين بدلا اعطوه ما جعله الله و لا تولّوا مدبرين و لا ترتدّوا على أديباركم فتتقلبوا خاسرين.

ثمّ قام ابى بن كعب فقال: يا أبا بكر لا تجحد حقّا جعله الله لغيرك و لا تكن أوّل من عصى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فى وصيّته «و صفيه خ» و صدف عن أمره، اردد الحقّ إلى أهله تسلم و لا- تتماد فى غيئك فتندم و بادر إلى الانابه يخفف وزرك و لا- تخصصنّ بهذا الأمر الذى لم يحلّه «يجعله خ» الله لك نفسك فتلقى و بال عملك، فعن قليل تفارق ما أنت فيه و تصير إلى ربّك فيسألك عمّا جنيت، و ما ربّك بظلام للعبيد.

ثمّ قام خزيمه بن ثابت فقال: أيها النّاس أ لستم تعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قبل شهادتى وحدى و لم يرد معى غيرى؟ قالوا: بلى، قال: فاشهد أنّى سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: أهل بيتى يفرقون بين الحقّ و الباطل، و هم الأئمة الذين يقتدى بهم و قد قلت ما علمت و ما على الرّسول إلاّ البلاغ المبين.

ص: ١٦

١- (١) اى تميلون، منه.

٢- (٢) ابتزت الشىء استلبته، ص.

٣- (٣) فيه من دخل الى طعام لم يدع اليه دخل سارقا و خرج مغيرا اسم فاعل من اغار يغير اذا نهب شبه دخوله عليهم بدخول السارق و خروجه بمن اغار على قوم، نهايه.

ثم قام أبو الهيثم بن التيهان فقال: و أنا أشهد على نبينا صلى الله عليه وآله وسلم أنه أقام علياً عليه السلام يعني في يوم غدِير خَمَ فقالت الأنصار: ما أقامه إلا للخلافه، و قال بعضهم:

ما أقامه إلا- ليعلم الناس أنه مولى من كان رسول الله مولاة، و كثر الخوض في ذلك فبعثنا رجالا منا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسألوه عن ذلك فقال لهم قولوا: على ولي المؤمنين بعدى و أنصح الناس لامتى و قد شهدت بما حضرني فمن شاء فليؤمن و من شاء فليكفر إن يوم الفصل كان ميقاتا.

ثم قام سهل بن حنيف فحمد الله و أثنى عليه و صلى على النبي محمد و آله ثم قال: يا معاشر قريش اشهدوا على أنى أشهد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و قد رأيت في هذا المكان يعني الروضه (1) و قد أخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام و هو يقول: أيها الناس هذا علي إمامكم من بعدى و وصيتي في حياتي و بعد وفاتي و قاضى ديني و منجز وعدى و أول من يضافحني على حوضي فطوبى لمن أتبعه و نصره و الويل لمن تخلف عنه و خذله.

ثم قام من بعده أخوه عثمان بن حنيف فقال: سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

أهل بيتي نجوم الأرض فلا تتقدموهم و قدّموهم، فهم الولاة بعدى. فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله و أى أهل بيتك؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم علي و الطاهرين من ولده، و قد بين عليه السلام فلا- تكن يا أبا بكر أول كافر به فلا تخونوا الله و الرسول و تخونوا أمانتكم و أنتم تعلمون.

ثم قام أبو أيوب الأنصارى فقال: اتقوا الله عباد الله في أهل بيت نبيكم و ارددوا إليهم حقهم الذى جعله الله لهم، فقد سمعتم مثل ما سمع إخواننا في مقام بعد مقام لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم، و مجلس بعد مجلس يقول: أهل بيتي أئمتكم بعدى و يؤمى إلى علي عليه السلام يقول: هذا أمير البرره و قاتل الكفرة، مخذول من خذله منصور من نصره فتوبوا إلى الله من ظلمكم إن الله تواب رحيم، و لا تتولوا عنه مدبرين، و لا تتولوا عنه معرضين.

ص: ١٧

قال الصادق عليه السلام فافحم (١) أبو بكر على المنبر حتى لم يحرق (٢) جوابا ثم، قال وليتكم و لست بخيركم أقيلوني أقيلوني.

فقال له عمر بن الخطاب: انزل عنها يا لكع (٣) إذا كنت لا تقوم بحجج قريش لهم أقمت نفسك هذا المقام؟ و الله لقد هممت أن أخلعك و أجعلها في سالم مولى أبي حذيفه، قال فنزل ثم أخذ بيده و انطلق إلى منزله و بقي ثلاثة أيام لا يدخلون مسجد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

فلما كان في اليوم الرابع جاءهم خالد بن الوليد و معه ألف رجل فقال لهم:

ما جلوسكم فقد طمع فيها و الله بنو هاشم، و جاءهم سالم مولى أبي حذيفه و معه ألف رجل، و جاءهم معاذ بن جبل و معه ألف رجل فما زال يجتمع رجل رجل حتى اجتمع أربعة آلاف رجل فخرجوا شاهرين أسيافهم يقدمهم عمر بن الخطاب حتى وقفوا بمسجد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، فقال عمرو و الله يا أصحاب عليّ لئن ذهب الرجل منكم يتكلم بالذي تكلم به بالأمس لنأخذن الذي فيه عيناه.

فقام إليه خالد بن سعيد بن العاص و قال يابن صهّاك الحبشيه أ فأسيافكم تهدّدونا أم بجمعكم تفرعوننا؟ و الله إن أسيافنا أحد من أسيافكم و إنّنا لأكثر منكم و إن كنا قليلين لأنّ حجه الله فينا و الله لو لا أنى أعلم أنّ طاعه الله و طاعه رسوله و طاعه إمامى أولى بى لشهرت سيفى و جاهدتكم فى الله إلى أن أبلى (٤) عذرى، فقال «له خ» أمير المؤمنين عليه السّلام: اجلس يا خالد فقد عرف لك مقامك. و شكر لك سعيك، فجلس.

و قام إليه سلمان الفارسى فقال الله أكبر الله أكبر سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و إلّا صمّتا (٥) يقول: بينا أخى و ابن عمى جالس فى مسجدى و معه نفر من

ص: ١٨

١- (١) افحمها اسكتها، نهايه.

٢- (٢) ما اخرجوا با ما رد، ق.

٣- (٣) اللكع كصرد اللثيم و العبد و الاحمق ق.

٤- (٤) و بلاه عذرا اواه اليه قبله، ق.

٥- (٥) اى صمت اذناى ان كذبت منه،.

أصحابه إذ تكبسه (١) جماعه من كلاب أهل النار يريدون قتله و قتل من معه، و لست أشك إلا و أنكم هم، فهم به عمر بن الخطاب، فوثب إليه أمير المؤمنين عليه السلام و أخذ بمجامع ثوبه ثم جلد (٢) به الأرض ثم قال: يا ابن صهاك الحبشي لو لا كتاب من الله سبق و عهد من الله تقدّم لأريتك أيّنا أضعف ناصرا و أقلّ عددا، ثم التفت إلى أصحابه فقال: انصرفوا رحمكم الله فوالله لا دخلت المسجد إلا كما دخل أخوای موسى و هارون إذ قال له أصحابه:

«فَاذْهَبِ أَنْتَ وَ رَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ» و الله لا دخلته إلا لزياره رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أو لقضيه أفضيها، فإنه لا يجوز لحجه أقامه رسول الله أن يترك الناس في حيره.

و في الاحتجاج أيضا عن عبد الله بن عبد الرحمن قال: إن عمر احتزم (٣) بازاره و جعل يطوف بالمدينه و ينادى ألا إن أبا بكر قد بويع فهلّموا إلى البيعه فينثال (٤) الناس يبائعون فعرف أن جماعه في بيوت مستترون فكان يقصدهم في جمع كثير فيكبسهم و يحضرهم المسجد فيبائعون حتى إذا مضت أيام أقبل في جمع كثير إلى منزل علي عليه السلام فطالبه بالخروج فأبى، فدعا عمر بحطب و نار، و قال و الذي نفس عمر بيده ليخرجن أولا حرقنه على ما فيه، فقبل له: إن فاطمه بنت رسول الله و ولد رسول الله و آثار رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فيه، و أنكر الناس ذلك من قوله فلما عرف إنكارهم قال: ما بالكم أتروني فعلت ذلك إنما أردت التّهويل فراسلهم علي عليه السلام أن ليس إلى خروجي حيله، لأنى في جمع كتاب الله الذي قد نبذتموه و ألهتكم (٥) الدنيا عنه،

ص: ١٩

١- (١) كبس داره هجم عليه، ق

٢- (٢) جلد به أى رمى به الارض، نهايه.

٣- (٣) و منه الحديث نهى ان يصلى الرجل حتى يحترم اى يتلبب و يشد وسطه، نهايه

٤- (٤) انثال عليه الناس من كل وجه اى انصبوا، ص

٥- (٥) الهتكم الدنيا اى شغلتمكم قال تعالى الهيكم التكاثر، منه.

وقد خلفت أن لا أخرج من بيتي ولا ادع رداي على عاتقي حتى أجمع القرآن، قال: وخرجت فاطمه بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليهم فوقفت على الباب، ثم قالت لا عهد لي بقوم أسوء محضرا منكم تركتم رسول الله جنازه (١) بين أيدينا و قطعتم أمركم فيما بينكم و لم تؤامرونا و لم تروا لنا حقا، كأنكم لم تعلموا ما قال يوم غدیر خم، و الله لقد عقد له يومئذ الولاء ليقطع منكم بذلك منها الرجاء، و لكنكم قطعتم الأسباب و الله حسيب بيننا و بينكم في الدنيا و الآخرة.

و في غاية المرام من كتاب سليم بن قيس الهلالي و هو كتاب مشهور معتمد نقل منه المصنفون في كتبهم و هو من التابعين رأى عليا و سلمان و أبا ذر و في مطلع كتابه ما هذه صورته: فهذه نسخه كتاب سليم بن قيس الهلالي رفعه إلى أبا بن أبي عياش و قرأه علي عليه السلام و ذكر أبا بن أنه قرأ علي عليه السلام فقال صدق سليم هذا حديثنا نعرفه، قال سليم: سمعت سلمان الفارسي أنه قال: فلما أن قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و صنع الناس ما صنعوا جالهم ابو بكر و عمر و أبو عبيده بن الجراح و خاصموا الأنصار بحجة علي عليه السلام فخصموهم فقالوا يا معاشر الأنصار قريش أحق بالأمر منكم، لأن رسول الله من قريش، و المهاجرون خير منكم لأن الله سبحانه بدء بهم في كتابه و فضلهم، و قد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الأئمة من قريش.

قال سلمان: فأتيت و هو يغسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و قد كان أوصى عليا أن لا يلي غسله إلا هو، فقال: يا رسول الله و من يعينني عليك؟ فقال: جبرئيل عليه السلام، و كان علي عليه السلام لا يريد عضوا إلا انقلب له، فلما غسله و كفنه أدخلني و أدخل أبا ذر و المقداد و فاطمه و الحسن و الحسين عليهم السلام، فتقدم علي عليه السلام و صفنا خلفه و صلى عليه و عايشه في الحجره لا تعلم، ثم ادخل عشره من المهاجرين و عشره من الأنصار يدخلون فيدعون ثم يخرجون «فيصلون و يخرجون خ» حتى لم يبق أحد من المهاجرين و الأنصار إلا صلى عليه.

ص: ٢٠

١- (١) الجنازه بالكسر و الفتح الميت بسريره و قيل بالكسر السرير و بالفتح الميت، نهايه.

قال سلمان: فأُتيت عليًا و هو يغسل «قلت لعلِّي عليه السَّلام حين يغسل خ» رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلَّم فأخبرته بما صنع النَّبِيس فقلت: إنَّ أبا بكر السَّاعه قد رقى منبر رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلَّم و لم يرضوا أن يبايعوه بيد واحده و أنَّهم ليبايعونه بيديه جميعا بيمينه و شماله، فقال عليه السَّلام: يا سلمان و هل تدري أوَّل من بايعه على منبر رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلَّم؟ فقلت: لا إلاَّ أنِّي رأيت «رأيت خ» في ظلِّه بنى ساعده حين خصمت الأنصار فكان «و كان خ» أوَّل من بايعه المغيره بن شعبه، ثمَّ بشير بن سعد، ثمَّ أبو عبيده بن الجراح ثمَّ عمر بن الخطاب، ثمَّ سالم مولى أبي حذيفه، و معاذ بن جبل، قال: لست أسألك عن هؤلاء و لكن هل تدري أوَّل من بايعه حين صعد المنبر؟ قال «قلت خ»: لا و لكن رأيت شيئا كبيرا متوكئا على عصا بين عينيه سجاده شديد التشمير صعد المنبر «أول من صعد خ» و هو بيكي و «هو خ» يقول: الحمد لله الذي لم يمتني حتَّى رأيتك في هذا المكان ابسط يدك، فبسط يده فبايعه، ثمَّ نزل فخرج من المسجد.

فقال عليُّ عليه السَّلام: و هل تدري يا سلمان من هو؟ قلت: و قد سائنتني مقالته كأنَّه شامت بموت رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلَّم، قال عليُّ عليه السَّلام: فإنَّ ذلك إبليس لعنه الله عليه «اخبرني رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلَّم خ» انَّ إبليس و أصحابه شهدوا نصب رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلَّم إيَّاي بغدير خمِّ لَمَّا أمره الله تعالى و أخبرهم أنِّي أوَّلِي بهم من أنفسهم و أمرهم أن يبلغ الشَّاهد الغائب، فأقبل إلى إبليس أبا لسته و مرده أصحابه، فقالوا: هذه الامه مرحومه معصومه لا لك و لا لنا عليهم سبيل قد اعلموا مقرَّهم و إمامهم «علموا امامهم و مصرعهم خ» بعد نبيِّهم فانطلق إبليس آيسا حزينا.

قال فأخبرني رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلَّم بعد ذلك (١) و قال تباع النَّبِيس ابا بكر في ظلِّه بنى ساعده حتَّى ما يخاصمهم (٢) بحقنا و حجتنا، ثمَّ يأتون المسجد فيكون

ص: ٢١

-
- ١- (١) الظاهر انه غلط و ليس في نسخه الاحتجاج و لا في البحار، منه.
 - ٢- (٢) الظاهر ان المراد به ما يخاصمهم احد لحقنا و في البحار هكذا في ظلِّه بنى ساعده بعد تخاصمهم بحقنا و حجتنا و في الاحتجاج بعد تخاصمهم بحقك و حجتك و هو الاصح و الانسب، منه.

أول من يبايعه على منبرى إبليس فى صورته شىخ كبير مستبشر يقول له: كذا و كذا ثم يخرج فىجمع أصحابه و شياطينه و أبا لسته فىخزون سجدا فىنخر و يكسع، ثم يقول: كلاً- زعمتم أن لىس لى عليهم سلطان و لا- سبىل فكىف رأىتمونى صنعت بهم حتى تركوا ما أمرهم الله به من طاعته و أمرهم به رسول الله و ذلك قول الله تعالى:

«وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ» قال سلمان: فلما كان اللىل حمل فاطمه على حمار و أخذ بىد الحسن و الحسىن علىهما السلام فلم ىدع أحدا من أهل بدر من المهاجرىن و لا من الأنصار إلا أتاه فى منزله و ذكره حقه و دعاه إلى نصرته فما استجاب له إلا أربعه و أربعون رجلا فأمرهم أن ىصبحوا محلقتىن رؤوسهم و معهم سلاحهم على أن ىبايعوه على الموت و أصبحوا لم ىوافقهم منهم إلا أربعه، فقلت لسلمان: من الأربعه؟ قال: أنا و أبو ذر و المقداد و الزبىر بن العوام، ثم عاودهم لىلا ىناشدهم، فقالوا: نصحبك بكره فما أتاه منهم أحد غيرنا فلما رأى على عليهم السلام غدرهم و قلبه وفائهم لزم بىته و أقبل على القرآن يؤلفه و ىجمعه، فلم ىخرج من بىته حتى جمعه و كان المصحف فى القرطاس و الاسيار(1) و الرقاع.

فلما جمع كله و كتبه على تنزىله و الناسخ و المنسوخ و بعث إليه أبو بكر أن اخرج فىباىع فبعث إليه على عليه السلام إنى مشغول، و لقد آلىت على نفسى ىمىنا أن لا ارتدى برداء إلا للصلاه حتى أولف القرآن و أجمعه، فجمعه فى ثوب واحد و ختمه ثم خرج إلى الناس و هم مجتمعون مع أبى بكر فى مسجد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فنادى بأعلى صوته: ىا أيها الناس إنى لم أزل منذ قبض رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم مشغولا بغسله، ثم بالقرآن حتى جمعته كله فى هذا الثوب الواحد فلم ىنزل الله على رسوله آیه إلا و قد جمعتها، و لىست منه آیه إلا و قد أقرئنى «أقرئنىها خ» إىها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و علمنى تأویلها.

ص: ٢٢

«ثم قال عليّ عليه السّلام لئلا تقولوا غدا إنا كنا عن هذا غافلين خ» ثم قال عليّ عليه السّلام لا تقولوا يوم القيامة إنّي لم أدعكم إلى نصرتي و لم أذكركم حقّي، فأدعوكم إلى كتاب الله من فاتحته إلى خاتمته، فقال عمر: ما أغنانا بما معنا من القرآن عمّا تدعوننا إليه، ثم دخل عليّ عليه السّلام بيته، فقال عمر لأبي بكر: أرسل إلى عليّ فليسنأ في شيء حتى يبايع و لو قد بايع آمنا، فأرسل إليه أبو بكر أجب خليفه رسول الله، فأتاه الرسول فقال له ذلك، فقال له عليّ عليه السّلام: ما أسرع ما كذبتكم على رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم إنّه ليعلم و يعلم الذين حوله أنّ الله و رسوله لم يستخلف غيري، فذهب الرسول فأخبره بما قال له، فقال: اذهب فقل له أجب أمير المؤمنين أبا بكر، فأتاه فأخبره بذلك، فقال له عليّ عليه السّلام: سبحان الله و الله ما طال العهد فينسى، و الله إنّه ليعلم أنّ هذا الاسم لا يصلح إلّا لى و قد أمره رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم و هو سابع سبعة فسلموا عليه «عليّ خ» بامرهم المؤمنين فاستفهمه هو و صاحبه من بين السّبعة، و قالوا: أحقّ من الله و رسوله؟ قال رسول الله: نعم حقّا حقّا من الله و من رسوله إنّه أمير المؤمنين و سيّد المسلمين و صاحب لواء «الغرخ» المحجّلين يقعدده الله عزّ و جلّ يوم القيامة على الصّراط فيدخل أوليائه الجنّة و أعدائه النار، فانطلق الرسول فأخبره بما قال فسكتوا عنه يومهم ذلك.

فلما كان الليل حمل عليّ فاطمه و أخذ بيد ابنه الحسن و الحسين عليهم السّلام فلم يدع أحدا من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم إلّا أتاه فى منزله فناشدهم الله حقه و دعاهم إلى نصرته، فما استجاب له منهم أحد غير الأربعة فأنّا حلقتنا رؤوسنا و بدلنا نصرتنا و كان الزّبير أشدّ نصره فلما رأى عليّ عليه السّلام خذلان النّاس له و تركهم نصرته و اجتمع كلمتهم مع أبى بكر و تعظيمهم له لزم بيته.

و قال عمر لأبى بكر: ما يمنعك أن تبعث إليه فيبايع فإنّه لم يبق أحد إلّا و قد بايع غيره و غير هؤلاء الأربعة، و كان أبو بكر أرقّ الرّجلين و أرفقهما و أدهما و أبعدهما غورا، و الآخر أفظهما و أجفاهما، فقال له أبو بكر: من ترسل إليه؟ فقال عمر: نرسل إليه قنذبا و كان رجلا فظّا غليظا جافا من الطلقاء

أحد بنى عدى بن كعب، فأرسله إليه و أرسله معه أعوانا فانطلق فاستأذن على علي عليه السلام، فأبى أن يأذن لهم فرجع أصحاب قنفذ إلى أبي بكر و عمروهما فى المسجد و الناس حولهما، فقالوا: لم يؤذن لنا، فقال عمر: اذهبوا فان أذن لكم و إلا فادخلوا عليه من غير إذن، فانطلقوا فاستأذنوا فقالت فاطمه عليها السلام أخرج (١) عليكم أن تدخلوا على بيتى بغير إذننى؟ فرجعوا فثبت القنفذ الملعون، فقالوا: إن فاطمه قالت لنا كذا و كذا فحرّجتنا أن ندخل بيتها من غير إذن، فغضب عمر فقال:

ما لنا و للتساء.

ثم أمر أناسا حوله يحملون حطبا فحملوا الحطب و حمار عمر معهم فجعلوه حول بيت علي عليه السلام و فيه علي و فاطمه و ابناهما صلوات الله عليهم، ثم نادى عمر حتى أسمع عليا و فاطمه: و الله لتخرجن يا علي و لتبايعن خليفة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و إلا أضرمت عليكم بيتك ارا، ثم رجع قنفذ إلى أبي بكر و هو متخوف أن يخرج علي إليه بسيفه لما يعرف من بأسه و شدته، فقال أبو بكر لقنفذ: ارجع فان خرج و إلا فاهجم «فاقتحم خ» عليه بيته، فإن امتنع فاضرم عليهم بيتهم ناراً.

فانطلق القنفذ الملعون فاقتحم هو و أصحابه بغير إذن و سار «ثارخ» علي عليه السلام إلى سيفه و سبقوه إليه و هم كثيرون فتناول بعضهم سيفه و كاثره (٢) فألقوا فى عنقه حبلا و حالت بينهم و بينه فاطمه عليهما السلام عند باب البيت فضربها قنفذ لعنه الله بسوط كان معه فماتت صلوات الله عليها و أن فى عضدها مثل الدماليح «الدمليح خ» (٣) من ضربته ثم انطلق به يعتل (٤) عتلا حتى انتهى إلى أبي بكر، و عمر قائم بالسيف على رأسه و خالد بن الوليد و أبو عبيده بن الجراح و سالم مولى أبي حذيفه و معاذ بن جبل

ص: ٢٤

١- (١) التحريج التضييق، ق.

٢- (٢) و كاثرهم فكثروهم غالبوهم فى الكثرة فغلبوهم ق.

٣- (٣) الدمليح هو المعضد، ق.

٤- (٤) عتله يعتل فانعتل جره عنيفا، ق.

و المغيره بن شعبه و اسيد بن حصين و بشير بن سعد و ساير الناس حول ابي بكر عليهم السلاح.

قال: قلت لسلمان: أدخلوا على فاطمه بغير إذن؟ قال: اى و الله ما عليها خمار فنادت وا أبتاه و الرسول الله يا أبتاه لبئس ما خلفك أبو بكر و عمر و عيناك لم تنفقا في قبرك تنادى بأعلى صوتها، فلقد رأيت أبا بكر و من حوله يبكون و ينتحبون و ما فيهم إلا باك غير عمر و خالد بن الوليد و المغيره بن شعبه و عمر يقول: إنا لسنا من النساء و رأيهن فى شىء.

قال فانتهاوا به إلى ابي بكر و هو يقول: أما و الله لو وقع سيفى فى يدي لعلمتم أنكم لن تصلوا إلى هذا أبدا و الله لم ألم نفسى فى جهادكم لو كنت استمكنت من الأربعين لفرقت جماعتكم و لكن لعن الله أقواما بايعونى ثم خذلونى و قد كان قنذ لعنه الله حين ضرب فاطمه بالسوط حين حالت بينه و بين زوجها أرسل إليه عمر إن حالت بينك و بينه فاطمه فاضربها، فاجأها قنذ لعنه الله إلى عضاده باب بيتها و دفعها فكسر لها ضلعا من جنبها و ألقت جنينا من بطنها، فلم تزل صاحبه فراش حتى ماتت صلوات الله عليها من ذلك شهيده.

قال: فلما انتهى بعلى إلى ابي بكر انتهره عمر و قال له: بايع، فقال له على عليه السلام إن أنا لم اباع فما أنتم صانعون؟ قالوا نقتلك ذلا- و صغارا، فقال: إذا تقتلون عبد الله و أخا رسول الله، فقال أبو بكر: أميا عبد الله فنعم، و أميا أخو رسول الله فما نعرفك «نقر لك خ» بهذا، قال عليه السلام: أتجحد أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم آخا بينى و بينه؟ قال:

نعم، فأعاد ذلك عليه ثلاث مرات.

ثم أقبل عليهم على عليه السلام، فقال: يا معاشر المسلمين و المهاجرين و الأنصار انشدكم الله أسمعتم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول يوم غدیر خم: كذا و كذا و فى غزوه تبوك كذا و كذا فلم يدع شيئا قال «قاله فيه خ» له رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم علانيه للعامه إلا- ذكرهم إياه «إياها خ» قالوا: اللهم نعم: فلما أن تخوف أن ينصره الناس و أن يمنعوه منه بادرهم، فقال له: كلما قلت حق قد سمعناه بأذاننا و عرفناه و وعته قلوبنا و لكن سمعت

رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم يقول بعد هذا: إِنَّا أَهْلُ بَيْتِ إِصْطَفَانَا اللهُ تَعَالَى وَاخْتَارَ لَنَا الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ لِيَجْمَعَ لَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ النَّبُوَّةَ وَالْخِلاَفَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

هل أحد من أصحاب رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم شهد هذا معك؟ فقال عمر: صدق خليفه رسول الله قد سمعته منه كما قال.

قال: وقال أبو عبيده وسالم مولى أبي حذيفة ومعاذ بن جبل: قد سمعنا من رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم فقال علي عليه السَّلَامُ لقد وفيتم بصحيفتكم الملعونه التي تعاهدتم «قد تعاهدتم خ» عليها في الكعبه إن قتل الله محمدا أو مات لتزوون(١) هذا الأمر عنا أهل البيت، فقال أبو بكر: فما علمك بذلك اطلعناك عليها، فقال علي عليه السَّلَامُ يا زبير وأنت يا سلمان وأنت يا أبا ذر وأنت يا مقداد أسألكم بالله وبالاسلام أسمعتم رسول الله يقول ذلك وأنتم تسمعون إن فلانا وفلانا حتى عد هؤلاء الأربعة «الخمسة» قد كتبوا بينهم كتابا وتعاهدوا فيه وتعاهدوا ايماننا على ما أنت قتلت أو مت أن يتظاهروا عليك وأن يزووا عنك هذا الأمر يا علي؟ فقلت: بأبي أنت يا رسول الله فما تأمرني إذا كان ذلك، فقال إن وجدت عليهم أعوانا فجاهدهم و نابذهم، وإن لم تجد أعوانا فبايع واحقن دمك.

فقال عليه السَّلَامُ: أما والله لو أن أولئك الأربعة رجلا الذين بايعوني وفوالى لجاهدتم في الله، فقال عمر: أما والله لا ينالها أحد من أعقابكم إلى يوم القيامة ثم نادى علي عليه السَّلَامُ قبل أن يبايع والحبل في عنقه:

«إِنَّ أُمَّ إِنْ الْقَوْمَ اسْتَضَّ عَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي» ثم تناول يد أبي بكر فبايع، وقيل للزبير: بايع فأبى فوثب إليه عمر وخالد بن الوليد والمغيره بن شعبه و اناس معهم فانتزعوا سيفه فضربوا به الأرض حتى كسروه ثم لبوه(٢) فقال الزبير وعمر على صدره: يابن صهاك أما والله لو أن سيفي في يدي لحدت(٣)

ص: ٢٦

١- (١) زواه زيا و زويا نحا، ق

٢- (٢) لبيه تليبا جمع ثيابه عند نحره في الخصومه ثم جره، ق.

٣- (٣) حاد عنه مال ق.:

عَنْيَ ثُمَّ بَايَع.

قال سلمان ثم أخذوني فوجئوا عنقي حتى تركوه كالسَّلعه ثم أخذوا ايدي فبايعت مكرها، ثم بايع أبو ذر و المقداد مكرهين و ما من أحد بايع مكرها غير علي و أربعتنا و لم يكن أحد منا أشد قولا من الزبير، فإنه لما بايع قال: يا بن صهاك أما والله لو لا هؤلاء الطغاه الذين اعانوك لما كانت تقدم علي و معي سيفي لما اعرف من جنبك و لو مك، و لكن وجدت طغاه تقوى بهم و تصول بهم، فغضب عمر فقال: أتذكر صهاك؟ فقال: و من صهاك و من «ماخ» يمنعني من ذكرها و قد كانت صهاك زانيه و تنكر ذلك أو ليس كانت أمه لجددي عبد المطلب فزني بها جدك نفيل فولدت أباك الخطاب فوهبها عبد المطلب لجدك بعد ما ولدته و أنه لعبد جدي ولد زنا، فأصلح ابو بكر بينهما و كف كل واحد منهما عن صاحبه.

قال سليم: فقلت لسلمان: فبايعت أبا بكر و لم تقل شيئا؟ قال: بلى قد قلت بعد ما بايعت: تبالكم ساير الدهر لو تدرن ما صنعتم بأنفسكم أصبتم و أخطأتم أصبتم سنه الأولين «من كان قبلكم من الفرقه و الاختلاف خ» و أخطأتم سنه نبيكم حين أخرجتموها من معدنها و أهلها فقال عمر: أما إذا قد بايعت يا سلمان فقل ما شئت و افعل ما بدا لك و ليقل صاحبك ما بدا له، قال سلمان: قلت إنني سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: إن عليك و علي صاحبك الذي بايعته مثل ذنوب امته إلى يوم القيامة و مثل عذابهم جميعا، فقال عمر قل ما شئت أليس قد بايعت و لم يقر الله عينك بأن يلبسها صاحبك، فقلت اشهد أنني قرأت في بعض كتب الله إنك باسمك و صفتك باب من أبواب جهنم، فقال: قل ما شئت أليس قد أزالها الله عن أهل البيت الذين اتخذتموهم أربابا؟ فقلت: إنني سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول و قد سألته عن هذه الآية:

«فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ وَلَا يُوثِقُ وَثاقَهُ أَحَدٌ» فأخبرني بأنك أنت هو، فقال لي: عمره اسكت أسكت الله نأمتك (1) أيها العبد ابن

ص: ٢٧

١- (١) النأمة النغمه او الصوت و اسكن الله نأمته و يقال نأمته مشدده اماته، ق.

اللّخناء، فقال لى على عليه السّلام: اسكت يا سلمان فوالله لو لم يأمرنى على بالسّكوت لخبرته بكلّ شىء نزل فيه و كلّ شىء سمعته من رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم فيه و فى صاحبه، فلمّا رأى عمر قد سكّت قال لى: إنّك له لمطيع مسلّم فلمّا أن بايع أبو ذر و المقداد و لم يقولوا شيئاً قال عمر: ألا كفت كما كفّ صاحبك و الله ما أنت أشدّ حبا بأهل هذا البيت منهما و لا أشدّ تعظيما لحقّهم منهما و قد كفّا كما ترى و قد بايعا.

فقال أبو ذر: أفتعيرنا يا عمر بحبّ آل محمّد عليهم السّلام و تعظيمهم و قد فعل من أبغضهم و افترى عليهم و ظلمهم حقّهم و حمل النّاس على رقابهم و ردّ هذه الامه القهقرى على أديبارهم، فقال عمر: آمين لعن الله من ظلمهم حقّهم لا و الله ما لهم فيها من حقّ و ما هم فيها و عرض النّاس إلّا سواء، قال: لم خاصمت الأنصار بحقّها؟ فقال على عليه السّلام لعمر: يا ابن صهاك فليس لنا فيها حقّ و هى لك و لابن آكله الذّبان، فقال عمر كفّ يا أبا الحسن إذ قد بايعت: فإنّ العامه رضوا بصاحبى و لم يرضوا بك فما ذنبى، فقال على عليه السّلام: لكن الله و رسوله لم يرضيا إلّا بى فابشر أنت و صاحبك و من اتبعكما و وازر كما بسخط الله و عذابه و خزيه و يلك يا ابن الخطاب لو ترى ما ذا جنيت على نفسك و على صاحبك؟ فقال أبو بكر يا عمر أما إذا بايع و امنا شرّه و فتكه و غائلته فدعه يقول ما شاء.

فقال على عليه السّلام: لست قائلا غير شىء و واحد اذكركم بالله أيّها الأربعة قال لسلمان و الزّبير و أبى ذر و المقداد، أسمعتم رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم يقول: إن تابوتا من نار فيه اثنى عشر سته من الأولين و سته من الآخرين فى قعر جهنّم فى جبّ فى تابوت مقفل على ذلك الجبّ صخره فاذا أراد الله أن يسعر جهنّم كشفت تلك الصّخرة عن ذلك الجبّ فاسعرت جهنّم من وهج ذلك الجبّ و من حرّه، قال على عليه السّلام فسأل رسول الله صلّى الله عليه وآله و أنتم شهود، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم: أمّا الأولون فابن آدم الذى قتل أخاه، و فرعون ذو الفراعنه، و الذى حاجّ ابراهيم فى ربّه، و رجلا من بنى اسرائيل بدّلا كتابهم و غير استّهم، أما أحدهما فهود اليهود و الآخر نصر

النصارى، و عاقر النَّاقه، و قاتل يحيى بن زكريا، و الدّجال فى الآخريين و هؤلاء الأربعة أصحاب الكتاب (١) و جبتهم و طاغوتهم الذى تعاهدوا عليه و تعاقدوا على عداوتك يا أخى و يتظاهرون عليك هذا و هذا حتى عدّهم و سمّاهم.

قال: فقلنا: صدقت نشهد أنّه قد سمعنا ذلك من رسول الله، فقال عثمان: يا أبا الحسن أما عندك فى حديث؟ فقال على عليه السّلام: بلى لقد سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم يلعنك ثم لم يستغفر لك بعد «منذ خ» لعنك، فغضب عثمان ثم قال: مالى و مالك لا تدعنى على حال كنت على عهد النّبى صلّى الله عليه و آله و لا بعده، فقال له على عليه السّلام: فارغم أنفك ثم قال له عثمان لقد سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم يقول إنّ الزّبير يقتل مرتدا.

قال سلمان: فقال لى على عليه السّلام فيما بينى و بينه: صدق عثمان، و ذلك انه يبايعنى بعد قتل عثمان ثم ينكث بيعتى فيقتل مرتدا. قال سلمان: فقال على عليه السّلام إنّ الناس كلّهم ارتد و ابعده رسول الله صلّى الله عليه و آله غير أربعة، إنّ الناس صاروا بعد رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم بمنزله هارون و من تبعه و منزله العجل و من تبعه فعلى عليه السّلام فى شبه هارون، و عتيق (٢) فى شبه العجل، و عمر فى شبه السّامرى. و سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم يقول: ليجىء قوم من أصحابى من أهل العلية و المكانه منى ليمزّوا على الصّيراط فاذا رأيتهم و رأونى و عرفتهم و عرفونى اختلجوا دونى فأقول يا ربّ أصحابى أصحابى فيقال: لا تدرى ما أحدثوا بعدك إنّهم ارتدّوا على أدبارهم حيث فارقتهم، فأقول بعدا و سحقا.

و سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم يقول: لتركبّ أمّتى سنّه بنى إسرائيل حذو النعل بالنعل و القدّه بالقدّه شبرا بشبر باعا بباع و ذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحرا لدخلوا فيه معهم و أنّه كتب التّوراه و القرآن ملكك واحد فى رقّ واحد و جرت الأمثال و السنن.

أقول: هذه الزّوايه رواها الطبرسى أيضا فى الاحتجاج و المحدّث المجلسى (ره) فى المجلد الثامن من بحار الانوار بنقصان فى الأوّل و زياده فى الثّانى و تغيير يسير فى غير الزّايد و النّاقص، و كانت نسخه غايه المرام التى عندنا غير خاليه من الغلط

ص: ٢٩

١- (١) اى الصحيفه الملعونه منه.

٢- (٢) و هو ابو بكر، منه.

والتحريف يسيرا في متن الرواية فاصلحناها من نسختي الاحتجاج والبحار بما رأيناه أصلح وأنسب، فلو وجدت فيما رويناه شيئا غير مطابق لما في الاصل (١) فسره ما ذكرناه ولا تحملنه على التقصير في الضبط والنقل والله الهادي.

و في البحار من رجال الكشي عن علي بن الحكم عن ابن عميره عن أبي بكر الحضرمي قال: قال أبو جعفر عليه السلام: ارتد الناس إلا ثلاثة نفر: سلمان و أبو ذر و المقداد، قال: قلت: فعمار، قال قد كان حاص (٢) حيصه ثم رجع، ثم قال: إن أردت الذي لم يشكك و لم يدخله شكك فالمقداد، فأما سلمان فإنه عرض في قلبه عارض إن عند أمير المؤمنين عليه السلام اسم الله الأعظم لو تكلم به لأخذتهم الأرض و هو هكذا فلبب و وجيت حتى تركت كالسليعه، فمر به أمير المؤمنين عليه السلام فقال له، يا أبا عبد الله هذا من ذلك بايع فبايع، و أما أبو ذر فأمره أمير المؤمنين عليه السلام بالسكوت و لم يكن يأخذه في الله لومه لأبى إلا أن يتكلم فمر به عثمان فأمر به، ثم أناب الناس بعد و كان أول من أناب أبو ساسان الأنصاري و أبو عمره و شتيه و كان نواظره سبعة فلم يكن يعرف حق أمير المؤمنين عليه السلام إلا هؤلاء السبعة.

أقول: أبو ساسان اسمه الحصين بن المنذر بالحاء المهملة المضمومه و الصاد المهملة، و أبو عمره من الأنصار أيضا اسمه ثعلبه بن عمرو، و شتيه يقال له سمير أيضا صاحب رايه علي عليه السلام بصفين و قتل هناك مع اخوته قاله في الخلاصه.

و من كتاب الاختصاص للمفيد باسناده عن عمرو بن ثابت قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن النبي صلى الله عليه و آله و سلم لما قبض ارتد الناس على أعقابهم كفارا إلا ثلاثة:

سلمان و المقداد و أبو ذر الغفاري أنه لما قبض رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم جاء أربعون رجلا إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فقالوا: لا- و الله لا- نعطي أحدا طاعه بعدك أبدا، قال: و لم؟ قالوا: سمعنا من رسول الله فيك يوم غدير، قال: و تفعلون؟ قالوا: نعم، قال فأتوني

ص: ٣٠

١- (١) أي كما في غايه المرام، منه.

٢- (٢) في أكثر النسخ بالمهملتين يقال حاص عليه حيصه أي عدل و حاد و في بعض النسخ بالجيم و الصاد المهملة بهذا المعنى و في بعضها بالمعجمتين بهذا المعنى أيضا و قال الفيروز آبادي السلعه بالكسر كالغده في الجسد و يفتح و يحرك كعنبه او جراح العنق او غده فيما حوله فمر به عثمان فامر به أي فتكلم او هو يتكلم في شأنه فامر به فاخرج من المدينة، بحار الانوار.

غدا محلّقين، قال: فما أتاه إلا هؤلأء الثلاثة، قال: و جاءه عمّار بن ياسر بعد الظهر فضرب يده على صدره ثم قال: ما آن لك أن تستيقظ من نومه الغفله، ارجعوا فلا- حاجه لى فيكم أنتم لم تطيعونى فى حلق الرؤوس فكيف تطيعونى فى قتال جبال الحديد، ارجعوا فلا حاجه لى فيكم.

و فى الاحتجاج عن الباقر عليه السّلام أنّ عمر بن الخطاب قال لأبى بكر: اكتب الى اسامه ابن زيد يقدم عليك فان فى قدومه قطع الشّنع، فكتب أبو بكر اليه: من أبى بكر خليفه رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم إلى اسامه بن زيد، أمّا بعد، فانظر إذا أتاك كتابى فأقبل إلىّ أنت و من معك فإنّ المسلمين قد اجتمعوا علىّ و ولونى أمرهم، فلا تتخلّفن فتعصنى و يأتىك منى ما تكره و السّلام.

قال فكتب إليه اسامه جواب كتابه: من اسامه بن زيد عامل رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم على غزوه الشّام الى أبى بكر بن أبى قحافه، أمّا بعد فقد أتانى منك كتاب ينقض أوّله آخره، ذكرت فى أوّله أنك خليفه رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم، و ذكرت فى آخره أنّ المسلمين قد اجتمعوا عليك فولوك أمرهم و رضوا بك، فاعلم أنّى و من معى من جماعه المسلمين فلا- و الله ما رضينا بك و لا وليناك أمرنا، و انظر أن تدفع الحقّ إلى أهله و تخلّيهم و إياهم فإنهم أحقّ به منك فقد علمت ما كان من قول رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فى علىّ عليه السّلام يوم الغدير، فما طال العهد فتنسى فانظر مركزك و لا تخالف فتعصى الله، و رسوله و تعصى من استخلفه رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم عليك و على صاحبك، و لم يعزلى حتى قبض رسول الله و أنّك و صاحبك رجعتما و عصيتما فأقمتما فى المدينه بغير اذنى.

قال: فأراد «فهمّ خ» أبو بكر أن يخلعها من عنقه قال: فقال له عمر: لا تفعل قميص قمصك الله لا تخلعه فتندم و لكن ألحّ عليه بالكتب و مر فلانا و فلانا يكتبون الى اسامه أن لا يفرّق جماعه المسلمين و أن يدخل معهم فيما صنعوا، قال: فكتب اليه أبو بكر و كتب إليه ناس من المنافقين: أن ارض بما اجتمعنا عليه و إياك أن تشمل المسلمين فتنته فإنهم حديث عهد بالكفر، قال: فلما وردت الكتب على اسامه انصرف بمن معه

حتى دخل المدينة، فلما رأى اجتماع الخلق على أبي بكر انطلق إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فقال له: ما هذا؟ قال له علي عليه السلام: هذا ما ذا ترى، قال له اسامه: فهل بايعته؟ فقال: نعم يا اسامه، فقال: أ طائعا أو كارها؟ قال: لا بل كارها، قال: فانطلق اسامه فدخل على أبي بكر و قال له: السلام عليك يا خليفه المسلمين، قال: فردّ عليه أبو بكر، و قال: السلام عليك أيها الأمير هذا.

و يأتي بعض أخبار هذا الباب من طرق الخاصه كساير الأخبار العامه إنشاء الله عند شرح الخطب الآتية و الله المستعان و عليه التكلان.

المقدمه الرابعه: في الاشاره الى بعض طرق الخطبه و رفع الاختلاف بينها

في الاشاره الى بعض طرق الخطبه و رفع الاختلاف بينها

فأقول:

اعلم أنّ المستفاد من مضمون هذه الخطبه الشريفه كما هو المستفاد من بعض طرقها الآتية أيضا أنّه عليه السلام خطب بها في أواخر عمره الشريف و ذلك بعد ما انقضى أيام خلافه المتخلفين الثلاثه و بعد ما ابتلى به من قتال الناكثين و القاسطين و المارقين و هذا ممّا لا خفاء فيه، و أمّا المقام الذي خطب عليه السلام بها فيه فقد اختلفت فيه الروايات.

منها ما هي ساكته عن تعيين المكان، مثل ما رواه العلامة الحلّي طاب ثراه في كتاب كشف الحقّ و نهج الصّديق عن الحسن بن عبد الله بن عبد بن مسعود العسكري من أهل السنه في كتاب معاني الأخبار باسناده إلى ابن عباس قال:

ذكرت الخلافه عند أمير المؤمنين عليه السلام فقال: و الله لقد تقمّمها أخويتم و أنّه يعلم إلى آخر ما ذكره الرّضوي بتغيير يسير.

و مثلها ما رواه المحدّث المجلسي في المجلد الثامن من البحار من معاني الأخبار و علل الشرايع للصدوق عن ما جيلويه عن عمّه عن البرقي عن أبيه عن ابن أبي عمير عن أبان بن عثمان عن أبان بن تغلب عن عكرمه عن ابن عباس قال: ذكرت الخلافه

عند أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام فقال: والله لقد تقمّصها أخو تيم اه، و من الكتابين أيضا عن الطالقاني عن الجلودي عن أحمد بن عمّار بن خالد عن يحيى بن عبد الحميد الحماني عن عيسى بن راشد عن عليّ بن حذيفه عن عكرمه عن ابن عبّاس مثله، و من أمالي الشيخ عن الحفّار عن أبي القاسم الدّعيلي عن أبيه عن أخى دعبل عن محمّد بن سلامه الشّامي عن زراره عن أبي جعفر الباقر عن أبيه عن جدّه عليهم السّلام، و الباقر، عن ابن عبّاس قال: ذكرت الخلافه عند أمير المؤمنين عليه السّلام فقال: والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافه، و ذكر نحوه بأدنى تغيير.

و منها ما هي داله على أنّه عليه السّلام خطب بها في منبر مسجد الكوفه و هو ما رواه المحدّث المجلسي طاب ثراه في المجلد الرّابع عشر من البحار من بعض مؤلفات القدماء عن القاضي أبي الحسن الطبري عن سعيد بن يونس المقدسي عن المبارك عن خالص بن أبي سعيد عن وهب الجمال عن عبد المنعم بن سلمه عن وهب الرائدی عن يونس بن ميسره عن الشيخ المعتمر الرّقي رفعه إلى أبي جعفر ميثم التمار، قال. كنت بين يدي مولاي أمير المؤمنين عليه السّلام إذ دخل غلام و جلس في وسط المسلمين، فلما فرغ عليه السّلام من الأحكام نهض إليه الغلام، و قال يا أبا تراب: أنا إليك رسول جئتك برسالة تززع لها الجبال من رجل حفظ كتاب الله من أوله إلى آخره و علم علم القضايا و الأحكام و هو أبلغ منك في الكلام و أحقّ منك بهذا المقام، فاستعدّ للجواب و لا تزخرف (١) المقال، فلاح الغضب في وجه أمير المؤمنين عليه السّلام، و قال لعمار: اركب جملك و طف في قبائل الكوفه و قل لهم أجيئوا عليّ ليعرفوا الحقّ من الباطل و الحلال و الحرام و الصّححه و السيّقم، فركب عمّار فما كان إلّا هنيهة حتّى رأيت العرب كما قال الله تعالى:

«إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً...» (فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ) فضاق جامع الكوفه و تكاثف النّاس تكاثف الجراد على الزّرع الغضّ (٢)

ص: ٣٣

١- (١) اي لا تكذب المقال، منه.

٢- (٢) اي الطري الخضر، منه.

فى أوانه، فنهض العالم الأردع(١) و البطل الأنزع و رقى فى المنبر و راقى ثم تنحى فسكت جمىع من فى الجامع، فقال علىه السىلام: رحم الله من سمع فوعى، أئها الناس يزعم أنه أمىر المؤمنىن و الله لا يكون الامام إماما حتى يحىى الموتى أو ينزل من السماء مطرا أو يأتى بما يشاكل ذلك ممّا يعجز عنه غيره و فىكم من يعلم أنى الآيه الباقىه و الكلمه التامه و الحجه البالغه و لقد أرسل إلى معاوىه جاهلا- من جاهليّه العرب عجرى(٢) فى مقاله و أنتم تعلمون لو شئت لطحنت عظامه طحنا، و نسفت(٣) الأرض من تحته نسفا، و خسفتها علىه خسفا إلا أن احتمال الجاهل صدقه.

ثم حمد الله و أثنى علىه و صلى على النبى صلى الله علىه و آله و سلم و أشار بىده إلى الجوّ فدمدم(٤) ، و أقلت غمامه و علت سحابه و سمعنا منها إذا يقول: السىلام عليك يا أمىر المؤمنىن و يا سىد الوصىىن و يا إمام المتقىن و يا غياث المستغىثىن و يا كنز المساكىن و معدن الرّاعبىن، و أشار إلى السىحابه فدنّت، قال مىثم: فرأىت الناس كلهم قد أخذتهم السىكره، فرفع رجله و ركب السىحابه، و قال لعمار: اركب معى و قل، بسم الله مجرىها و مرسىها، فركب عمار و غابا عن أعىننا، فلما كان بعد ساعه أقلت السىحابه حتى أظلت جامع الكوفه، فاذا مولاى جالس على دكه القضاء و عمار بىن يديه و الناس حافون به، ثم قام و صعد المنبر و أخذ الخطبه المعروفه بالشقىشقىه، فلما فرغ اضطرب الناس، و قالوا فىه أقاويل مختلفه، فمنهم من زاده الله اىمانا و يقىنا، و منهم من زاده كفرا و طغىانا.

قال عمار: و قد طارت بنا السىحابه فى الجوّ فما كانت هنىئه حتى أشرفنا إلى بلد كبرى حوالىه أشجار و أنهار، فنزلت بنا السحابه و إذا نحن فى مدىنه كبرىه و الناس يتكلمون بكلام غير العربىه فاجتمعوا علىه و لاذوا به فوعظهم و أنذرهم بمثل كلامهم، ثم قال: يا عمار اركب ففعلت ما امرنى فادررنا جامع الكوفه، ثم

ص: ٣٤

١- (١) الاردرع من الرجال من يعجبك حسنه، منه.

٢- (٢) العجرفه الخرق و قله المبالاه، بحار.

٣- (٣) اى قلعت، م.

٤- (٤) يقال دمدم علىه اى كلمه مغضبا بحار.

قال عليه السّلام لى يا عمّار، تعرف البلده التى كنت فيها؟ قلت: الله اعلم و رسوله و وليّه قال عليه السّلام: كنّا فى الجزيره السّابعه من الصّيين أخطب كما رأيتنى إنّ الله تبارك و تعالى أرسل رسوله إلى كافّه النّاس و عليه أن يدعوهم و بهدى المؤمنين منهم إلى الصّراط المستقيم، و اشكر ما أوليتك من نعمه، و اكنتم من غير أهله فإنّ الله تعالى أظافا خفيّه فى خلقه لا يعلمها إلا هو و من ارتضى من رسول.

ثمّ قالوا: أعطاك الله هذه القدره و أنت تستنهض الناس لقتال معاويه، فقال عليه السّلام: إنّ الله تعبّدهم بمجاهده الكفار و المنافقين و النّاكثين و القاسطين و المارقين، و الله لو شئت لمددت يدي هذه القصيره فى أرضكم هذه الطويله و ضربت بها صدر معاويه بالشّام و أخذت بها من شاربه أو قال من لحيته، فمدّ يده و ردّها و فيها شعرات كثيره، فتعجبوا من ذلك، ثمّ وصل الخبر بعد مدّه أنّ معاويه سقط من سريره فى اليوم الذى كان عليه السّلام مديده و غشى عليه ثمّ أفاق و افتقد من شاربه و لحيته شعرات.

و قد ذكرت الرّوايه بتمامها إذ فيها قرّه عين للشّيعه فهنيئا لهم ثمّ هنيئا بما خصّهم الله به من موالاه صاحب المناقب الفاخره و المعجزات القاخره.

و منها ما هى مفيده لكونه عليه السّلام خاطبا بها فى الرّحبه، مثل ما رواه الطبرسى فى الاحتجاج قال: و روى جماعه من أهل النّقل من طرق مختلفه عن ابن عبّاس قال:

كنت عند أمير المؤمنين عليه السّلام بالرّحبه فذكرت الخلافه و تقدّم من تقدّم عليه، فتنفس الصّيد بعد آء ثمّ قال: أما و الله لقد تقمّصها و ذكر قريبا ممّا رواه الرّضى، و مثله ما رواه فى البحار من إرشاد المفيد قال روى جماعه إلى آخر ما ذكره فى الاحتجاج إلا أن فيه و تقديم من تقدّم، و أم و الله بدل أما، و فى البحار أيضا عن الشّيخ قطب الدّين الرّاوندى قدّس سرّه فى شرحه على نهج البلاغه بهذا السّند، أخبرنى الشّيخ أبو نصر الحسن بن محمّد بن إبراهيم عن الحاجب أبى الوفاء محمّد بن بديع و الحسين ابن أحمد بن عبد الرّحمن عن الحافظ أبى بكر بن مردويه الاصفهانى عن سليمان بن أحمد الطبرانى عن أحمد بن علىّ الابار عن إسحاق بن سعيد أبى سلمه الدّمشقى عن

خليفة بن دعلج عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال: كنا مع عليّ عليه السّلام بالزّحبه فجرى ذكر الخلافه و من تقدّم عليه فيها، فقال: أما والله لقد تقمّمها فلان إلى آخر الخطبه.

هذه جمله ما عثرت عليها من طرق الخطبه و إسنادها و يمكن الجمع بين مختلفها بأن يكون عليه السّلام قد خطب بها تاره بالزّحبه و اخرى بمنبر الكوفه و الله العالم.

و اذا تمهد لك هذه المقدمات فلنشرع فى شرح كلامه عليه السّلام بتوفيق من الله سبحانه فأقول: و شرحها فى ضمن فصول.

الفصل الاول

اشاره

أما والله لقد تقمّمها ابن أبي قحافه و إنّه ليعلم أنّ محلّى منها محلّ القطب من الزّحى، ينحدر منى السّيل، و لا يرقى إلى الطّير، فسدت دونها ثوبا، و طويت عنها كشحا، و طفقت أرتاى بين أن أصول بيد جدّاء، أو أصبر على طخيه عمياء، يهرم فيها الكبير، و يشيب فيها الصّغير، و يكدح فيها مؤمن حتّى يلقي فيها ربّه، فرأيت أنّ الصّبر على هاتا أحجى، فصبرت و فى العين قذى، و فى الحلق شجى، أرى تراثى نهبا.

اللغه

يقال قمّمه قميصا ألبسه فتقمّم هو و (قحافه) بضمّ القاف و تخفيف الحاء و (قطب الزّحى) مثلثه و كعنق: الحديده التى تدور عليها الزّحى و (سدل الثّوب) يسد له أرسله و أرخاه، و (الكشح) ما بين الخاصره إلى أقصر الاضلاع، يقال فلان طوى كشحه أى أعرض مهاجرا، و (طفق) فى كذا أى شرع و أخذ

و (ارتأى) فى الأمر اذا فكر طلبا للزأى الأصلح و افتعل من رويه القلب، و (الصّوله) الوثبه و الحمله، و(اليد الجذاء)بالجيم و الذال المعجمه المقطوعه المكسوره، قال فى النهايه فى حديث على عليه السّلام أصول بيد جذاء كنى به عن قصور أصحابه و تقاعدهم عن الغزو، فإنّ الجند للأمير كاليد و يروى بالحاء المهمله و فسّره فى موضعه باليد القصيره التى لا تمدّ إلى ما يراد، قال و كأنّها بالجيم أشبهه و (الطخيه) بالضمّ، على ما فى أكثر النسخ أو بالفتح الظلمه أو الغيم و فى القاموس الطخيه الظلمه و يثّث و (العمياء) تأنيث الأعمى يقال مفازه عمياء أى لا يهتدى فيها الدليل، و وصف الطخيه بها إشاره إلى شدّه الظلمه، و (هرم) كفرح أى بلغ أقصى الكبر، و (الشيب) بياض الشّعر، و (الكدح) السّعى و كدح فى العمل كمنع سعى و عمل لنفسه خيرا و شرّا و (أحجى) أى أولى و أجدر و أحقّ من قولهم حجى بالمكان إذا أقام و ثبت ذكره فى النهايه، و قيل: أى اليق و أقرب بالحجى و هو العقل و (القذى) ما يقع فى العين و فى الشّراب أيضا من نتن أو تراب أو وسخ و (الشجى) ما اعترض فى الحلق و نشب من عظم و نحوه و (التراث) ما يخلفه الرّجل لورثته و التاء فيه بدل من الواو و (النهب) السلب و الغاره و الغنيمه.

الاعراب

أما حرف تنبيه تدلّ على تحقّق ما بعدها مثل ألا و لكونها مفيدة للتحقيق لا تقع الجملة بعدها إلا مصدره بالقسم قال الشّاعر:

أما و الذى أبكى و أضحك و الذى أمات و أحى و الذى أمره الأمر

و الضمير فى تقمّمها راجع الى الخلافه المستفاده بقرينه المقام كما فى قوله تعالى:

«حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ» اى الشّمس او المصرّح بها كما فى سائر طرق الخطبه على ما تقدم و مثله الضّمائر الثلاثه بعدها، و جمله و أنّه ليعلم اه حالته، و جمله ينحدر آه استينافيه، و أو، فى قوله أو أصبر بمعنى الواو، لاقتضآء كلمه بين ذلك، لأنّ العطف بعدها لا تقع إلا بواو الجمع يفال: جلست بين زيد و عمرو و لا يقال أو عمرو، و فى بعض النسخ و أصبر

بالواو، و كلمه ها فى هاتا، للتنبيه، و تا للاشاره إلى المؤنث اشير بها إلى الطخيه الموصوفه.

المعنى

(أما و الله لقد تَقَمَّصَهَا) أى لبس الخلافه مثل القميص (ابن أبى قحافه) و الاشاره به إلى أبى بكر و اسمه عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سلام ابن تيم بن مَرّه، و امّه سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب، و فى بعض الكتب أنّ اسمه فى الجاهليه عبد العزى فغيره النبى صلى الله عليه و آله و سلم إلى عبد الله، قال فى القاموس: اسمه عتيق سمّته به امّه أو لقب له، و فى التعبير عنه بهذا اللفظ دون الألقاب المادحه دلالة على الاستخفاف، كتعبيره عن الثانى فيما سيأتى بابن الخطاب.

و ما تكلفه قاضى القضاة فى دفع دلالاته عليه بأنّه قد كانت العاده فى ذلك الزمان أن يسمّى أحدهم صاحبه و يكنيه و يضيفه إلى أبيه حتّى كانوا ربّما قالوا لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: يا محمّد، فليس فى ذلك دلالة على الاستخفاف و لا على الوضع.

فقد أجاب عنه السيّد (ره) فى محكى الشافى بأنّه ليس ذلك صنع من يريد التعظيم و التبجيل، و قد كانت لأبى بكر عندهم من الألقاب الجميله ما يقصد إليه من يريد تعظيمه، و قوله: إنّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كان ينادى باسمه فمعاذ الله ما كان ينادى باسمه إلاّ شاكّ أو جاهل من طعام العرب، و قوله: إنّ ذلك عاده العرب فلا شك أنّ ذلك عادتهم فيمن لا يكون له من الألقاب أفخمها و أعظمها كالصديق و نحوه انتهى.

و قال المحدّث المجلسى (قده) فى ترجمه أبى بكر: اعلم أنّه لم يكن له نسب شريف و لا- حسب منيف، و كان فى الاسلام خيَاطا و فى الجاهليه معلّم الصبيان و نعم ما قيل:

كفى المرء نقصا أن يقال له معلّم صبيان و ان كان فاضلا

و كان أبوه سيئ الحال ضعيفا و كان كسبه أكثر من عمره من صيد القمارى و الدباسى (١) لا يقدر على غيره، فلما عمى و عجز ابنه عن القيام به التجأ إلى عبد الله بن جذعان من رؤساء مكة فنصبه ينادى على مائدته كل يوم لاحضار الاضياف و جعل (٢) له على ذلك ما يعونه من الطعام، و ذكر ذلك جماعه منهم الكلبي فى كتاب المثالب على ما أورده فى الصيراط المستقيم، و لذا قال أبو سفيان لعلي عليه السلام بعد ما غضب الخلفه أرضيتم يا بنى عبد مناف أن يلي عليكم تيمى رذل.

و قال أبو قحافه ما رواه ابن حجر فى صواعقه حيث قال: و أخرج الحاكم أن أبا قحافه لما سمع بولايه ابنه، قال: هل رضى بذلك بنو عبد مناف و بنو المغيره؟ قالوا: نعم، قال: اللهم لا واضع لما رفعت و لا رافع لما وضعت، و قالت فاطمه عليها السلام فى بعض كلماتها: إنه من اعجاز قريش و أذنبها، و قال بعض الظرفاء: بل من ذوى أذنبها، و قال صاحب إلزام النواصب: أجمع النسابون أن أبا قحافه كان جزا (٣) لليهود، و العجب أنهم مع ذلك يدعون أن الله أغنى النبي صلى الله عليه و آله و سلم بمال أبى بكر انتهى.

أقول: و ذكر الشارح المعتزلى نظير ما رواه ابن حجر هذا.

و فى الاحتجاج روى أن أبا قحافه كان بالطائف لما قبض رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و بويع لأبى بكر، فكتب إلى أبيه كتابا عنوانه من خليفه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إلى أبيه أبى قحافه أما بعد فإن الناس قد تراضوا بى فأتى اليوم خليفه الله فلو قدمت علينا كان أحسن بك، قال: فلما قرء أبو قحافه الكتاب قال للرسول: ما منعكم من علي عليه السلام؟ قال الرسول: هو حدث السن و قد أكثر القتل فى قريش و غيرها و أبو بكر أسن منه، قال أبو قحافه: إن كان الأمر فى ذلك بالسن فأنا أحق من أبى بكر، لقد ظلموا عليا

ص: ٣٩

- ١- (١) الدبسى بالضم ضرب من الفواخت قيل نسبته الى طيرد بسى و هو الذى لونه بين السواد و الحمره، مصباح.
- ٢- (٢) أقول و ببالى انى رأيت فى بعض السير انه كان يأخذ كل يوم أربعة دراهم من عبد الله بن جذعان اجره و ينادى على طعامه، منه.
- ٣- (٣) اى راعى ابل لهم قال فى القاموس الجران تركب ناقه و تتركها ترعى، منه.

حقّه و قد بايع له النبي صلى الله عليه وآله وسلم و أمرنا ببيعته ثم كتب إليه: من ابى قحافه إلى أبى بكر أمّا بعد، فقد أتانى كتابك فوجدته كتاب أحقّ ينقض بعضه بعضاً، مرّه تقول:

خليفه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و مرّه تقول: خليفه الله، و مرّه تقول: تراضى بى الناس، و هو امر ملتبس فلا تدخلن فى أمر يصعب عليك الخروج منه غداً و يكون عقباك منه إلى الندامه و ملامه النفس اللوامه لدى الحساب يوم القيامه، فإنّ للامور مداخل و مخارج و أنت تعرف من هو أولى بها منك، فراقب الله كأنك تراه و لا تدعن صاحبها، فإنّ تركها اليوم أخفّ عليك و أسلم لك.

ثمّ اعلم أنّه لم يتعرّض عليه أحد بسوء النسب لا- من الخاصّه و لا من العامّه حسبما طعنوا فى أنساب أمثاله، و لعلّ سرّه ما أشار إليه المحدث الجزائرى فى أنوار النعمانيه: من أنّ الأئمه عليهم السّلام من نسله و ذلك، لأنّ أمّ فروه و هى أمّ الصّادق عليه السّلام بنت القاسم بن محمّد بن أبى بكر.

ثمّ إنّّه عليه السّلام لما ذكر تلبّسه بالخلافه أراد التّنبيه على عدم استحقاقه بذلك اللباس، و نبه على بطلان خلافه المتقمّص بذكر مراتب كماله الدّاله على أفضليّته المشيره إلى قبح تفضيل المفضول و العدول عن الأفضل، فقال: (و إنّّه ليعلم أنّ محلى منها) أى من الخلافه (محلّ القطب من الرّحى) شبّه عليه السّلام نفسه بالقطب و الخلافه بالرّحى و محلّه من الخلافه بمحلّ القطب من الرّحى، و الأوّل من قبيل تشبيه المحسوس بالمحسوس، و الثانى من قبيل تشبيه المعقول بالمحسوس، و الثالث من قبيل تشبيه المعقول بالمعقول، و المقصود أنّ الأثر المطلوب من الرّحى كما لا- يحصل إلّا بالقطب و لولاه لم يحصل لها ثمر قط كذلك الثمره المطلوبه من الولايه و الخلافه أعنى هدايه الأنام و تبليغ الأحكام و نظام امور المسلمين و انتظام أمر الدّنيا و الدّين، لا تحصل إلّا بوجوده عليه السّلام فيكون الخلافه دائره مدار وجوده كما أنّ الرّحى دائره مدار القطب، ففيه إشارة إلى عدم إمكان قيام غيره مقامه و إغنائه غناه كما لا يقوم غير القطب مقامه و لا يغنى عنه.

و بهذا المضمون صرّح عليه السّلام فى بعض كلماته الآتية، و هو قوله فى الكلام المأه

و الثامن عشر: و إنّما أنا قطب الرّحى تدور علىّ و أنا بمكانى فاذا فارقتة استحار مدارها و اضطرب ثقالها، و منه يظهر أنّ ما ذكره الشّارح المعتزلى من أنّ مراده عليه السّلام بهذا الكلام هو أنّه من الخلافه فى الصّميم و فى وسطها و بحبوحتها كما أنّ القطب وسط دائره الرّحى مع كونه خلاف الظاهر ليس على ما ينبغى هذا.

و فى إتيان قوله: و إنّّه ليعلم مؤكّدا بأنّ و اللام، دلالة على منتهى المبالغه فى الطعن عليه لدلالته على أنّ تقمّمه بالخلافه لم يكن ناشيا عن الجهاله و الغفله عن مرتبته عليه السّلام حتى يكون جاهلا قاصرا معذورا فيه و معفوا عنه، بل قد تقمّم بها مع علمه بأنّ مدارها عليه و انتظامها به فيكون تقمّمه بها مع وجود ذلك العلم ظلما فاحشا و غصبا بيّنا.

و يدل على علمه بذلك ما رواه فى الاحتجاج عن عامر الشّعبي عن عروه بن الزّبير عن الزّبير بن العوام قال: لمّا قال المنافقون: إنّ أبا بكر تقدّم علينا و هو يقول أنا أولى بالمكان منه، قام أبو بكر خطيبا فقال: صبرا على من ليس يؤل إلى دين و لا يحتجب برعايه و لا يرعوى لولايه، أظهر الايمان ذله و أسر السّفاق غله(١) هؤلاء عصبه الشّيطان و جمع الطغيان، يزعمون أنّى أقول إنّى أفضل من علىّ و كيف أقول ذلك و مالى سابقته و لا قرابته و لا خصوصيته، و وحّد الله و أنا ملحده و عبد الله قبل أن أعبده، و والى الرّسول و أنا عدوّه، و سابقنى بساعات لم الحق شأوه(٢) و لم أقطع غباره، إنّ ابن أبى طالب فاز و الله من الله بمحبته، و من الرّسول بقربه، و من الايمان برتبه. لو جهد الأوّلون و الآخرون إلّا التّيون لم يبلغوا درجته و لم يسلكوا منهجه.

بذل فى الله مهجته و لابن عمّه مودّته، كاشف الكرب و دامغ(٣) الرّيب و قاطع السيّب إلّا سبب الرّشاد و قانع الشّرك، و مطهر ما تحت سويداء حبه التّفاق محنه لهذا العالم، لحقّ قبل أن يلاحق و برز قبل أن يسابق، جمع العلم و الحلم

ص: ٤١

١- (١) اى حقا و الغلل الحقد كالغل بالكسر، ق.

٢- (٢) الشاو الغايه و الامد، لغه.

٣- (٣) دمغ فلانا ضرب دماغه، ق.

و الفهم فكان جميع الخيرات لقلبه كنوزا لا يدخر منها مثقال ذره إلا أنفقه في بابه فمن ذا يؤمل أن ينال درجته، و قد جعله الله و رسوله للمؤمنين وليا و للنبي وصيا و للخلافه راعيا و بالامامه قائما، أفيغتر الجاهل بمقام قمته إذا أقامني و أطعته إذا أمرني، سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: الحق مع علي و علي مع الحق، من أطاع عليا رشد و من عصى عليا فسد، و من أحبه سعد، و من أبغضه شقي، و الله لو لم يحب ابن أبي طالب إلا لأجل أنه لم يواقع لله محرما و لا عبد من دونه صنما و لحاجه الناس إليه بعد نبينهم، لكان في ذلك ما «مماخ» يجب، فكيف لأسباب أقلها موجب و أهونها مرغب، للرحم الماسه بالرسول و العلم بالدقيق و الجليل و الرضا بالصبر الجميل و المواساه في الكثير و القليل و خلال(١) لا يبلغ عددا و لا يدرك مجدها و المتمنون أن لو كانوا تراب أقدام ابن أبي طالب، أليس هو صاحب الواء الحمد و الساقى يوم الورد و جامع كل كريم و عالم كل علم و الوسيه إلى الله و إلى رسوله.

ثم إنه عليه السلام أشار إلى علو مقامه و سمو مكانه بقوله (ينحدر عنى السيل) تشبيها لنفسه بذروه الجبل المرتفع فاستعار له ما هو من أوصاف الجبل و هو السيل المنحدر عنه إلى الغيطان، و لعل المراد بالسيل المنحدر عنه عليه السلام هو علومه و حكمه الواصله إلى العباد و الفيوضات الجارية منه عليه السلام على المواد القابله، و تشبيه العلم بالماء و السيل من أطف التشبهات و وجه الشبه هو اشتراكهما في كون أحدهما سبب حياه الجسم و الآخر سبب حياه الروح، و قد ورد مثل ذلك التشبيه في الكتاب العزيز قال تعالى:

«قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ» (٢) روى علي بن إبراهيم القمي (ره) في تفسيره باسناده عن فضاله بن أيوب قال: سئل الرضا عليه السلام عن قول الله عز و جل: قل أرايتم الآيه، فقال عليه السلام: ماؤكم أبوابكم أى الأئمه،

ص: ٤٢

١- (١) جمع خله مثل خصله وزنا و معنى لغه.

٢- (٢) يعنى ان غاب إمامكم كما فى عده روايات منه.

و الأئمة أبواب الله بينه و بين خلقه، فمن يأتيكم بماء معين، يعنى يأتيكم بعلم الامام، و فى تفسير القمى أيضا فى قوله تعالى:

«وَبِئْرٍ مُّعْتَلَةٍ وَقَصْرِ مَشِيدٍ» قال: (١) هو مثل جرى لآل محمد صلى الله عليه و آله و سلم قوله: بئر معطله، هو الذى لا يستقى منها و هو الامام الذى قد غاب فلا يقتبس منه العلم إلى وقت الظهور، و القصر المشيد هو المرتفع، و هو مثل لأمر المؤمنين و الأئمة صلوات الله عليهم و فضائلهم المنتشرة فى العالمين المشرفه على الدنيا ثم يشرف على الدنيا، و هو قوله:

«لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ» و قال الشاعر فى ذلك:

بئر معطله و قصر مشرف مثل لآل محمد مستطرف

فالقصر مجدهم الذى لا يرتقى و البئر علمهم الذى لا ينزف

ثم إنه عليه السلام ترقى فى الوصف بالعلو و أكد علو شأنه و رفعه مقامه بقوله: (و لا يرقى إلى الطير) فان مرقى الطير أعلى من منحد السيل فكيف ما لا يرقى إليه كأنه قال: انى لعلو منزلتى كمن فى السماء التى يستحيل أن يرقى الطير إليها قال الشاعر:

مكارم لجت (٢) فى علو كأنما تحاول ثارا عند بعض الكواكب

و لعلّه عليه السلام أراد بعدم رقى الطير إليه عجز طائر الاوهام عن الوصول إلى مقاماته الجليله، و قصور العقول عن الاحاطه بمناقبه الجميله من حيث عدم انتهائها بعد، و عدم وقوفها إلى حد، قال تعالى:

«وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَ الْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِثَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» قال فى الاحتجاج: سأل يحيى بن أبا الحسن العالم عليه السلام عن قوله تعالى: سبعة

ص: ٤٣

١- (١) هذا من عبارته التفسير و الفاعل راجع الى الإمام (عليه السلام) منه.

٢- (٢) أى صوتت و اللجه، بالفتح الصوت منه.

أبحر ما نفدت كلمات الله ما هي؟ فقال: هي عين الكبريت و عين اليمين و عين البرهوت و عين الطبريه و حمّه (١) ماسيدان و حمه إفريقيه (٢) و عين باحوران «بلعوران، ناحوران خ»، و نحن الكلمات التي لا ندرك فضائلنا و لا تستقصى.

ثم إنّه عليه السلام لما أشار إلى اغتصاب الخلافه نبه على اعراضه عنها و يأسه منها و قال:

(فسدلت) أى أرخيت و أرسلت (دونها ثوبا) و ضربت بينى و بينها حجابا فعل الزاهد فيها و الراغب عنها (و طويت عنها كسحا) (٣) و أعرضت عنها و يئست منها مهاجرا، و قيل: إنّ المراد إننى أجمعت نفسى عنها و لم أقمها لأنّ من أجاج نفسه فقد طوى كسحه كما أنّ من أكل و أشبع فقد ملاء كسحه (و) لما رأيت الخلافه فى يد من لم يكن أهلالها (طفقت) أى أخذت و شرعت (أرتأى) فى الأمر و أفكر فى طلب الأصلح و أجيل الفكر فى تدبير أمر الخلافه و أردده (بين) أمرين احدهما (أن أصول) عليهم و أقاتل معهم (بيد جداء) أى مقطوعه مكسوره و المراد حملته عليهم بلا معاون و لا ناصر، و استعار وصف الجداء لعدمهما لمشابهة أن قطع اليد كما أنّه مستلزم لعدم القدره على التصرف بها و الصّيال، فكذلك عدم المعين و الناصر مستلزم لذلك أيضا فحسنت الاستعاره و ثانيهما الصبر على معايينه الخلق على شدّه و جهاله و ضلاله و هو المراد بقوله (أو أصبر على طخيه عمياء) أى على ظلمه و التباس من الامور متّصف بالعمى بمعنى أنّه لا يهتدى فيه السالك إلى سلوك طريق الحقّ بل يأخذ يمينا و شمالا، و إلى هذه الظلمه اشيرت فى قوله تعالى:

«أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ»

ص: ٤٤

١- (١) حمه بفتح الحاء و تشديد الميم كل عين فيها ماء حار تنبع يستشفى بها المرضى، لغه.

٢- (٢) بتخفيف الياء و تشديدها من بلاد المغرب مغرب.

٣- (٣) عطف على سبيل التفسير مثل قوله ضربت بينى و بينها حجابا، منه.

وقد فسرت الظلمات فى الأخبار بخلافات الثلاثه، ثم أشار عليه السلام إلى طول مده هذه الطخيه بأنه (يهرم فيها الكبير) أى يبلغ أقصى الكبير (و يشيب فيها الصغير) أى يبيض رأسه و يحتمل أن يراد بهما المجاز و التوسع بمعنى أن أيام اغتصاب الخلافه لشده صعوبتها و كثره أهوالها يكاد أن يهرم الكبير فيها و يشيب الصغير قال تعالى:

«يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا» (و يكدح فيها مؤمن) أى يسعى المؤمن المجتهد فى الذبّ عن الحقّ و الأمر بالمعروف و يكدّ و يقاسى الأـحزان و الشدائد (حتّى) يموت و (يلقى ربّه) ثمّ إنّه عليه السلام لما ذكر تردده بين الصّبر و القتال أشار إلى ترجيحه الأوّل على الثانى بقوله:

(فرأيت أن الصّبر على هاتا أحجى) أى أليق و أصلح و أجدر، أو أقرب بالحجا و العقل، و ذلك لأن ترك الخلق على الضلاله و الجهاله و إبقائهم على الغىّ و الغفله إنّما يقبح مع الاستطاعه و القدره و يلزم معهما ردعهم عن الباطل و نهيم عن المنكر و إرجاعهم إلى الصّراط المستقيم و النهج القويم و لو بالقتال و الصّيال، و أمّا مع عدم التمكن و القدره من حيث عدم المعاون و التّاصر فلا يلزم شىء من ذلك، بل يجب التّحمل و الصّبر حدرا من إلقاء النّفس على الهلاكه و تعريضها على العطب و استيصال آل محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم سيّما و أنّ مقصوده عليه السلام من الخلافه لم يكن إلاّ هدايه الأنام و إعلاء كلمه الإسلام و إثارة الحرب و الجدال إذا كانت موجهه لاضطراب نظام المسلمين، بل مؤدّيه إلى رجوع النّاس إلى أعقابهم القهقرى و اضمحلال كلمه الاسلام لغلبه الأعداء فلا يحكم العقل حينئذ إلاّ بالكفّ عن الجهاد و الصّبر على البلاء و التّحمل على الاذى كيلا يلزم ضدّ المقصود و لا نقض الغرض (فصبرت) و الحال إنّ (فى العين قذى) يوجب أذيتها كما يصبر الرّجل الأرمد (و فى الحلق شجى) اعترض فيه كما بصبر المكابد للخنق، و الجملتان كنايةان عن شده تأذيه بسبب اغتصاب ما يرى أنّه أولى به من غيره (أرى تراثى) و فى بعض الروايات تراث محمّد و آله (نهبا) أى سلبا و غاره و المراد بتراثه المنهوب المسلوب إمّا فدك الذى خلفه رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم

لا يَنْبَغُ مِنْ حَيْثُ إِنَّ مَالَ الزَّوْجِ فِي حُكْمِ مَالِ الزَّوْجِ، وَإِنَّمَا الْخِلَافَةُ الْمَوْرُوثَةُ مِنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَصَدَقَ لَفْظُ الْإِرْثِ عَلَيْهَا كَصَدَقَهُ عَلَى مَنْصِبِ النَّبُوَّةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى حِكَايَهُ عَنْ زَكْرِيَّا:

«يَرْثُنِي وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ» وَ الْأَظْهَرُ حَمَلُهُ عَلَى الْعَمُومِ وَ اللَّهُ الْعَالِمُ.

الترجمه

آگاه باش بخدا قسم که پوشید خلافت را مثل پیراهن پسر اُبی قحافه و حال آنکه بدرستی آن عالم بود باین که محل من از خلافت مثل محل قطب است از سنک آسیا، منحدر می شود و پائین می آید از من سیل علوم و ترقی نمی کند بسوی من پرنده بلند پرواز از اوهام و عقول، پس فرو گذاشتم نزد آن خلافت لباس صبر را، و در نور دیدم از آن تهیگاه را، و شروع کردم بفکر کردن در امر خود میان آنکه حمله کنم بدست بریده و یا این که صبر نمایم بر ظلمتی که متصف است بصف کوری که کنایه است از خلافت اهل جلافت، آن چنان ظلمتی که بنهایت پیری می رسد در آن بزرگ سال، و بحال پیری می رسد در آن خورد سال، و سعی میکنند و بمشقت و رنج می افتد در آن مؤمن تا این که می میرد و ملاقات میکند پروردگار خود را؛ و چون حال بر این منوال بود پس دیدم که صبر کردن بر این ظلمت و بر خلافت اهل شقاوت الیق و انساب است، پس صبر نمودم و ترک قتال و جدال کردم و حال آنکه در چشم من غبار و خاشاک بود که از آن اذیت می کشیدم و در گلوی من استخوان بود که گلوگیر شده بودم، و سبب این اذیت و گلوگیری آن بود که می دیدم میراث خود را غارت شده و خلافت خود را تاراج گردیده.

حتى مضى الأول لسبيله، فأدلى بها إلى ابن الخطاب بعده، ثم تمثل عليه السلام بقول الأعشى:

شَتَان ما يومى على كورها و يوم حَيَان أخى جابر

فيا عجباً بينا هو يستقيها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته لشد ما تشطرا ضرعيها، فصيرها في حوزة خشناء يغلظ كلمها، و يخشن مسيها، و يكثر العثار فيها، و الاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة إن أشق لها خرم، و إن أسلس لها تقحم، فمنى الناس لعمر الله بخبط و شماس، و تلون و اعتراض، فصبرت على طول المده، و شده المحنه.

يقال فلان (مضى) لسبيله أى مات و (أدلى) بها إلى فلان أى القاها إليه و دفعها قال تعالى:

«وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ» أى تدفعوها إليهم رشوه و أصله من أدليت الجبل فى البئر إدلاء أى أرسلتها ليستقى بها و (تمثل) بالبيت أنشده للمثل و (شَتَان) اسم فعل فيه معنى التعجب يقال: شتان ما هما و ما بينهما و ما عمرو و أخوه أى بعد ما بينهما، قال الشارح المعتزلى و لا يجوز شَتَان ما بينهما إلا على قول ضعيف و (الكور) بالضم رحل البعير بأداته و (الاقاله) فكك عقد البيع و نحوه، و الاستقاله طلب ذلك و (شد) أى صار شديداً مثل حب إذا صار حبيبا (تشطر) إما مأخوذ من الشطر بمعنى النصف يقال: فلان شطر ماله أى نصفه، أو من الشطر بمعنى خلف الناقه بالكسر، قال الشارح المعتزلى: و للناقه أربعة أخلاف خلفان

قادمان(١) و خلفان آخران و كلّ اثنين منهما شطر و تشطرا ضرعيها اقتسما فايدتها، و الضّمير للخلافه و سمّى القادمين معا ضرعا و سمّى الآخرين معا ضرعا لتجاورهما و لكونهما لا يحلبان إلا معا كالشيء الواحد انتهى، و لفظ التشطر على وزن التّفعل غير موجود في كتب اللغه.

قال العلامة المجلسي: و في روايه المفيد و غيره شاطرا على صيغه المفاعله يقال: شاطرت ناقتي إذا احتلبت شطرا و تركت الآخر، و شاطرت فلانا مالى إذا ناصفته و (الحوزه) الطبيعه و النّاحيه و (الغلظ) ضدّ الرّقه و (الكلم) بفتح الكاف و سكون اللّام يقال: كلمته كلما من باب قتل جرحته و من باب ضرب لغه، ثم اطلق المصدر على الجرح و يجمع على كلوم و كلام مثل بحر و بحور و بحار و (العثار) بالكسر مصدر من عثر الرّجل و الفرس أيضا يعثر من باب قتل و ضرب و علم كبا و (الصّعبه) من التّوق غير المنقاده لم تذلل بالمحمل و لا بالرّكوب و (أشّق) بعيره أى جذب رأسه بالرّمام ليمسكه عن الحركه العنيفه كما يفعل الفارس بفرسه و هو راكب، و أشّق هو بالألف أيضا كشتق رفع رأسه فيستعمل الرّباعى لازما و متعديا كالثلاثي.

قال الرضّى بعد ايراد تمام الخطبه: قوله عليه السّلام إن أشّق لها خرم و إن أسلس لها تقحم، يريد أنّه إذا شدّد عليها فى جذب الرّمام و هى تنازعه رأسها خرم أنفها و إن أرخى لها شيئا مع صعوبتها تقحمت به فلم يملكها، يقال: أشّق النّاقه إذا جذب رأسها بالرّمام فرفعه و شنقها أيضا ذكر ذلك ابن السّكيت فى اصلاح المنطق و إنّما قال:

أشّق لها و لم يقل: أشنقها، لأنّه جعله فى مقابله قوله أسلس لها فكانه عليه السّلام قال: إن رفع لها رأسها بالرّمام بمعنى أمسكه عليها انتهى.

و (الخرم) الشّق يقال خرم فلانا كضرب أى شق و تره أنفه(٢) و هى ما بين منخريه فخرم هو كفرح و (أسلس لها) أرخى زمامها و (تقحم) فلان رمى نفسه فى

ص: ٤٨

١- (١) و هما اللذان يليان السرّه منه.

٢- (٢) و تره الانف حاجزها، ق.

المهلكه و تقحم الانسان فى الأمر ألقى نفسه فيه من غير رويه و تقحم الفرس راكبه رماه على وجهه و (منى) على المجهول اى ابتلى و (الخبط) بالفتح السير على غير معرفه و فى غير جاده و (الشماس) بكسر الشين النّفار يقال: شمس الفرس شموسا و شماسا أى منع ظهره فهو فرس شموس بالفتح و (التلّون) فى الانسان أن لا يثبت فى خلق واحد و (الاعتراض) السير على غير استقامه كأنه يسير عرضا و (المحنه) البليّه التى يمتحن بها الانسان.

الاعراب

اللام فى قوله عليه السّلام: لسبيله، بمعنى على كما فى قوله:

فخرّ صريعا للدين و للفم.

و شتّان مبنى على الفتح لتضمّنه معنى افترق مع تعجب، أى ما أشدّ الافتراق فيطلب فاعلين كافترق نحو شتّان زيد و عمرو، و قد يزداد بعده ما كما فى البيت، و يومى و يوم حيان مرفوعان على الفاعليه، و يا عجباً منصوب بالنداء و أصله يا عجبى ثم قلبت الياء ألفا، كأن المتكلم ينادى عجبه و يقول له: احضر فهذا أو ان حضورك، و بينا هى بين الظرفيه اشبعت فتحها فصارت ألفا و تقع بعدها إذا الفجائيه غالبا، و اللام فى قوله عليه السّلام: لشدّ جواب للقسم المقدر، و شدّ أى صار شديداً، و ما مصدرية و المصدر فاعل شدّ و لا يستعمل هذا الفعل إلا فى التعجب، و الضمير فى قوله: فيها و منها، راجع إلى الحوزه، و يحتمل رجوع الثانى إلى العثرات المستفاده من كثره العثار، و من فى قوله: منها صله للاعتذار أو للّصيفه المقدره صفه للاعتذار أو حالا عن يكثر أى التّاشى أو ناشيا منها.

و قال الشّارح المعتزلى: و يمكن أن يكون من هنا للتعليل و السّببيه أى و يكثر اعتذار النّاس عن أفعالهم و حركاتهم لأجلها، و العمر بالضمّ و الفتح مصدر عمر الرّجل بالكسر إذا عاش زمانا طويلا و لا يستعمل فى القسم إلا العمر بالفتح فاذا أدخلت عليه اللام رفعت بالابتداء، و اللّام لتوكيد الابتداء و الخبر محذوف و التقدير لعمر الله قسمى، و إن لم تأت باللام نصبت نصب المصادر.

(حتى اذا مضى الأوّل) و هو ابو بكر (لسييله) أى على سبيله الذى يسلكه كلّ انسان و هو سبيل الآخره، و ذلك بعد ما مضى من خلافته سنتان و ثلاثه أشهر إلاّ خمس ليال، و قيل: سنتان و ثلاثه أشهر و سبع ليال، و قال ابن اسحاق: توفى على رأس اثنتين و ثلاثه أشهر و اثنى عشر يوماً من متوفى رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم، و قيل:

و عشره أيام، و قيل: و عشرين يوماً، ذكر ذلك كلّه. فى البحار من كتاب الاستيعاب.

و كيف كان فأنّه لما ظهر له علائم الموت (أدلى بها) أى بالخلافه أى دفعها (إلى ابن الخطاب بعده) بطريق النصّ و الوصيّه من دون أن يكون له استحقاق لها كما يشير إليه لفظ الادلاء على ما تبّه به الشّارح المعتزلى حيث قال بعد ما فسّر الادلاء بالدفع على وجه الرّشوه:

فان قلت: فان أبا بكر إنّما دفعها إلى عمر حين مات و لا معنى للرّشوه عند الموت قلت: لما كان عليه السيّلام يرى أنّ العدول بها عنه إلى غيره إخراج لها إلى غير وجهه الاستحقاق شبّه ذلك بادلاء الانسان بماله إلى الحاكم، فأنّه إخراج للمال إلى غير وجهه فكان ذلك من باب الاستعاره هذا.

و المراد بابن الخطاب هو عمر و هو ابن الخطاب بن نفيل بن عبد العزّى بن رياح بالمشناه التّحتانيه و أمّه حنتمه (1) بنت هاشم بن المغيره بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم.

و ينبغى لنا تحقيق الكلام فى هذا النسب الشّريف من طريقنا و من طريق العامّه فأقول:

قال العلامة فى كشف الحقّ: و روى الكلبيّ و هو من رجال السيّنه فى كتاب المثالب قال: كانت صهّاك أمه حبشيّه لهاشم بن عبد مناف فوقع عليها نفيل بن هاشم ثمّ وقع عليها عبد العزّى بن رياح و جاءت بنفيل جدّ عمر بن الخطاب، و قال الفضل

ص: ٥٠

١- (١) فى نسخه ابن ابى الحديد حنظمه بالحاء و النون و الطاء و فى نسخه البحار حنتمه بالتاء المنقوطة و ضبطه فى القاموس مطابقاً لما فى البحار منه.

ابن روز بهان فى الشرح بعد القدح فى صحه النقل: إن انكحه الجاهليّه على ما ذكره أرباب التواريخ على أربعه أوجه، منها أن يقع جماعه على امرأه ثم ولد منها يحكم فيه القاييف أو تصدق المرأه و ربما كان هذا من أنكحه الجاهليه، و أورد عليه شارح الشرح بأنه لو صح ما ذكره لما تحقق زنا فى الجاهليه و لما سمى مثل ذلك فى المثالب و لكان كل من وقع على امرأه كان ذلك نكاحا منه عليها و لم يسمع عن أحد أن من نكاح الجاهليه كون امرأه واحده فى يوم واحد أو شهر واحد فى نكاح جماعه من الناس.

و قال المحدث المجلسى فى البحار: و حكى بعض أصحابنا عن محمد بن شهر آشوب و غيره أن صهاك كانت امه حبشيه لعبد المطلب و كانت ترعى له الابل، فوقع عليها نفيل فجاءت بالخطاب، ثم إن الخطاب لما بلغ الحلم رغب فى صهاك فوقع عليها فجاءت بابنه فلقتها فى خرقة من صوف و رمتها خوفا من مولاها فى الطريق فرآها هاشم بن المغيره مرميه فى الطريق فأخذها و ربأها و سمّاها حنتمه فلما بلغت رآها خطاب يوما فرغب فيها و خطبها من هاشم فأنكحها إياه فجاءت بعمر بن الخطاب فكان الخطاب أباً و جداً و خالاً لعمر، و كانت حنتمه أما و اختا و عمه له فتأمل.

ثم قال المجلسى (ره) فأقول: وجدت فى كتاب عقد الدرر لبعض الأصحاب روى باسناده عن علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه عن الحسن بن محبوب عن ابن الزيات عن الصادق عليه السلام أنه قال: كانت صهاك جاريه لعبد المطلب و كانت ذات عجز و كانت ترعى الابل و كانت من الحبشه و كانت تميل إلى النكاح، فنظر إليها نفيل جد عمر فهوهاها و عشقها من مرعى الابل، فوقع عليها فحملت منه بالخطاب، فلما أدرك البلوغ نظر إلى امه صهاك فأعجبه عجزها فوثب عليها فحملت منه بحنتمه فلما ولدتها خافت من أهلها فجعلتها فى صوف و ألقتها بين أحشام مكه، فوجدها هشام بن المغيره بن الوليد، فحملها إلى منزله و ربأها و سمّاها بالحنتمه، و كانت شيمه العرب من ربي يتيما يتخذه ولداً، فلما بلغت حنتمه نظر إليها الخطاب فمال إليها

و خطبها من هشام فتزوجها فأولد منها عمر، فكان الخطاب أباه و جده و خاله، و كانت حنتمه أمه و اخته و عمته، و ينسب إلى الصادق عليه السلام في هذا المعنى شعر:

من جدّه خاله و والده و أمه اخته و عمّته

أجدر أن يبغض الوصي و أن ينكر يوم الغدير بيعته

أقول: هذا النسب و أمّا الحسب فقد حكى العلامة في كشف الحقّ عن ابن عبد ربّه في كتاب العقد الحديث استعمال عمر بن الخطاب لعمر بن العاص في بعض ولايته، فقال: عمرو بن العاص: قبح الله زمانا عمل فيه عمرو بن العاص لعمر بن الخطاب، و الله إنّي لأعرف الخطاب على رأسه حزمه من حطب و على ابنه مثلها و ما ثمنها إلاّ - تمره لا - تبلغ مضغته، و روى نحو ذلك الشّارح المعتزلي عن زبير بن بكار في حديث طويل و فيه فلما رأى عمرو كثره ما أخذ منه قال: لعن الله زمانا صرت فيه عاملا لعمر و الله لقد رأيت عمرو أباه على كلّ واحد منهما عبائه قطوانيه لا يجاوز مابض ركبتيه و على عنقه حزمه حطب و العاص بن وائل في مزررات الدّيباح انتهى.

و في البحار عن النهايه في تفسير المبرطش كان عمر في الجاهليّه مبرطشا و هو السّاعى بين البايع و المشتري شبه الدّلال، و يروى بالسّين المهمله بمعناه و في القاموس المبرطس الذي يكثرى للنّاس الابل و الحمير و يأخذ عليه جعلًا.

و قال المحدث الجزائري: و من عجيب ما رووه عن الخطاب والد عمر بن الخطاب أنّه كان سرّاقا و قطع في السّرقه ما ذكره ابو عبيده القاسم بن سلام في كتاب الشّهاب في تسميه من قطع من قريش في الجاهليه في السرقه ما هذا لفظه: قال:

و الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عدى بن كعب أبو عمر بن الخطاب قطعت يده في سرقه قدر و محاه ولايه عمر و رضى الناس عنه، قال بعض المسلمين: ألا تعجب من قوم رووا أن عمر كان ولد زنا و أنه كان في الجاهليّه نخاس (1) الحمير و أنّه كان أبوه سرّاقا و أنه ما كان يعرف إلاّ بعمير لردالته ثمّ مع هذا جعلوه خليفه قائما

ص: ٥٢

١- (١) نخاس الدواب بياعه لغه.

مقام نبیہم صلی اللہ علیہ و آلہ و سلم و نائبا عن اللہ تعالیٰ فی عبادہ و قدّموه علی من لا طعن علیہ فی حسب و لا نسب و لا أدب و لا سبب، و یا لیتہم حیث ولوہ و فضحوا أنفسهم بذلک کانوا قد سکتوا عن نقل ہذہ الأحادیث التی قد شمتت بہا الأعداء و جعلوها طریقاً إلی جہلہم بمقام الأنبیاء و خلافہ الخلفاء ہذا.

و بقی الکلام فی کیفیہ عقد أبی بکر الخلفاء لعمر و إدلائہ بہا إلیہ فأقول:

قال الشّارح المعتزلی و روى كثير من النّاس أنّ أبابکر لما نزل به دعا عبد الرحمن ابن عوف فقال: أخبرنی عن عمر فقال: إنّه أفضل من رأیت إلاّ- أن فیہ غلظہ، فقال أبو بکر ذاک لأنّه یرانى رقیقا و لو قد افضى الأمر إلیہ لترك كثيرا ممّا هو علیہ و قد رمقته إذا أنا غضبت علی رجل أرانى الرّضى عنه و إذا نلت له أرانى الشّدّه علیہ، ثم دعا عثمان بن عفّان فقال: أخبرنی عن عمر، فقال: سریرتہ خیر من علانیته و لیس فینا مثله، فقال لهما لا تذكرا ممّا قلت لکما شیئا و لو ترک عمر لما عدوتک یا عثمان و الخیره لک أن لا تلی من امورهم شیئا و لوددت أنى كنت من امورکم خلوا و كنت فیمن مضى من سلفکم.

و دخل طلحه بن عبید اللّٰه علی أبی بکر فقال: إنّه بلغنی أنّک یا خلیفه رسول اللّٰه صلی اللّٰه علیہ و آلہ و سلم استخلفت علی النّاس عمر و قد رأیت ما یلقى النّاس منه و أنت معه فکیف به إذا خلا بهم و أنت غدا لاق ربّک فسألک عن رعیتک، فقال أبو بکر أجلسونی ثم قال: أبأ للّٰه تخوفنی إذا لقیّت ربّی فسألنی قلت: استخلفت علیهم خیر أهلک، فقال طلحه: أعر خیر النّاس یا خلیفه رسول اللّٰه صلی اللّٰه علیہ و آلہ و سلم؟ فاشتد غضبه فقال: ای و اللّٰه هو خیرهم و أنت شرّهم أم و اللّٰه لو ولیتک لجعلت أنفک فی قفاک و لرفعت نفسک فوق قدرها حتی یكون اللّٰه هو الذی یضعها، أتیتنی و قد دلکت عینیک ترید أن تفتننی عن دینی و تزیلنی عن رأیی، قم لا- أقام اللّٰه رجلیک، أما و اللّٰه لئن عشت فواق ناقة و بلغنی أنّک غمضتہ فیها أو ذکرته بسوء لا لحقنک بخمصات (١) قنه (٢) حیث کنتم تسقون

ص: ٥٣

١- (١) الخمصه الجوعه، ق.

٢- (٢) اسم موضع، ق.

ولا تروون و ترعون و لا تشبعون و أنتم بذلك مبتججون(١) راضون، فقام طلحه فخرج.

ثم قال الشارح: أحضر أبو بكر عثمان و هو وجود بنفسه فأمره أن يكتب عهده و قال: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد عبد الله بن عثمان إلى المسلمين أما بعد، ثم اغمى عليه و كتب عثمان قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب، و أفاق أبو بكر فقال: اقرء، فقرأه فكبر أبو بكر و سرّ، و قال: أراك خفت أن تختلف الناس ان متّ في غشيتي؟ قال: نعم، قال: جزاك الله خيرا عن الاسلام و أهله، ثم أتم العهد و أمر أن يقرأ على الناس فقرأ عليهم، ثم أوصى عمر بوصايا و توفي ليله الثالث لثمان بقين من جمادى الآخرة من سنة ثلاث عشر.

أقول: انظروا يا أهل البصيره و الانصاف و الدقه و الاعتبار إلى الخلافه العظمى و الرياسه الكبرى كيف صارت لعبه للجهاال و دوله بين أهل الغيّ و الضلال و انظروا رئيس الضالين و المضللين كيف اجترى على ربّ العالمين في تلك الحاله التي كان يفارق الدنيا و ينتقل إلى نزاعه للشوى، فحكم بكون عمر أفضل الصّحابه مع كون أمير المؤمنين عليه السّلام بينهم، و قد قال فيه نيّهم صلّى الله عليه و آله و سلّم: اللهم ائتني بأحبّ الخلق إليك، و سائر أحاديث الفضل التي لا تحصى حسبما عرفت بعضها في مقدّمات هذه الخطبه و غيرها، ثم انظر إلى ابن الخطاب عليه النّكال و العذاب كيف لم يقل لأبي بكر في هذه الحاله التي يغمى عليه فيها مرّه و يفيق اخرى إنّه ليهجر(٢) كما قال للنبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم حين أراد أن يكتب كتابا أن لا يضلّوا بعده: أنّه ليهجر و لنعم ما قيل:

اوصى النبيّ فقال قائلهم قد خلّ يهجر سيد البشر

و رأى أبا بكر اصاب و لم يهجر فقد اوصى الى عمر

ثمّ العجب من النعتل الفاجر عثمان بن عفان عليه سخط الرحمن حيث كتبها برأيه

ص: ٥٤

١- (١) البجح بتقديم الجيم على الحاء الفرع، ق.

٢- (٢) الهجر الهديان منه.

بدون مصلحه الخليفه الخوّان، و العجب كل العجب من هذا الشّقى كيف مدحه و شكره و جزاه خيرا عن الاسلام و أهله و لم يقل له: لم اجترئت على هذا الأمر العظيم و الخطب الجسيم الذى هو مقام الأنبياء و ميراث الأوصياء يترتب عليه أمر الدّين و الدّنيا بمحض رأيك و رضاك و طبعك و هواك، مع أن سيد الورى صلّى الله عليه و آله و سلّم لا يجترى أن يخبر بأدنى حكم إلّا- بوحى يوحى و يلزم على زعمهم الفاسد و رأيهم الكاسد أن يكون ابو بكر و عثمان أشفق على أهل الاسلام و الايمان من سيد الانس و الجان لأنه بزعمهم أهمل أمر الامه و لم يوص لهم بشىء، و هما أشفقا على الامه حذرا من ضلالتهم فنصبا لهم جاهلا شقيا و فظا غليظا.

يا ناعى الاسلام قم فانعه قد مات عرف و بدا المنكر

و غير خفى على العاقل اللبيب و الكامل الأريب أنّ تلك الامور الفاضحه و الحيل الواضحه لم تكن إلّا لتأسيس أساس الكفر و النفاق و هدم بنيان الاسلام و الاتفاق، و إرجاع الناس إلى أعقابهم القهقرى و ترويج عبوديه اللات و العزى، فجزاهم الله عن الاسلام و أهله شر الجزاء، و غضب عليهم ملؤ الارض و السماء.

(ثمّ تمثل عليه السّلام بقول الأعشى) أعشى قيس و هو أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل:

(شتان ما يومى على كورهاو يوم حيان أخى جابر)

و هو من قصيده طويله له قالها فى منافره علقمه بن علان بن عوف و عامر بن الطفيل ابن مالك بن جعفر و تفصيل قصه نفاهما ذكره أبو الفرج فى الأغانى و قبل ذلك البيت الذى تمثل عليه السّلام به قوله:

و قد اسلى(١) الهمّ اذ يعتري بحسره دوسره عاقر

ص: ٥٥

١- (١) قوله اسلى من التسليه و سلاه سلوا انسا و اسلاه عنه فتسلى، و الناقه الحسره التى أعيها السفر، و الدوسره مؤنث الدوسر و هو الجمل الضخم العظيم الهيكل، و عقرت الناقه انقطع حملها فهى عاقر، و زاف الرجل و كذا الابل تبخر فى مشيه، و الناقه الخطاره التى ضربت بذنبها يمينا و شمالا، و شرخا الرجل مقدمه و مؤخره، و الميس شجر يتخذ منه الرحال، و رحل فاتر جيد الوقوع على ظهر البعير، و المهاجره نصف النهار و عند زوال الشمس مع الظهر و هجرت تهجيرا سارت فى المهاجره، و القرد الاجانه للشرب و قدح أو اناء صغير، و العاصر الذى يعصر الخمر، و المجدل كمنبر القصر و الجمع مجادل و وصفه بقوله يزل عنه اه اشاره الى ارتفاعه، منه.

زيافه بالوحد خطاره تلوى بشرخى ميسه فاتر

ارمى بها البيداء إذ هجرت و أنت بين القرد و العاصر

فى مجدل شيد بنيانه يزلّ عنه ظفر الطائر

و معنى البيت بعد ما بين يومى على رحل هذه النّاقه الموصوفه، و بين يوم حيان و هو فى سكره الشّراب ناعم البال مرفه من الأكدار و المشاق، و حيان و جابر ابنا السّمين الحنفيان و كان حيان صاحب حصن باليمامه و كان من سادات بنى حنيفه مطاعا فى قوله يصله كسرى فى كلّ سنه و كان فى رفاهيّه و نعمه مصونا من و عثاء السفر، لم يكن يسافر أبدا، و كان الأعشى ينادمه و كان أخوه جابر أصغر سنا منه، حكى ان حيان قال للأعشى نسبتنى إلى أخى و هو أصغر سنا منى فقال: إنّ الزوى اضطرني إلى ذلك، فقال: و الله لا نازعتك كاسا أبدا ما عشت هذا.

و معنى البيت على ما ذكرناه هو الذى أفاده المرتضى (قده) و هو الظاهر المطابق للبيت الذى بعده أعنى قوله: أرمى بها البيداء. و هو أيضا مما تمثل عليه السّلام به على ما حكى عن بعض النسخ، فيكون غرضه عليه السّلام من التمثل على ذلك بيان البعد بين يومه صابرا على القذى و الشّجى و بين يومهم فايزين بما طلبوا من الدّنيا، و قريب منه ما قال الشّارح المعتزلى حيث قال: يقول أمير المؤمنين عليه السّلام: شتان بين يومى فى الخلافه مع ما انتقض علىّ من الأمر و منيت به من انتشار الحبل و اضطراب أركان الخلافه، و بين يوم عمر حيث وليها على قاعده ممّهده و أركان ثابتة و سكون شامل، فانتظم أمره و اطرده حاله.

و قال بعض الشّارحين: المعنى ما أبعد ما بين يومى على كور النّاقه ادا و انصب و بين يومى منادما حيان أخى جابر فى خفض و دعه، فالغرض من التمثل إظهار البعد بين يومه عليه السّلام بعد وفات الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم مقهورا ممنوعا عن حقّه، و بين يومه فى صحبه النّبى صلّى الله عليه و آله و سلّم فارغ البال مرفّه الحال كاسبا للفيوضات الظاهريّه و الباطنيه، و هذا المعنى هو الأقرب إلى النّظر و الأنسب إلى السّياق، و به فسره

المحدّث الجزائري حيث قال: وقوله عليه السّلام: شتّانالييت و هو الاعشى يقول:

تفرّق ما بين يومئى يوم سرورى و هو منادمتى لأخى حيان، و يوم شدّتى و ركوبى على متن ناقتى فى البرارى و القفار، و هو عليه السّلام قد استعار هذا ليوميه يوم فرحه لما كان نديمه النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم، و يوم تعبته و يوم ركوبه المشاق و الحروب وحده بلا معاون و لا نصير.

ثمّ إنّّه عليه السّلام أظهر التعجب من إدلائه بالخلافه إليه مع استقالته منها بقوله:

(فيا عجباً بينا هو) يعنى أبا بكر (يستقلها) أى يطلب الاقاله منها (فى حياته) و يقول:

أقيلونى أقيلونى (إذ عقدها لآخر) أراد به عمر أى جعلها معقوده له لتكون له (بعد وفاته) و وجه التّعجب أنّ استقالته منها فى حياته دليل على رغبته عنها و زهده فيها و عقدها لغيره دليل على رغبته فيها و ميله اليها، و هو يصادّ الاستقاله الحقيقيه فيكون دليلاً على كون الاستقاله منه صورتيه ناشئه عن وجه الخدعه، و التدليس، و نعم ما قيل:

حملوها يوم السّقيفه وزرا تخفّ الجبال و هى ثقال

ثمّ جاءوا من بعدها يستقلون و هيهات عثره لا تقال

هذا و خبر الاقاله ممّا رواه الجمهور، و هو قوله: أقيلونى أقيلونى فليست بخيركم و علىّ فيكم، و رواه فى البحار عن الطبرى فى تاريخه و البلادرى فى أنساب الأشراف و السّمعانى فى الفضائل و أبى عبيده فى بعض مصنّفاته، قال: و لم يقدح الفخر الرّازى فى صحّته و إن أجاب عنه بوجوه ضعيفه، و كفى كلامه عليه السّلام شاهداً على صحّته انتهى.

و قال بعض المحقّقين من أصحابنا: معنى استقالته الأمر بقتل على بن أبى طالب عليه السّلام يعنى ما دام علىّ فيكم موجوداً فأنا لست بخيركم فاقتلوه حتّى أكون خليفه بلا منازع، و قوله عليه السّلام: (لشدّ ما تشطرا ضرعيها) شبه الخلافه بناقه لها ضرعان و كان كلّ واحد منهما أخذ منها ضرعاً يحلبه لنفسه، فالمعنى و الله لصار شديداً

أخذ كل واحد منهما شطرا أى نصفاً أو شطرا بالكسر أى خلفاً من ضرعيها، و المقصود اقتسامهما فايدتها بينهما، و فى بعض روايات السِّقيفه أنه عليه السِّلام قال لعمر بن الخطاب بعد يوم السِّقيفه: احلب حلباً لك شطره، اشدد له اليوم يرده عليك غدا (فصيرها فى حوزة) أى فى طبيعه أو ناحيه (خشناء) متصفا بالخشونه لا ينال ما عندها، و لا يرام و لا يفوز بالنجاح من قصدها.

قال بعض الأفاضل: الظاهر أنّ المفاد على تقدير إرادته الناحيه تشبيه المتولى للخلافه بالأرض الخشناء فى ناحيه الطريق المستوى، و تشبيه الخلافه بالركب السائر فيها أو بالناقه اى أخرجها عن مسيرها المستوى و هو من يستحقها إلى تلك الناحيه الحزنه هذا: و الأظهر إرادته معنى الطبيعه.

ثم وصف عليه السِّلام الحوزه ثانياً بأنّها (يغلظ كلمها) أى جرحها و فى الاسناد توسّع، قال الشارح البحرانى غلظ الكلم كناية عن غلظ المواجهه بالكلام و الجرح به، فإنّ الضرب باللسان أعظم من وخز السنان (1)، أقول: و من هنا قيل:

جراحات السنان لها التيام و لا يلتام ما جرح اللسان

(و) وصفها ثالثاً بأنّها (يخشن مسّها) أى تؤذى و تضرّ من يمسهها قال البحرانى: و هى كناية عن خشونه طباعه المانع من ميل الطباع إليه المستلزمه للأذى كما يستلزم من الأجسام الخشنه.

أقول: و المقصود من هذه الأوصاف الاشاره إلى فظاظه عمر و غلظته و جفاوته و قبح لقائه و كراهه منظره، و رغبه الناس عن مواجهته و مكالمته، و يدلّ على ذلك ما روى أنّ ابن عباس لمّا أظهر بطلان مسأله العول بعد موت عمر قيل له: من أول من أعال الفرائض؟ فقال: عمر بن الخطاب، قيل له: هلاّ أشرت عليه؟ قال هيئته، و ما رواه الشارح المعترلى فى شرح هذا الفصل أنّ عمر هو الذى غلّظ (2) على جبله بن

ص: ٥٨

١- (١) اى طعن السنان منه.

٢- (٢) قصه جبله بن الايهم الغسانى على ما ذكره ابو الفرج الاصفهانى فى كتاب الاغانى هو انه لما اسلم جبله بن الايهم و كان من ملوك آل جفنه كتب الى عمر يستأذنه فى القدوم عليه فاذن له عمر فخرج اليه فى خمسمائه من اهل بيته من عك و غسان حتى اذا كان على مرحلتين كتب الى - عمر ليعلمه بقدمه فسر عمر و امر الناس باستقباله و بعث اليه بانزال و امر جبله مأتى رجل من اصحابه فلبسوا السلاح و الحرير و ركبوا الخيل معقوده اذناؤها و البسوها قلائد الذهب و الفضة و لبس جبله تاجه و فيه قرطا ماريه و هى جدته و دخل المدينه فلم يبق بها بكر و لا عانس الا تبرجت و خرجت تنظر اليه و الى زيه فلما انتهى الى عمر رحب به و الطفه و ادنى مجلسه ثم اراد عمر الحج فخرج معه جبله فيينا هو يطوف بالبیت و كان مشهوراً بالموسم اذ وطى ازاره رجل من بنى فزاره فانحل فرفع جبله يده فهشم انف الفزارى فاستعدى عليه عمر فبعث الى جبله فاتاه فقال ما هذا؟ قال نعم يا أمير المؤمنين انه تعمد حل ازارى و لو لا حرمة الكعبه لضربت بين عينيه بالسيف فقال له عمر قد اقررت فاما ان رضى الرجل و اما ان اقيده منك قال جبله ما ذا تصنع بى قال أمر بهشم انفك كما فعلت قال و كيف ذاك يا أمير المؤمنين و هو سوقه و انا ملك قال ان الاسلام جمعك و إياه و ليس تفضل بشىء الا بالتقى و العافيه قال جبله قد ظننت انى اكون فى الاسلام اعز منى

فى الجاهلىه قال عمر دع عنك هذا فانك ان لم ترض الرجل اقدته منك قال اذا اتنصر قال ان تنصرت ضربت عنقك لانك قد اسلمت فان ارتددت قتلتك فلما راي جيله الصديق من عمر قال انا ناظر فى هذا لىلى هذه و قد اجتمع بىاب عمر من حى هذا و حى هذا خلق كثر حتى كادت تكون بينهم فتنه فلما امسوا اذن لهم عمر فى الانصراف حتى اذا نام الناس و هدوا فحمل جيله بخیله و رواحله الى الشام فاصبحت مکه و هى منهم بلاقع فلما انتهى الى الشام تجمل فى خمسمائه من قومه حتى اتى الى القسطنطنیه فدخل الى هر قل فتنصر هو و اصحابه فسر هر قل بذلك جدا و ظن انه فتح من الفتوح عظیم و اقطعه حىث شاء و اجرى علیه من المنزل ما شاءوا و جعله من محدثیه هكذا ذكر ابو عمرو ذكر ابن الكلبي ان الفزارى لما وطى ازار جيله لطم جيله كما لطمه فوثب غسان و هشموا انفه و اتوا به عمر ثم ذكر ما فى الخبر نحو ما ذكرناه و شعر جيله على ما رواه ابو الفرج هكذا تنصرت الاشراف من عار لطمه ما كان فيها لو صبرت لها ضررتكنفنى فيها لجاج و نخوهو بعت بها العين الصحیحه بالعورفيا لیت امى لم تلدننى و لیتیرجعت الى القول الذى قال لى عمرو يا لیتنى ارعى المخاض بدمنهو كنت اسیرا فى ربیعه او مضرو يا لیت لى بالشام اولى معیשהأجالس قومى ذاهب السمع و البصر، انتهى منه

الأ-يهم حتّى اضطرّه إلى مفارقه دار الهجره بل مفارقه بلاد الاسلام كلّها حتّى عاد مرتدا داخلا فى دين النّصرانيه لأجل لطمه لطمها، وقال جبله بعد ارتداده متنّد ما على ما فعل:

تنصّرت الاشراف من أجل لطمه و ما كان فيها لو صبرت لها ضرر

ص: ٥٩

فيا ليت أمي لم تلدني و ليتني رجعت الى القول الذي قاله عمر

أقول: هذه الزوايه كافيهِ في فضل هذا الرّجل و منقبته، فإنّ النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم لم يبعثه الله إلاّ لهدايه الأنام و الارشاد إلى دعائم الاسلام، فعاشر معهم بمحاسن الأخلاق و مكارم الآداب حتّى نزل فيه:

«إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ» و كان صلّى الله عليه و آله و سلّم كثيرا ما يتحمل الأذى و يصبر على شدايد البلوى، لهدايه نفس واحده و إنجائها من الضّلاله، و هذا الرّجل الجلف الذي يزعم أنّه خليفه رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم كيف يصرف النّاس عن الاسلام إلى النّصرانيه بمقتضى خبث طبيئته و سوء سريره و غلظ كلمته؟ و فوق كلّ ذلك فظاظه جسارته على النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم بكلمات يكره اللّسان بيانها و يأبى القلم عن كتبها و إظهارها، مثل قوله له صلّى الله عليه و آله و سلّم في صلح الحديبيه لم تقل لنا ستدخلونها في ألفاظ نكره حكايئتها، و مثل الكلمه التي قالها في مرض رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم، قال الشّارح المعتزلى: و معاذ الله أن يقصد بها ظاهرها و لكنّه أرسلها على مقتضى خشونه غريزيّه و لم يتحفّظ منها، و كان الأحسن أن يقول: مغمور أو مغلوب بالمرض و حاشاه أن يعنى بها غير ذلك.

أقول: و شهد الله أنّ قصده ما كان إلاّ ظاهرها و حاشاه أن يقصد بها إلاّ ذلك.

و قال الشّارح أيضا في شرح الخطبه الخامسه و العشرين عند الكلام على حديث الفلته: و اعلم أنّ هذه اللفظه من عمر مناسبه للفظات كثيره كان يقولها بمقتضى ما جبله الله تعالى من غلظ الطينه و جفاء الطبيعه و لا- حيله له فيها، لأنّه مجبول عليها لا يستطيع تغييرها، و لا- ريب عندنا أنّه كان يريد أن يتلطف و أن يخرج ألفاظه مخارج حسنه لطيفه، فينزِع به الطبع الجاسى و الغريزه الغليظه إلى أمثال هذه اللفظات، و لا يقصد بها سوء و لا يريد بها ذمّا و لا تخطئه كما قدّمنا قبل ذلك في اللفظه التي قالها في مرض رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم، و كاللفظات التي قالها عام الحديبيه و غير ذلك، و الله

لا يجازى المكلف إلا بما نواه، و لقد كانت نيته من أظهر النيات و أخلصها لله سبحانه انتهى.

و فيه أنّ اقتضاء الطبيعه و استدعاء الغريزه التي جعله معذره له إن أراد به انه بلغ إلى حيث لم يبق لعمر معه قدره على إمساك لسانه عن التكلم بخلاف ما فى ضميره، بل كان يصدر عنه الذم فى مقام يريد به المدح، و الشتم فى موضع يريد الاكرام و يخرج بذلك عن حدّ التكليف فلا مناقشه فى ذلك، لكن مثل هذا الرجل يعده العقلاء فى زمره المجانين، و لا خلاف فى أنّ العقل من شروط الامامه، و إن أراد أنّه يبقى مع ذلك ما هو مناط التكليف فذلك ممّا لا يسمن و لا يغنى من جوع، فإنّ ابليس استكبر آدم بمقتضى الجبله الثاربه، و مع ذلك استحقّ النار و شملته اللعنه إلى يوم الدين، و الزانى إنّما يزنى بمقتضى شهوته التي جبله الله تعالى عليها و مع ذلك يرجم و لا يرحم هذا، (و) وصف عليه السلام الحوزه رابعا بأنّها (يكثّر العثار فيها و الاعتذار منها) و معناه على جعل الحوزه بمعنى الطبيعه واضح أى يكثّر العثار فى تلك الطبيعه و الاعتذار من هذه الطبيعه أو اعتذار صاحبها منها أو الاعتذار من عثراتها و قد مضى فى بيان الاعراب احتمال كون من نشويّه و تعليليه، و أمّا على تقدير جعلها بمعنى التّاحيه فالمعنى ما ذكره بعض الأفاضل عقيب كلامه الذى حكيناه فى شرح قوله عليه السلام: فصيرها فى حوزه خشناء، بما لفظه: فيكثّر عثارها أو عثار مطيتها فاحتاجت إلى الاعتذار من عثراتها الناشئه من خشونه التّاحيه و هو فى الحقيقه اعتذار من التّاحيه، فالعائر و المعتذر حينئذ هي الخلافه توسعا.

و كيف كان فالغرض من هذه الجمله الاشاره إلى كثره خطاء عمر فى القضايا و الأحكام، و جهالته بالفتاوى و شرايع الاسلام، و لا باس بالاشاره إلى بعض عثراته و نبذ من جهالاته و يسير من هفواته و زلّاته.

فمنها ما ذكره الشّارح المعتزلى حيث قال: و كان عمر يفتى كثيرا بالحكم ثمّ ينقضه و يفتى بضدّه و خلافه، قضى فى الجدد مع الاخوه قضايا كثيره مختلفه ثمّ

خاف من الحكم فى هذه المسأله فقال: من أراد أن يتقحم جرائم جهنم فليقل فى الجدّ برأيه.

و منها ما ذكره أيضا و هو أنّه لما مات رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و شاع بين الناس موته طاف عمر على الناس قائلا إنّهُ لم يمت و لكنّه غاب عنيّ كما غاب موسى عن قومه، فليرجعن و ليقطعن أيدي رجال و أرجلهم يزعمون أنّه مات فجعل لا يمرّ بأحد يقول: إنّهُ مات إلّا و يخبّطه و يتوعده حتى جاء ابو بكر فقال: أيها الناس من كان يعبد محمّدا فان محمّدا قد مات، و من كان يعبد ربّ محمّد فأنّه حيّ لم يمت ثمّ تلا قوله تعالى:

«أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ» قالوا: فو الله لكانّ الناس ما سمعوا هذه الآية حتّى تلاها أبو بكر، و قال عمر لما سمعته يتلوها هويت إلى الأرض و علمت أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم قد مات.

أقول: من بلغ من قلبه المعرفة إلى مقام ينكر موت النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم و يحكم مع ذلك من تلقاء نفسه بأنّه يرجع و يقطع أيدي رجال و أرجلهم كيف يكون إماما واجب الطاعة على جميع الخلق؟ و منها ما رواه أيضا كغيره من أنّه قال مرّه لا يبلغني أنّ امرأه تجاوز صداقها صداق نساء النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم إلّا ارتجعت ذلك منها، فقالت امرأه ما جعل الله لك ذلك إنّهُ قال تعالى:

«وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا» فقال: كلّ الناس أفقه من عمر حتّى ربّات الحجال، أ لا تعجبون من إمام أخطأ و امرأه أصابت فأضلت إمامكم فضّلته، و اعتذار قاضى القضاة بأنّه طلب الاستحباب فى ترك التجاوز(1) و التواضع فى قوله: كلّ الناس أفقه من عمر، خطأ، فأنّه

ص: ٦٢

١- (١) اى تجاوز الصداق عن صداق نساء النّبىّ (صلّى الله عليه و آله) منه.

لا يجوز ارتكاب المحرم و هو ارتجاع المهر، لأجل فعل المستحب، و أما التواضع فإنه لو كان الأمر كما قال عمر لاقتضى إظهار القبيح و تصويب الخطاء، و لو كان العذر صحيحا لكان هو المصيب و المرأة مخطئه مع أنه مخالف لصريح قوله: ألا تعجبون من إمام أخطأه.

و منها ما رواه هو و غيره من أنه كان يعسّ بالليل فسمع صوت رجل و امرأه في بيت فارتاب فتسوّر الحائط فوجد امرأه و رجلا و عندهما زقّ خمر، فقال: يا عدوّ الله كنت ترى أنّ الله يسترك و أنت على معصيته؟ قال: إن كنت أخطأت في واحده فقد أخطأت في ثلاث، قال الله تعالى: و لا تجسسوا، و قد تجسست، و قال:

و أتوا البيوت من أبوابها، و قد تسوّرت، و قال: إذا دخلتم بيوتا فسلّموا، و ما سلّمت.

و منها ما رواه أيضا و جماعه من الخاصّه و العامه من أنه قال: متعتان كانتا على عهد رسول الله و أنا محرّمهما و معاقب عليهما: متعه النساء و متعه الحجّ، قال الشّارح المعتزلي و هذا الكلام و إن كان ظاهره منكرا فله عندنا مخرج و تأويل أقول: بل هو باق على منكريته و التأويل الذي ارتكبه مّا لا يسمن و لا يغنى من جوع، و لعلنا نسوق الكلام فيه مفصّلا في مقام أليق إنشاء الله.

و منها ما رواه أيضا من أنه مرّ يوما بشابّ من فتيان الأنصار و هو ظمآن فاستسقاها فجدح له ماء بعسل فلم يشربه، و قال: إنّ الله تعالى يقول:

«أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا» فقال له الفتى: إنّها ليست لك و لا لأحد من أهل هذه القبلة، اقرء ما قبلها:

«وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا.»

فقال عمر: كلّ الناس أفقه من عمر.

و منها أنه أمر برجم امرأه حامله فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: إن كان لك عليها سبيل فليس لك على ما فى بطنها سبيل، فقال: لو لا على لهلك عمر.

و منها أنه أمر برجم مجنونه فبته أمير المؤمنين عليه السلام و قال: القلم مرفوع عن المجنون حتى يفيق، فقال: لو لا على لهلك عمر.

و منها ما رواه فى الفقيه عن إبراهيم بن محمد الثقفى قال: استودع رجلان امرأه وديعه و قالا لها لا تدفعى إلى واحد منّا حتى نجتمع عندك ثم انطلقا فغابا، فجاء أحدهما إليها و قال: اعطينى وديعتى فإنّ صاحبى قد مات فأبت حتى كثر اختلافه إليها ثم أعطته، ثم جاء الآخر فقال هاتى وديعتى، فقال «فقال ظ»: أخذها صاحبك و ذكر أنّك قدّمت فارتفعا إلى عمر، فقال لها عمر: ما أراك إلا و قد ضمنت، فقالت المرأة اجعل عليها عليه السلام بينى و بينه، فقال له: اقض بينهما، فقال على عليه السلام: هذه الوديعة عندها و قد أمرتها أن لا تدفعها إلى واحد منكما حتى تجتمعا عندها فأنتى بصاحبك، و لم يضمها، و قال على عليه السلام إنّما أراد أن يذهبها بمال المرأة.

و منها ما فى الفقيه أيضا عن عمرو بن ثابت عن أبيه عن سعد بن طريف عن الأصمغ ابن نباته، قال: اتى عمر بامرأه زوجها شيخ، فلما أن واقعها مات على بطنها، فادعى بنوه أنها فجرت و شاهدوا «تشهدوا خ» عليها فأمر بها عمر أن ترجم، فمروا بها على على بن أبى طالب عليه السلام، فقالت: يابن عمّ رسول الله إنى مظلومه و هذه حجتى فقال عليه السلام: هاتنى حجتك، فدفعت إليه كتابا فقرأه فقال: هذه المرأة تعلمكم بيوم تزوّجها و يوم واقعها و كيف كان جماعه لها ردّوا المرأة، فلما كان من الغد دعا على عليه السلام بصبيان يلعبون أتراب(1) و فيهم ابنها فقال لهم: العبوا، فلعبوا حتى إذا لهاهم اللعب ثم فصاح عليه السلام بهم فقاموا و قام الغلام الذى هو ابن المرأة متكيا على راحتيه، فدعا به على عليه السلام فورّثه من أبيه و جلد اخوته المفترين حدّا، فقال عمر كيف صنعت؟ قال: قد عرفت ضعف الشيخ فى تكائه الغلام على راحتيه.

ص: ٦٤

١- (١) الترب بالكسر السن و من ولد معك ق.

و منها ما رواه الصدوق أيضا عن سعد بن طريف عن الأصمغ بن نباته قال:

اتى عمر بن الخطاب بجاريه فشهد عليها شهود أنها بغت، و كان من قصتها أنها كانت يتيمه عند رجل و كان للرجل امرأه و كان الرجل كثيرا ما يغيب عن أهله، فشبت اليتيمه و كانت جميله فتخوّفت المرأه أن يتزوجها زوجها إذا رجع إلى منزله، فدعت بنسوه من جيرانها فأمسكتها، ثم افتضتها باصبعها، فلما قدم زوجها سأل امرأته عن اليتيمه فرمتها بالفاحشه و أقامت البيئه من جيرانها على ذلك، قال: فرفع ذلك إلى عمر فلم يدر كيف يقضى فى ذلك، فقال: للرجل اذهب بها إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، فأتوا عليا و قصوا عليه قصتها «القصه خ» فقال لامرأه الرجل أ لك بينه؟ قالت: نعم، هؤلاء جيرانى يشهدون عليها بما أقول، فأخرج علي عليه السلام السييف من غمده و طرحه بين يديه، ثم أمر عليه السلام بكل واحد من الشهود فأدخلت بيتا، ثم دعا بامرأه الرجل فأدارها لكل وجه فأبت أن تزول عن قولها، فردّها إلى البيت الذى كانت فيه.

ثم دعا باحدى الشهود و جثا على ركبته، فقال لها: أ تعرفينى أنا علي ابن أبي طالب و هذا سيفى و قد قالت امرأه الرجل ما قالت، و رجعت (1) إلى الحق و أعطيتها الأمان فاصدقينى و الأملأيت سيفى منك، فالتفتت المرأه إلى علي فقالت: يا أمير المؤمنين الأمان على الصدق، قال لها علي فاصدقى فقالت: لا و الله ما زنت اليتيمه و لكن امرأه الرجل لما رأته حسنها و جمالها و هيئتها خافت فساد زوجها بها فسقتها المسكر و دعتنا فأمسكناها فافتضتها باصبعها، فقال علي عليه السلام:

الله اكبر الله اكبر أنا أول من فرق بين الشهود إلا دانيال ثم حدّ المرأه حدّ القاذف و ألزمها و من ساعدها على افتضاض اليتيمه المهر لها أربعمائه درهم، و فرق بين المرأه و زوجها و زوجته اليتيمه، و ساق عنه المهر إليها من ماله.

فقال عمر بن الخطاب: فحدّثنا يا أبا الحسن بحديث دانيال النبى عليه السلام فقال: إنّ

ص: ٦٥

١- (١) قوله و رجعت الى الحق قيل يدل على انه يجوز الكذب لهذه المصالح و قيل اراد بالحق البيت الذى يستحقها المرأه أن يدخلها و قد اعطيتها الامان اى فى الذهاب الى محلها السابق، منه.

دانيال كان غلاما يتيما لا- أب له ولا- أم، وإن امرأه من بنى إسرائيل عجوزا ضمته إليها و ربته و إن ملكا من ملوك من بنى إسرائيل كان له قاضيان و كان له صديق و كان رجلا صالحا و كان له امرأه جميله و كان يأتي الملك فيحدثه فاحتاج الملك إلى رجل يبعثه في بعض اموره، فقال للقاضيين: اختارا لي رجلا- ابعثه في بعض اموري، فقالا: فلان، فوجهه ملك و كان القاضيان يأتيان باب الصديق فعشقا امرأته فراوداها عن نفسها، فأبت عليهما فقالا لها، إن لم تفعلنا عليك عند الملك بالزنا ليرجمك، فقالت: افعل ما شئتما، فأتيا الملك فشهدا عليها أنها بغت و كان لها ذكر حسن جميل فدخل الملك من ذلك أمر عظيم و اشتد غمه و كان بها معجبا، فقال لهما: إن قولكما مقبول فاجلدوها ثلاثه أيام ثم ارجموها و نادى في مدينته: احضروا قتل فلانه العابده فانها قد بغت، و قد شهد عليها القاضيان بذلك، فأكثر الناس القول في ذلك فقال الملك لوزيره: ما عندك في هذا حيله؟ فقال:

لا و الله ما عندي في هذا شيء.

فلما كان اليوم الثالث ركب الوزير و هو آخر أيامها و إذا هو بغلمان عراه يلعبون و فيهم دانيال، فقال دانيال: يا معشر الصبيان تعالوا حتى أكون أنا الملك و تكون أنت يا فلان العابده و يكون فلان و فلان القاضيين الشاهدين عليها، ثم جمع ترابا(1) و جعل سيفا من قصب ثم قال: للغلمان خذوا بيد هذا فنحوه إلى موضع كذا و الوزير واقف و خذوا هذا فنحوه إلى كذا ثم دعا بأحدهما فقال: قل حقا فانك إن لم تقل حقا قتلتك، قال: نعم و الوزير يسمع فقال بم تشهد على هذه المرأه قال اشهد أنها زنت قال في أي يوم قال: في يوم كذا و كذا، قال في أي وقت؟ قال: في وقت كذا و كذا، قال: في أي موضع؟ قال: في موضع كذا و كذا قال: مع من؟ قال: مع فلان بن فلان، قال: فردوه إلى مكانه و هاتوا الآخر، فردوه و جاءوا بالآخر فسأله عن ذلك فخالف صاحبه في القول، فقال دانيال: الله اكبر الله اكبر شهدا عليها بزور ثم نادى في الغلمان إن القاضيين شهدا على فلانه العابده بزور

ص: ٦٦

١- (١) التراب همزاد منه.

فاحضروا قتلها، فذهب الوزير إلى الملك مبادرا فأخبره الخير فبعث الملك إلى القاضيين فأحضرهما ثم فرّق بينهما و فعل كما فعل دانيال بالغلامين، فاختلفا كما اختلفا فنأدى فى الناس و أمر بقتلهما.

و منها ما رواه الشّارح البحرانى و هو أنّ عمر أمر أن يؤتى بامرأه لحال اقتضت ذلك و كانت حاملا فانزعجت من هيئته فاجهزت «فاجهضت به خ» جنينا فجمع جمعا من الصّحابه و سألهم ما ذا يجب عليه، فقالوا: أنت مجتهد «مؤدب خ» و لا نرى أنّه يجب عليك شىء، فراجع عليا عليه السّلام فى ذلك و أعلمه بما قال بعض الصّحابه، فأنكر ذلك و قال: إن كان ذلك عن اجتهاد منهم فقد أخطئوا، و إن لم يكن عن اجتهاد فقد غشوك، أرى عليك الغرّه (١)، فعندها قال: لا عشت لمعضله لا تكون لها يا أبا الحسن.

و رواه الشّارح المعتزلى بتغيير فى متنه، إلى غير ذلك من موارد خطائه و خبطه و جهالته التى لو أردنا استقصائها لطالت، و كثيرا ما كان أمير المؤمنين عليه السّلام يتبه على خطائه فيها و يبين له معضلات المسائل التى كان يعجز عنها، و قد روى أنّه قال فى سبعين موضعا: لو لا علىّ لهلك عمر، و العجب أنّه مع اعترافه بذلك يدعى التّقّدّم عليه و مع جهله بكل ذلك يرى نفسه قابله للخلافه و مستحقّه لها مع أنّ قابليه الخلافه و استحقاق الولاية لا يكون إلّا بالعلم بجميع الأحكام و الاحاطه بشرايع الاسلام، و لا يكون ذلك إلّا بالهام إلهى و تعليم ربّانى و إرشاد نبوىّ، و ذلك مختصّ بالأئمه و مخصوص بسراج الامه، إذ هم الذين اتّبعوا آثار النبوه، و اقتبسوا أنوار الرّساله، و عندهم معاقل العلم و أبواب الحكمه و ضياء الأمر و فصل ما بين الناس، و هم المحدثون المفهمون المسدّدون المؤيّدون بروح القدس.

كما يدلّ عليه ما رواه فى البحار من كتاب بصائر الدّرجات باسناده عن جعيد الهمداني قال: سألت علىّ بن الحسين عليهما السّلام بأى حكم تحكمون؟ قال: نحكم بحكم آل داود (٢) فان عيينا شيئا تلقّانا به روح القدس.

و عن السّاباطى قال: قلت لأبى عبد الله عليه السّلام: بما تحكمون إذا حكمتكم؟ فقال:

ص: ٦٧

١- (١) يعنى عتق رقبه

٢- (٢) اى نحكم لعلمنا و لا نسأل بينه كما كان داود احيانا يفعله، بحار.

بحكم الله و حكم داود، فإذا ورد علينا شيء ليس عندنا تلقانا به روح القدس. و عن عبد العزيز عن أبيه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام؛ جعلت فداك إن الناس يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجه عليا عليه السلام إلى اليمن ليقتل بينهم، فقال علي عليه السلام فما أورد الله عليّ قضيه إلا حكمت بحكم الله و حكم رسوله، فقال عليه السلام: صدقوا، قلت: و كيف ذلك و لم يكن انزل القرآن كله و قد كان رسول الله غايبا عنه؟ فقال: تلقاه به روح القدس هذا.

و قد ظهر ممّا ذكرنا كله أنّ الحكم الصواب و فصل الخطاب مختصّ بالمعصومين من آل الرسول سلام الله عليه و عليهم و أنّ أحكام عمر إنما كانت عن هوى نفس و بدعه و ضلاله و جهاله، و لذلك كان يفتى كثيرا ثم يرجع عن فتياه و يعتذر، و ربّما كان يحكم بشيء ثم ينقضه و يحكم بخلافه لقله المعرفه و كثره الجهاله و اختلاف دواعي نفسه الأماره التي تاره تحكم بذلك و اخرى بخلافه، هذا كله مضافا إلى قوه إفراط القوه الغضبيّه فيه و خشونه الحوزه و غلظه الطبيعه (فصاحبها) أى صاحب تلك الحوزه و الطبيعه (كراكب) الثاقه (الصعبه) الغير المنقاده (إن أشق لها حرم و إن أسلس لها تقم) قال الرضى (ره) بعد تمام الخطبه: يريد عليه السلام أنه إذا شدّد عليها فى جذب الزّمام و هى تنازعه رأسها حرم أنفها، و إن أرخى لها شيئا مع صعوبتها تقمّت به فلم يملكها.

أقول: و قد أرخى زمامها و لم يمسكها فرمت به فى أوديه الضلاله و تقمّت به فى ورطات الهلاكه فلم يمكنه التخلّص منها و الخروج عنها، و على هذا المعنى فالمراد بصاحب الحوزه هو عمر و هذا أظهر و قد ذكروا فى المقام وجوها اخرى.

منها أنّ الضّمير فى صاحبها يعود إلى الحوزه المكنى بها عن الخليفه أو اخلاقه، و المراد بصاحبها من يصاحبها كالمستشار و غيره، و المعنى أنّ المصاحب للرجل المنعوت حاله فى صعوبه الحال كراكب الثاقه الصعبه فلو تسرع إلى إنكار القبايح من أعماله أدى إلى الشقاق بينهما و فساد الحال، و لو سكت و خلاه و ما يصنع

أدى إلى خسران المآل.

و منها أن الصّميم راجع إلى الخلافه أو إلى الحوزه، و المراد بصاحبها نفسه عليه السّلام، و المعنى أن قيامى فى طلب الأمر يوجب مقاتله ذلك الرّجل و فساد أمر الخلافه رأسا و تفرق نظام المسلمين، و سكوتى عنه يورث التّقحم فى موارد الدّلّ و الصّغار.

و منها أن الصّميم راجع إلى الخلافه و صاحبها من تولى أمرها مراعيًا للحقّ و ما يجب عليه، و المعنى أن المتولى لأمر الخلافه إن أفرط فى إحقاق الحقّ و زجر النّاس عمّا يريدونه بأهوائهم أوجب ذلك نفاق طباعهم و تفرّقهم عنه، لشده الميل إلى الباطل، و إن فرط فى المحافظه على شرايطها ألقاه التّفريط فى موارد الهلكه و ضعف هذا الوجه و بعده واضح هذا.

و لما ذكر عليه السّلام أوصاف الرّجل الذميمة و أخلاقه الخبيثه الخسيسه أشار إلى شدّه ابتلاء النّاس فى أيّام خلافته بقوله: (فمنى النّاس) أى ابتلوا (لعمر الله بخبط) أى بالسّير على غير معرفه و فى غير جادّه (و شماس) و نفاق (و تلون) مزاج (و اعتراض) أى بالسّير على غير خط مستقيم كأنه يسير عرضا، قال الشّارح المعتزلى:

و إنّما يفعل ذلك البعير الجامح الخابط و بعير عرضى يعترض فى سيره لأنّه لم يتمّ رياضته و فى فلان عرضيه أى عجز فيه و صعوبه، و قال البحرانى فى شرح تلك الجملة: إنّها إشاره إلى ما ابتلوا به من اضطراب الرّجل و حركاته التى كان ينقمها عليه، فكئيبا الخبط عنها و بالشّماس عن جفاوه طباعه و خشونتها، و بالتلون و الاعتراض عن انتقاله من حاله إلى اخرى فى أخلاقه، و هى استعارات وجه المشابهه فيها أنّ خبط البعير، و شماس الفرس و اعتراضها فى الطريق حركات غير منظومه، فأشبهها ما لم يكن منظوما من حركات الرّجل التى ابتلى النّاس بها.

أقول: و على ذلك فالأربعه أوصاف للرّجل و المقصود كما ذكره الاشاره إلى ابتلاء النّاس فى خلافته بالقضايا الباطله لجهله و استبداده برأيه مع تسرعه إلى الحكم مع ايدائهم بحدته و بالخشونه فى الأقوال و الأفعال الموجبه لنفاهم عنه،

و بالتفار عن الناس كالفرس الشموس و التلون في الآراء و الأحكام لعدم ابتنائها على أساس قوى، و بالخروج عن الشرع السواء و الجاده المستقيمه أو بالحمل على الأمور الصعبه و التكاليف الشاقه هذا.

و يحتمل كونها صفات للناس، فان خروج الوالى عن الجاده يستلزم خروج الناس احيانا و كذا تلونه و اعتراضه يوجب تلون الرعيه و اعتراضهم على بعض الوجوه و خشونته يستلزم نفارهم و هو ظاهر.

ثم إنه عليه السلام أردف ذلك كله بتكرير ذكر صبره على ما صبر عليه مع الثانى كما صبر مع الأول و قال: (فصبرت على طول المدّه) أى طول مدّه تخلف الأمر عنه عليه السلام (و شدّه المحنه) أى شدّه الابتلاء بسبب فوات حقّه و ما يستتبع ذلك من اختلال قواعد الدّين و انهدام أركان اليقين.

الترجمه

تا آنکه گذشت اول یعنی ابو بکر براه خود که طریق جهنم است، پس دفع کرد و وا گذاشت خلافت را بسوی پسر خطاب بعد از خود، بعد از آن مثل زد امیر المؤمنین علیه السلام بقول أعشى که در مفاخره علقمه و عامر گفته و عامر را مدح و علقمه را هجو نموده. و معنی بیت این است که چقدر دور است میان دو روز من روزی که بر کوهان و پالان شتر سوار و برنج و تعب سفر گرفتار، و روز حیان برادر جابر که ندیم وی بودم و بناز و نعمت می گذرانیدم، و یا این که بعید است میان روز من که بر پشت ناقه سوار و روز حیان که راحت از مشقت سفر و فارغ از ملال و کدورات.

و مقصود امام علیه السلام از تمثیل باین بیت بنا بر این معنی اظهار بعد است میان حال خود که گرفتار محنت بوده و قرین مشقت و میان حال قومى که بمقاصد خودشان واصل و در سعه و رفاهیت محفوظ؛ و بنا بر معنی اول اظهار مباحثت و دوریست میان دو روز خود یکی بعد از وفات حضرت رسالت مآب صلی الله علیه و آله و سلم که از حق خود مغضوب و در خانه خود معتزل و بصحبت اشرار گرفتار و بفتن و محن مبتلا،

و روز دوم زمان حضور آن حضرت صلوات الله علیه که در خدمت او کسب فیوضات ظاهریه و کمالات معنویه می کردند.

و بهر تقدیر امام علیه السلام بعد از مثل زدن فرمود، پس بسا تعجب وقتی که أبو بکر طلب اقاله و فسخ نمود خلافت را در حال حیات خود هنگامی که عقد کرد آن را بجهه دیگری که آن عمر است تا آنکه بوده باشد او را بعد از مردن او بخداوند قسم هر آینه سخت شد گرفتن أبو بکر و عمر هر یکی یک نصف خلافت را یا این که گرفتن ایشان جانب هر دو پستان آن را، و این کنایه است از اشتراک ایشان در قسمت منفعت و فواید خلافت همچنان که دو نفر دوشنده دو پستان شتر بعد از دوشیدن نفع آنرا تقسیم می نمایند.

پس گردانید ابو بکر خلافت را در طبیعتی زبر و خشن که غلیظ بود جراحی که حاصل بود از آن طبیعت و درشت بود مس آن و بسیار بود بسر در آمدن او در احکام شرعیه و مسائل دینیه و عذرخواهی او از عثرات خود، پس صاحب آن طبیعت با خشونت مثل سوار ناقه سرکش است اگر سر آن ناقه را با افسار و خرام نگه بدارد بینی خود را پاره می نماید، و اگر رها کند و بحال خود فروگذارد واقع می شود در مهالک و معاطب، پس مبتلا شدند مردم قسم ببقای خدا بانداختن خود در غیر طریق قویم و برمیدن از صراط مستقیم و بتلون مزاج و بسیر نمودن در عرض طریق، پس صبر نمودم مرتبه دوم بر درازی روزگار اعتزال، و سختی اندوه و ملال.

إشارة

حتى إذا مضى لسبيله جعلها في سته زعم أنني أحدهم، فيالله وللشورى متى اعترض الريب في مع الأول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر، و لكنني أسففت إذ أسفوا، و طرت إذ طاروا، فصغى رجل منهم لضعفه، و مال الآخر لصهره، مع هن و هن.

اللغة

(الزعم) مثله الفاء الفتح للحجاز و الضم للأسد و الكسر لبعض قيس و هو قريب من الظن، و قال المرزوقي: أكثره يستعمل فيما كان باطلا أو فيه ارتياب، و قال ابن الأثير: إنما يقال: زعموا في حديث لا سند له و لا ثبت فيه، و قال الزمخشري: هي ما لا يوثق به من الأحاديث و (الشورى) اسم من تشاور القوم و اشتوروا، و قيل: إنه مصدر كبشري بمعنى المشوره و الأول أظهر و (اعترض) الشيء إذا صار عارضا كالخشبة المعترضه في النهر و (اقرن) على لفظ المجهول أى أجعل قرينا لهم و يجمع بينى و بينهم و (أسف) الطائر إذا دنا من الأرض في طيرانه و أسف الرجل للأمر إذا قاربه و (طرت) أى ارتفعت استعمالا للكلى فى أكمل الأفراد و (صغى) إلى كذا مال إليه و صغت النجوم مال إلى الغروب و (الضغن) الحقد و البغض.

و (الصهر) قال الخليل: هو أهل بيت المرأة، قال: و من العرب من يجعل الأحماء و الاختان جميعا أصهارا، و قال الأزهرى: الصهر يشتمل على قرابات النساء ذوى المحارم و ذوات المحارم كالأبوين و الاخوه و أولادهم و الأعمام و الأخوال و الخالات، فهؤلاء أصهار زوج المرأة، و من كان من قبل الزوج من ذوى قرابته المحارم فهم أصهار المرأة أيضا، و قال ابن السكيت كل من كان من قبل الزوج من أبيه أو أخته أو عمه فهم الأحماء، و من كان من قبل المرأة فهم الأختان و يجمع

الصَّيْفِ الْأَصْهَارِ وَ(هَنْ) خَفِيفِ النَّوْنِ كُنَايَهُ عَنِ كُلِّ اسْمِ جِنْسٍ وَ مَعْنَاهُ شَيْءٌ وَ لَامُهَا مَحذُوفَةٌ فَالْمَعْرُوفُ أَنَّهَا وَآوُ بَدَلِيلٍ جَمْعُهَا عَلَى هِنَوَاتٍ، وَقِيلَ: هِيَ هَاءٌ لِتَصْغِيرِهِ عَلَى هَنْيِهِ، وَقِيلَ: نُونٌ وَ الْأَصْلُ هَنْ بِالتَّثْقِيلِ وَ التَّصْغِيرِ هَنْيْنٍ، وَقَالَ نَجْمُ الْأَثْمَةِ الرَّضِيِّ: الْهَنْ الشَّيْءُ الْمُنْكَرُ الَّذِي يَسْتَهْجَنُ ذَكَرَهُ مِنَ الْعُورَةِ وَ الْفَعْلُ الْقَبِيحُ وَ غَيْرَ ذَلِكَ.

الاعراب

اللام في لله مفتوحة لدخولها على المستغاث ادخلت للدلالة على الاختصاص بالنداء للاستغاثه، و في قوله للشورى مكسوره لدخولها على المستغاث لأجله قال الشاعر:

بيكيك ناء بعيد الدار مغترب يا للكهول وللشبان للعجب

بفتح لام الكهول و كسر لام العجب و كسرهما في للشبان لكونه معطوفا على المستغاث من غير اعاده حرف النداء و لو اعيدت فتحت قال الشاعر:

يا لقومي و يا لامثال قومي لا ناس عتوهم في ازدياد

و الواو في قوله: و للشورى إما زايده أو عاطفه على محذوف مستغاث له أيضا كما ستعرفه في بيان المعنى.

المعنى

اشاره

(حتى إذا مضى) الثاني (لسبيله) و مات و ذلك بعد ما غضب الخلفه عشر سنين و سته أشهر على ما حكاه في البحار من كتاب الاستيعاب و ستعرف تفصيل الكلام في كيفيته موته و تعيين يوم موته في التذنيبات الآتيه، و كيف كان فأنه لما أراد الله أن يقبضه إلى ما هتأ له من أليم العذاب (جعلها في سته) نفر و في بعض النسخ في جماعه (زعم أني أحدهم) و في تلخيص الشافي زعم أني سادسهم و هؤلاء الجماعه هم: أمير المؤمنين عليه السلام و عثمان و طلحه و الزبير و سعد بن أبي وقاص و عبد الرحمن ابن عوف، هذا هو المعروف و قيل: إنهم خمسه، قال الطبري: لم يكن طلحه ممن ذكر في الشورى و لا كان يومئذ بالمدينه، و عن أحمد بن أعثم لم يكن بالمدينه، فقال عمر: انتظروا لطلحه ثلاثه أيام فان جاء و إلا اختاروا رجلا من الخمسه.

(فيا لله) أنت النَّاصر و المعين و المغيٲ استغيٲ بك لما أصابني عنه أو لنوائب الدهر عامه (و للشورى) خاصه و الاستغائه للتألم من الاقتران بمن لا يدانيه فى الفضائل و لا يقارنه فى الفواضل و لا يستأهل للخلافه و لا يليق بالولايه، و لذلك أتبعه عليه السلام بالاستفهام على سبيل الانكار و التعجب بقوله:

(متى اعترض الرّيب فى مع الأوّل منهم) يعنى متى صار الشك عارضا لأذهانهم فى بمساوات أبى بكر (حتى صرت اقرن) أى اجعل قرينا (إلى هذه النظائر) الخمسه أو الأربعة و يجمع عمر بينى و بينهم و يجعلهم نظائر لى مع كونهم أدنى من الأوّل رتبه و أخس منزله فكيف بقياسهم إالى و تناظرهم(1) بى (و لكنى أسففت) مع القوم (إذ أسفوا و طرت) معهم (إذ طاروا) يعنى أتى تابعتهم تقيته و جريت معهم على ما جروا و دخلت معهم فى الشورى مع أنّهم لم يكونوا نظراء لى و تركت المنازعه من حيث اقتضاء المصلحه (فصغى) و مال (رجل منهم) من الحقّ إلى الباطل (لضعغه) و حقه الذى كان فى صدره.

و المراد بذلك الرّجل على ما ذكره القطب الزاوندى و الشّارح البحرانى و المحدث الجزائرى و غيرهم هو سعد بن أبى وقاص اللّعين، و سبب ضعغه على ما ذكره الزاوندى هو أنّه عليه السّلام قتل أباه يوم بدر، و قال سعد أحد من تخلف عن بيعه أمير المؤمنين عليه السّلام عند رجوع الأمر إليه، إلّا أنّ الشّارح المعتزلى أورد عليه بأنّ أباه وقاص و اسمه مالك بن اهيب مات فى الجاهليه حتف أنفه، و قال: إنّ المراد به طلحه و علل ميله عنه عليه السّلام بقوله: و إنّما مال طلحه إلى عثمان لانحرافه عن على عليه السّلام باعتبار انه تيمى و ابن عمّ أبى بكر، و قد كان حصل فى نفوس بنى هاشم من بنى تيم حنق شديد لأجل الخلافه و كذلك صار فى صدور تيم على بنى هاشم، و هذا أمر مركز فى طباع البشر و خصوصا طينه العرب و طباعها و التجربه إلى الآن تحقّق ذلك.

قال: و أمّا الزوايه التى جاءت بأنّ طلحه لم يكن حاضرا يوم الشورى فان صحت فذو الضغن هو سعد بن أبى وقاص لأنّ أمّه حمنه بنت سفيان بن أميه بن

ص: ٧٤

عبد شمس، و الضغنه التي كانت عنده على علي عليه السلام من قبل أخواله الذين قتل صناديدهم و تقلد دمائهم و لم يعرف أنّ عليًا عليه السلام قتل أحدا من بنى زهره لينسب الضغن إليه (و مال الآخر) و هو عبد الرحمن بن عوف (لصهره) و هو عثمان و المصاهره بينهما من جهة أنّ أمّ كلثوم بنت عقبه بن أبي معيط كانت تحته و هي اخت عثمان من أمّه و روى بنت كرز و هذا الميل أيضا لم يكن لمجرد المصاهره و محض القرابه بل (مع هن و هن) أى مع شىء و شىء قبيح يستهجن ذكره، و هو البغض و الحسد منه له عليه السلام أو نفاسته عليه أو رجاؤه و وصول الخلافه بعد عثمان إليه أو انتفاعه بخلافته بالانتساب و اكتساب الأموال و الترفع على الناس و الاستطاله أو غير ذلك ممّا هو عليه السلام أعلم به و كُنّي عنه.

و ينبغي التذيل بامور:

الاول

كيفية قتل عمر و قاتله، و يوم قتله.

اما الاول فقائله أبو لؤلؤه فيروز غلام المغيره بن شعبه

، روى المحدث المجلسي (ره) في البحار من مؤلف العداد القويه نقلا من كتب المخالفين و الجزائري في الأنوار من كتاب الاستيعاب لابن عبد البرّ من رجال العامه قال: ذكر الواقدي قال: أخبرني نافع عن أبي نعيم عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: غدوت مع عمر بن الخطاب الى السوق و هو متكى على يدي فلقاه أبو لؤلؤه غلام المغيره بن شعبه فقال له: ألا تكلم مولاي يضع عنّي من خراجي؟ قال: كم خراجك؟ قال: دينار فقال عمر: ما أرى أن أفعل أنّك لعامل محسن و ما هذا بكثير، ثمّ قال له عمر:

ألا تعمل لي رحي؟ قال: أبو لؤلؤه: لأعملن لك رحي يتحدّث بها ما بين المشرق و المغرب، قال ابن الزبير: فوقع في نفسي قوله، قال: فلما كان في النداء لصلاه الصبح و خرج عمر إلى الناس قال ابن الزبير: و أنا في مصلاي و قد اضطجع له أبو لؤلؤه فضربه بالسكين ست طعنات إحديهنّ تحت سرّته و هي قتلتة، قال في البحار:

و جاء بسكين له طرفان فلما خرج عمر خرج معه ثلاثه عشر رجلا في المسجد، ثمّ اخذ، فلما اخذ قتل نفسه.

و من كتاب الاستيعاب أيضا أنّ عمر لما ضربه أبو لؤلؤة بالسِّكين في بطنه قال: ادعوا الى الطبيب، فدعى الطبيب، فقال: أى الشَّراب أحبُّ اليك؟ فقال: النبيذ فسقى نبيذا فخرج من بعض طعناته فقال النَّاس: هذا دم هذا صديد، فقال: اسقوني لبنا، فسقوه لبنا فخرج من الطعنه، فقال له الطبيب: لا- أرى أن تمسى فما كنت فاعلا- فافعل، و تمام الخبر مذكور فى الشورى، قال بعض أصحابنا: و لقد كان يحبُّ أن يلاقى الله سبحانه و بطنه الممزوق ممتلى من الشَّراب فانظروا يا اولى الألباب.

و اما الثانى فالمشهور بين العلماء أنّ قتله كان فى ذى الحجه

و هو المتفق عليه بين العامه، و لكنَّ المشهور بين العوام فى الأقطار و الامصار هو أنّه فى شهر ربيع الأول قال الكفعمى فى المصباح فى سياق أعمال شهر ربيع الاول: إنّهُ روى صاحب مسار الشيعه أنه من أنفق فى اليوم التاسع منه شيئا غفر له و يستحب فيه إطعام الاخوان، و تطيبهم و التوسعه و النَّفقه و لبس الجديد و الشكر و العباده و هو يوم نفى الغموم و روى أنّه ليس فيه صوم و جمهور الشيعه يزعمون أنّ فيه قتل عمر بن الخطاب و ليس بصحيح.

قال محمّد بن ادريس فى سرائره من زعم أنّ عمر قتل فيه فقد أخطأ باجماع أهل التواريخ و السير، و كذلك قال المفيد (ره) فى كتاب التواريخ و إنّما قتل يوم الاثنين لأربع بقين من ذى الحجه سنه ثلاث و عشرين من الهجره نصّ على ذلك صاحب الغره و صاحب المعجم و صاحب الطبقات و صاحب كتاب مسار الشيعه و ابن طاوس بل الاجماع حاصل من الشيعه و أهل السِّنه على ذلك انتهى.

أقول: قد عرفت أنّ المشهور بين جمهورى الشيعه هو أنّه فى شهر الرِّبيع فدعوى الاجماع على كونه فى ذى الحجه ممنوعه و يدل على ذلك ما رواه فى الأنوار من كتاب محمّد بن جرير الطبرى قال: المقتل الثانى يوم التاسع من شهر ربيع الأول أخبرنا الأمين السِّيد أبو المبارك أحمد بن محمّد بن أردشير الدِّستانى قال: أخبرنا السيد أبو البركات محمّد الجرجانى، قال: أخبرنا هبه الله القمى

و اسمه يحيى، قال: حدّثنا أحمد بن إسحاق البغدادي، قال: حدّثنا الفقيه الحسن ابن الحسن السّامري أنّه قال: كنت أنا و يحيى بن أحمد بن جريح، فقصدنا أحمد ابن إسحاق القمي و هو صاحب الامام العسكر عليه السّلام بمدينة قم، فقررنا عليه الباب فخرجت علينا من داره صبيّه عراقيه فسألناها عنه، فقالت: هو مشغول و عياله فانه يوم عيد، قلنا: سبحان الله الأعياد عندنا أربعه: عيد الفطر و عيد الضّحى النّحر و الغدير و الجمعة، قالت: روى سيدي أحمد بن إسحاق عن سيده العسكري عن أبيه على بن محمد عليهم السلام أنّ هذا يوم عيد و هو خيار الأعياد عند أهل البيت عليهم السلام و عند مواليتهم، قلنا: فاستأذني بالدّخول عليه و عزّفيه بمكاننا، قال: فخرج علينا و هو متزرر بمترر له و محتبى بكسائه يمسح وجهه، فأنكرنا عليه ذلك، فقال: لا عليكما إنّني كنت أغتسل للعيد فإنّ هذا اليوم «عيد ظ» و هو اليوم التاسع من شهر ربيع الأوّل فادخلنا داره و أجلسنا على سرير له.

ثمّ قال: إنني قصدت مولاي أبا الحسن العسكري عليه السّلام مع جماعه من إخواني في مثل هذا اليوم و هو اليوم التاسع من ربيع الأوّل فرأينا سيّدنا قد أمر جميع خدمه أن يلبس ما يمكنه من الثياب الجدد و كان بين يديه مجمره يحرق فيها العود، قلنا يا بن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: هل تجد في هذا اليوم لأهل البيت عليهم السلام فرحاً؟ فقال عليه السلام: و أيّ يوم أعظم حرمة من هذا اليوم عند أهل البيت و أفرح؟ و قد حدّثني أبي عليه السّلام أنّ حذيفه (رض) دخل في مثل هذا اليوم و هو اليوم التاسع من ربيع الأوّل على رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم، قال حذيفه: فرأيت أمير المؤمنين مع ولديه الحسن و الحسين مع رسول الله صلوات الله عليه و عليهم يأكلون و الرّسول يتبسم في وجوههما و يقول كلاهنيئا مريئا لكما بركه هذا اليوم و سعادته فإنّ اليوم الذي يقبض الله فيه عدوّه و عدوّ كما و عدوّ جدّكما و يستجيب فيه دعاء امّكما، فإنّ اليوم الذي يكسر فيه شوكة مبغض جدّكما و ناصر عدوّكما، كلا فإنّ اليوم الذي يفقد فيه فرعون أهل بيتي و هامانهم و ظالمهم و غاصب حقّهم، كلا فإنّ اليوم الذي يفرح الله فيه قلبكما و قلب امكما.

قال حذيفه: فقلت يا رسول الله في امتك و أصحابك من يهتك هذا الحرم؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: جبت من المنافقين يظلم أهل بيتي و يستعمل في امتي الزيا و يدعوهم إلى نفسه و يتناول على الامه من بعدى و يستجلب أموال الله من غير حلّه و ينفقها في غير طاعته و يحمل على كتفه درّه الخزي و يضلّ الناس عن سبيل الله و يحزّف كتابه و يغيّر سنتي و يغصب ارث و لى و ينصب نفسه علما و يكذبني و يكذب أخى و وزيرى و وصيى و زوج ابنتى و يتغلب على ابنتى و يمنعها حقّها و تدعو فيستجاب الله لها الدعاء في مثل هذا اليوم.

قال حذيفه (رض): قلت: يا رسول الله ادع الله ليهلكه في حياتك قال: يا حذيفه لا احبّ أن أجترى على الله عزّ و جلّ لما قد سبق في علمه لكنتى سألت الله تعالى أن يجعل اليوم الذى يقبضه فيه إليه فضيله على سائر الأيام و يكون ذلك سنة يستنّ بها أحبائى و شيعه أهل بيتى و محبهم، فأوحى الله عزّ و جلّ إلى:

فقال: يا محمّد إنّك قد سبق في علمى أن يمسك و أهل بيتك محن الدنيا و بلائها و ظلم المنافقين و المعاندين من عبادى ممّن نصحتهم و خانوك و محضتهم و غشوك و صافيتهم و كاشحوك و أوصلتهم و خالفوك و أوعدتهم و كذبوك، فأتى بحولى و قوتى و سلطانى لافتحنّ على روح من يغضب «يغضب خ» بعدك عليا حقّه و صييك و ولّى خلقى «من العذاب الاليم خ» ألف باب من النيران من سفاك الفيلوق، و لاوصلنه و أصحابه قعرا يشرف عليه إبليس لعنه الله فيلعنه، و لأجعلن ذلك المنافق عبره فى القيامة مع فراعنه الانبياء و أعداء الدين فى المحشر، و لا حشرتهم و أوليائهم و جميع الظلمه و المنافقين فى جهنم و لادخلنهم «و لاخلدنهم خ ك» فيها أبدا الأبدين.

يا محمّد أنا أنتقم من الذى يجترى علىّ و يبدّل كلامى و يشرك بى و يصدّ الناس عن سبيلى و ينصب نفسه عجلا لامتك و يكفر بى، إننى قد أمرت سبع سماوات من شيعتكم و محبيكم أن يتعيدوا فى هذا اليوم (١) الذى أقبضه إلىّ فيه و أمرتهم أن

ص: ٧٨

١- (١) هكذا فى النسخه و الظاهر سقوط لفظ «ملائكه» قبل قوله: سبع سماوات و مع ذلك لا يفهم المقصود و لعل فى لفظ الحديث تقدما و تأخيرا و المراد: انى امرت ملائكه سبع سماوات أن يجعلوا هذا اليوم عيدا لشيعتكم و محبيكم. «المصحح».

ينصبوا كراسى كرامتى بازاء البيت المعمور و يثنوا علىّ و يستغفروا لشيعتكم من ولد آدم.

يا محمّد و أمرت الكرام الكاتبين ان يرفعوا القلم عن الخلق «كلهم خ» ثلاثه أيام من أجل ذلك اليوم و لا أكتب عليهم شيئا من خطاياهم كرامه لك و لوصيّك.

يا محمّد إنى قد جعلت ذلك عيدا لك و لأهل بيتك و للمؤمنين من شيعتك و آليت على نفسى بعزّتى و جلالى و علوى فى رفيع مكانى إنّ من وسّع فى ذلك اليوم على عياله و أقاربه لأزيدن فى ماله و عمره و لأعتقنه من النار و لأجعلنّ سعيه مشكورا و ذنبه مغفورا، و أعماله مقبولة، ثمّ قام رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فدخل بيت امّ سلمه فرجعت عنه صلّى الله عليه و آله و سلّم و أنا غير شاكّ فى أمر الشيخ الثانى حتّى رأيتّه بعد رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم قد فتح الشّرّ و أعاد الكفر و الارتداد عن الدّين و حرّف القرآن.

و فى البحار من كتاب الاقبال لابن طاوس بعد ذكر اليوم التاسع من ربيع الأول: اعلم أنّ هذا اليوم وجدنا فيه روايه عظيم الشأن و وجدنا جماعه من العجم و الاخوان يعظمون السّرور فيه و يذكرون أنّه يوم هلاك من كان يهون بالله جلّ جلاله و رسوله و يعاديه، و لم أجد فيما تصفحت من الكتب إلى الآن موافقه اعتمد عليها للرّوايه التى رويها عن ابن بابويه تغمّده الله رضوانه، فان أراد أحد تعظيمه مطلقا لسرّ يكون فى مطاويه غير الوجه الذى يظهر فيه احتياطا للرّوايه فهكذا عاده ذوى الدّرايه، و إن كان يمكن تأويل ما رواه أبو جعفر بن بابويه فى أنّ قتل من ذكر كان فى تاسع ربيع الأوّل لعلّ معناه أن السّبب الذى اقتضى قتل المقاتل على قتله كان فى ذلك اليوم، و يمكن أن يسمّى مجازا سبب القتل بالقتل، أو يكون توجه القاتل من بلده فى ذلك اليوم، أو وصول القاتل إلى مدينه القتل فيه، و أمّا تأويل من تأوّل أنّ الخبر وصل إلى بلد ابن بابويه فيه فلا يصحّ، لأن الحديث الذى رواه ابن بابويه عن الصّادق عليه السّلام تضمن أنّ القتل فى

ذلك اليوم فكيف يصحّ هذا التأويل.

قال: في البحار بعد حكايته ذلك: و يظهر منه ورود روايه اخرى عن الصادق عليه السلام بهذا المضمون رواها الصدوق، و يظهر من كلام خلفه(1) الجليل ورود عدّه روايات داله على كون قتله في ذلك، فاستبعاد ابن إدريس و غيره رحمه الله عليهم ليس في محلّه، إذ اعتبار تلك الروايات مع الشهره بين أكثر الشيعة سلفا و خلفا لا يقصر عمّا ذكره المورخون من المخالفين، و يحتمل أن يكونوا غيروا هذا اليوم ليشتهب الأمر على الشيعة فلا يتخذوه يوم عيد و سرور.

فان قيل: كيف اشتبه هذا الأمر العظيم بين الفريقين مع كثره الدواعى على ضبطه و نقله.

قلنا: نقلب الكلام عليكم مع أنّ هذا الأمر ليس بأعظم من وفات رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم مع أنه وقع الخلاف فيه بين الفريقين بل بين كلّ منهما مع شدّه تلك المصيبة العظمى و ما استتبعه من الدواهي الاخرى مع أنّهم اختلفوا في يوم القتل و إن اختلفوا في كونه ذى الحجّه، و من نظر في اختلاف الشيعة و أهل الخلاف في أكثر الامور التي توفرت الدواعى على نقلها مع كثره حاجه الناس إليها كالأذان و الوضوء و الصلاه و الحجّ و تأمل فيها لا يستبعد أمثال ذلك، و الله أعلم بحقايق الامور.

الثانى

في ذكر أخبار الشورى من طرق العامه

فأقول: روى في البحار عن ابن الأثير في الكامل و الطبرى عن شيوخه بطرق متعدده أنّه لما طعن أبو لؤلؤه عمر بن الخطاب و علم أنّه قد انقضت أيامه و اقترب أجله، قال له بعض أصحابه: لو استخلفت يا أمير المؤمنين، فقال: لو كان أبو عبيده حيا لاستخلفته و قلت لربّي إن سألتني: سمعت نبيك يقول: أبو عبيده امين هذه الامه، و لو كان سالم مولى أبى حذيفه حيا استخلفته

ص: ٨٠

و قلت لرَبِّي إن سألني: سمعت نبيك يقول: إن سالما شديد الحب لله فقال رجل:

ول عبد الله بن عمر، فقال: قاتلك الله، والله ما أردت الله بهذا، ويحك كيف استخلفت رجلا عجز عن طلاق امرأته.

و في شرح المعتزلي أن عمر لما طعنه أبو لؤلؤة و علم أنه ميت استشار فيمن يوليه الأمر بعده فأشير إليه بابنه عبد الله فقال لا هاء (١) الله لا- يليها رجلان من ولد الخطاب حسب عمر ما حمل حسب عمر ما احتقب (٢) لاها الله، لا- أتحملا حيا و ميتا، ثم قال: إن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم مات و هو راض عن هذه الستة من قريش: علي و عثمان و طلحة و الزبير و سعد و عبد الرحمن بن عوف، و قد رأيت أن أجعلها شوري بينهم ليختار و أنفسهم، ثم قال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني يعني ابا بكر و إن أترك فقد ترك من هو خير مني يعني رسول الله، ثم قال: ادعوهم لي، فدعوهم فدخلوا عليه و هو ملقى على فراشه و هو يجود بنفسه، فنظر إليهم فقال: أكلكم يطمع في الخلافة بعدى؟ فوجموا (٣) فقال لهم: ثانيه فأجابه الزبير و قال: و ما الذي يبعدنا منها وليتها أنت فقمت بها و لسنا دونك في قريش و لا في السابقه و القرابه.

قال الشارح قال الشيخ أبو عثمان الجاحظ: و الله لو لا علمه أن عمر يموت في مجلسه ذلك لم يقدم على أن يفوه من هذا الكلام بكلمه و لا- أن ينس (٤) منه لفظ، فقال عمر: أفلا اخبركم عن أنفسكم: قالوا: قل فأننا لو استعفيناك لم تعفنا، فقال: أما أنت يا زبير فوعقه (٥) لقس (٦) مؤمن الرضى كافر الغضب، يوما إنسان و يوما شيطان، و لعلها لو أفضت إليك ظلت قومك تلاطم بالبطحاء على مد من شعير،

ص: ٨١

- ١- (١) قال في القاموس ها تكون للتنبية و يدخل على أربعة الى ان قال الرابع اسم الله في القسم عند حذف الحرف يقال ها الله بقطع الهمزة و وصلها و كلاهما مع اثبات الفها و حذفها انتهى
- ٢- (٢) و احتقبه و استحقبه ادخره ق.
- ٣- (٣) و جم و جما و وجو ما سكت على غيظ و الشيء كرهه.
- ٤- (٤) نيس ينس نيسا تكلم فاسرع ق.
- ٥- (٥) رجل و عق كعدل و وعقه كصخره شرس سىء الخلق ضجر متبرم و به وعقه شراسه و وعقت على بارجل عجلت ما او عقتك اعجلتك، قاموس.
- ٦- (٦) لقس نفسه الى الشيء. نازت اليه و حرصت عليه و الرجل لفس و قيل لقس خبت و عن ابي زيد اللقس هو الذى يلعب الناس و يسخر منهم فايق اللغة.

أفرأيت إن أفضت إليك فليت شعري من يكون للناس يوم تكون شيطانا و من يكون يوم تغضب إماما، و ما كان الله ليجمع لك أمر هذه الامه و أنت على هذه الصفه.

ثم أقبل على طلحه و كان له مبغضا مند قال لأبي بكر يوم وفاته ما قال في عمر، فقال له: أقول أم أسكت؟ قال: قل فأنك لا تقول من الخير شيئا، قال: أما أنى أعرفك منذ اصيبت إصبعك يوم احد و الباد(١) الذى حدث لك، لقد مات رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ساخطا عليكم للكلمه(٢) التى قلتها يوم انزلت آيه الحجاب.

قال الشارح: قال شيخنا أبو عثمان الجاحظ: الكلمه المذكوره أن طلحه لما انزلت آيه الحجاب قال بمحضر مّمن نقل عنه الى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: ما الذى يغنيه حجابهن اليوم سيموت غدا فننكهن، قال: قال أبو عثمان أيضا: لو قال لعمر قائل أنت قلت: إن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم مات و هو راض عن السنّه فكيف تقول الآن لطلحه إنه صلى الله عليه و آله و سلم مات ساخطا عليك للكلمه التى قلتها، لكان قد رماه بمشاقصه(٣) و لكن من الذى كان يجسر على عمر أن يقول له: ما دون هذا فكيف هذا؟ ثم أقبل على سعد بن أبي وقاص فقال: أما أنت صاحب مقنب(٤) من هذه المقانب تقاتل به و صاحب قنص(٥) و قوس و أسهم و ما زهره و الخلافه و امور الناس ثم أقبل على عبد الرحمن بن عوف فقال: و أما أنت يا عبد الرحمن فلو وزن نصف ايمان المسلمين بايمانك لرجح ايمانك به و لكن ليس يصلح هذا الأمر لمن فيه ضعف كضعفك و ما زهره و هذا الأمر.

ص: ٨٢

- ١- (١) الباد العجب و الكبير و قد كانت اصيبت يده مع رسول الله (صلى الله عليه و آله) وقاه بها يوم احد فايق اللغه.
- ٢- (٢) روى المقسرون عن مقاتل قال قال طلحه بن عبد الله لئن قبض رسول الله (صلى الله عليه و آله) لانكحن عايشه بنت ابي بكر فنزلت و ما كان لكم ان تؤذوا رسول الله و لا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا و فى روايه على بن ابراهيم ان طلحه قال لئن امانت الله محمد الركضن بين خلاخيل نسائه كما ركض بين خلاخيل نسائنا منه.
- ٣- (٣) المشقص كمنبر نصل عريض او سهم فيه ذلك او نصل طويل او سهم فيه ذلك ق.
- ٤- (٤) المقنب من الخيل الاربعون و الخمسون و فى كتاب الغين زها ثلاثماه يعنى انه صاحب جيوش و ليس يصلح لهذا الامر فايق.
- ٥- (٥) القص محرکه الصيد ق،.

ثم أقبل على عليّ عليه السّلام فقال: لله أنت لو لا دعا به (١) فيك أما والله لئن وليتهم لتحملنهم على الحقّ الواضح والمحبّه البيضاء.

ثم أقبل على عثمان فقال هياها (٢) إليك كأنى بك قد قلّدتك قريش هذا الأمر لحبّها إياك فحملت بنى اميّة و بنى أبى معيط على رقاب النّاس و آثرتهم بالفىء فسارت «فثارت ظ» إليك عصابه من را بان (٣) «ذوبان خ» العرف فذبحوك على فراشك ذبحا والله لئن فعلوا لتفعلنّ و لئن فعلت ليفعلنّ، ثم أخذ بناصيته فقال: فاذا كان ذلك فاذا كر قولى فانه كاين.

ثم قال: ادعوا لى أبا طلحة الأنصارى فدعوه له فقال: انظر يا أبا طلحة إذا عدتم من حفرتى فكن فى خمسين رجلا من الأنصار حاملى سيوفكم فخذ هؤلاء النّفر بامضاء الأمر و تعجيله و اجمعهم فى بيت وقف بأصحابك على باب البيت ليتشاوروا و يختاروا واحدا منهم، فان اتفق خمسة و أبى واحد فاضرب عنقه، و إن اتفق أربعة و أبى اثنان فاضرب أعناقهما، و إن اتفق ثلاثة و خالف ثلاثة فانظر الثلاثة التى فيها عبد الرحمن فارجع الى ما قد اتفقت عليه فان اصرت الثلاثة الاخرى على خلافها فاضرب أعناقها، و ان مضت ثلاثة أيام و لم يتفقوا على أمر فاضرب أعناق الستّه و دع المسلمين يختاروا لأنفسهم.

فلما دفن عمر جمعهم أبو طلحة و وقف على باب البيت بالسّيف فى خمسين من الأنصار حاملى سيوفهم ثم تكلم القوم و تنازعوا، فأول ما عمل طلحة أنّه أشهدهم على نفسه أنّه قد وهب حقّه من الشورى لعثمان، و ذلك لعلمه أنّ النّاس لا يعدلون به عليا و عثمان و أنّ الخلافه لا تخلص له و هذان موجودان، فأراد تقويه أمر عثمان و إضعاف جانب عليّ عليه السّلام بهبه أمر لا انتفاع و لا تمكن له منه، فقال الزّبير فى معارضته و أنا اشهدكم على نفسى أنّى قد وهبت حقّى من الشورى لعليّ عليه السّلام، و إنّما فعل

ص: ٨٣

١- (١) الدعا به كمزاحه دعب يدعب كمزح يمزح و رجل دعب، فايق اللغه

٢- (٢) الهيه من ينحى لدنس ثيابه و يقال لشيء يطرد هيه هيه بالكسر قاموس.

٣- (٣) الراب سبعون من الابل و السيد الضخم قاموس.

ذلك لأنه لما رأى عليًا عليه السّلام قد ضعف و انخذل بهبه طلحه حقه لعثمان دخلته حميه النسب، لأنه ابن عمه أمير المؤمنين عليه السّلام و هي صفيه بنت عبد المطلب و أبو طالب خاله، فبقى من الستة أربعة، فقال سعد بن أبي وقاص: و أنا قد وهبت حتى من الشورى لابن عمي عبد الرحمن، و ذلك لأنهما من بنى زهره و لعلم سعد أن الأمر لا يتم له.

فلما لم يبق إلاّ الثلاثة قال عبد الرحمن لعلي و عثمان: أيكما يخرج نفسه من الخلافة و يكون إليه الاختيار في الاثنين الباقيين؟ فلم يتكلم منهما أحد، فقال عبد الرحمن: إني اشهدكم قد أخرجت نفسي من الخلافة علي أن اختار أحدهما، فأمسكا، فبدء بعلي عليه السّلام و قال له: ابايعك علي كتاب الله و سنه رسول الله و سيره الشيخين أبي بكر و عمر، فقال: بل علي كتاب الله و سنه رسوله و اجتهاد رأيي، فعدل عنه إلى عثمان فعرض ذلك عليه، فقال: نعم، فعاد إلى علي عليه السّلام فأعاد قوله، فعل ذلك عبد الرحمن ثلاثا، فلما رأى أن عليا غير راجع عما قاله و أنّ عثمان ينعم له بالاجابه صفق علي يد عثمان، و قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فيقال:

إنّ عليا عليه السّلام قال له: و الله ما فعلها إلاّ لأنك رجوت منه ما رجا صاحبكما من صاحبه، دقّ الله بينكما عطر منشم (1) قيل: ففسد بعد ذلك بين عثمان و عبد الرحمن فلم يكلم أحدهما صاحبه حتى مات عبد الرحمن.

و قال الشارح أيضا: لما بنى عثمان قصره طمارد الزوراء و صنع طعاما كثيرا و دعا الناس إليه كان فيهم عبد الرحمن، فلما نظر إلى البناء و الطعام قال: يا بن عفان لقد صدقنا عليك ما كتنا نكذب فيك و إني استعيذ بالله من بيعتك، فغضب عثمان و قال: أخرجه عنى يا غلام، فأخرجوه و أمر الناس أن لا يجالسوه فلم يكن يأتيه أحد إلا ابن عباس كان يأتيه فيتعلم منه القرآن و الفرائض، و مرض عبد الرحمن فعاده عثمان،

ص: ٨٤

١- (١) منشم كمقعد عطر شاق الدق او قرون السنبل سم ساعه و نبت الوجيه العطاره بمكه و كانوا اذا ارادوا القتال و تطيبوا بطيها كثر القتلى فقالوا اشأم من عطر منشم قاموس.

فكلمه و لم يكلمه حتى مات.

أقول: هذا ما رواه الشَّارح المعتزلى فى قضيه الشورى و أتبعه بروايات اخرى لامهم فى إطاله الكلام بذكرها، و إنما المهم الاشاره إلى بعض ما يطعن به على عمر فى هذه القضيه من ابداعه فى الدين و خروجه عن نهج الحق المبين و غير ذلك ممَّا لا يخفى على أهل البصيره و اليقين.

منها مخاطبته القوم و مواجهتهم بمثل تلك الكلمات الكاشفه عن غلظ طبيعته و خشونه مسه و جفوته، و ذلك شاهد صدق على ما ذكره عليه السلام سابقا بقوله: فصيرها فى حوزة خشناء يغلظ كلمها و يخشن مسها اه.

و منها خروجه فى هذا الأمر عن النص و الاختيار جميعا.

و منها حصر الشورى فى سته و ذم كل واحد منهم بأن ذكر فيه طعنا لا يصلح معه الامامه ثم أهله بعد أن طعن فيه.

و منها نسبه الامام عليه السلام إلى الدعايه و المزاحه و هو افتراء عليه و ظلم فى حقه، و مثل ذلك زعم عمرو بن العاص و كذبه عليه السلام فى بعض خطبه الآتية بقوله: عجباً لابن النابغه يزعم أن فى دعايه او أنى امرء تلعبه إلى آخر ما يأتى و هو المختار الثالث و الثمانون.

و منها جعل الأمر إلى سته ثم إلى أربعة ثم إلى واحد وصفه بالضعف و القصور.

و منها ترجيح قول الذين فيهم عبد الرحمن لعلمه بأنه لا يكاد يعدل بالأمر عن ختنه و ابن عمه.

و منها إدخاله عثمان فى الشورى مع دعواه العلم بظهور الفساد و القتل من خلافته و صرف مال الله فى غير أهله كما يدل عليه قوله: و الله لئن فعلوا لتفعلن.

و منها أمره بقتل الثلاثة الذين ليس فيهم عبد الرحمن لو أصروا على المخالفه و من المعلوم أن مخالفته لا يوجب استحقاق القتل و منها أمره بقتل الستة و ضرب أعناقهم إن مضت ثلاثه أيام و لم يتفقوا، و من

الواضح أنّ تكليفهم إذا كان الاجتهاد في اختيار الامام فربّما طال زمان الاجتهاد و ربّما قصر بحسب ما يعرض فيه من العوارض، و كيف يسوغ الأمر بالقتل إذا تجاوزت الثلاثه إلى غير هذه ممّا هي غير خفيّه على أهل البصيره و المعرفه.

الثالث

في ذكر طائفه من الاحتجاجات التي احتجّ بها الامام عليه السلام في مجلس الشورى

و مناشداته معهم و تعديد فضائله و ذكر خصائصه، و هي كثيره روتها الخاصّه و العامه في كتبهم و نحن نقتصر على روايه واحده.

و هو ما رواه الطبرسي في الاحتجاج عن عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر محمّد بن علي الباقر عليه السلام قال: إنّ عمر بن الخطاب لما حضرته الوفاه و أجمع على الشورى بعث إلى ستّه نفر من قريش: إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام و إلى عثمان ابن عفان و إلى زبير بن العوام و إلى طلحه بن عبيد الله و عبد الرحمن بن عوف و سعد ابن أبي وقاص، و أمرهم أن يدخلوا إلى بيت و لا يخرجوا منه حتّى يبايعوا لأحدهم فان اجتمع أربعة على واحد و أبي واحد أن يبايعهم قتل، و إن امتنع اثنان و بايع ثلثه قتلًا فاجمع رأيهم على عثمان.

فلما رأى أمير المؤمنين عليه السلام ما همّ القوم به من البيعه لعثمان قام فيهم ليأخذ عليهم الحجه، فقال عليه السلام لهم: اسمعوا منّي فان يك ما أقول حقا فاقبلوا، و إن يك باطلا فانكروه ثمّ قال عليه السلام: انشدكم «نشدتكم خ» بالله الذي يعلم صدقكم إن صدقتم و يعلم كذبكم إن كذبتم هل فيكم أحد صلّى القبلتين كليهما غير؟ قالوا: لا، قال:

نشدتكم بالله هل فيكم من بايع البيعتين كليهما بيعه الفتح و بيعه الرضوان غيري؟ قالوا: لا، قال نشدتكم بالله هل فيكم أحد أخوه المزيّن بالجناحين «يطير بهما في الجنه خ» غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد عمّه سيّد الشهداء غيري؟ قالوا لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد زوجته سيده نساء أهل الجنه غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد ابناه ابنا رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و هما سيّد اشباب.

أهل الجنة غيري؟ قالوا: لا، قال: فانشدكم بالله هل فيكم أحد عرف الناس من المنسوخ في القرآن غيري؟ قالوا: لا.

قال: فانشدكم بالله هل فيكم أحد أذهب الله عنه الرجس و طهره تطهيرا غيري؟ قالوا: لا، قال: فانشدكم بالله هل فيكم أحد عاين جبرئيل في مثال دحية الكلبي غيري؟ قالوا: لا، قال: فانشدكم بالله هل فيكم أحد أدى الزكاه و هو راع غيري؟ قالوا: لا، قال فانشدكم بالله هل فيكم أحد مسح رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم عينيه و أعطاه الزايه يوم خيبر فلم يجد حرا و لا بردا غيري؟ قالوا: لا، قال: فانشدكم بالله هل فيكم أحد نصبه رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم يوم غدیر خم بأمر الله فقال: من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم و الا من والاه و عاد من عاداه غيري؟ قالوا: لا، قال: فانشدكم بالله هل فيكم أحد أخو رسول الله في الحضر و رفيقه في السفر غيري؟ قالوا: لا.

قال: فانشدكم بالله هل فيكم أحد بارز عمرو بن عبدود يوم الخندق و قتله غيري؟ قالوا: لا، قال فانشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلوات الله عليه و آله: أنت منى بمنزله هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي غيري؟ قالوا: لا.

قال: فانشدكم بالله هل فيكم أحد سمّاه الله تعالى في عشر آيات من القرآن مؤمنا غيري؟ قالوا: لا، قال: فانشدكم بالله هل فيكم أحد ناول رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم قبضه من التراب فرمى بها في وجوه الكفار فانهزموا غيري؟ قالوا: لا، قال: فانشدكم بالله هل فيكم أحد وقفت الملائكة يوم احد حتى ذهب الناس عنه غيري؟ قالوا:

لا، قال: فانشدكم بالله هل فيكم أحد قضى دين رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم غيري؟ قالوا: لا، قال: فانشدكم بالله هل فيكم أحد اشتاقت الجنة إلى رؤيته غيري؟ قالوا: لا.

قال: فانشدكم بالله هل فيكم أحد شهد وفات رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدكم بالله هل فيكم أحد غسل رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم و كفنه غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدكم بالله هل فيكم أحد ورث سلاح رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم و رايته و خاتمه

غيرى؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد جعل رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم طلاق نساءه بيده غيرى؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد حمله رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم على ظهره حتى كسر الأصنام على باب الكعبة غيرى؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد نودى باسمه يوم بدر من السِّمَاء لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا على غيرى؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد أكل مع رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم من الطائر المشوى الذى اهدى إليه غيرى؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم: أنت صاحب رايتى فى الدنيا و صاحب لوائى فى الآخرة غيرى؟ قالوا: لا، قال: فانشدتكم بالله هل فيكم أحد قدّم بين يدي نجويه صدقه غيرى؟ قالوا: لا، قال فانشدتكم بالله هل فيكم أحد خصف(١) نعل رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم غيرى؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم، أنا أخوك و أنت أختى غيرى؟ قالوا: لا، قال: فانشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم، اللهم ائتنى بأحبّ خلقك «الخلق خ» إلى و أقواهم بالحقّ غيرى؟ قالوا: «اللهم خ» لا قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد استقى مائه دلو بمأه تمر و جاء بالتمر فاطعمه رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم و هو جايح غيرى؟ قالوا: «اللهم خ» لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد سلّم عليه جبرئيل و ميكائيل و إسرافيل فى ثلاثه آلاف من الملائكه «كلّ واحد منهم فى ألف من الملائكه خ» يوم بدر غيرى؟ قالوا: «اللهم خ» لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد غمض عين رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم غيرى؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد كان أوّل داخل على رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم و آخر خارج من عنده غيرى؟ قالوا: لا، قال: فانشدتكم بالله هل فيكم أحد مشى

ص: ٨٨

١- (١) خصف النعل يخصفها خرزها ق.

٢- (٢) هكذا فى النسخه و الظاهر زيادته منه.

مع رسول الله فمرّ على حديقته فقال «فقلت خ» ما أحسن هذه الحديقته، فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم و حديقتك في الجنة أحسن من هذه الحديقته حتى إذا مرّ «مررت خ» على ثلاثه حدائق كل ذلك يقول رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم حديقتك في الجنة أحسن من هذه غيرى؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم: أنت أول من آمن بي و أول من يضافحني يوم القيامة غيرى؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد أخذ رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم بيده و يد امرأته و ابنه حين أراد أن يباهل نصارى و نجران غيرى؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم: أول طالع يطلع عليكم من هذا الباب يا أنس فإنه أمير المؤمنين و سيّد المسلمين و خير الوصيين و أولى الناس بالناس فقال أنس: اللهم اجعله رجلا من الأنصار فكنت أنا الطالع فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم لأنس: ما أنت بأول رجل أحبّ قومه غيرى؟ قالوا: لا، قال:

نشدتكم بالله هل فيكم أحد نزلت فيه هذه الآية:

«إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ».

غيرى؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد أنزل الله فيه و فى ولده:

«إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا».

إلى آخر السورة غيرى؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد أنزل الله فيه:

«أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَ عِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ» غيرى؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد علمه رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم ألف كلمة كل كلمة مفتاح ألف كلمة غيرى؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحدنا جاء رسول الله يوم الطائف فقال أبو بكر و عمر: ناجيت عليا دوننا، فقال لهم رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم: ما انا ناجيته بل الله أمرني بذلك غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد سقاه رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم من المهراس (1) غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله: أنت أقرب الخلق مني يوم القيامة يدخل بشفاعتك الجنة أكثر من عدد ربيعه و مضر غيري؟ قالوا: لا، قال:

نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم: أنت تكسى حين اكسى غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم: أنت و شيعتك هم الفائزون يوم القيامة غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم: كذب من زعم أنه يجني و يبغض هذا غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم: من أحب شعراتي «هذه خ» فقد أحبني و من أحبني فقد أحب الله، فليل له: و ما شعراتك يا رسول الله؟ قال:

علي و الحسن و الحسين و فاطمه غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم: أنت خير البشر بعد النبيين غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم: أنت الفاروق تفرق بين الحق و الباطل غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم: أنت أفضل الخلايق عملا يوم القيامة بعد النبيين غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد أخذ رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم عليه و آله كساءه عليه و آله و سلم و علي زوجته و علي ابنه ثم قال: اللهم أنا و أهل بيتي إليك لا إلى النار غيري؟ قالوا:

لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد كان يبعث إلى رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم الطعام و هو في

ص: ٩٠

١- (١) المهراس حجر منقور يدق فيه و يتوضأ منه، ق (١ مكرر) المهراس صخره منقوره تسع كثيرا من الماء و قد يعمل منه حياض للماء نهايه.

الغار و يخبره بالأخبار غيرى؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم: لا سر لله دونك غيرى؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم: أنت أختى و وزيرى و صاحبى من أهلى غيرى؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم:

أنت أقدمهم سلماً(١) و أفضلهم علماً و أكثرهم حلماً غيرى؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قتل مرحباً اليهودى مبارزه فارس اليهود غيرى؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد عرض عليه رسول الله صَلَّى الله عليه و آله الاسلام فقال له: أنظرنى حتى ألقى والدى، فقال له رسول الله: يا على فأنها أمانه عندك، فأنها عندك، فقلت: فان كانت أمانه عندى فقد أسلمت غيرى؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد احتمل باب خبير حين فتحها فمشى به مائة ذراع ثم عالجه بعده أربعون رجلاً فلم يطيقونه غيرى؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد(٢) نزلت فيه هذه الآية:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ.»

فكنت أنا الذى قدّم الصدقه غيرى؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم: من سب علياً فقد سبني و من سبني فقد سب الله غيرى؟ قالوا:

لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم: منزلى مواجه منزلك فى الجته غيرى؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم: قاتل الله من قاتلك

ص: ٩١

١- (١) السلم بفتح السين و كسرهما و هما لغه الصلح و السلم بفتح السين و اللام الاستسلام و الانقياد كقوله تعالى القوا اليكم السلم، نهايه.

٢- (٢) هكذا فى النسخه و الظاهر انه غلط، منه مكرر - الظاهر ان قبل نزلت لما ساقطه من النسخه، منه.

و عادى الله من عاداك غيرى؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد اضطلع على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم حين أراد أن يسير إلى المدينة و وقاه بنفسه من المشركين حين أراد و اقتله غيرى؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم: أنت يوم القيامة عن يمين العرش و الله يكسوك ثوبين أحدهما أخضروا الآخر و ردى غيرى؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد صلى قبل الناس «مع رسول الله خ» بسبع سنين و أشهر غيرى؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم:

أنا يوم القيامة آخذ بحجزه ربي و الحجزه الثور و أنت آخذ بحجزتي (١) و أهل بيتي آخذون بحجزتك غيرى؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم: أنت كنفسى و حبك حبى و بغضك بغضى غيرى؟ قالوا: لا، قال نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم: ولايتك كولايتى عهد عهده إلى ربي و أمرنى أن ابلغكموه غيرى؟ قالوا:

لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم: اللهم اجعله لى عوننا و عضدا و ناصرا غيرى؟ قالوا لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم: المال يعسوب الظلمه و أنت يعسوب (٢) المؤمنين غيرى؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم لأبعثن اليكم رجلا امتحن الله قلبه للايمان غيرى؟ قالوا: لا، قال:

نشدتكم بالله هل فيكم أحد أطعمه رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم رمانه و قال: هذه من رمان الجنة لا ينبغي أن يأكل منه إلا نبى أو وصى نبى غيرى؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم ما سألت ربي شيئا إلا

ص: ٩٢

١- (١) بالحاء المهمله و الجيم و الزاء حجزه الازار معقده و حجزه السراويل مجمع شده و الجمع حجز مثل غرفه و غرف نهايه.

٢- (٢) يعسوب امير النحل و منه قيل للسيد يعسوب قومه، ص.

أعطانيه و لم أسأل ربّي شيئاً إلاّ سألت لك مثله غيرى؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم باللّٰه هل فيكم أحد قال له رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله و سلم: أنت أقومهم بأمر اللّٰه و أوفاهم بعهد اللّٰه و اعلمهم بالقضيّه و أقسمهم بالسّويه و أعظمهم عند اللّٰه مزيه غيرى؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم باللّٰه هل فيكم أحد قال له رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله و سلم: فضلك على هذه الامه كفضل الشّمس على القمر و كفضل القمر على النّجوم غيرى؟ قالوا: لا، قال:

نشدتكم باللّٰه هل فيكم أحد قال له رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله و سلم: يدخل اللّٰه وليك الجنّه و عدوك النّار غيرى؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم باللّٰه هل فيكم أحد قال له رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله و سلم:

النّاس من أشجار شتى و أنا و أنت من شجره واحده غيرى؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم باللّٰه هل فيكم أحد قال له رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله و سلم: أنا سيد ولد آدم و أنت سيد العرب «و العجم خ» و لا فخر غيرى: قالوا: لا، قال: نشدتكم باللّٰه هل فيكم أحد رضى اللّٰه عنه فى الآيتين من القرآن غيرى؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم باللّٰه هل فيكم أحد قال له رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله و سلم: موعدك و موعدى و موعد شيعتك الحوض إذا خافت الامم و وضعت الموازين غيرى؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم باللّٰه هل فيكم أحد قال له رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله و سلم: اللهم إني احبّه فأحبّه اللهم إني أستودعك غيرى؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم باللّٰه هل فيكم أحد قال له رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله و سلم: أنت تحاج النّاس فتحجهم باقام الصّلاه و ايتاء الزّكاه و الأمر بالمعروف و النّهى عن المنكر و إقامة الحدود و القسم بالسّويه غيرى؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم باللّٰه هل فيكم أحد أخذ رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله و سلم بيده يوم بدر (١) «غدير خ» فرفعها حتّى نظر النّاس إلى بياض ابطينه و هو يقول: ألا إنّ هذا علىّ بن أبى طالب أخى و ابن عمّى و وزيرى فوازروه و ناصحوه و صدّقوه فهو وليكم غيرى؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم باللّٰه هل فيكم أحد نزلت فيه هذه الآيه:

«و يُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَ مَنْ يُوقِ شُحَّ»

ص: ٩٣

«نَفْسِهِ فَأَوْلِيكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ».

غيرى؟ قالوا: لا، قال: فهل فيكم أحد كان جبرئيل أحد ضيفانه غيرى؟ قالوا: لا، قال: فهل فيكم أحد أعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله حنوطاً من حنوط الجنة ثم قال: اقسمه أثلاثاً ثلاثاً لي تحنطني به وثلثاً لابنتي وثلثاً لك غيرى؟ قالوا: لا.

قال: فهل فيكم أحد كان إذا ادخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حياً و أدناه و رحب به و تهلل له وجهه غيرى؟ قالوا: لا، قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنا أفتخر بك يوم القيامة إذا افتخرت الأنبياء بأوصيائها غيرى؟ قالوا: لا.

قال: فهل فيكم أحد سرحه (١) رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسوره برائه إلى المشركين من أهل مكة بأمر الله غيرى؟ قالوا: لا، قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

إني لأرحمك من ضغائن في صدور أقوام عليك لا يظهرونها حتى يفقدونني فاذا فقدوني خالفوا فيها غيرى؟ قالوا: لا.

قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اذى الله (٢) عن أمانتك أذى الله عن ذمتك غيرى؟ قالوا: لا قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنت قسيم النار تخرج منها من زكى و تذر فيها كل كافر غيرى؟ قالوا: لا.

قال: فهل فيكم أحد فتح حصن خبير و شبي بنت مرحب فأدأها إلى رسول الله غيرى؟ قالوا: لا، قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ترد على الحوض أنت و شيعتك رواء مرويين مبيضه و جوههم و يرد على عدوك ظمأ مظمين مقمحين (٣) مسودّه و جوههم غيرى؟ قالوا: لا.

ثم قال لهم أمير المؤمنين عليه السلام: أما إذا أقررتم على أنفسكم و استبان لكم ذلك

ص: ٩٤

١- (١) سرحت فلانا الى موضع كذا ارسلته، ص.

٢- (٢) قال تعالى ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها، منه.

٣- (٣) فى حديث على «عليه السلام» قال له النبى «صلى الله عليه وآله» ستقدم على الله انت و شيعتك راضين و مرضيين و يقدم عليك عدوك غضابا مقمحين ثم جمع يده الى عنقه يراهم كيف الاقماح الاقماح رفع الراس و غض البصر يقال اقمحه الغل اذا ترك راسه مرفوعاً من سيفه و منه قوله تعالى «إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالاً فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ» نهايه.

من قول نبیِّکم فعلیکم بتقوی الله وحده لا- شریک له، و أنهاکم من سخطه و غضبه و لا تعصوا أمره، و ردّوا الحقّ إلی أهله و اتّبعوا سنّه نبیِّکم فانکم إن خالفتم خالفتم الله، فادفعوها إلی من هو أهله و هی له، قال: فتغامزوا فیما بینهم و تشاوروا و قالوا: قد عرفنا فضله و علمنا أنّه أحقّ النَّاس بها، و لکنّه رجل لا یفضل أحدا علی أحد، فان ولیموها إیّاه جعلکم و جمیع النَّاس فیها شرعا سواء، و لکن ولوها عثمان فأنّه یهوی الذی تهوون فدفعوها إلیه.

الترجمه

تا هنگامی که در گذشت عمر براه خود و جان بمالکان دوزخ سپرد گردانید خلافت را در شش نفر گمان نمود که من یکی از ایشانم، پس خداوند بفریاد من برس از برای شوری، چگونه شک عارض شد بمردم در شأن من با اول ایشان که ابو بکر بود تا این که گشتم مقرون به امثال این اشخاص، و لکن بجهت اقتضاء مصلحت مدارا کردم من با ایشان و نزدیک شدم بزمین در طیران هنگامی که ایشان نزدیک شدند، و طیران کردم وقتی که ایشان طیران کردند، پس میل کرد یکی از ایشان از من بجهت حقد و حسد که آن سعد وقاص بود یا طلحه، و میل کرد دیگری از آن ها بسوی قرابت زن خود و آن عبد الرحمن بن عوف بود که میل نمود بعثمان بجهت آنکه برادر زن او بود، و تنها میل آن بسوی او بجهت مصاهرت و قرابت نبود بلکه با شیء قبیح و شیء قبیح که آن بغض و عداوت امیر المؤمنین علیه السّلام بود، یا طمع در وصول خلافت باو بعد از انقضاء ایام عثمان یا سایر اغراض نفسانیه که اظهار آن قبیح و ذکر آن مستهجن است.

الفصل الرابع

اشاره

إلی أن قام ثالث القوم نافجا حَضْنیه بین نثیله و معتلفه، و قام معه بنو أبیه یخضمون مال الله تعالی خضم الإبل نبتة الرّبیع، إلی أن انتکث

عليه فتله، و أجهز عليه عمله، و كبت به بطنته.

اللغه

(التفج) بالجيم الرّفيع يقال نفج الثدى الثوب أى رفعه و(الحضن)الجنب و ما بين الابط و الكشح يقال للمتكبر جاء نافجا حضنيه و لمن امتلاء بطنه من الأكل جاء نافجا حضنيه، و الأنسب فى المقام الثانى تشبيها بالبعير المنتفج الجنين من كثره الأكل و (الثيل) الروث و فى روايه الصّيدوق بين ثيله «كذا» و هو بالكسر وعاء القضيبي أو نفسه و (المعتلف) موضع الاعتلاف و هو أكل الدّابه العلف و (الخضم) الأكل بجميع الفم و يقابله القضم و هو الأكل باطراف الأسنان، يقال خضم الشّىء كعلم و ضرب أكله يجمع فمه، و عن التّهايه الخضم الأكل بأقصى الأضراس، و القضم بأدناها.

و منه حديث أبى ذر (ره) و تأكلون خضما و نأكل قضما، و قيل: الخضم خاص بالشّىء الرّطب، و القضم باليابس و (النّبتة) بكسر النّون التّبات يقال:

نبت الرّطب نباتا و أنبته و (النكث) التّقض يقال: نكث فلان العهد و الحبل فانتكث نفضه فانتقض و (فتل) الحبل لواه و برمه و (الاجهاز) إتمام قتل الجريح و إسراعه و (كبا) الفرس يكبو سقط على وجهه و كبابه أسقطه و (البطنه) بالكسر الكظه و هو الامتلاء من الطعام و الاسراف فى الأكل.

الاعراب

بين نثيله و معتلفه متعلّق بquam أى قام بين روثه و معتلف، و جملة يخضمون منصوب المحلّ على الحالیه.

المعنى

لما ذكر عليه السّلام خلافة الثانى و تبه على جعله الخلافة شورى بين السّيّته و أشار الى عدول بعض هؤلاء عن منهج الصّواب، أنبعه بما ترتّب على ذلك و هو خلافة الثالث بقوله:(إلى أن قام ثالث القوم) و المراد بالقيام الحركة فى تولى أمر الخلافة،

و ثالث القوم هو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن اميّه بن عبد شمس بن عبد مناف، و كان أبوه عفان ممّن يضرب بالدّف و يتخنّث به و يلعب، رواه العلامة فى كشف الحقّ و مؤلف كتاب إلزام التّواصب عن هشام بن محمّد بن السائب الكلبيّ هذا.

و أثبت عليه السيّد لام له حالا- يستلزم تشبيهه بالبعير و استعار له صفته بقوله:(نافجا حضيئه)أى نافجا جنبيه و رافعا ما بين إبطه و كشحه من كثره الأكل و الشّرب كالبعير المنتفج الجنين (بين نثيله و معتلفه) أى قام بالأمر و كان حركته بين روثة و معتلفه يعنى لم يكن همّه إلاّ- الأكل و الرّجيع كالبهائم التى لا اهتمام لها إلاّ بالأكل و الرّوث قال الشّارح المعتزلى: و هذا من أمّص الدّم و أشدّ من قول الحطيه الذى قيل إنّه أهجى بيت للعرب:

دع المكارم لا ترحل لبغيّتها و اقعّد فانّك انت الطاعم الكاسى

هذا و المعنى على روايه الصّيدوق أنّ قيامه كان بين منكحه و مطعمه و بالجمله فالمقصود أنّ همّه لم يكن إلاّ بطنه و فرجه و التّرفه بالمال و اصلاح مصالحي نفسه و إعمال دواعى خاطره من دون أن يكون له قيام بمصالح المسلمين و توجّه إلى إصلاح امور الخلافه و مراعاة لوازم الولاية (و قام معه بنو أبيه) أراد بهم بنى اميّه فانّهم قاموا معه حالكونهم (يخضمون مال الله) و يأكلونه بأقصى أضرارهم.

و هو كناية عن كثره توسّعهم بمال المسلمين و شدّه أكلهم من بيت المال من غير مبالاه لهم فيه (كخضم الابل) و أكلها بجميع فمها(نبتة الرّبيع) و نباته، و وجه الشّبه أنّ الابل لمّا كانت تستلذّ نبت الرّبيع بشهوه صادقه و تملأ منه أحناكها و ذلك لمجيئته عقيب يبس الأرض و طول مدّه الشّتاء، كان ما أكله أقارب عثمان من بيت المال مشبها بذلك، لاستلذاذهم به و انتفاعهم منه بعد طول فقرهم، و امتداد ضرّهم، و ذلك الكلام منه عليه السيّد لام خارج معرض التّوبيخ و الدّم إشارة إلى ارتكابه معهم مناهى الله المستلزم لعدم قابليّته للخلافه و استعداده للامامه.

قال الشَّارح المعتزلي: و صحَّت فيه فراسه عمر فأنه أوطأ بنى اميّه رقاب النَّياس و ولاهم الولايات و أقطعهم القطايح و افتتحت ارميتيه فى أيامه فأخذ الخمس كَّله فوهبه لمروان، و طلب إليه عبد الله بن خالد بن اسيد صله فأعطاه أربعمائهُ ألف درهم، و أعاد الحكم بن أبى العاص بعد ان رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلَّم قد سيَّره ثم لم يردهُ أبو بكر و لا- عمر و أعطاه مائهُ ألف درهم، و تصدق رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلَّم بموضع سوق بالمدينه يعرف بمهروز على المسلمين فأقطعها عثمان الحرث بن الحكم أخا مروان ابن حكم، و أقطع مروان فدك و قد كانت فاطمه عليها السلام طلبتها بعد وفات أبيها صلوات الله عليه تاره بالميراث و تاره بالنحلّه فدفعت عنها، و حمى المراعى حول المدينه كلها عن مواشى المسلمين كلَّهم إلا عن بنى اميّه.

و أعطى عبد الله بن ابى سرح جميع ما أفاء الله عليه من فتح افريقيّه بالمغرب و هى من طرابلس الغرب إلى طنجه من غير أن يشركه فيه أحد من المسلمين.

و أعطى أبا سفيان بن حرب مائتي ألف من بيت المال فى اليوم الذى أمر فيه لمروان بن الحكم بمأه ألف من بيت المال، و قد كان زوجه ابنته امّ أبان فجاء زيد بن أرقم صاحب بيت المال بالمفاتيح فوضعها بين يدي عثمان و بكى، فقال عثمان:

أ تبكى ان وصلت رحمى؟ قال: لا، و لكن أبكى لأنى أظنك أخذت هذا المال عوضا عمّا كنت أنفقته فى سبيل الله فى حياه رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلَّم و الله لو اعطيت مروان مائهُ درهم لكان كثيرا فقال: ألق المفاتيح فانا سنجد غيرك، و أتاه أبو موسى بأموال من العراق جليله فقسّمها كلَّها فى بنى اميّه، و أنكح الحرث بن الحكم ابنته عايشه فأعطاه مائهُ ألف من بيت المال أيضا بعد صرفه زيد بن أرقم عن خزنه انتهى.

و قال السيد المرتضى (قده) فى محكى الشّافى: روى الواقدى باسناده عن المسود بن عنبسه قال: سمعت عثمان يقول: إنّ أبا بكر و عمر كانينا و لان فى هذا المال طلاق انفسهما و ذوى ارحامهما و إنى ناولت فيه صله رحمى، و روى إنّه كان بحضرته زياد بن عبيد مولى الحرث بن كلده الثَّقفى و قد بعث إليه ابو موسى بمال عظيم من البصره فجعل عثمان يقسمه بين ولده و اهله بالصّحاف، فبكى زياد فقال: لا تبك

فان عمر كان يمنع اهله و ذوى قرابته ابتغاء وجه الله، و انا اعطى ولدى و أهلى و قرابتى ابتغاء وجه الله.

و قد روى هذا المعنى عنه من عدّه طرق بألفاظ مختلفه، و روى الواقدى أيضا قال قدمت إبل من إبل الصدقه على عثمان فوهبها للحرف بن الحكم بن أبى العاص، و روى أيضا أنّه ولى الحكم بن ابى العاص صدقات قضاعه فبلغت ثلاثمائه ألف فوهبها له حين أتاه بها.

و روى أبو مخنف و الواقدى أنّ النّاس أنكروا على عثمان اعطاه سعد بن العاص مائة ألف و كلّمه على عليه السّلام و الزّبير و طلحه و سعد و عبد الرّحمن فى ذلك فقال: إنّ له قرابه و رحما، قالوا: و ما كان لأبى بكر و عمر قرابه و ذو رحم؟ فقال: إنّ أبى بكر و عمر كانا يحتسبان فى منع قرابتهما و أنا احتسب فى اعطاء قرابتى، قالوا فهديهما و الله احبّ الينا من هديك.

و روى ابو مخنف إنّ عبد الله بن خالد بن اسيد بن ابى العاص بن أمّيه قدم على عثمان من مكّه و معه ناس فأمر لعبد الله بثلاثمائه الف و لكلّ واحد من القوم بمائة الف و صك بذلك على عبد الله بن الأرقم و كان خازن بيت المال فاستكثره و رد الصّيك به، و يقال: إنّّه سأل عثمان ان يكتب عليه بذلك كتابا فأبى و امتنع ابن الأرقم ان يدفع المال إلى القوم، فقال له عثمان: إنّما انت خازن لنا فما حملك على ما فعلت؟ فقال ابن الأرقم: كنت ارانى خازن المسلمين و إنّما خازنك غلامك و الله لا آل لك بيت المال أبدا، و جاء بالمفاتيح فعلقها على المنبر و يقال بل القاها إلى عثمان فدفعها إلى نائل مولاه.

و روى الواقدى أنّ عثمان، أمر زيد بن ثابت أن يحمل من بيت مال المسلمين إلى عبد الله بن الأرقم فى عقيب هذا الفعل ثلاثمائه ألف درهم، فلما دخل بها عليه قال له: يا أبى محمّد إنّ أمير المؤمنين أرسل إليك يقول قد شغلناك عن التّجاره و لك رحم أهل حاجه ففرّق هذا المال فيهم و استعن به على عيالك، فقال عبد الله بن الأرقم مالى إليه حاجه و ما عملت لأنّ يثيبنى عثمان و الله إن كان هذا من بيت مال المسلمين ما بلغ قدر عملى أن اعطى ثلاثمائه ألف، و لئن كان مال عثمان فما لى إليه حاجه.

و الحاصل أنه قد كان يصرف مال الله على نفسه و على أقاربه و أصحابه، و كان مستمرًا فى إتلاف بيت المال المسلمين مستبدا برأيه فى ذلك.

و انضم إليه أمور أخرى من تسيير أبى ذر إلى ربه، و ضرب عبد الله بن مسعود حتى كسر أضلاعه، و ما أظهر من الحجاب، و العدول عن جادّه الشريعة فى إقامة الحدود و ردّ المظالم و كفّ الأيدى العاديه و الانتصاب لسياسه الرعيه.

(إلى أن) ضاق له المخرج و عمى المصدر و انجز الأمر إلى اجتماع أهل المدينة عليه مع جماعه من أهل مصر (فانتكث) أى انتقض (عليه فتله) أى برم حبله و هو كناية عن انتقاض تدابير المبرمه و رجوعها إليه بالفساد و تأديتها إلى الهلاك (و اجهز عليه) أى أسرع إليه بالقتل بعد كونه مجروحا (عمله) أى أعماله الشنيعة و أفعاله القبيحة التى صارت سببا لقتله ففى الاسناد توسّع (و كبت به) أى أسقطته على وجهه (بطنته) و إسرافه فى الشّعب كالجواد الذى يكبو من كثره الأكل و الامتلاء.

و الكظه، و هذه كلها إشاره إلى تأدى حركاته الشنيعة إلى سوء الخاتمه.

و قد قتل و انتقل إلى الحاميه فى اليوم الثامن عشر من ذى الحجه من سنه خمس و ثلاثين من الهجره، و ذلك بعد ما غضب الخلافه اثنتى عشره سنه إلا اثنى عشر يوما، و قيل إحدى عشره سنه و أحد عشر شهرا و أربعة عشر يوما، و قيل ثمانيه عشر يوما، و قد كان بعد قتله مطروحا فى خندق اليهود إلى ثلاثه أيام لا يستحلّ أحد دفنه و لا يقدم أحد على ذلك خوفا من المهاجرين و الأنصار حتى نهبه بنو اميّه و دفنوه، و قيل:

كان مطروحا فى مزبله اليهود ثلاثه أيام حتى أكلت الكلاب، إحدى رجلية فاستأذنوا عليا عليه السّلام فأذن فى دفنه و دفن فى حش كوكب و هى مقبره كانت لليهود بالمدينه، فلمّا ولى معاويه وصلها بمقابر أهل الاسلام و يأتى تفصيل الكلام فى كيفيه قتله فى شرح الكلام الثلاثين إنشاء الله هذا.

و العجب أنّ الشّارح المعتزلى بعد ذكره ما حكيناه عنه سابقا فى ذيل قوله عليه السّلام: يخضمونه مال الله اه، قال: و قد أجاب أصحابنا عن المطاعن فى عثمان بأجوبه

مشهوره فی کتبهم و الذی نقول نحن: إنها و إن كانت احداثا إلا أنها لم تبلغ المبلغ الذی يستباح به دمه و قد كان الواجب علیهم أن یخلعوه من الخلافه حیث لم یستصلحوه لها و لا یعجلوا بقتله.

أقول: و هذا الکلام منه صریح فی عدم قابلیته للخلافه و مع ذلك لا یکاد ینقضی عجبی منه کیف یجعله ثالث الخلفاء و یعتقد بخلافته؟ و ما ذلك إلا من أجل أنهم «ألفوا آبائهم ضالین فهم علی آثارهم یهرعون»

الترجمه

تا آنکه ایستاد و متولی خلافت گردید سوم قوم که عثمان بن عفان علیه النیران بود در حالتی که باد کننده بود هر دو جانب خود را از کثرت کبر و غرور یا از زیادتی اکل و شرب، ایستاد او در میان سرگین یا در میان ذکر خود و موضع علف آن، یعنی همت او مصروف بخوردن و آشامیدن و سرگین انداختن بود مثل بهائم، و ایستادند با او فرزندان پدر او یعنی بنی امیه در حالتی که می خوردند با جمیع دهان خودشان مال خدا را با لذت و رفاهیت مثل خوردن شتر بهمه دهان خود علف بهار را، و مستمر بودند بر این حالت تا این که باز شد تاب ریسمان تاییده او و بکشتن شتاب نمود بعد از جراحت بسیار کردار ناپسندیده او و برویش افکند کثرت اکل و شدت امتلاء او.

الفصل الخامس

اشاره

فما راعنی إلا و الناس إلیّ کعرف الضّبع ینثالون علیّ حتی لقد وطىء الحسنان، و شقّ عطفای مجتمعین حولی کر بیضه الغنم، فلما نهضت بالأمر نکث طائفه، و مرقت أخرى، و فسق آخرون، کأنهم لم یسمعوا الله تعالی یقول: «تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» بلی و الله لقد سمعوا

و وعوها، و لكنّه «لكنّهم خ» حليت الدنيا في أعينهم و راقهم زبرجها.

اللغة

(راعنى) الشىء روعا من باب قال أفزعى و روعنى مثله و راعنى جماله أعجبنى، و فى شرح المقامات عن الأزهرى ما راعنى إلا مجيئك اى ما شعرت إلا- بمجيئك كأنه قال: ما أصاب روعى إلا لذلك، و هذا كلام يستعمل فى مفاجاه الأمر ألا ترى أنه يعاقب إذا المفاجاه تقول: خرجنا فاذا زيد بالباب و خرجت فما راعنى إلا فلان بالباب و (عرف) الدابة شعر عنقها و عرف الضبع يضرب به المثل فى الازدحام و (الثول) صب ما فى الاناء و انثال انصب و انثال عليه القول تتابع و كثر فلم يدر بأية يبدء.

و قال المطرزي فى شرح المقامات للحريرى: الانثيال الاجتماع و الانصباب انفعال من الثول و هو جماعه النحل و من قولهم: ثويله من الناس، أى جماعه من بيوت متفرقه يقال: منه انثالوا عليه و ثولوا أى اجتمعوا و انثال التراب انصب و منه انثال عليه الناس من كل وجه أى انصبوا انتهى، و (عطف) الشىء جانبه و العطفان الجانبان.

و فى بعض النسخ و شق عطا فى و هو بالكسر الرداء و هو أنسب و (الرّيبض و الرّيبضه) الغنم برعاتها المجتمعه فى مرابضها(1) و (التكث) التقض و (المروق) الخروج يقال مرق السّهم من الرميّه موقا من باب قعد خرج منه من غير مدخله و منه قيل: مرق من الدّين أيضا إذا خرج منه و (فسق) الرّجل فجر و فى بعض النسخ قسط و هو من باب ضرب جار و عدل من الاضداد و المراد به هنا الأوّل و (وعى) الحديث و عيا من باب وعد حفظه و (حلى) الشىء يعينى و بصدرى يحلى من باب تعب حسن عندى و أعجبنى و (راقنى) الشىء أعجبنى و (الرّبرج) الرّينه و الذهب.

ص: ١٠٢

١- (١) المريض وزان مجلس الغنم مأويها ليلا مصباح.

فاعل راعنى محذوف مدلول عليه بالفعل، و جملة و الناس إلى حاليه مبينه لهيئه المفعول و مفسره للمستنى المحذوف، و إلى متعلق بمحذوف تقديره و الناس رسل إلى و قد صرح به فى روايه الاحتجاج، و كون الجملة مفسره للمحذوف نظير قوله تعالى:

«ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِ لَيْسُجُنَّهٗ حَتَّىٰ حِينٍ».

قال الزمخشري فى الكشاف: فاعل بدا مضمير لدلاله ما يفسره عليه و هو ليسجنته و المعنى بدا لهم بدء أى ظهر لهم رأى ليسجنته اه، و تقدير كلام الامام عليه السّلام على ما ذكرنا: ما راعنى رايح إلا حاله أعنى كون الناس رسلا إلى و الرّسل بفتحتين القطيع من الابل و الجمع أرسال مثل سبب و أسبابا و يشبه به الناس فيقال: جاءوا أرسالا أى جماعات متتابعين، و جملة ينثالون إمّا خبر بعد خبر للناس، أو حال بعد حال و مجتمعين حال من فاعل ينثالون.

المعنى

اعلم أنّه عليه السّلام لما ذكر خلافه المتخلفين الثلاثة و بين حال أيام خلافتهم و أشار إلى ما ابتلى به الناس فى تلك الأيام، شرع فى بيان كيفيه انتقال الأمر إليه عليه السّلام ظاهرا كما كان له باطنا و كان ذلك فى شهر ذى الحجه يوم الجمعة بعد ما مضى من الهجره خمس و ثلاثون سنه فقال عليه السّلام (فما راعنى) رايح (إلا) حاله (و) هو كون (الناس) متتابعين (إلى) متزاحمين (كعرف الضبع ينثالون على) يتتابعون و يكثرون القول (من كلّ جانب حتى لقد وطىء الحسنان) الحسن و الحسين صلوات الله عليهما من شدّه الازدحام.

و عن المرتضى (قده) أنّ أبا عمر محمّد بن عبد الواحد غلام ثعلب روى فى قوله عليه السّلام و طىء الحسنان أنّهما الابهامان و انشد للشنفر مهضومه (1) الكشحيين خرماء

ص: ١٠٣

١- (١) الهضم محرکه خمص البطن و لطف الكشح و قله انجفار الجنيين، ق.

الحسن «كذا» و روى أن أمير المؤمنين عليه السّلام إنّما كان يومئذ جالسا محتبيا و هى جلسه رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم المسّمّاه بالقر فضاء و هى جمع الرّكبتين و جمع الدّيل، فلما اجتمعوا لبياعوه زاحموه حتّى وطئوا ابهاميه و شقّوا ذيله بالوطى و لم يعن الحسن و الحسين عليهما السّلام و هما رجلان كساير الحاضرين.

و كيف كان فالمقصود بهذه الجملة الاشاره إلى كثره تراحم النّاس عليه السّلام و قد أكده ثانيا بقوله: (و شقّ عطفای) أراد بشقّ عطفیه خدش جانبه لشدّه الاصلطكاك منهم و الزّحام، أو شقّ جانبى قميصه بعلاقه المجاوره، أو جانبى ردائه، و يؤيّدّه الزّوايه الاخرى أعنى شقّ عطا فى كما فى بعض النسخ هذا.

و شقّهم عطفیه عليه السّلام أو عطافه إمّا لكثره فرحهم به عليه السّلام، أو جريا على ما هو عادتهم من قله مراعاة شرايط التّوقير و الأدب فى المعاشرات و المخاطبات (مجتمعين حولى كريبضه الغنم) المجتمعه فى مرابضها (فلما نهضت بالأمر) و قمت به بعد مضى السنّين المتطاوله (نكثت طايفه) و نقضت بيعتها، و المراد بها أصحاب الجمل و قد كان عليه السّلام يتلو وقت مبايعتهم: «فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ».

(و مرقت) طايفه (اخرى) أى خرجت من الدّين كمروق السّيهم من الرّميه، و المراد بها أصحاب النهروان (و فسق آخرون) بخروجهم على الامام العادل و تعدّيهم عن سنن الحقّ، و هم معاويه و أتباعهم، و فى بعض النسخ و قسط آخرون أى جاروا فى حقّ أمير المؤمنين و ظلموا آل محمّد عليهم السّلام حقّهم، و تسميتهم بالقاسطين كتسميه الأوليين بالنّاكثين و المارقين ممّا سبقت من النّبى صلّى الله عليه وآله و سلّم عند إخباره عليه السّلام بالملاحم و الوقايع التى تكون بعده صلوات الله عليه.

روى فى غايه المرام من أمالى الشّيخ باسناده عن المفضل بن عمر بن أبى عبد الله الصّادق عن أبيه عن جدّه عليهم السّلام قال: بلغ امّ سلمه زوج النّبى صلّى الله عليه وآله و سلّم أنّ مولى لها ينتقض عليّا عليه السّلام و يتناوله، فأرسلت إليه فلما صار إليها قالت له:

يا بنى بلغنى أنك تنقص عليا و تناوله؟ قال: نعم يا أمّاه، قالت له: اقعد ثكلتك امّك حتى أحدّثك بحديث سمعته من رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم، ثم اختر لنفسك.

إنّا كنّا عند رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم ليله تسع نسوه و كانت ليلتى و يومى من رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فأتيت الباب فقلت: أدخل يا رسول الله؟ قال: لا، فكبوت كبوه شديده مخافه أن يكون ردنى من سخطه أو نزل فى شىء من السماء.

ثم البث «كذا» حتى أتيت الباب الثانى فقلت: أدخل يا رسول الله؟ فقال: لا، فكبوت كبوه أشدّ من الاولى ثم البث «كذا» حتى أتيت الباب الثالث فقلت: أدخل يا رسول الله؟ فقال: ادخلى يا أم سلمه فدخلت و علىّ عليه السّلام جالس بين يديه و هو يقول: فداك أبى و أمى يا رسول الله إذا كان كذا و كذا فما تأمرنى؟ قال: أمرك بالصّبر، ثم أعاد عليه القول ثانيه فأمره بالصّبر، فأعاد عليه القول الثالثه فقال له: يا علىّ يا أخى إذا كان ذلك منهم فسل سيفك وضعه على عاتقك و اضرب قدما قدما حتى تلقانى و سيفك شاهر يقطر من دمائهم.

ثم التفت صلّى الله عليه و آله و سلّم إلىّ فقال لىّ تالله ما هذه الكبأه يا أم سلمه؟ قلت: الذى كان من ردك إياى يا رسول الله، فقال لىّ: و الله ما رددتك من وجوده و إنك لعلى خير من الله و رسوله، و لكن أتيتنى و جبرائيل يخبرنى بالأحداث التى تكون بعدى فأمرنى أن اوصى بذلك عليا.

يا أم سلمه اسمعى و اشهدى هذا علىّ بن أبى طالب أخى فى الدّنيا و أخى فى الآخرة.

يا أم سلمه اسمعى و اشهدى هذا علىّ بن أبى طالب حامل لوائى فى الدّنيا و حامل لواء الحمد غدا فى القيامة.

يا أم سلمه اسمعى و اشهدى هذا علىّ بن أبى طالب وصيى و خليفتى من بعدى و قاضى عداتى و الذّائد عن حوضى.

يا أم سلمه اسمعى و اشهدى هذا علىّ بن أبى طالب سيّد المسلمين و إمام

المتقين و قائد العزّ المحجلين و قاتل النّاكثين و القاسطين و المارقين، قلت:

يا رسول الله من النّاكثون؟ قال: الذين يبايعونه بالمدينه و ينكثون بالبصره، قلت:

من القاسطون؟ قال: معاويه و أصحابه من أهل الشّام، قلت: من المارقون؟ قال:

أصحاب النّهران، فقال مولى امّ سلمه فرّجت عنى فرّج الله عنك و الله لا سببت عليّ أبدا، هذا.

و الأخبار فى هذا المعنى كثيره يأتى فى مواقعها إنشاء الله، ثم أنّه عليه السّلام شدّد النكير على الجماعه فى مخالفتهم له و إعراضهم عنه بقوله: (كانّهم لم يسمعوا الله تعالى يقول: تلك الدّار الآخره نجعلها للذين لا يريدون علوّا فى الأرض و لا فسادا و العاقبه للمتقين) لما كانت الآيه داله على كون استحقاق الآخره معلقا على عدم إرادته العلوّ و الفساد كان اللّازم على من سمعها و تدبر فيها إن كان ذا عقل أن لا- يريد هما، و هؤلاء الجماعه لما علوا فى الأرض و أفسدوا فيها و خالفوا الامام العادل و تركوا متابعتة لا جرم شبّههم بمن لم يسمعها لما ذكرنا من أن لازمه السّماع ترك إرادتهما.

ثمّ دفع توهم الاعتذار عنهم بعدم السّماع لو اعتذر به بقوله: (بلى و الله لقد سمعوها و وعوها) مؤكدا بالقسم و اللّام و كلمه التّحقيق، ثمّ استدرك ذلك بالاشارة إلى سرّ عدم حصول ثمره السّماع بعد حصول نفسه بقوله: (و لكنّهم حليت الدّنيا فى أعينهم و راقهم زبرجها) فكان ذلك هو المانع عن ترتّب ثمره السّماع عليه و الباعث على إعراضهم عن الدّار الآخره و السّبب لاشتراطهم الضّلاله بالهدى و لسعيهم فى الأرض بالعلوّ و الفساد.

و حاصل الكلام أنّ سماع الآيه مقتضى لعدم إرادته العلوّ و الفساد و يترتب عليه مقتضاه لو لم يصادف وجود المانع، و أمّا مع المصادفه له كما فى حقّ هؤلاء الجماعه حيث افتتنوا بالدّنيا و أعجبهم ذهابا و زينتها فيبقى المقتضى على اقتضائه و لا يترتب عليه آثاره هذا.

و الضّمائر الأربعة فى قوله: و لكنّهم، و لم يسمعوا، و سمعوا، و وعوا إمّا،

راجعته إلى الطوائف الثلاث: النباكثين و المارقين و القاسطين و هو الأقرب لفظا و الانسب معنى و الأظهر لمن تدبر، أو إلى الخلفاء الثلاثة على ما استظهره المحدث المجلس (قده) معللا بأن الغرض من الخطبه ذكرهم لا الطوائف، و بأنه المناسب لما بعد الآية لا سيما في سمعها، و وعوها، ضمير الجمع.

بقى الكلام في معنى الآية الشريفة و بعض ما تضمنها من النكات و اللطائف فأقول: المشار إليها في الآية هي الجنة، و الاشارة إلى التعظيم و التفخيم، يعنى تلك التي سمعت بذكرها و بلغك وصفها، و المراد بالعلو في الأرض هو التجبر و التكبر على عباد الله و الاستكبار عن عباده الله، و بالفساد الدعاء إلى عباده غير الله أو أخذ المال و قتل النفس بغير حق أو العمل بالمعاصي.

و روى في مجمع البيان عن راوان(1) عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه كان يمشى في الأسواق وحده و هو دالّ يرشد الضالّ و يعين الضعيف و يمرّ بالبياع و البقال فيفتح عليه القرآن و يقرأ: تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض و لا فسادا، و يقول: نزلت هذه الآية في أهل العدل و التواضع من الولاة و أهل القدره من ساير الناس.

و في غايه المرام عن أبي الحسن الفقيه ابن المغازلي الشافعي في مناقبه باسناده عن زاوان أيضا قال: رأيت عليّا عليه السلام يمسك الشسوع بيده ثم يمرّ في الأسواق فيناول الرجل الشسوع و يرشد الضالّ و يعين الحمّال على الحمله و يقرأ هذه الآية:

تلك الدار الآخرة الآية، ثم يقول: هذه الآية نزلت في الولاة و ذوى القدره من الناس.

و في مجمع البيان عن أبي سلام الأعرج عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إنّ الرجل ليعجبه شراك نعله فيدخل في هذه الآية، و قريب منه ما في الكشاف، قال الطبرسي: يعنى أنّ من تكبر على غيره بلباس يعجبه فهو ممن يريد علوا في الأرض و قيل: إنّ الآية لما كانت بعد قصه قارون و قبل قصه فرعون، كان العلو إشارة

ص: ١٠٧

١- (١) كذا في النسخة في المقامين و الصحيح «زاذان» بالزاء و الذال المعجمتين كان من خواص امير - المؤمنين «عليه السلام» و كان حافظا للقرآن باعرابه و همزه بعد ما تكلم على «عليه السلام» بكلام في اذنه، و تفل في فيه. «المصحح».

إلى كفر فوعون لقوله تعالى:

«عَلَا فِي الْأَرْضِ» و الفساد إلى بغى قارون لقوله: «وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ».

ففى كلام الامام عليه السّلام يحتمل كون الأوّل إشاره إلى الأوّلين و الثّانى إلى الثّالث أو الجميع اليهم جميعا، و على ما استظهرناه فالأظهر كون الأوّل إشاره إلى طلحه و زبير و أتباعهما و معاويه و أصحابه و الثّانى إلى أصحاب النّهروان، و يحتمل الاشاره فيهما إلى جميعهم هذا.

و بقى هنا شىء و هو أنّه سبحانه لم يعلق الموعد فى الآيه الشريفه بترك العلوّ و الفساد لكن بترك إرادتهما و ميل القلوب إليهما كما علق الوعيد بالزّكون فى قوله:

«وَلَا تَزْكُونُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ».

فيدلّ على قبح إرادته السّوء و كونها معصيه و يستفاد ذلك أيضا من قوله سبحانه:

«إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» و قوله: «إِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ».

و هو المستفاد من الأخبار المستفيضه مثل قوله صلّى الله عليه و آله و سلّم: إنّما يحشر النّاس على نيّاتهم، و قوله صلّى الله عليه و آله: و سلّم: نيه الكافر شرّ من عمله، و ما ورد من تعليق خلود أهل النّار فيها و أهل الجنّه فى الجنّه بعزم كلّ منهما على الثّبات على ما كانوا عليه من المعصيه و الطاعه لو كانوا مخلصين فى الدّنيا إلى غير هذه ممّا رواها المحدث الشيخ الحرّ فى أوائل الوسائل، و إلى ذلك ذهب جمع من الأصحاب منهم العلامة و ابن إدريس و صاحب المدارك و شيخنا البهائى و المحقّق الطوسى فى التّجريد، إلّا أنّ المستفاد من الأخبار الاخر هو العفو عن نيّه السّوء و أنّها لا تكتب و هى كثيره أيضا رواها فى الوسائل، و هو مذهب شيخنا الشّهيد فى القواعد، قال فى محكى كلامه:

لا يؤثر نية المعصيه عقابا ولا ذماما لم يتلبس بها و هو مما ثبت في الأخبار العفو عنه انتهى.

و قد جمع شيخنا العلامة الأنصاري طاب رسمه بينهما، بحمل الأدله الاول على من اشتغل بعد القصد ببعض المقدمات، و الثانيه على من اكتفى بمجرد القصد أو حمل الأوّل على من بقى على قصده حتّى عجز عن الفعل لا باختياره، و حمل الآخر على من ارتدع عن قصده بنفسه.

و ربّما يجمع بينها بحمل أخبار العفو على نية المسلم و أخبار العقوبه على نية الكافر، أو حمل النّفى على عقوبه الآخره و الاثبات على عقوبه الدنيا، أو حمل النّفى على فعلية العقاب و الاثبات على الاستحقاق، أو حمل النّفى على عقوبه السيئه التي همّ بها فلا يكون عقوبه القصد كعقوبه العمل و حمل أخبار العقوبه على ثبوتها في الجملة، إلى غير هذه من المحامل ممّا لا يخفى على الفطن العارف، و الله العالم بحقايق أحكامه

الترجمه

پس تعجب نیاورد مرا تعجب آورنده مگر حالت پیاپی آمدن مردم بسوی من بجهت عقد بیعت مثل یال کفتار در حالتی که تراحم می کردند بر من از هر طرف حتی این که بتحقیق پایمال گردانیده شدند حسن و حسین علیهما السلام و شکافته شد دو طرف پیراهن من یا عبای من از کثرت ازدحام در حالتی که مجتمع بودند گردا گرد من مثل گله گوسفند، پس زمانی که برخاستم بامر خلافت شکستند طایفه عهد بیعت مرا، و خارج شدند طایفه دیگر از جاده شریعت مثل خروج تیر از کمان، و فاسق شدند طایفه سیم گویا نشنیده اند آنها خداوند تعالی را که می فرماید در قرآن مجید خود، که این دار آخرت است می گردانیم آن را بجهت کسانی که اراده نمی کنند بلندی را در زمین و نه فساد و فتنه را و عاقبت بخیر متقین و پرهیزکاران راست، بلی بخدا قسم که بیقین شنیده اید این آیه را و حفظ کرده اند آنرا و لکن زینت داده شده است دنیا در نظر آن ها و تعجب آورده است زینت و زر دنیای فانی ایشان را.

إشاره

أما و الذي فلق الحبه و برأ النسمه لو لا حضور الحاضر، و قيام الحجه بوجود الناصر، و ما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظه ظالم، و لا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، و لسقيت آخرها بكأس أولها، و لألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفته عنز.

اللغه

(الفلق) الشق قال تعالى: فالتق الحبّ و التوى (و براء) أى خلق قيل: و قلما يستعمل فى غير الانسان و (النسمه) محرّكه الانسان أو النفس و الروح، و قد يستعمل فيما عدا الانسان و (قارّه) مقارّه قرّ معه و قيل إقرار كلّ واحد صاحبه على الأمر و تراضيهما به و (الكظه) ما يعترى الانسان من الامتلاء من الطعام و (السغب) بالتحريك الجوع و (الغارب) أعلى كتف الناقه و (الزهد) خلاف الرغبه و الزهيد القليل و (العفته) قال ابن الأثير: الضربه، و قال الشارح المعتزلى: عفته عنز ما تنثره من أنفها و أكثر ما يستعمل ذلك فى النعجه، فأما العنز فالمستعمل الأشهر فيها النبطه بالنون و يقولون: ما له عافط و لا نافط أى نعجه و لا عنز، ثم قال:

فان قيل أ يجوز أن يقال العفته هنا الحبقه(١) فان ذلك يقال فى العنز خاصه عفتت(٢) تعفت.

قيل ذلك جازى إلا أن الأحسن و الأليق بكلام أمير المؤمنين عليه السّلام التفسير الأول، فانّ جلالته و سوده يقتضى أن يكون ذلك أراد لا الثانى فان صحّ أنّه لا يقال فى العطسه عفته إلا للنعجه، قلنا إنّ عليه السّلام استعمله فى العنز مجازا.

ص: ١١٠

١- (١) الحبقه الضربه ق.

٢- (٢) اى ضرتت ق.

كلمه ما فى قوله: و ما أخذ الله مصدرية و الجملة فى تأويل المصدر معطوفه على الحضور أو موصوله و العائد محذوف و على الأول فجملة أن لا يقاروا فى محل التصب مفعولا لاخذ، و على الثانى بيان لما أخذه الله بتقدير حرف جرّ أو نفس أن تفسيرية على حدّ قوله تعالى:

«وَنُودُوا أَنْ تُلَكُمُ الْجَنَّةَ» و قوله: «وَ انْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا» على ما ذهب اليه بعضهم، و يحتمل أن يكون بدلا أو عطف بيان.

المعنى

لما ذكر عليه السلام حاله مع القوم و حالهم معه من غضب الأول للخلافه و إدلائه بها بعده إلى الثانى و جعله لها بعده شورى و إقرانه له عليه السلام إلى النظائر المذكورين و انتهائها إلى ثالث القوم و تبه على خلاف التاكثين و القاسطين و المارقين له عليه السلام بعد قبوله الخلافه و نهوضها، أردف ذلك كله بيان العذر الحامل له على قبول هذا الأمر بعد عدوله عنه إلى هذه الغايه و قدم على ذلك شاهد صدق على دعواه بتصدير كلامه بالقسم العظيم فقال:

(أميا و الذى فلق الحبة) أى شققها و أخرج التبات منها بقدرته الكامله (و براء التسمه) أى خلق الانسان و أنشأه بحكمته التامه الجامعه (لو لا حضور الحاضر) للبيعه من الأنصار و المهاجر أو حضور الوقت الذى وقته رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لقيامه بالنواهى و الأوامر (و قيام الحجة) عليه عليه السلام (بوجود الناصر) و المعين (و) لو لا (ما أخذ) ه (الله على العلماء) أى الأئمة عليهم السلام أو الأعم من (أن لا يقاروا) و لا يتراضوا و لا يسكنوا (على كظه ظالم) و بطنته (و لا سغب مظلوم) و جوعه و تبعه، و الكظه كناية عن قوه ظلم الظالم و السغب كناية عن شدّه مظلوميّه المظلوم و المقصود أنه لو لا أخذ الله على أئمة العدل و عهده عليهم عدم جواز سكوتهم على المنكرات عند التمكن و القدره (لألقيت جبلها) أى زمام الخلافه (على غاربها) شبّه الخلافه بالنّاقه التى يتركها راعيها لترعى حيث تشاء و لا يبالى من يأخذها

و ما يصيبها، و ذكر المغارب و هو ما بين السدّين و العنق تخييل و القاء الحبل ترشيح (و لسقيت آخرها بكاس أولها) أي تركتها
آخرًا كما تركتها أولًا و خليت الناس يشربون من كأس الحيره و الجهاله بعد عثمان و يعمهون في سكرتهم كما شربوا في زمن
الثلاثه (و لألفيتم دنياكم هذه) التي رغبتم فيها و تمكن حبتها في قلوبكم (أزهد عندي) و أهون (من عفته عنز) أي ضرطتها أو
عطستها.

الترجمه

آگاه باش ای طالب منهج قويم و سالک صراط مستقیم، قسم بآن خداوندی که دانه را شکافت بقدرت کامله و انسان را خلق
فرمود بحکمت بالغه، اگر نمی بود حضور حاضرین از برای بیعت و قائم شدن حجت بر من بجهت وجود یاری کنندگان و آن
چیزی که اخذ فرمود آن را خداوند بر علماء که قرار ندهند با یکدیگر و راضی نشوند بر امتلاء ستمکار و نه بر گرسنگی ستم
رسیده، هر آینه می انداختم افسار خلافت را بر کوهان آن و هر آینه سیراب می کردم آخر خلافت را با جام اول آن، و هر
آینه می یافتید دنیای خودتان را که بآن می نازید و دین خود را که در طلب آن می بازید، بی مقدارتر در نزد من از جیفه ب
ز یا از عطسه آن

الفصل السابع

اشاره

قالوا: و قام إليه رجل من أهل السواد عند بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته فناوله كتاباً فأقبل ينظر فيه، فلما فرغ من قراءته قال له
ابن عباس رحمه الله: يا أمير المؤمنين لو أطردت مقاتلك من حيث أفضيت، فقال: هيهات يا ابن عباس تلك شقشقه هدرت ثم
قرت، قال ابن عباس: فوالله ما أسفت على كلام قطّ كأسفى على هذا الكلام ألا يكون أمير المؤمنين عليه السلام بلغ منه حيث
أراد.

(أهل السواد) ساكنو القرى و تسمى القرى سوادا لخضرتها بالزّرع و الثّبات و الأشجار و العرب تسمى الاخضر أسود و (ناوله) أعطاه و (الاطراد) هو الجرى يقال: اطراد الأمر أى تبع بعضه بعضا و جرى بعضه أثر بعض، و نهران يطردان أى يجريان و (الافضاء) الانتهاء قال الشّارح المعتزلى: أصله خروج إلى الفضاء فكأنه شبهه حيث سكت عليه السّلام عما كان يقول بمن خرج من خباء أو جدار إلى فضاء من الأرض، و ذلك لأنّ النفس و القوى و الهمة عند ارتجال الخطب و الأشعار تجتمع إلى القلب، فاذا قطع الانسان و فرغ تفرقت و خرجت عن حجر الاجتماع و استراحت و (الشّقشقه) بالكسر شيء كالزّيه يخرج البعير من فيه إذا هاج، و يقال للخطيب ذو شقشقه تشبيها له بالفحل و (هدير) الجمل تردده الصّوت فى حنجرتة.

الاعراب

كلمه لو لا- إما للتمنى أو الجواب محذوف أى لكان حسنا، و المقاله إما مرفوعه على الفاعليه لو كان اطرادت بصيغه المؤنث الغايب من باب الافتعال، أو منصوبه على المفعوليه لو كان بصيغه الخطاب من باب الافعال أو الافتعال أيضا.

المعنى

(قالوا و قام إليه رجل من أهل السواد) قيل: إنه كان من أهل سواد العراق (عند بلوغه عليه السّلام إلى هذا الموضع من خطبته فناوله كتابا) و أعطاه (فأقبل) إليه و كان (ينظر فيه فلما فرغ) عليه السّلام (من قراءته) و أجاب الرّجل بما أراد حسبما نشير إليه (قال له ابن عباس رحمه الله: يا أمير المؤمنين لو اطرادت) أى جرت (مقاتك من حيث أفضيت) و انتهيت لكان حسنا(فقال عليه السّلام: هيهات يابن عباس تلك شقشقه هدرت ثم قرّت) و سكنت.

شبه عليه السّلام نفسه بالفحل الهادر فاستعار لخطبته لفظ الشّقشقه التى من خواص الفحل قيل: فى الكلام إشعار بقّله الاعتناء بمثل هذا الكلام إمّا لعدم التأثير فى السّامعين كما ينبغى، أو لقّله الاهتمام بأمر الخلافه من حيث إنّها سلطنه، أو للاشعار

بانقضاء مدّته، فإنّها كانت في قرب شهادته، أو لنوع من التّقيه أو لغيرها (قال ابن عبّاس: فوالله ما أسفت على كلام قط كاسفى) وحزنى (على هذا الكلام ألا يكون أمير المؤمنين عليه السّلام بلغ منه حيث أراد) قال الشّارح المعتزلى: حدّثنى شيخى أبو الخير مصدّق بن شبيب الواسطى، قال قرأت على الشّيخ أبى محمّد عبد الله بن أحمد المعروف بابن الخشاب هذه الخطبه، فلما انتهيت إلى هذا الموضوع قال لى: لو سمعت ابن عبّاس يقول هذا لقلت له:

و هل بقى فى نفس ابن عمّك أمر لم يبلغه فهذه الخطبه لتتأسّف أن لا يكون بلغ من كلامه ما أراد؟ والله ما رجع عن الأوّلين و لا عن الآخرين و لا بقى فى نفسه أحد لم يذكره إلاّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم.

و بقى الكلام فى الكتاب الذى ناوله الرّجل فأقول روى الشّارح البحرانى و المحدّث الجزائرى و غيره عن أبى الحسن الكندرى (ره) أنّه قال: وجدت فى الكتب القديمه أنّ الكتاب الذى دفعه الرّجل إلى أمير المؤمنين عليه السّلام كان فيه عدّه مسائل إحداها ما الحيوان الذى خرج من بطن حيوان آخر و ليس بينهما نسب؟ فأجاب عليه السّلام بأنّه يونس عليه السّلام خرج من بطن حوت. الثانيه ما الشىء الذى قليله مباح و كثيره حرام؟ فقال عليه السّلام: هو نهر طالوت لقوله تعالى: إلاّ من اغترف غرفة بيده.

الثالثه ما العباده التى إن فعلها أحد استحقّ العقوبه و إن لم يفعلها أيضا استحقّ العقوبه؟ فأجاب عليه السّلام بأنّها صلاه السكارى.

الرابعه ما الطائر الذى لا فرخ له و لا فرع و لا أصل؟ فقال عليه السّلام: هو طائر عيسى عليه السّلام فى قوله:

«وَ إِذْ تَخَلَّقُ مِنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِأَذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِأَذْنِي.»

الخامسه رجل عليه من الدّين ألف درهم و له فى كيسه ألف درهم فضمنه ضامن

بألف درهم فحال عليه الحول فالزكاه على أى المالىن تجب؟ فقال عليه السّلام: إن ضمن الضامن باجازه من عليه الدّين فلا يكون عليه، و إن ضمنه من غير إذنه فالزكاه مفروضه فى ماله.

السّادسه حجّ جماعه و نزلوا فى دار من دور مكّه و تركوا فيها ثيابهم و اغلق واحد منهم باب الدّار و فيها حمام فمتن من العطش قبل عودهم إلى الدّار فالجزاء على أيهم يجب؟ فقال عليه السّلام: على الذى أغلق الباب و لم يخرجهنّ و لم يضع لهنّ ماء السّابعه شهد شهداء أربعة على محصن بالزّنا فأمرهم الامام برجمه فرجمه واحد منهم دون الثلاثه الباقيين و وافقهم قوم أجانب فى الرّجم فرجع من رجمه عن شهادته و المرجوم لم يمت ثم مات فرجع الآخرون عن شهادتهم عليه بعد موته فعلى من يجب ديتة؟ فقال عليه السّلام: يجب على من رجمه من الشّهود و من وافقه.

الثّامنه شهد شاهدان من اليهود على يهودى أنّه أسلم فهل يقبل شهادتهما؟ فقال عليه السّلام: لا تقبل شهادتهما لأنّهما يجوز ان تغيير كلام الله و شهاده الزّور.

التّاسعه شهد شاهدان من النّصارى على نصارى أو مجوسى أو يهودى أنّه أسلم؟ فقال عليه السّلام: تقبل شهادتهما لقول الله سبحانه:

«وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى» الآية و من لا يستكبر عن عباده الله لا يشهد شهاده الزّور.

العاشره قطع إنسان يد آخر فحضر أربعة شهود عند الامام و شهدوا على من قطع يده و أنّه زنى و أنّه محصن فأراد الامام أن يرجمه فمات قبل الرّجم بقطع يده على القاطع ديه القطع أو ديه النّفس؟ فقال عليه السّلام: على من قطع يده ديه القطع حسب و لو شهدوا أنّه سرق نصابا لم يجب ديه يده على قاطعها، و الله أعلم بالصواب و إليه المرجع و المآب.

الترجمه

راويان گویند برخاست بسوی آن حضرت مردی از اهل سواد کوفه نزد

رسیدن او باین موضع از خطبه خود پس داد او را نوشته پس روی آورد و نظر می فرمود بسوی آن، پس چون فارغ شد از خواندن آن کتاب عرض کرد خدمت آن حضرت عبد الله بن عباس رحمه الله ای امیر مؤمنان و مقتدای عالمیان اگر جاری می فرمودی کلام بلاغت نظام خود را از آنجا که باقی مانده بود هر آینه خوب بود، پس آن حضرت فرمود چه دور است آن حالت نسبت باین حالت ای ابن عباس این مانند شقشقه شتر بود که نزد هیجان نفس و اشتغال آن با صورت و غزیدن از دهن بیرون آمد بعد از آن قرار گرفت و ساکن شد، گفت عبد الله بن عباس بخدا قسم که تأسف نخوردم بر هیچ کلامی هرگز در مدت عمر خود چون تأسف خوردن خود بر این کلام که نشد امیر المؤمنین علیه السلام برسد از آن کلام بجائی که اراده کرده بود.

و من خطبه له علیه السلام (بعد مقتل طلحه و الزبیر خ)

اشاره

و هی الخطبه الرابعه

خطب بها امیر المؤمنین علیه السلام بعد قتل طلحه و الزبیر كما فی شرح البحرانی و المعتزلی و زاد فی الأخير مخاطبا بها لهما و غیرهما من أمثالهما و فيه أيضا هذه الكلمات و الأمثال ملتقطه من خطبه طویلہ منسوبه إليه قد زاد فيها قوم أشياء حملتهم علیها أهوائهم لا یوافق ألفاظها طریقته علیه السلام فی الخطب و لا تناسب فصاحتها فصاحته و لا حاجه إلى ذکرها فهی شهیره، و فی البحار قال القطب الزاوندی: أخبرنا بهذه جماعه عن جعفر الدوریستی عن أبيه محمد بن العباس عن محمد بن علی بن موسی عن محمد بن علی الاسترابادی عن علی بن محمد بن سیار عن أبيه عن الحسن العسکری عن آبائه عن امیر المؤمنین علیهم السلام و هذا ما ظفرت بعد إلى تلك الخطبه التقطت هذه منها علی ما ذكره الشارح المعتزلی، نعم رواها فی كتاب الارشاد للمفید (ره) بادنی تغییر و اختلاف، قال: من كلامه علیه السلام حين قتل طلحه و انقض أهل البصره:

بنا تسنتم الشرف، و بنا انفجرتم عن السیرار، و بنا اهتديتم فی الظلماء، و قر سمع لم يفقه الواعیه، کیف يراعى النبأ من أصمته الصيحه، ربط جنان لم يفارقه

الخفقان، ما زلت أنتظر بكم عواقب الغدر، و أتوسمكم بحليه المغترين، سترنى عنكم جلباب الدّين و بصرنىكم صدق النيه أقت لكم الحقّ حيث تعرفون و لا- دليل و تحتقرون و لا تميّهون، اليوم أنطق لكم العجماء ذات البيان، عزب فهم امرء تخلف عنى، ما شككت فى الحقّ منذ رأيتّه، كان بنو يعقوب على المحجّه العظمى حتى عقّوا آباءهم و باعوا أخاهم، و بعد الاقرار كانت توبتهم، و باستغفار أبيهم و أخيهم غفر لهم هذا، و شرح ما ذكره الرضى قدّس سرّه فى ضمن فصلين.

الفصل الاول

اشاره

بنا اهتديتم فى الظلماء، و تسنّمتم العلياء، و بنا انفجرتم عن السّرار، و قر سمع لم يفقه الواعيه، و كيف يراعى النّبأه من أصمّته الصّيحى، ربط جنان لم يفارقه الخفقان، ما زلت أنتظر بكم عواقب الغدر، و أتوسمكم بحليه المغترين، سترنى عنكم جلباب الدّين، و بصرنىكم صدق التّيه.

اللغه

(الظلماء) كصحراء الظلمه و قد تستعمل و صفا يقال ليله ظلماء أى شديده الظلمه و (التسنّم) هو العلوّ و أصله ركوب السّنام و (العلياء) كصحراء أيضا السّماء و رأس الجبل و المكان العالى و كلّ ما علا من شىء و الفعله العاليه المتضمنه للرفعه و الشرف و (انفجرتم) أى دخلتم فى الفجر و (السّرار) الليله و الليلتان يستتر فيهما القمر فى آخر الشهر و روى أفجرتم قال الشّارح المعتزلى: و هو أفصح و أصحّ لان انفعال لا يكون إلا لتطاول فعل نحو كسرتّه فانكسر و حطّمته فانحطم إلا ما شدّ من قولهم: غلقت الباب فانغلق، و أزعجته فانزعج، و أيضا فأنّه لا يكون إلا حيث يكون علاج و تأثير نحو انكسروا انحطم و لهذا قالوا: إنّ قولهم: انعدم خطاء، و أمّا افعال فيجىء لصبوره الشىء على حال و أمر نحو أغدّ البعير أى صار ذاغده و أجب

الرَّجُل إذا صار ذا إبل جربى وغير ذلك و أفجرتم أى صرتم ذوى فجر و (الوقر) ثقل فى الأذن أو ذهاب السِّمع كله، و قد وقر كوعد و وجل و مصدره وقر بالسكون و القياس بالتحريك و وقر كعنى أيضا و وقرها الله يقرها.

و (الواعيه) الصِّيراخ و الصَّوت كما فى القاموس لا الصَّارفه كما ذكره الشَّارح البحرانى و المعتزلى تبعا للجوهري، و فى القاموس أنه و هم، و عن الاساس ارتفعت الواعيه أى الصِّيراخ و الصِّوت، و فى الاقيانوس سمعت واعيه القوم أى أصواتهم و (النبأه) الصَّوت الخفى و (خفقت) الرّايه كحسب خفقا و خفقانا محرّكه اضطرت و تحركت و (توسّم) الشىء تفرسه و تخيله و المتوسّم الناظر فى السِّمه الدّاله و هى العلامه و توسم فيه الخير أو الشرّ أى عرف سمه ذلك و (الجلباب) بفتح الجيم و كسرهما القميص و فى المصباح ثوب أوسع من الخمار و دون الرّداء و قال ابن فارس: الجلباب ما يغطى به من ثوب و غيره و الجمع الجلابيب.

الاعراب

الباء فى قوله عليه السّلام بنا للسّيبه، و كلمه عن فى قوله عن السرار على حقيقتها الأصليه و هى المجاوزه أى منتقلين عن السّرار و متجاوزين له، و وقر بفتح الواو و ضمّها على صيغه المعلوم أو المجهول و سمع فاعله على الأوّل و على الثّانى الفاعل هو الله.

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبه من أفصح كلامه عليه السّلام و هى على و جازتها متضمّنه لمطالب شريفه و نكات لطيفه، و مشتمله على مقاصد عاليه و إن لاحظتها بعين البصيره و الاعتبار وجدت كلّ فقره منها مفيده بالاستقلال مطابقه لما اقتضاه المقام و الحال و سيّجىء الاشاره إلى بعض ذلك حسب ما ساعدته الوقت و المجال إنشاء الله.

فاقول قوله: (بنا اهتديتم فى الظلماء) أى بآل محمّد عليهم السلام اهتديتم فى ظلمات الجهل، و الخطاب لأهل البصره و غيرهم من طلحه و زبير و ساير حاضرى الوقت و هو جار فى حقّ الجميع و فيه إشاره إلى كونهم عليهم السّلام سبب هدايه الأنام فى الغياهب و الظلام، و لمّا كان الظلمه عباره عن عدم الصّوء عمّا من شأنه أن يكون

مضيئاً فتقابل النور تقابل العدم للملكه على ما ذهب إليه محققو المتكلمين و الفلاسفه، أو عبارته عن كفيته وجوديه تقابل التضاد كما ذهب إليه آخرون و هو الأظهر نظراً إلى أنها على الأول لا تكون شيئاً لأنها عدم و كيف ذلك و الله سبحانه خالقها، و على أى تقدير كان قوله دالاً- بالمطابقه على كونهم الهداه إلى سبيل النجاه فى المدلهمات و الظلمات، و بالالتزام على كونهم نورا مضيئاً و قمرا منيراً إذ الاهتداء فى الظلمه لا يكون إلا بالنور الظاهر فى ذاته المظهر لغيره.

أما المدلول المطابقى فقد اشير إليه فى غير واحده من الآيات الكريمة و صرح به فى الأخبار البالغه حدّ التظافر بل التواتر.

منها ما رواه فى الكافى بإسناده عن عبد الله بن سنان قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ و جلّ:

«وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ» قال: هم الأئمة صلوات الله عليهم.

و منها ما فى تفسير على بن إبراهيم فى روايه أبى الجارود عن أبى جعفر عليه السلام فى قوله تعالى:

«أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» فأما من يهدى إلى الحق فهو محمد صلى الله عليه و آل محمد صلى الله عليه و آله و سلم من بعده، و أما من لا يهدى إلا أن يهدى فهو من خالف من قريش و غيرهم أهل بيته من بعده.

و منها ما فى البحار من تفسير العياشى بإسناده عن المعلى بن خنيس عن أبى عبد الله عليه السلام فى قوله تعالى:

«وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ» قال عليه السلام هو من يتخذ دينه برأيه بغير هدى إمام من الله من أئمة الهدى.

و منها ما فى البحار أيضا من كنز جامع الفوائد و تأويل الآيات بالاسناد عن عيسى بن داود النجار عن أبى الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام أنه سأل أباه عن قول الله عزّ و جلّ:

«فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى» قال قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: أئها الناس اتبعوا هدى الله تهتدوا و ترشدوا و هو هدى على بن أبى طالب عليه السّلام فمن اتبع هداى و بعد موتى فقد اتبع هداى و من اتبع هداى فقد اتبع هدى الله فلا يضلّ و لا يشقى، إلى غير هذه ممّا لا نطيل بذكرها.

و أما المدلول الالتزامى و هو كونهم عليهم السّلام أنوارا يستضاء بها فى الليله الظلماء و نجوما يهتدى بها فى غياهب الدّجى فقد اشير إليه فى قوله سبحانه و تعالى:

«فَمَا مَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا» روى على بن إبراهيم فى تفسيره عن على بن الحسين عن البرقى عن ابن محبوب عن أبى أيوب عن أبى خالد الكابلى قال سألت أبا جعفر عليه السّلام عن هذه الآية فقال: يا أبا خالد التّور و الله الأئمه من آل محمّد إلى يوم القيامة هم و الله نور الله الذى انزل و هم و الله نور الله فى السّماوات و الأرض، و الله يا أبا خالد لنور الامام فى قلوب المؤمنين أنور من الشّمس المضيئه بالنّهار و هم و الله ينورون قلوب المؤمنين و يحجب الله نورهم عمّن يشاء فتظلم قلوبهم، و الله يا أبا خالد لا يحبنا عبد و يتولانا حتّى يطهر الله قلبه و لا يطهر الله قلب عبد حتّى يسلم لنا و يكون سلما لنا فإذا كان سلما سلمه الله من شديد الحساب و آمنه من فزع يوم القيامة الأكبر.

و قال الصادق عليه السلام فى مروى العياشى إنّ الله قال فى كتابه:

«اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ»
فالتّورهم آل محمّد عليهم السلام و الظلمات عدوهم.

و فى البحار من تفسير فرات بن إبراهيم عن جعفر بن محمد الفزارى معننا عن ابن عباس فى قول الله تعالى:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ آمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ» قال: الحسن و الحسين عليهما السلام «وَيَجْعَلُ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ» قال: أمير المؤمنين عليّ بن أبى طالب عليه السلام و فى تفسير عليّ بن إبراهيم فى قوله تعالى:

«هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ» قال: النجوم آل محمد عليه و عليهم السلام.

و فيه أيضا عن عبد الرحمان بن محمد العلوى بإسناده عن عكرمه، و سئل عن قول الله تعالى:

«وَالشَّمْسُ وَ ضُحَاهَا وَ الْقَمَرُ إِذَا تَلَاها وَ النَّهَارُ إِذَا جَلَّاهَا وَ اللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا» قال: الشمس و ضحيتها هو محمد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، و القمر إذا تليها أمير المؤمنين عليّ بن أبى طالب عليه السلام، و النهار إذا جليها آل محمّد الحسن و الحسين عليهما السلام، و الليل إذا يغشيها بنو امية.

و فى البحار من تفسير العياشى عن معلى بن خنيس عن أبى عبد الله عليه السلام فى قوله تعالى:

«وَ عَلاماتٍ وَ بالنُّجُومِ هُمْ يَهْتَدُونَ»

قال: هو أمير المؤمنين عليه السلام، وفيه من المناقب لابن شهر آشوب عن أبي الورد عن أبي جعفر عليه السلام في قوله:

«وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ» قال: نحن النجم إلى غير هذه ممّا يطلع عليها العارف الخبير و المتبع المجدّ و بالجمله فقد ظهر و تحقق ممّا ذكرنا كله أنّهم عليهم السّلام نور الله في السّماوات و الأرض و النجوم التي يهتدى بها في ظلمات البرّ و البحر و القمر الهادي في أجواز البلدان و القفار و غياهب الليالي و لجج البحار.

فإن قلت: سلمنا ذلك كله و لكنك قد ذكرت أنّ الخطاب في قوله: بنا اهتديتم في الظلماء لطلحه و الزبير و نظرائهما من أهل الجمل، و من المعلوم أنّهم كانوا من المنافقين الناكثين فكيف يكونون من المهتدين؟ مع أنّ اعتقادنا أنّهم مخلدون في النّار بخروجهم على الامام العادل و نقضهم بيعته، و المهتدون يسعى نورهم بين أيديهم و بأيمانهم يوم القيامة و لا خوف عليهم و لا هم يحزنون كما قال تعالى:

«فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى» قلت: أوّلا- إن اهتديتم بصيغه الماضي داله على اهتدائهم فيما مضى فهو لا- ينافي بارتدادهم بعد الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم إذ الاهتداء تاره يكون بالوصول إلى المطلوب و هو الموجب للأجر الجميل و هو الذي لا- يتصوّر بعده الضلاله، و اخرى بالوصول إلى ما يوصل إلى المطلوب و هو لا يستلزم الوصول إليه ألّبتّه و لا ينافي الخذلان و الضلاله قطعا و ثانيا إنّ المراد بالظلماء في قوله عليه السّلام هو ظلمه الكفر و بالاهتداء هو الاهتداء إلى الاسلام و هو بانفراده لا- يكفي في استحقاق الثّواب، بل لا بدّ و أن ينضم إلى ذلك نور الولاية كما مرّ تحقيق ذلك و تفصيله في التّذييب الثالث من تذييبات الفصل الرّابع من فصول الخطبه الاولى، و يشهد بذلك و يوضحه مضافا إلى ما مرّ:

ما رواه في البحار من كتاب غيبه النّعماني عن الكليني بإسناده عن ابن أبي يعفور، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام إنّي اخالط النّاس فيكثر عجبى من أقوام لا يتوالونكم

و يتوالون فلانا و فلانا لهم أمانه و صدق و وفاء، و أقوام يتوالونكم ليس لهم تلك الأمانه و لا الوفاء و لا الصِّدق قال: فاستوى أبو عبد الله عليه السِّلام جالسا و أقبل عليّ كالمغضب ثم قال: لا دين لمن دان بولايه إمام جائر ليس من الله، و لا عتب (١) على من دان بولايه إمام عادل من الله، قلت: لا دين لاولئك و لا عتب على هؤلاء، ثم قال عليه السِّلام:

ألا تسمع قول الله عزّ و جلّ:

«اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ» من ظلمات الذُّنوب إلى نور التوبه أو المغفره لولايتهم كلّ إمام عادل من الله قال:

«و الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ» فأى نور يكون للكافر فيخرج منه إنّما عنى بهذا أنّهم كانوا على نور الإسلام فلما تولوا كلّ إمام جائر ليس من الله خرجوا بولايتهم إياهم من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر فأوجب لهم النار مع الكفّار فقال:

«أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» و أوضح من هذه الرّوايه دلالة ما فى البحار من تفسير العياشى عن سعيد بن أبى الأصبغ قال: سمعت أبا عبد الله عليه السِّلام و هو يسأل عن مستقرّ و مستودع، قال: مستقرّ فى الرّحم و مستودع فى الصّلب، و قد يكون مستودع الايمان ثم ينزع منه و لقد مشى الزبير فى ضوء الايمان و نوره حتّى قبض رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم حتّى مشى بالسيف و هو يقول لا- نبايع إلاّ عليا عليه السِّلام و عن العياشى أيضا عن جعفر بن مروان قال: إنّ الزبير اخترط سيفه يوم قبض النّبى صلّى الله عليه و آله و سلّم و قال لا أغمده حتّى ابايع لعليّ عليه السِّلام ثم اخترط سيفه فضارب عليا و كان ممن اعير الايمان فمشى فى ضوء نوره ثم سلبه الله إياه.

(و تسنّمتم العلياء) أى بتلك الهدايه و شرافه الاسلام ركبتهم سنام العلياء

ص: ١٢٣

١- (١) بالفتح الغضب لغه.

و الرفعه علا ذكر كم و رفع قدر كم، شَبَّه عليه السَّلام العلياء بالنَّاقه و أثبت لها سنامها تخيلاً و رَشَّح ذلك بذكر التَّسَنُّم الذي هو ركوب السَّنام (و بنا انفجرتم) أو أفجرتم (عن السَّرار) أى انفجرتم انفجار العين من الأرض، أو دخلتم فى الفجر، أو صرتم ذوى فجر منتقلين عن السَّرار، و استعار عليه السَّلام لفظ السَّرار لما كانوا فيه من ليل الجهل و خمول الذَّكر فى الجاهليه و غيرها، و لفظ الانفجار عنه لخروجهم من ذلك إلى نور الإسلام و استضاءت بهم بضياء صباح وجودهم عليهم السَّلام كما قال عزَّ من قائل:

«و اللَّيْلِ إِذَا عَسَيْتَ وَ الصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ» قال أمير المؤمنين عليه السَّلام لابن الكواحين سألته عن ذلك: يعنى ظلمه الليل و هذا ضربه الله مثلا لمن ادعى الولايه لنفسه و عدل عن ولاه الأمر قال: فقوله و الصَّبح إذا تنفَّس قال: يعنى بذلك الأوصياء يقول: إنَّ علمهم أنور و أبين من الصَّبح إذا تنفس هذا.

و لما ذكر فضله عليهم بكونه عليه السَّلام سبب هدايتهم و عله لعلو مقامهم و سمو مكانهم وجهه لشرافتهم و رفعه قدرهم و داعيا لصيرورتهم من ظلمه الغوايه و الضلاله إلى فجر الهدايه و الرِّشاد مع مقابلتهم كل ذلك بالتَّفاق و التَّفار و العتو و الاستكبار، أردف ذلك بالدَّعاء عليهم بقوله (و قر سمع لم يفقه الواعيه) إشاره إلى أنَّهم كيف لم يفقهوا بيانه بعد ما بيَّنه و لم يقبلوه بعد ما سمعوه و لم يطيعوه بعد ما فهموه و جهلوا قدره بعد ما عرفوه.

قال البحرانى: و هذا كما يقول أحد العلماء لبعض تلاميذه المعاند له المدعى لمثل فضيلته: إنَّك بى اهتديت من الجهل و علا قدرك فى النَّاس و أنا سبب لشرفك أفتكبر علىّ و قر سمعك لم لا تفقه قولى و تقبله هذا، و على ما ذكرناه من كون الواعيه بمعنى الصَّوت يكون معنى كلامه عليه السَّلام ثقل سمع لم يفقه الصَّوت بعد ما سمعه، و على قراءه و قر بصيغه المجهول يكون المعنى أثقل الله سمعا لم يفقه الصَّراخ، و على ذلك فلا حاجه إلى ما تكلفه بعض شارحى كلامه عليه السَّلام تاره بجعل الواعيه صفه لمحذوف مع حذف مفعول لم يفقه أى و قر سمع لم يفقه صاحبه بإذنه الواعيه علم الشَّريعه،

و اخرى بجعل الفاعل بمعنى المفعول مع حذف الموصوف أيضا أى لم يفقه الأشياء الموعيه، و ثالثه بجعلها بمعنى الصارفه.

فإن قلت: ما السير فى وصفه السمع بعدم الفقه لا بعدم السماع و تعبيره بقوله: لم يفقه دون لم يسمع مع كون الواعيه أيضا من قبيل المسموعات لا المفقوهات و الحال أنّ الموصوف و المتعلق كليهما مقتضيان للتعبير بالثانى دون الأوّل.

قلت: بعد الغض عن عدم ملايمه الوصف بالثانى للدعاء بالوقر لاستلزامه تحصيل الحاصل أنّ السير فى ذلك هو أنّ المقصود بالسمع ليس مجرد السماع و الاستماع بل الفقه و الفهم و الاتعاظ بالمواعظ و النصائح بعد إدراك السمع لها، فإذا أدركها و لم يفقهها و لم يتم بمقتضياتها فهو حرى بالدعاء عليه بكونه موقورا ثقيلًا- مع أنّ فى التعبير بهذه اللفظه إشاره إلى غايه نفاهم و استكبارهم و شدّه لجاجهم و عنادهم و نهايه بغضهم و عداوتهم و منتهى نفرتهم عن قبول الحقّ كما قال عزّ من قائل:

«و مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَ لَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ» و صفهم بالصيمم مع إثبات الاستماع أولا من حيث عدم انتفاعهم بما يستمعون، فهم و الأصمّ على السواء و ذلك فإنّ الانسان إذا قوى بغضه لانسان آخر و عظمت نفرتة عنه صارت نفسه متوجّهة إلى طلب مقابح كلامه معرضه عن جميع الجهات الحسن فيه، فالصيمم فى الاذن معنى ينافى حصول إدراك الصوت فكذلك حصول هذا البغض و الاستكبار و المنافره كالمنافى للوقوف عن محاسن ذلك الكلام و الاطلاع بما اريد منه.

ثمّ كما أنّه لا يمكن جعل الأصمّ سميعة فكذلك لا يمكن جعل العدو البالغ إلى هذا الحدّ صديقا مطيعا، و لذلك اعتذر عليه السلام من عدم تأثير كلامه فيهم بقوله: (و كيف يراعى النبأه) أى الصوت الخفى (من أصمته الصيحه) إشاره إلى أنّ من لم يؤثّر فيه كلام الله و كلام رسوله الذى هو كالصّيحه المكزّره عليهم حتّى جعلهم أصمّ من كثره التكرار و شدّه الاصرار، كيف يؤثّر فيهم كلامه عليه السلام الذى

نسبته إلى كلامهما نسبة النبأ إلى الصيحه، و من المعلوم أن الصوت الضعيف لا يدرك عند الصوت القوى أو الحواس لا تدرك الأضعف مع وجود الأقوى المماثل في كفيته، ففي هذه الفقرة من كلامه دلالة على عدم اختصاص تمردهم به عليه السلام فقط، بل كانوا متمردين من أول الأمر مستكبرين عن طاعة الله و طاعة رسوله أيضا كما أن فيها و في سابقها إشارة إلى تماديهم في الغفلة بما غشت قلوبهم من الظلمه و القسوه حيث لم يسمعوا داعى الله و لم يفقهوا كلام الله و لم يتدبروا فى القرآن و نكثوا بيعه ولى الرحمن، قال سبحانه فى الحديث القدسى: يا ابن آدم استقامه سماواتى فى الهواء بلا عمد باسم من أسمائى و لا يستقيم قلوبكم بألف موعظه من كتابى، يا أيها الناس كما لا يلين الحجر فى الماء كذلك لا يغنى الموعظه للقلوب القاسيه.

ثم إنه عليه السلام لما دعى بالوقر على الاذن الغير الواعيه للواعيه و أتبعه بالاشاره إلى عدم إمكان تأثير نبأته فيمن أصمته الصيحه لاستحاله تأثير القلوب القاسيه بالموعظه و التصيحه، أردف ذلك بالدعاء للقلوب الوجله الخائفه بقوله: (ربط جنان) أى سكن و ثبت (لم يفارقه) الاضطراب (و الخفقان) من خشيه الله و الاشفاق من عذابه ثم خاطب عليه السلام بقيه أصحاب الجمل أو المقتولين أو هما معا و قال: (ما زلت أنتظر بكم عواقب الغدر) و الحيله و أترقب منكم المكر و الخديعه، و ذلك إما من أجل أن النبى صلى الله عليه و آله و سلم أخبره بذلك و بأنهم ينقضون بيعته بعد توكيدها، و إما من أجل استنباطه عليه السلام ذلك من حركاتهم و وجنات أحوالهم كما يشعر به قوله:

(و أتوسمكم بحليه المغترين) و ذلك لأنه عليه السلام فهم أنهم من أهل الغرّه و قبول الباطل عن أدنى شبهه بما لاح له من صفاتهم و سماتهم الداله على ذلك، و كان علمه عليه السلام بذلك مستلزما لعلمه بغدرهم بعهدده و نقضهم لبيعتة فكان ينتظر ذلك منهم.

و لذلك إن طلحه و الزبير لما دخلا عليه عليه السلام يستأذنانه فى العمره قال: ما العمره تريدان، فحلفا له بالله إنهما ما يريدان غير العمره، فقال لهما: ما العمره تريدان و إنما تريدان الغدره و نكث البيعه، فحلفا بالله ما لخلاف عليه و لا نكث بيعته يريدان و ما رأيهما غير العمره، قال لهما، فاعيدا البيعه لى ثانيا، فأعادها بأشد

ما يكون من الأيمان و الموائيق، فاذن لهما فلما خرجا من عنده قال لمن كان حاضرا: و الله لا ترونهما إلا في فتنه يقتتلان فيها، قالوا: يا أمير المؤمنين فلم يردهما عليك، قال: ليقضى الله أمرا كان مفعولا.

و قوله:(سترني عنكم جلباب الدين)قال البحراني: وارد مورد الوعيد للقوم في قتالهم له و مخالفتهم لأمره، و المعنى انّ الدّين حال بيني و بينكم و سترني عن أعين بصائرکم أن تعرفوني بما أقوى عليكم من العنف بكم و الغلظه عليكم و ساير وجوه تقويكم و ردعكم عن الباطل وراء ما وقفني عليه الدّين من الرّفق و الشّفقه و شهب ذيل العفو عن الجرائم، فكان الدّين غطاء حال بينهم و بين معرفته فاستعار له لفظ الجلباب قال: و روى سترکم عنّي أى عصم الاسلام منّي دمائکم و اتباع مدبرکم و أن اجهز على جريحکم و غير ذلك ممّا يفعل من الأحكام فى حقّ الکفار هذا.

و لما أشار عليه السّلام إلى عد معرفتهم له حقّ معرفته و غفلتهم عن مراتب شأنه و وظيفته أتبعه بقوله:(و بصّرنيكم صدق التيه) و أشار بذلك إلى معرفته لهم حقّ المعرفة بعين اليقين و البصيره من حيث صفاء نفسه و خلوص نيته و نور باطنه كما قال عليه السّلام:

اتّقوا فراسه المؤمن فإنّه ينظر بنور الله، و قال الرّضا عليه السّلام فى روايه بصائر الدّرجات لنا أعين لا تشبه أعين النّاس و فيها نور ليس للشّيطان فيه شرك، و بذلك النور يعرفون كلّ مؤمن و منافق و يعرفون صديقهم من عدوّهم كما يدلّ عليه أخبار كثيره.

مثل ما رواه فى البحار عن العيون عن تميم القرشى عن أبيه عن أحمد بن علىّ الأنصارى عن الحسن بن الجهم قال: سئل عن الرّضا عليه السّلام ما وجه إخباركم بما فى قلوب النّاس؟ قال: أ ما بلغك قول الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم: اتّقوا فراسه المؤمن فإنّه ينظر بنور الله؟ قال: بلى، قال: فما من مؤمن إلا و له فراسه ينظر بنور الله على قدر إيمانه و مبلغ استبصاره و علمه، و قد جمع الله للأئمّه منّا ما فرّقه فى جميع المؤمنين و قال عزّ و جلّ فى كتابه:

«إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ»

فأول المتوسِّمين رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ أمير المؤمنين عليه السَّلَام من بعده، ثُمَّ الحسن و الحسين و الأئمَّة من ولد الحسين سلام الله عليهم إلى يوم القيامة.

و من كتاب البصائر و الاختصاص عن السيِّندى بن الرِّبيع عن ابن فضال عن ابن رثاب عن أبي بكر الحضرمي عن أبي جعفر عليه السَّلَام قال: ليس مخلوق إلَّا- و بين عينيه مكتوب أنه مؤمن أو كافر و ذلك محجوب عنكم و ليس بمحجوب من الأئمَّة من آل محمَّد عليهم السَّلَام ليس يدخل عليهم أحد إلَّا عرفوه هو مؤمن أو كافر، ثُمَّ تلا هذه الآية:

«إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ» فهم المتوسِّمون و من الاختصاص أيضا بإسناده عن جابر قال: بينا أمير المؤمنين عليه السَّلَام في مسجد الكوفة إذ جاءت امرأه تستعدى على زوجها فقضى عليه السَّلَام لزوجها عليها، فغضبت فقالت: لا و الله ما الحقَّ فيما قضيت و ما تقضى بالسَّوية و لا تعدل في الرِّعيه و لا قضيتك عند الله بالمرضيه، فنظر إليها مليا ثُمَّ قال لها: كذبت يا جريه يا بذيه (١) يا سلفع يا سلققيه (٢) يا التي لا- تحمل من حيث تحمل النساء، قال: فولت المرأه هاربه مولوله و تقول: ويلي و يلي لقد هتكت يا بن أبي طالب سترًا كان مستورا.

قال: فلحقها عمرو بن حريث فقال: يا أمه الله لقد استقبلت عليا بكلام سررتني به ثُمَّ إنَّه نزع (٣) لك بكلام فوليت عنه هاربه تولولين، فقالت إنَّ عليا عليه السَّلَام و الله أخبرني بالحقَّ و بما أكتمه من زوجي منذ ولى عصمتي و من أبوي، فعاد عمرو إلى أمير المؤمنين عليه السَّلَام فأخبره بما قالت له المرأه، و قال له فيما يقول: ما أعرفك بالكهانه فقال له عليُّ عليه السَّلَام: وملك إنَّها ليست بالكهانه منِّي و لكنَّ الله خلق الأرواح قبل

ص: ١٢٨

١- (١) السيئه الخلق، لعه.

٢- (٢) سلقه في الكلام اذاه و فلانا طعنه، ق

٣- (٣) لعله على سبيل الاستعاره من قولهم نزع في القوس اذا مدها، بحار.

الأبدان بألفى عام، فلما ركب الأرواح في أبدانها كتب بين أعينهم كافر و مؤمن و ما هم به مبتلون و ما هم عليه من سيئ عملهم و حسنه فى قدر اذن الفاره، ثم أنزل بذلك قرانا على نبيه صلى الله عليه و آله و سلم فقال:

«إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ» فكان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم المتوسم، ثم أنا من بعده، و الأئمة من ذريتي هم المتوسمون فلما تأملتها عرفت ما فيها و ما هي عليه بسيمائها.

و من البصائر بإسناده عن عبد الرحمن يعنى ابن كثير قال: حججت مع أبى عبد الله عليه السلام فلما صرنا فى بعض الطريق صعد على جبل فأشرف فنظر إلى الناس فقال: ما أكثر الضجيج و أقل الحجيج، فقال له داود الرقى: يا بن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم هل يستجيب الله دعاء هذا الجمع الذى أرى؟ قال: ويحك يا با سليمان إن الله لا يغفر أن يشرك به، الجاحد لولايه على عليه السلام كعابد وثن، قال: قلت: جعلت فداك هل تعرفون محبكم و مبغضكم؟ قال: ويحك يا با سليمان إن الله ليس من عبد يولد إلا كتب بين عينيه مؤمن أو كافر، و إن الرجل ليدخل إلينا بولايتنا و بالبراءه من اعدائنا فنرى مكتوبا بين عينيه مؤمن أو كافر، قال الله عز و جل: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ» نعرف عدونا من ولينا.

و قد وضح بهذه الأخبار كل وضح معنى قوله السابق: أتوسمكم بحليه المغترين، و ظهر أن توسمه عباره عن نظره عليه السلام إلى سماتهم الداله على خبث الطينه و لحاظه العلامات الكاشفه عن سوء السريره، فافهم ذلك و اغتنم.

الترجمه

بسبب نور وجود ما هدايت يافتيد در ظلمت شب جهالت، و بواسطه ما سوار شديد بر كوهان بلند يقين، و بجهه ما منتقل گشتيد از شب ضلالت، و بصباح اسلام رسيديد، گردباد يا سنگين باد گوشى كه نفهميد صدای داعى حق را، و چگونه مراعات بنمايد آواز ضعيف را آن كسى كه ساخته است او را آواز قوى، ثابت

باد قلبی که جدا نشد از آن طپیدن از ترس خدا، همیشه بودم که انتظار می کشیدم از شما عاقبتهای خیانت را و بفراست می یافتم شما را که متصفید بزینت فریفتگان از قبول باطل و ناروا، پوشانید مرا از دیده شما پرده دین من، و بینا گردانید مرا بر حال شما خلوص نیت و صفای باطن من.

الفصل الثانی

اشاره

أقمت لكم على سنن الحق في جواد المضله حيث تلتقون ولا دليل و تحتفرون ولا تميّهون اليوم أنطق لكم العجماء ذات البيان، عزب رأي امرء تخلف عني، ما شككت في الحق منذ رأته، لم يوجس موسى خيفه على نفسه، أشفق من غلبه الجهال، و دول الضلال، اليوم توافقنا على سبيل الحق و الباطل، من وثق بمآء لم يظماً.

اللغه

(أقام) بالمكان اقامه دام (سنن) الطريق مثلثه و بضمّتين نهجه و جهته و السّينه الطريقه و السّينه من الله حكمه و أمره و نهيه و أرض (مضله) بفتح الميم و الضاد يفتح و يكسر أى يضلّ فيها الطريق و (أماه) الحافر و أموه بلغ الماء، و البهيمه (العجماء) لأنها لا تفصح و استعجم الكلام علينا مثل استبهم و كلمه عجماء مبهمه و (عزب) الشىء عزوبا من باب قعد بعد، و غرب من بابى قتل و ضرب خفى و غاب و (الوجس) كالوعد الفرع يقع فى القلب و أوجس فى نفسه خيفه أى أحسّ و أضمر و (الاشفاق) الخوف و (دول) مثلثه جمع دوله.

و قال الفيومى تداول القوم الشىء تداولوا و هو حصوله فى يد هذا تاره و فى يد هذا اخرى، و الاسم الدّوله بفتح الدّال و ضمّها و جمع المفتوح دول بالكسر مثل قصعه و قسع و جمع المضموم دول بالضم مثل غرفه و غرف، و منهم من يقول الدّوله

بالضمّ فى المال و بالفتح فى الحرب و على هذا فالانسب أن يكون دول فى كلامه عليه السّلام بالكسر ليكون جمع دوله بالفتح و (التّواقف) بالقاف قبل الفاء هو الوقوف و (الظماء) شدّه العطش.

الاعراب

العجماء بالفتح مفعول انطق أو صفه لمحذوف أى الكلمات و خيفه بالنّصب مفعول لم يوجس، و أشفق بصيغه التّفصيل صفه خيفه و يحتمل أن يكون بصيغه الماضى و استدراكا عن سابقه أى لم يوجس موسى خيفه على نفسه و لكنّه أشفق من غلبه الجهال.

المعنى

لمّا ذكر عليه السّلام حال المنافقين معه من غدرهم و اغترارهم و نفارهم و استكبارهم و ما هم عليه من الغفله و الجهاله بشأنه عليه السّلام و رتبته مع كونه سبب هدايتهم فى الظلماء و تسنّمهم على سنام العلياء أردف ذلك بما يدلّ على وجوب اقتفاء آثاره، و اقتباس أشعّه أنواره فى سلوكك منهج الحقّ القويم و سير سبيل الله المستقيم فقال (أقمت لكم) أى دمت و ثبت (على سنن الحقّ) و جهته (فى جواد المضله) أى الجواد التى يضلّ فيها و يزلّ فيها الاقدام، و المراد بسنن الحقّ هو دين الله الذى لا يقبل من العباد غيره و هو الصّراط المستقيم الموصل إلى الرّضوان و من جواد المضلّه هو شبل الشّيطان المؤدّيه إلى النيران.

قال عبد الله بن مسعود: خطّ لنا رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم خطا و قال: هذا صراط الله ثمّ خط خطوطا عن يمينه و شماله و قال: هذه سبل و على كلّ سبيل منها شيطان يدعون النّاس إليها ثمّ تلا قوله تعالى:

«وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ» و المراد بقوله عليه السّلام أقمت لكم الإشارة إلى إقامته على نهج الحقّ لدعوه النّاس إليه كما قال تعالى:

«قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي» قال أبو جعفر عليه السّلام في تفسيره: ذاك رسول الله و أمير المؤمنين و الأوصياء من بعدهما عليهم السّلام يعنى أنّ الدّاعى هو رسول الله و من اتّبعه أمير المؤمنين و الأوصياء التّابعون له فى جميع الأقوال و الأفعال فمن أجاز لهم دعوتهم و سلك سبيلهم:

«فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصّٰدِقِينَ وَ الشّٰهَدَاءِ وَ الصّٰلِحِينَ وَ حَسَنَ أَوْلِيَٰكَ رَفِيقًا» و من تخلف عنهم و لم يجبهم دعوتهم و سلك سبيل غيرهم يكون ذلك حصره عليه و يقول:

«يَوْمَ يَعْصُ الظّٰلِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا- يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا» و بالجمله فمقصوده عليه السّلام من كلامه إنّى فعلت من هدايتكم و إرشادكم و أمركم بالمعروف و نهىكم عن المنكر ما يجب على مثلى فوقفت لكم جاده الطريق و منهجه حيث أنّ طرق الضّلال كثيره مختلفه و أنتم فيها تائهون حائرّون (حيث تلتقون) و تجتمعون (و لا دليل) لكم (و تحتفرون) الآبار لتجدوا ماء تروون به غلتكم (فلا- تميهون) و لا- تجدون الماء(اليوم انطق لكم العجماء ذات البيان) لتشهد بوجوب اتّباعى و تدلّ على ما ينبغى فعله فيكلّ باب و كنى عليه السّلام بالعجماء ذات البيان عن العبر الواضحه و ما حلّ بقوم فسقوا عن أمر ربّهم و عمّا هو واضح من كمال فضله عليه السّلام بالنّسبه إليهم و عن حال الدّين و مقتضى أوامر الله، فإنّ هذه الامور عجماء لا نطق لها مقالا ذات البيان حالا، و لمّا بينها عليه السّلام لهم و عزّفهم ما يقوله لسان حالها فكأنّه أنطقها لهم، و قيل: العجماء صفه لمحذوف أى الكلمات العجماء، و المراد بها ما فى هذه الخطبه من الرّموز التى لا نطق لها مع أنّها ذات بيان عند اولى الالباب.

قال الشّارح المعتزلى: و هذه إشاره إلى الرّموز التى تتضمنها هذه الخطبه يقول: هى خفيّه غامضه و هى مع غموضها جليّه لاولى الأبواب فكأنّها تنطق كما ينطق

ذوو الألسنه كما قيل: ما الامور الصّامته الناطقه؟ فقيل: الدلائل المخبره و العبر الواضحه، و فى الأثر سل الأرض من شقّ أنهارك و أخرج ثمارك؟ فإن لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا، ثم إنّه عليه السّلام أشار إلى ذمّ من تخلف عنه و تويخه بقوله:

(عزب) اى بعد أو غاب و خفى (رأى امرء تخلف عني) لأنّ التخلف عنه دليل على بعد الرّأى الصّائب عن المختلف، و ذلك لأنّ المختلف لمّا فكر فى أن أئى الامور أنفع له أن يكون من متابعيه أو المتخلفين عنه ثم رأى أن التخلف عنه أوفق كان ذلك أسوء الآراء و أقبحها فهو فى الحقيقه كمن أقدم على ذلك بغير رأى يحضره أو لأنّ الرّأى الحقّ كان غاربا عنه.

ثمّ اشار عليه السّلام إلى بعض علل و جوب اتّباعه بقوله: (ما شككت فى الحقّ (1) مذ رأيتّه) لأنّ من لم يشكّ فى الحقّ أحقّ بالاتباع ممّن كان فى شكّ من دينه لاحتياجه إلى من يهديه قال سبحانه:

«أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» (لم يوجس موسى خيفه على نفسه أشفق من غلبه الجهّال) على الحقّ (و دول الضلال) و هذا تمثيل و إشاره إلى أنّ خوفه عليه السّلام منهم لم يكن على نفسه بل كان شده خوفه من غلبه أهل الجهل على الدّين و فتنه الخلق بهم و قيام دول الضّلال كما أن خوف موسى من جهله السحره على ما أخبر به سبحانه فى كتابه الكريم كان من هذه الجههقال فى سوره طه:

«قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَ إِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصْوَاهُمْ يُحْيِلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ فَأَوْجَسَ»

ص: ١٣٣

١- (١) فى البحار من كتاب الارشاد فى خطبه له (عليه السلام) و ما شككت فى الحق منذ رايتّه هلك قوم ارجفوا عنى انه لم يوجس موسى فى نفسه خيفه ارتيابا و لا شكّا فيما اتاه من عند الله و لم اشكك فيما اتانى من حقّ الله و لا ارتبت فى امامتى و خلافه ابن عمى و وصيه الرسول و انما اشفق اخى موسى من غلبه الجهال دول الضلال و غلبه الباطل على الحق انتهى، منه.

«فِي نَفْسِهِ خَيْفَهُ مُوسَى قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى» قال الطبرسي: معناه فأحس موسى و وجد في نفسه ما يجده الخائف، و يقال أوجس القلب فزعاً أي أضمر، و السبب في ذلك أنه خاف أن يلتبس على الناس أمرهم فيتوهموا أنهم فعلوا مثل فعله و يظنوا المساواه فيشكوا و لا يتبعونه، ثم ذكر وجوهاً آخر في سبب الخوف و الأظهر ذلك كما يشهد به كلام الامام عليه السلام و يدل عليه قوله: لا- تخف إنك أنت الأعلى، فإنه تقرير لغلبته عليهم على أبلغ وجه و أكدده كما يعرب عنه الاستيناف و حرف التحقيق و تكرير الضمير و تعريف الخبر و لفظ العلو المنبئ عن الغلبة الظاهره و صيغته التفضيل (اليوم توافقنا على سبيل الحق و الباطل) أي وقفت على سبيل الحق و وقفت على سبيل الباطل و ضم نفسه إليهم على حد قوله:

«إِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» و قوله (من وثق بماء لم يظمأ) الظاهر أن المراد به أن من كان على الحق و أيقن على ذلك و اعتمد على ربه و توكل عليه لا- يبالي على ما وقع فيه، كما أن من ائتمن بماء لم يفزعه عطشه، و قال الشارح المعتزلي و البحراني إن مراده عليه السلام إن سكتتم إلى قولي و وثقتم بي كتمت أقرب إلى الهدى و السلامه و أبعد من الضلاله، و ما ذكرناه أظهر

الترجمه

ثابت شدم من بجهه هدايت شما بر طريق حق در جاده هائي كه محل گمراهي است در مكاني كه ملاقات مي كرديد بهمديگر و حال آنكه هيچ دليل و هادي نبود شما را، و چاه مي كنديد و آب نمي رسيديد يعني بحث و كاوش مي كرديد از براي اخراج نتيجه مطلوب در اوديۀ قلوب و از تحصيل نتيجه مطلوبه عاجز بوديد، امروز بزبان در آوردم بجهه شما حيوان بي زبان را يعني هر كه هست از بيزبانان مخبرند بلسان حال بامثال مقال من و ناطقند بر وجوب اتباع و حقيقت حال من، غايب شد رأي صايب مردی كه تخلف کرده است از من، شك نكرده ام من در حق از آن

زمانی که عالم بحق شده ام، احساس نکرد موسی بن عمران علیه السّلام خوفی را بر نفس خود که سخت تر بوده باشد از خوفی که داشت از غلبه جلاهان و قیام دولتهای گمراهان، امروز ایستاده ایم ما و شما بر راه حق و باطل یعنی من ایستاده ام بر طریق هدایت و شما ایستاده اید در راه ضلالت، هر کسی که وثوق و اطمینان داشته باشد بآب تشنه نماند، و الله أعلم بالصواب.

و من کلام له علیه السلام لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و خاطبه

اشاره

العباس و ابو سفیان بن حرب فی ان یبایعا له

بالخلافه و هو الخامس من المختار فی باب الخطب

و رواه فی البحار من مناقب ابن الجوزی بأدنی اختلاف تطّلع علیه:

أيها الناس شقوا أمواج الفتن بسفن النجاء، و عرجوا عن طريق المنافره، وضعوا تيجان المفاخره، أفلح من نهض بجناح، أو استسلم فأراح، ماء آجن و لقمه يغصّ بها آكلها، و مجتنى الثمره لغير وقت إيناعها كالزّارع بغير أرضه، فإن أقل يقولوا حرص على الملك، و إن أسكت يقولوا جزع من الموت، هيهات بعد اللّيتيا و التّي، و الله لابن أبي طالب أنس بالموت من الطّفل بثدي أمّه، بل اندمجت على مكنون علم لو بحت به لا اضطربتم اضطراب الأرشيه في الطّوى البعيده.

اللغه

(عرجوا) أى انحرفوا و اعدلوا يقال: عرجت عنه عدلت عنه و تركته و (تيجان) جمع تاج و هو الاكليل و (مفاخره) فخاره و فخارا عارضه بالفخر، قال الشّارح

ص: ۱۳۵

المعتزلى: المفاخره هو أن يذكر كل من الرّجلين فضائله و مفاخره ثم يتحاكما إلى ثالث و (الماء الاجن) المتغير الطعم و اللون و (غصص) بالكسر و الفتح و يغصّ بالفتح و هو غاصّ و (جنيت الثمره) و اجتنيتها و (ينعت) الثمار من باب ضرب و منع أدركت و (اللتيا) بفتح اللام و التياء و تشديد الياء تصغير التيا، و اللتيا و التيا من أسماء الداهيه يقال: وقع فلان فى اللتيا و التيا فى الداهيه، و قيل: يكنى بهذه اللفظهم كمال الشده و الخزن و بهذه المناسبه جعلت علما للداهيه، و قيل:

اللتيا الداهيه التيا بلغت الغايه و التصغير للتعظيم أو بالعكس و التصغير للتحقير.

و فى بعض كتب الأدبيه على ما ببالى أنه تزوّج رجل امرأه قصيره سيئه الخلق فقاسى منها شدائد فطلقها، و تزوّج طويله فقاسى منها أضعاف القصيره فطلقها و قال بعد اللتيا و التيا لا أتزوّج فصار مثلاً، و مثل ذلك ذكر الشّارح البحرانى، و قال الحريرى فى المقامات: اللتيا تصغير التيا و هو على غير قياس التصغير المطرد لأنّ القياس أن يضمّ أول الاسم إذا صغّر و قد أقرّ هذا الاسم على فتحه الأصليه عند تصغيره إلا أنّ العرب عوّضته من ضمّ أوله بأن زادت فى آخره الفاء و أجرت أسماء الاشاره عند تصغيرها على حكمه فقال فى تصغير الذى و التيا: اللذيا و اللتيا و فى تصغير ذا و ذاك: ذيا و ذياك، و قد اختلف فى معنى قولهم بعد اللتيا و التيا و قيل: هما من أسماء الداهيه، و قيل: المراد بهما صغير المكروه و كبيره انتهى.

و (اندمج) فى الشىء دخل فيه و تستر به و (باح) بسرّه أظهره كإباحه و (الارشيه) جمع رشا ككساء و هو الحبل و (الطوى) كغنى اسم بئر بذى طوى على ما ذكره الفيروزآبادى، و لعل المراد هنا مطلق البئر كطويه.

الاعراب

ماء آجن مرفوع على الابتداء و الخبر محذوف و هو ما صرّح به فى روايه ابن الجوزى أى أجدر بالعاقل اه، أو خبر محذوف المبتدأ أى ما تدعونى إليه ماء آجن و مجتنى الثمر مبتدأ و كالتّزاع خبره و على فى قوله عليه السّلام على مكنون علم بمعنى فى

على حدّ قوله: و دخل المدينة على حين غفله، و البعده صفه و تأنيثها باعتبار أن الطوى اسم للبئر و هى انثى.

المعنى

إشارة

اعلم أنه قال الشارح المعتزلى: لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و اشتغل على عليه السلام بغسله و دفنه و بويع أبو بكر خلا(١) الزبير و أبو سفيان و جماعه من المهاجرين بعباس و على عليه السلام لاجاله رأى و تكلموا بكلام يقتضى الاستنهاض و التهييج، فقال العباس رضى الله عنه، قد سمعنا قولكم فلا لقله نستعين بكم و لا لظنه نترك آرائكم فامهلونا نراجع الفكر فان لم يكن لنا من الاثم مخرج يصر(٢) بنا و بهم الحق صرير الجدجد و نبسط إلى المجد أكفًا لا نقبضها أو يبلغ بالمدى، و إن تكن الاخرى فلا- لقله فى العدد و لا لوهن فى الأيد و الله لو لا أن الاسلام قيّد الفتك لتكدكت جنادل صخر يسمع اصطكاكها من المحلّ العلى، فحلّ عليه السلام حبوته(٣) و قال: الصبر حلم و التقوى دين و الحجّه محمد صلى الله عليه وآله و سلم و الطريق الصراط، أيها الناس شقوا أمواج الفتن الخطبه، ثم نهض إلى منزله و افترق القوم.

و قال البحرانى روى أنه لما تمّ فى سقيفه بنى ساعده لأبى بكر أمر البيعه أراد أبو سفيان بن حرب أن يوقع الحرب بين المسلمين ليقتل بعضهم بعضا فيكون ذلك دمارا للدين فمضى إلى العباس فقال له: يا أبا الفضل إنّ هؤلاء القوم قد ذهبوا بهذا الأمر من بنى هاشم و جعلوه فى بنى تيم، و إنّه ليحكم فينا غدا هذا الفظ الغليظ من بنى عدى فقم بنا حتّى ندخل على على عليه السلام و نبايعه بالخلافه و أنت عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم و أنا رجل مقبول القول فى قريش، فإن دافعونا عن ذلك قاتلناهم و قتلناهم، فأتيا أمير المؤمنين عليه السلام فقال له أبو سفيان: يا أبا الحسن لا تعافل عن هذا الأمر متى كنا لتيم الارذال و كان عليه السلام يعلم من حاله أنه لا يقول ذلك عصبه للدين بل للفساد الذى

ص: ١٣٧

١- (١) من الخلوه.

٢- (٢) صر صريرا صاح و صوت ق.

٣- (٣) و احنبي بالثوب اشتمل او جمع بين ظهره و ساقيه بعمامه و نحوها و الاسم الحبوّه و يضم، ق.

زواه فى نفسه فأجابه عليه السّلام بقوله:

(أيّها النّاس شقّوا أمواج الفتن بسفن النّجاه) شبّه الفتن بالبحر المتلاطم فى كون كلّ منهما سبب هلاك الخائضين فيها، و قرن ذلك بالأمواج التى هى من لوازم البحر و كتّى بها عن هيجان الفتنة و ثورانها، و أتبعها بذكر سفينة النّجاه التى هى من ملايمات البحر، و لمّا كانت السّفن الحقيقه تنجى من أمواج البحر استعارها لكل ما يحصل به الخلاص من الفتن و وجه المشابهه كون كل منهما وسيله إلى السّلامه (و عزّجوا) أى انحرّفوا و اعدّلوا (عن طريق المنافره) إلى المتاركه و المسالمه (و ضعوا تيجان المفاخره) لما كان التّياج ممّا يعظم به قدر الانسان و هو أعظم ما يفتخر به استعاره لما كانوا يتعظمون به و يفتخرون و أمرهم بوضعه مريدا بذلك ترك التّفاخر الموجب لانبعاث الفتنة و هيجان العصبية، و لمّا أمر عليه السّلام بالعدول عن التّفار و الافتخار أشار إلى ما ينبغى أن يكون الانسان عليه فى تلك الحاله التى هاجت فيها الفتن و عظمت فيها المحن بقوله: (أفّلح من نهض بجناح أو استسلم فاراح) يعنى أن الفلاح فى تلك الحال بأحد الأمرين.

أحدهما التّهوص إلى الأمر و مطالبه الحقّ بوجود النّاصر و المعين اللذين هما بمنزله الجناح للطير فى كونها واسطه الظفر بالمطلوب و الفوز بالمقصود.

و ثانيهما التسليم و الانقياد و التّرك و السّلامه لمن لم يكن له جناح النّجاح فيستسلم و ينفاد فيريح نفسه من تعب الطلب.

ثمّ أشار عليه السّلام إلى أنّ ما كانوا يدعون إليه و يحملونه عليه (ماء آجن) يتغيّر اللون و الطعم (و لقمه يغص بها) أى بأكلها (آكلها) أى ينشب فى حلق آكلها و يكون غاصّاً لا يمكنه إساغتها، و تشبيهه الخلافه فى تلك الحاله بهما إشاره إلى نفره النّفس عنها و عدم التذاذها بها مع وجود المنافسه التى كانت فيها، فهى فى تلك الحال كانت لقمه منغصه و جرعه لا يسيغها شاربها و قد ذكر شارحو كلامه فى هذا المقام وجوهاً آخر و ما ذكرناه أظهر، ثمّ إنّ هذا كله على جعل ماء آجن خبراً لمبتدأ محذوف على ما اشرنا إليه و أمّا على تقدير جعله مبتدأً حذف خبره مطابقاً

لما صرّح به في روايه ابن الجوزى التى تاتى فى التّكملة الآتيه، فالغرض أنّ التّحمل على المذله و الصّبر على الشّدّه أولى مع حسن العاقبه و أحسن من ارتكاب أمر يوجب اشتداد البليّه و سوء العاقبه.

ثمّ أخذ فى الاعتذار عن الامساك و ترك المنازعه بقوله عليه السّلام: (و مجتنى الثمره لغير وقت إيناعها كالزّارع بغير أرضه) يعنى من احتنى الثمره قبل أن تدرك لا- ينتفع بها كما لا- ينتفع الزّارع بغير أرضه من زرعه لعدم قدرته على الاقامه فى محلّ زراعته و عدم امكان سعيه فى إصلاحها بسقيها و حراستها و جبايتها و نحوها، و المقصود أنّ هذا الوقت ليس وقت طلب هذا الأمر و لا يسوغ لى المطالبه إمّا لعدم التّاصر أو لغير ذلك.

و قال المحدّث المجلسى طاب رسمه: و لعلّه شبّه عليه السّلام طلبه فى هذا الوقت بمن يجتنى ثمرته مع عدم ايناعها، و شبّه اختيار الملعون الخلافه بمن زرع فى غير أرضه فيفيد ما تقدّم أى عدم الانتفاع مع كمال التّشبيه فى الفقرتين (فإن أقل) فى باب الخلافه شيئا (يقولوا: حرص على الملك) كما قاله عمر فى غير موضع واحد (و إن أسكت) من حيث اقتضاء المصلحه (يقولوا: جزع من الموت) و هذا كلّه إشارة إلى عدم أمنه عليه السّلام من حصائد الألسنه و غوائل الزّخرفه، حيث إنهم مع التّكلم كانوا ينسبونّه إلى الحرص و الاهتمام بأمر الدّنيا، و مع التّيكوت كانوا ينسبونّه إلى الجزع و العجز و الخوف من الموت كما هود أب المنافق الحاسد و الكافر الجاحد فى كلّ عصر و زمان خصوصا فى حقّ مثله عليه السّلام.

كما قال الصّادق عليه السّلام فى روايه المجالس: إنّ رضا النّاس لا يملك و ألسنتهم لا تضبط، ألم ينسبوه صلّى الله عليه و آله و سلّم يوم بدر إلى أنّه أخذ من المغنم قطيفه حمراء حتّى أظهره الله على القطيفه، و برء نبيّه من الخيانه، و أنزل فى كتابه: و ما كان لنبيّ أن يغلّ الآيه.

و فى الصّافى عن المجالس عن الصّادق عليه السّلام إنّ رضا النّاس لا يملك و ألسنتهم لا تضبط و كيف تسلّمون ما لم يسلم منه أنبياء الله و رسله و حججه ألم ينسبوا نبيّنا

محمدا صلى الله عليه وآله وسلم إلى أنه ينطق عن الهوى في ابن عمه علي عليه السلام حتى كذبهم الله فقال:

«وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ» وقال الشاعر وربما ينسب إليه عليه السلام.

قيل إن الإله ذو ولد وقيل إن الرسول قد كهنا

ما نجا الله والرسول معا من لسان الورى فكيف أنا

ثم إنّه عليه السّلام أشار إلى بطلان ما زعموا فى حقّه و تكذيب ما قالوا فيه من جزعه من الموت على تقدير السيّكوت بقوله: (هيّهات) أى بعد ما يقولون (بعد اللّيتيا و التى) أى بعد هذه الدّاهيه الكبرى و ملاقات كبار الشّدائد و صغارها (و الله لابن أبى طالب آنس بالموت) و أرغب فيه و أميل إليه (من) ميل (الطفل) و رغبتة (بشدى امّه) و تفضيله عليه السّلام انسه بالموت على انس الطفل بالشّدى بملاحظه أن انس الطفل جبلى و طبيعى فى معرض الفناء و الزّوال و انسه عليه السّلام بالموت و لقاء ربّه عقلى روحانى متّصف بالبقاء و الثبات فاين أحدهما من الآخر.

ثمّ أشار عليه السّلام إلى سرّ سكوته عن طلب حقّه بقوله: (بل اندمجت) أى انطويت (على مكنون علم لو بحت به) و أظهرته (لاضطربتم اضطراب الأرشيه) و الحبال (فى الطوى البعيده) و البئر العميقه، و اختلفوا فى أنّ المراد بالعلم المكنون ما ذا؟ فقيل: إنّّه إشاره إلى الوصيّه التى اختصّ بها و قد كان من جملتها الأمر بترك النّزاع فى مبدء الاختلاف.

و قيل إنّ المراد به علمه بعواقب الامور المانع من سرعته إلى ما فيه المفسده و الموجب لتوقفه على ما اقتضته المصلحه.

و قيل: إنّّه أراد به علمه بأحوال الآخره و أهوالها، يعنى أنّ الّذى يمنعنى من المنافسه فى هذا الأمر و القتال عليه اشتغالى بما انطويت عليه من علم الآخره ممّا لو أظهرته لكم لاضطربتم اضطراب الحبال فى الآبار خوفا من العقاب و شوقا إلى الثّواب و لذهلتم عمّا أنتم فيه من التنافس فما أمر؟؟ الدّنيا.

أقول: و الأظهر عندى أنّ المراد به هو ما أعلمه النبىّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ بِالْوَحىِ الإلهىِ من جريان حكم القضاء اللازم على دوران رحى الضلاله بعده صلوات الله عليه و آله على قطبها إلى رأس خمس و ثلاثين من الهجره، ثم قيام دوله بنى اميه على ما يجرى فيها على المسلمين و المؤمنين من العذاب الأليم و النكال العظيم، ثم ملك الفراعنه أعنى بنى العباس على ما يتلى به الناس فيه من الفتن و المحن، و لعلّ هذا الوجه أقرب، و محصّيه أنّ القضاء الأزلى و القدر الحتمى قد جرى على وقوع هذه الامور و استيلاء الدوله الباطله لا محاله، فلا يثمر النهوض و لا ينفع إلا الشكوت، و الله العالم بحقايق كلام وليه صلوات الله عليه و آله.

تكملة

هذا الكلام رواه المجلسى فى البحار بأدنى اختلاف، قال: مأخوذ من مناقب ابن الجوزى خطبه خطب بها أمير المؤمنين عليه السلام بعد وفات رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ، روى مجاهد عن ابن عباس قال: لما دفن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ جاء العباس و أبو سفيان بن حرب و نفر من بنى هاشم إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقالوا: مدّ يدك نبايعك و هذا اليوم الذى قال فيه أبو سفيان: إن شئت ملاءتها خيلا و رجلا، فخطب عليه السلام و قال:

أيها الناس شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة، و عرجوا عن طريق المنافره وضعوا تيجان المفاخره، فقد فاز من نهض بجناح، أو استسلم فارتاح، ماء آجن و لقمه يغصّ بها آكلها أجدر بالعاقل من لقمه تحشى بزنبور، و من شربه تلذّبها شاربها مع ترك النظر فى عواقب الامور، فان أقل يقولوا: حرص على الملك؛ و إن أسكت يقولوا: جزع من الموت، هيهات هيهات بعد اللتيا و التى و الله لابن أبى طالب آنس بالموت من الطفل بشدى امه، و من الرّجل بأخيه و عمه، و لقد اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشيه فى الطوى البعيده.

الترجمه

از جمله کلام آن حضرتست در حینی که پیغمبر خدا صلوات الله عليه و آله از

دنیا احتجاج فرمود و خطاب نمودند به آن حضرت عباس بن عبدالمطلب و أبو سفیان بن حرب در آنکه بیعت نمایند باو بخلاف، پس فرمود در جواب ایشان:

ای مردمان بشکافید موجهای فتنه ها را که در تلاطم مانند بحار زخار است بکشتیهای راستکاری، و منحرف بشوید و عدول نمائید از راه مخالفت بسوی استکانت و سلامت، و بگذارید از سرها تاجهای مکابرت و مفاخرت را، راستکار کردید کسی که برخاست بجناح اعوان و انصار یا اطاعت نمود و نفس خود را راحت کرد، چیزی که مرا بسوی آن دعوت می کنید از عقد بیعت همچو آبی است گندیده، و مانند لقمه ایست که بسبب خوردن آن گلو گیر می شود خوردنده آن، و چینه میوه در غیر وقت رسیدن آن بمنزله کسی است که زراعت کننده است در غیر زمین خود، پس اگر بگویم که میل دارم در خلافت می گویند که حریص است در ملک و امارت، و اگر ساکت شوم می گویند که ترسید از مقاتله و شهادت، چه دور است آنچه می گویند بعد از این داهیة عظمی و مصیبت کبری و تعاقب شدائد بسیار و ملاقات سختیهای بی شمار، بخدا قسم هر آینه پسر أبو طالب انس گیرنده تر است بمرک از انس گرفتن طفل شیرخواره بیستان مادر خود، بلکه سبب سکوت و توقف من در این باب آنست که پیچیده شده ام بعلم مخزون و سر مکنونی که پنهان است که اگر اظهار بدارم آن را بشما هر آینه مضطرب می شوید، و بلرزه میافتید مانند لرزیدن ریسمان در چاه دور و دراز، و این اشاره است بقیام دولت اهل ضلالت و طغیان و امتداد زمان غضب خلافت ایشان.

اشاره

و الزبير و لا يرصد لهما القتال و هو سادس المختار

فى باب الخطب الجارى مجراها

و رواه فى البحار من الامالى بسند يأتى، فى شرح البحرانى عن أبى عبيد قال أقبل أمير المؤمنين عليه السلام الطواف و قد عزم على اتباع طلحه و الزبير و قتالهما فأشار إليه ابنه الحسن عليه السلام أن لا يتبعهما و لا يرصد لهما القتال فقال عليه السلام فى جوابه:

و الله لا أكون كالضبع تنام على طول اللدم حتى يصل إليها طالبها و يختلها راصدها، و لكننى أضرب بالمقبل إلى الحق المدبر عنه و بالسامع المطيع العاصى المريب أبدا حتى يأتى على يومى، فو الله ما زلت مدفوعا عن حقى مستأثرا على منذ قبض الله نبيه صلى الله عليه و آله و سلم حتى يوم الناس هذا.

اللغة

(الضبع) بضم الباء حيوان معروف مؤنثه، قال الفيروزآبادى و هى سبع كالذئب إلا أنه إذا جرى كأنه أعرج و لذلك سمي السبع العرجاء و (اللدّم) اللطم و الضرب بشيء ثقيل يسمع وقعته و (ختله) يختله من باب نصر و ضرب خدعه و (استأثر) بالشىء استبد به.

الاعراب

على فى قوله: على طول اللدم، للاستعلاء المجازى على حدّ قوله تعالى:

«و لهم على ذنب»، و الباء فى قوله: بالمقبل و بالسامع، للاستعانه أو المصاحبه،

و عليّ في قوله: يأتي عليّ، زائده، و حتّى في قوله: حتّى يوم الناس بمعنى إلى و الاثنيان بها دون إلى للاشاره إلى دخول ما بعدها في حكم ما قبلها إذ الغالب في حتّى مع الخلوّ من القرينه هو الدخول، كما أنّ الغالب في الي العكس؛ صرّح به ابن هشام في المعنى.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ الضّبع حيوان معروف بالحمق و العرب تقول في أمثالها أحقق من الضّبع، و من حمقها أنّ الصّائد يأتي إلى باب مغارها فيضرب بعقبه الأرض عند الباب ضربا خفيفا، و ذلك هو اللدم و يقول خامري ام عامر مرارا بصوت ليس بشديد فتنام على ذلك فيدخل إليها و يجعل الحبل في عرقوبها و يجرّها فيخرجها.

و في شرح المعتزلى و العرب يزعمون أنّ الصّائد يدخل عليها و جارها فيقول:

اطرقى ام طريق خامري ام عامر، و يكرّر ذلك مرارا فتلجأ إلى أقصى مغارها و تنقبض فيقول: ام عامر ليست في و جارها ام عامر نائم، فتمدّ يديها و رجليها و تستلقى فيدخل عليها و يوثقها.

أقول: عامر هو جر و الضّبع و ام عامر كنيه لها و معنى خامري ام عامر استتري و الزمى مكانك من المخامره و هو الاستتار و لزوم المكان، و ام طريق كقبيط (1) كنيه لها أيضا و هو كثير الاطراق.

و في القاموس يقال: خامري حضاجر أتاك ما تجاوز هكذا وجدناه و الوجه خامر بحذف الياء أو تجاوزين باثباتها، و حضاجر علم جنس للضّبع غير منصرف لأنّه منقول عن الجمع و كان في الأصل حضجر بمعنى عظيم البطن سمى به الضّبع مبالغه في عظم بطنها، كأن كلّ فرد منها جماعه من هذا الجنس، فهو علم للمفرد المؤنث و لذلك قال الفيروز آبادى: و الوجه أن يقال: تجاوزين، و أما الوجه الآخر الذى ذكره و هو حذف الياء في خامر فهو مبنّى على كونه علما لجنس الضّبع الأعمّ الشامل

ص: ١٤٤

لذكر و الاثنى على ما ذهب إليه البعض على ما حكاه الفيومى فى المصباح.

و كيف كان فاذا عرفت ما مهّدها و ضح لك معنى قوله عليه السّلام:(و الله لا أكون كالضّبع تنام على طول اللدم حتّى يصل إليها طالبها و يختلها) أى يخدعها (راصدها) و مترقبها و المقصود إنى لا أقعد عن الحرب و لا أوخر القتال فيكون حالى مع القوم المشار إليهم حال الضّبع تنام على حيله صائدها، فأكون قد أسلمت نفسى لهم و يكونون متمكّنين منى تمكّن صائد التّميع منها بختله و خديعته (و لكنتى أضرب) مصاحبا (بالمقبل إلى الحقّ) وجه (المدبر عنه و) احارب مستعينا (بالسامع المطيع) لداعى الحقّ (العاصى المريب) فى الحقّ الشّاك فيه (ابدا) أى ما دام العمر (حتّى يأتى علىّ يومى) الذى قدّر فيه موتى (فو الله ما زلت مدفوعا عن حقّى) الذى كنت أستحقّه بنصّ من الله و رسوله (مستأثرا علىّ) و مستبدا برأبى غير محتاج إلى مشاوره الغير (منذ قبض الله نبيّه صلى الله عليه و آله و سلّم) إليه (حتّى يوم الناس هذا) يعنى أنّ التغلب علىّ و اندفاعى عن الخلافه شىء لم يتجدد الآن بل كان منذ قبض رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم إلى ذلك اليوم الذى خالفونى و نكثوا بيعتى.

و فى الاحتجاج قال أمير المؤمنين عليه السّلام فى أثناء كلام له: و هذا طلحه و الزّبير ليسا من أهل التّبوه و لا من ذريّه الرّسول حتّى رأيا أنّ الله قد ردّ علينا حقّنا بعد أعصر فلم يصبرا حولاً كاملاً و لا شهراً حتّى و ثبا علىّ دأب الماضين قبلهما ليذهبا بحقّى و يفرّقا جماعه المسلمين عنى ثمّ دعا عليهما.

و ينبغى التنبيه على امور

الاول فى ذكر نسب طلحه و الزّبير

أما طلحه فقد قال العلامة الحلبيّ قدّس الله روحه فى كشف الحقّ و قد ذكر أبو المنذر هشام بن محمّد السائب الكلبى من علماء الجمهور أنّ من جملة البغايا و ذوى الرّايات صعبه بنت الحضرمى و كانت لها رايه بمكه و استصفت بأبى سفيان فوقع عليها أبو سفيان و تزوّجها عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم فجاءت بطلحه بن عبيد الله لسّته أشهر، فاختصم أبو سفيان و عبيد الله فى طلحه فجعلها أمرهما إلى صعبه فألحقته بعبيد الله فقبل لها: كيف تركت

ص: ١٤٥

أبا سفيان؟ فقالت يد عبيد الله طلقه و يد أبي سفيان بكره، و قال أيضا: و ممن كان يلعب به و يتخنث عبيد الله أبو طلحه.

و أما الزبير فقد قال في البحار: قال مؤلف كتاب إلزام التواصب و صاحب تحفه الطالب: قد ورد أنّ العوام كان عبدا لخويلد ثمّ اعتقه و تبنّاه (١) و لم يكن من قريش و ذلك أنّ العرب في الجاهليّة كان إذا كان لأحدهم عبد و أراد أن ينسبه إلى نفسه و يلحق به نسبه أعتقه و زوجته كريمه من العرب فيلحقه بنسبه و كان هذا من سنن العرب و يصدّق ذلك شعر عدى بن حاتم في عبد الله بن الزبير بحضره معاوية و عنده جماعة من قريش و فيهم عبد الله بن الزبير، فقال عبد الله لمعاوية يا أمير المؤمنين ذرنا نتكلم عديا فقد زعموا أنّ عنده جوابا، فقال: إنني أحذركموه، فقال: لا عليك دعنا و إياه فقال يا أبا طريف متى فقئت عينك؟ فقال: يوم فرّ أبو بكر و قتل شرّ قتله و ضربك الاشر على استك فوقعت هاربا من الزحف و أنشد يقول شعرا.

أما د أبي يابن الزبير لو انى لقيتك يوم الزحف رمت مدى سخطا

و كان أبي في طي و أبوابي صحيحين لم ينزع عروقهما القبطا

قال معاوية: قد حدّرتكموه فأبيتم، و قوله: صحيحين اه تعريض بابن الزبير بأنّ أباه و أبا أبيه ليسا بصحيحى النسب و أنّهما من القبط و لم يستطع ابن الزبير انكار ذلك في مجلس معاوية.

الثانى

فى سبب نقض طلحه و الزبير بيعته عليه السلام

، قال الشّارح المعتزلى: لما بويع علىّ عليه السّلام كتب إلى معاوية: أمّا بعد فإنّ الناس قتلوا عثمان من غير مشوره منى و بايعونى عن مشوره منهم و اجتماع فإذا أتاك كتابى فبايع و أوفد إلى أشراف أهل الشّام قبلك، فلما قدم رسوله على معاوية و قرء كتابه بعث رجلا من بنى عيس و كتب معه كتابا إلى الزبير بن العوام و فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله الزبير أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان

ص: ١٤٦

سلام عليك، أما بعد فإني قد بايعت لك أهل الشام فأجابوا و استوسقوا(١) كما يستوسق الحلب فدونك الكوفه و البصره لا يسبقنك إليهما ابن أبي طالب فإنه لا شيء بعد هذين المصرين، و قد بايعت لطلحه بن عبيد الله بن بعدك فأظها الطلب بدم عثمان و ادعوا الناس إلى ذلك و ليكن منكما الجدّ و التشمير أظفر كما الله و خذل مناديكما.

فلما وصل هذا الكتاب إلى الزبير ستر به و أعلم به طلحه و أقرأه إياه فلم يشكا في التصح لهما من قبل معاويه و أجمعا عند ذلك على خلاف عليّ عليه السلام.

قال الشّارح: جاء الزبير و طلحه إلى عليّ عليه السلام بعد البيعه بأيام فقالا: يا أمير المؤمنين قد رأيت ما كنا فيه من الجفوه في ولايه عثمان كلها و علمت رأى عثمان كان في بني امية و قد ولاك الله الخلفه من بعده فولنا بعض أعمالك، فقال عليه السلام لهما: ارضيا بقسم الله لكما حتى أرى رأيي و اعلمنا أنني لا اشرك في أمانتي إلا من أرضى بدينه و أمانته من أصحابي و من قد عرفت دخيلته فانصرفا عنه و قد دخلهما اليأس فاستأذناه في العمره.

و في الاحتجاج عن ابن عباس أنه قال: كنت قاعدا عند عليّ عليه السلام حين دخل عليه طلحه و الزبير فاستأذناه في العمره فأبى أن يأذن لهما فقال: قد اعتمرتما، فعادا عليه الكلام فأذن لهما ثم التفت إليّ فقال: و الله ما يريد ان العمره، قلت: فلا تأذن لهما، فردّهما ثم قال لهما: و الله ما تريدان العمره و ما تريدان إلا نكتا لبيعتكما و إلا فرقه لامتكما فحلفا له فأذن لهما ثم التفت إليّ فقال: و الله ما يريدان العمره، قلت: فلم أذنت لهما؟ قال: حلفا لي بالله، قال خرجا إلى مكه فدخل علي عايشه فلم يزالا بها حتى أخرجاهما.

و في شرح المعتزلي من كتاب الجمل لأبي مخنف أن عليّا عليه السلام خطب لما سار الزبير و طلحه من مكه و معهما عايشه يريدون البصره فقال:

أيها الناس إن عايشه سارت إلى البصره و معها طلحه و الزبير و كلّ منهما يرى

ص: ١٤٧

١- (١) استوسقوا اجتمعوا و في بعض النسخ استوثقوا حلف منه.

الأمر له دون صاحبه أما طلحه فابن عمها و أمّا الزبير فختنها، و الله لو ظفروا بما أرادوا و لن ينالوا ذلك أبدا ليضربن أحدهما عنق صاحبه بعد تنازع منهما شديد و الله إن رآكه الجمل الأحمر ما تقطع عقبه و لا تحلّ عقده إلا في معصية الله و سخطه حتى تورد نفسها و من معها موارد الهلكه اى و الله ليقتلنّ ثلثهم و ليهربنّ ثلثهم و ليتوبنّ ثلثهم و أنّها التى تنبجها كلاب الحواب و أنّهما ليعلمان أنّهما مخطئان و ربّ عالم قتله جهله و معه علمه لا ينفعه و حسبنا الله و نعم الوكيل، فقد قامت الفتنة فيها الفئه الباغية أين المحتسبون أين المؤمنون؟ مالى و لقريش أما و الله لقد قتلتهم كافرين و لأقتلنهم مفتونين، و ما لنا إلى عايشه من ذنب إلا أنا أَدْخَلْنَاهَا فِي حِزْنِنَا و الله لا يقرنّ الباطل حتى يظهر الحقّ من خاصرته.

و رواه فى البحار من كتاب الكافيه لابطال توبه الخاطئه قريبا منه، و فيه بدل قوله: و ليتوبنّ ثلثهم و ليرجع ثلثهم و بدل قوله: و ما لنا إلى عايشه من ذنب و ما لنا إليها من ذنب غير أنّا خيرنا عليها فأَدْخَلْنَاهَا فِي حِزْنِنَا.

الثالث

روى المحدث المجلسى (قده) فى البحار من أمالى المفيد عن الكاتب عن الزعفرانى عن الثقفى عن الفضل بن دكين عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال: لما نزل على عليه السّلام بالزّبيده سألت عن قدومه إليها فقيل: خالف عليه طلحه و الزّبير و عايشه و صاروا إلى البصره فخرج يريدهم فصرت إليه فجلست إليه حتى صلى الظهر و العصر فلما فرغ من صلاته قام إليه ابنه الحسن عليهما السّلام فجلس بين يديه ثم بكى و قال: يا أمير المؤمنين إني لا أستطيع أن اكلّمك و بكى عليه السّلام، فقال له أمير المؤمنين عليه السّلام: لا تبك يا بنى و تكلم و لا تحنّ حين الجاربه.

فقال: يا أمير المؤمنين إنّ القوم حصروا عثمان يطلبونه بما يطلبونه إمّا ظالمون أو مظلومون فسألتك أن تعتزل الناس و تلحق بمكه حتى تثوب العرب و تعود إليها أحلامها و تأتيك وفودها فو الله لو كنت فى جحر ضبّ لضربت إليك العرب آباط الابل حتى تستخرجك منه ثم خالفك إلى الحقّ طلحه و الزّبير فسألتك أن لا تتبعهما

و تدعها فان اجتمعت الائمة فذاك و ان اختلفت رضيت بما قسم الله و أنا اليوم أسألك أن لا تقدم العراق و اذكرك بالله أن لا تقتل بمضبعه.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام أمّا قولك: إن عثمان حصر فما ذاك و ما علىّ منه و قد كنت بمعزل عن حصره، و أمّا قولك: ائت مكة فوالله ما كنت لأكون الرجل يستحل به مكة، و أمّا قولك: اعتزل العراق و دع طلحه و الزبير فوالله ما كنت لأكون كالضبع ينتظر حتى يدخل عليها طالبها فيضع الحبل في رجلها حتى يقطع عرقوبها ثم يخرجها فيمزقها اربا اربا و لكن أباك يا بنى يضرب المقبل إلى الحق المدبر عنه و بالسّامع المطيع العاصي المخالف أبدا حتى يأتي علىّ يومى فوالله ما زال أبوك مدفوعا عن حقه مستأثرا عليه منذ قبض الله نبيه صلى الله عليه و آله و سلم حتى يوم الناس هذا و كان طارق بن شهاب أى وقت حدث بهذا الحديث بكى هذا.

و المستفاد من هذه الرواية أنه عليه السلام خطب بهذه الخطبة بالزبده، و المستفاد من روايه الشّارح البحرانى السّالفه أنه خطب بها بمكة، و الله العالم بحقايق الوقایع.

الترجمه

از جمله کلام بلاغت نظام آن حضرتست که فرمود در حینی که اشاره کرده شد بسوی او که نرود پی طلحه و زبیر و مهیا سازد بجهه ایشان مقاتله و محاربه را و اشاره کننده حضرت امام حسن علیه السلام بود که بحضور پدر بزرگوار این عرض را نمود پس آن امام عالی مقام جواب داد:

بخدا سوگند که من نمی توانم مثل کفتار بشوم که بخوابد بر درازی زدن صید کننده او پاشنه خود را بسنک که این از جمله اسباب صید اوست تا این که برسد باو طلب کننده و فریب دهد او را انتظار کشنده او، و لکن من می زرم باستعانت و مصاحبت کسی که اقبال کننده حق است ادبار کننده از حق را و بیاری شنونده فرمان بردار گنه کار شک آورنده را در جمیع حالات و در همه اوقات تا این که بیاید بسوی من روز موعود من.

پس بخداوند سوگند همیشه بوده ام دفع کرده شده از حق خود ممنوع

گرددیده از خلافت مستبد در امر و تنها ایستاده ام بر کار خود و هیچ ناصر و معین من نبوده از آن زمان که قبض فرمود حق سبحانه و تعالی روح پر فتوح پیغمبر خود را تا روز مردمان این روزگار، یعنی اغتصاب خلافت و ممنوع شدن من از حق خود چیزی نیست که تازگی داشته باشد و از آن استیحا ش بکنم، بلکه امریست مستمر از روز وفات حضرت رسالت مآب سلام الله علیه تا امروز که این منافقین با من بمقام نقض عهد آمده و بنایشان دفع نمودن من است از حق خود، و الله أعلم بالصواب.

و من خطبه له علیه السلام و هی الخطبه السابعه

اشاره

إتخذوا الشَّيْطَانَ لَأْمْرِهِمْ مَلَائِكًا، وَ اتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْرَاكًا، فَبَاضَ وَ فَرَّخَ فِي صُدُورِهِمْ، وَ دَبَّ وَ دَرَجَ فِي حُجُورِهِمْ، فَنَظَرَ فِي أَعْيُنِهِمْ، وَ نَطَقَ بِأَلْسِنَتِهِمْ، فَرَكَبَ بِهِمُ الزَّلْزَالَ، وَ زَيَّنَ لَهُمُ الْخَطْلَ، فَعَلَّ مِنْ قَدِّ شَرِّكَه الشَّيْطَانَ فِي سُلْطَانِهِ، وَ نَطَقَ بِالْبَاطِلِ عَلَى لِسَانِهِ.

اللغه

(الشَّيْطَانَ) فَيَعَالُ مِنْ شَطْنِ إِذَا تَبَاعَدَ فَكَأَنَّهُ يَتَبَاعَدُ عِنْدَ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَ قِيلَ إِنَّهُ فَعْلَانُ مِنْ شَاطِئِ شَيْطَانٍ إِذَا احْتَرَقَ غَضَبًا لِأَنَّهُ يَحْتَرِقُ وَ يَغْضَبُ إِذَا أَطَاعَ الْعَبْدَ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَ (مَلَائِكًا) الْأَمْرَ مَا بِهِ قَوَامُهُ وَ (الْأَشْرَاكَ) إِمَّا جَمْعَ شَرِيكَ كَشَرِيْفٍ وَ أَشْرَافٍ وَ هُوَ الْأَطْهَرُ، أَوْ جَمْعَ شَرِكٍ وَ هُوَ حَبَائِلُ الصَّيْدِ وَ الْغَالِبُ فِي جَمْعِهِ شَرِكٌ بِضَمِّتَيْنِ وَ قَدْ يَجْمَعُ عَلَى أَشْرَاكٍ كَجَبَلٍ وَ أَجْبَالٍ وَ (بَاضَ) الطَّائِرُ وَ نَحْوَهُ بِيضٌ بِيضًا فَهُوَ بَاضٌ وَ (فَرَّخَ) مِنْ بَابِ التَّفْعِيلِ وَ (دَبَّ) الصَّيْغَةُ دَبَّيْتُ مِنْ بَابِ ضَرْبِ سَارٍ وَ (دَرَجَ) الصَّبِيُّ دَرَجًا مِنْ بَابِ قَعْدِ مَشَى قَلِيلًا، وَ قَدْ يَخْتَصُّ الدَّبِيْبُ بِالْحَرَكَةِ الْخَفِيَّةِ وَ (الْخَطْلُ) الْكَلَامُ الْفَاسِدُ يُقَالُ: أَخْطَلْتُ فِي كَلَامِهِ أَيْ أَخْطَأْتُ.

الاعراب

فعل من قد شرکه مفعول مطلق مجازی لقوله: اتَّخَذُوا إِذِ الْعَامِلِ مَحْذُوفٍ وَ التَّقْدِيرُ

فعلوا ذلك فعل من اه.

المعنى

اعلم أنه عليه السلام أشار في هذه الخطبه إلى ذم المنابذين و المخالفين له و المتمردين عن طاعته فقال: (اتخذوا الشيطان لأمرهم ملاكا) أى به قوام امورهم و نظام حالهم فجعلوه و ليا لهم سلطانا عليهم متصرفا فيهم بالأمر و النهى كما قال سبحانه:

«اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» و قال تعالى: «إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ» أى حكمنا بذلك لأنهم يتناصرون على الباطل يؤمنون به و يتولون الشيطان و يشركون بالرّحمن كما قال تعالى:

«إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ» (و اتخذهم له أشراكا) يعنى أنهم بعد ما ملكوا الشيطان امورهم فتصرّف فيهم بأن أخذهم شركاء له و جعلهم جنوده و أتباعه كما قال تعالى:

«اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا- إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ» و أمّا على جعل الاشراك جمعا لشرك فقد قال الشّارح البحرانى أنه استعاره حسنه، فإنه لما كان فايده الشّرك اصطياد ما يراد صيده و كان هؤلاء القوم بحسب ملك الشيطان لأرائهم و تصرّفه فيهم على حسب حكمه أسبابا لدعوه الخلق إلى مخالفه الحقّ و منابذه إمام الوقت و خليفه الله فى أرضه اشبهوا الأشراك لاصطيادهم الخلق بألستهم و أموالهم و جذبهم إلى الباطل بالأسباب الباطله التى ألقاها إليهم الشيطان و نطق بها على ألستهم فاستعار لهم لفظ الاشراك.

ثم أشار عليه السلام إلى ملازمه الشيطان لهم بقوله (فباض و فرخ فى صدورهم) كالطائر الذى يبض و يفرخ و ذلك لا يكون إلا بعد طول الملازمه و الاقامه، فشبهه

عليه السّلام صدورهم بعشّ الطائر و موطنه إذا البائض لا يبيض إلا في مسكنه، و كُنّي بالبيض و الفرخ عن إقامته عليهم و مكثه في قلوبهم لاغوائهم، و يمكن أن يكون المراد بهما معناهما الاصلى لأنّه لا نتاج له و إنّما يبيض و يفرخ بنفسه.

كما يدلّ عليه ما رواه في البحار من الخصال بإسناده عن أبي عبد الرّحمن عن معاوية بن عمّار عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: الآباء ثلاثة آدم ولد مؤمنا، و الجانّ ولد كافرا و إبليس ولد كافرا و ليس فيهم نتاج إنّما يبيض و يفرخ و ولده ذكور ليس فيهم اناث.

و فيه من العلل بإسناده عن عمرو بن خالد عن زيد بن عليّ عن آباءه عن عليّ عليهم السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: إنّ الله عزّ و جلّ حين أمر آدم أن يهبط، هبط آدم و زوجته و هبط إبليس و لا زوجه له و هبطت الحيّه و لا زوج لها فكان أوّل من يلوط بنفسه إبليس فكانت ذرّيته من نفسه، و كذلك الحيّه و كانت ذرّيّه آدم من زوجته فأخبرهما أنّهما عدوّان لهما هذا.

و لكنّ الأظهر هو المعنى الأوّل لأنّ الكنايه أبلغ من الافصاح و أسدّ من التصريح، فيكون ذلك نظير قوله صلّى الله عليه و آله و سلّم: إنّ الشّيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدّم، فإنّ المقصود به ليس أنّه يدخل عروقه و أوراده و تجاوبف أعضائه بل المعنى أن الشّيطان لا يزال يراقب العبد و يوسوس إليه في نومه و يقظته، إذ هو جسم لطيف هوائيّ يمكنه أن يصل إلى ذلك الانسان فيوصل كلامه و وسواسه إلى باطن اذنه فيصير إلى قلبه، و الله العالم بكيفيته ذلك.

و بالجملة كلام العرب إشارات و تلويحات و الكلام إذا ذهب عنه المجاز و الاستعاره و الكنايه زالت براعته و فارقه رونقه و بقى مغسولا و صار عاميّا مردولا و كان رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و كذلك سيّد الأوصياء عليه السّلام أفصح الفصحاء و أكمل البلغاء، فيكون فائده كلامه صلوات الله عليه أنّ الشّيطان يلازمك و يراصدك من حيث لا تعلم فعليك بالاحتراز منه و التّوقى من كيد و مكره، و فائده كلامه عليه السّلام أنّ الشّيطان استوطن قلوبهم و لزم صدورهم لزوم الطير البائض على بيضته (و دبّ و درج في حجورهم) ديبب الولد في حجر والديه فهو معهم لا يفارقهم و لا يفارقونه، و على الوجه الآخر

الذی ذکرناه من احتمال استعمال باض و فرّخ فی معناهما الحقیقی فالأظهر رجوع الضمیرین فی دبّ و درج إلى الفرخ المستفاد من فرخ.

ثمّ أشار علیه السلام إلى شدّه اتّحاده معهم بقوله (فنظر بأعينهم و نطق بألسنتهم) و ذلك لأنّ النّظر و النّطق و سایر أفعال الأعضاء و الجوارح بأسرها تابعه لا إرادته القلب، إذ القلب هو الحاكم عليها بالأمر و النهی و المتصرّف فی مملكه البدن و الرّئيس على الجوارح و المشاعر الباطنه و الظاهره.

و لما جعلوا هؤلاء قلوبهم عس الشّيطان و موطنه و ألقوا مقاليد امورهم إليه و عزلوا عقولهم عن التصرف و التّدبير، كان إرادتهم القلبیه التي هی منشأ الحركات و الأفعال للجوارح تبعاً له و منبعثه من وسوسته و إغوائه، فيكون جميع الأفعال و الحركات و التّكينات لهم مستنده إليه و صادرة عن حكمه، فيكون نظرهم نظر الشّيطان و نطقهم نطق الشّيطان لا ينظرون إلّا إلى ما فيه رضاه، و لا ينطقون إلّا بما مناه.

(ف) عند ذلك (ركب بهم الزّلل) و الضّلاله (و زين لهم الخطل) و الفكاهه و فعلوا ذلك مثل (فعل من قد شرکه الشّيطان فی سلطانه و نطق بالباطل على لسانه) یعنی كما أنّ من جعله الشّيطان شريكاً له فی تسلطه و أمره و نهيه و كان ناطقاً بالباطل على لسانه، يكون جميع أفعاله و أقواله فی جميع أحواله تبعاً لذلك اللعين، فكذلك هؤلاء المنافقين و المنابذين لعنه الله عليهم أجمعين.

الترجمه

أخذ نمودند منافقان شیطان را بجهه کارهای خودشان محلّ اعتماد و ما به القوام، و اخذ نمود شیطان ایشان را بجهه خود شریکان، پس تخم شقاوت نهاد و جوجه در آورد و در سینّه ایشان بحرکت در آمد و با تدریج رفتار کرد در کنار ایشان، پس با چشم آنها نگاه نمود و با زبان ایشان گویا گردید، پس سوار نمود ایشان را بر مرکب لغزش و گناه و زینت داد بجهه ایشان قول فاسد و تباه را، می نمائید کارها را مثل کردن کسی که شریک نموده باشد او را شیطان در سلطان و طغیان خود، و همچو

کردن کسی که گویا باشد بامر باطل بر زبان او، یعنی افعال و اقوال اینها مثل فعل و قول کسی است که من جمیع الوجوه مطیع شیطان بوده باشد و از غایت اختلاط و امتزاج با شیطان اثبیت از میانه برداشته شود.

و من کلام له علیه السلام یعنی به الزبیر فی حال اقتضت ذلك

اشاره

و هو ثامن المختار فی باب الخطب

یزعم أنه قد بايع بيده و لم يبايع بقلبه، فقد أقر بالبيعه، و ادعى الوليجه، فليأت عليها بأمر يعرف، و إلا فليدخل فيما خرج منه.

اللغه

(ولج) يلج ولوجا و لجه دخل، و الوليجه الدخيله و البطانه و خاصية تك من الرجال و من تتخذ معتمدا من غير أهلك، و هو وليجتهم ای لصيق بهم، و المراد هنا ما أضمره الإنسان في قلبه.

الاعراب

الفاء في قوله عليه السلام: فقد أقرّ، و قوله: فليأت، فصيحه و في قوله: فليدخل جواب للشرط

المعنى

اعلم أنّ الزبیر بعد نكته بيعته عليه السلام كان يعتذر عن ذلك، فيدعى تاره أنه اكره على البيعه و (يزعم) اخرى أنه ورى في ذلك توريه و نوى دخيله و (أنه قد بايع بيده و لم يبايع بقلبه) فأجاب عليه السلام عنه و ردّ ادعائه بأنه (قد أقرّ بالبيعه) بتسليمه البيعه بيده ظاهرا و (ادعى) أنه أضمر في باطنه ما يفسد بيعته من (الوليجه) و البطانه و هذه دعوى لا تسمع منه و لا تقبل شرعا ما لم ينصب عليها دليلا- و لم يقم عليها برهانا (فليأت) على اثباتها (بأمر يعرف) صحته و دليل يتضح دلالاته (و إلا) أي إن لم يقم عليها برهانا كما أنّ الشان ذلك (فليدخل فيما خرج منه) من طاعته عليه السلام و انقياد حكمه و ليمض على بيعته.

قال الشّارح المعتزلي: لَمَّا خرج طلحه و الزّبير من المدينة إلى مكة لم يلقيا أحدا إلّا- وقالوا: ليس لعلّي في أعناقنا بيعه و إنّما بايعناه مكرهين فبلغ عليّ عليه السّلام قولهما فقال عليه السّلام: أبعدهما الله و أعزب دارهما و أنا و الله لقد علمت أنّهما سيقتلان أنفسهما أخبث مقتل و يأتيان من وردا بأشام يوم و لقد أتاني بوجهي فاجرين و رجعا بوجهي غادرين ناكثين، و الله لا يلقيانني بعد هذا اليوم إلّا في كتيبه خشناً يقتتلان فيها أنفسهما فبعدا لهما و سحقا.

و في الاحتجاج عن نصر بن مزاحم أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام حين وقع القتال و قتل طلحه تقدم على بلغه رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم الشّهباء بين الصّيفين، فدعا الزّبير، فدنا إليه حتّى إذا اختلفت أعناق دابتهما، فقال: يا زبير انشدك أسمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم يقول: إنك ستقتل عليّاً و أنت له ظالم، قال، اللهم نعم، قال: فلم جئت؟ قال: جئت لا صلح بين الناس فأدبر الزّبير و هو يقول:

ترك الامور التي يخشى عواقبها لله أجمل في الدّنيا و في الدّين

أتى عليّ بأمر كنت أعرفه (١) قد كان عمر أبيك الخير مذ حين

فقلت حسبك من عدل أبا حسن فبعض ما قلته ذا اليوم يكفيني

فاخترت عارا على نار مؤججه أنّي يقوم لها خلق من الطين

نبئت طلحه وسط النّقع منجدلا مأوى الضّيوف و مأوى كل مسكين

قد كنت أنصره أحيانا و ينصرني في الثّائبات و يرمى من يراميني

حتّى ابتلينا بأمر ضاق مصدره فأصبح اليوم ما يعنيه يعنيني

قال: و أقبل الزّبير إلى عايشه فقال: يا أمّه و الله ما لي في هذا بصيره و أنا منصرف، فقالت عايشه: يا أبا عبد الله أفررت من سيوف ابن أبي طالب؟ فقال: أنّها و الله طوال حداد تحملها فتية أنجاد ثمّ خرج راجعا فمرّ بوادي السّباع و فيه الأحنف ابن قيس قد اعتزل في بني تميم فأخبر الأحنف بانصرافه فقال: ما أصنع به إن كان

ص: ١٥٥

١- (١) نادى عليّ بأمر لست أذكره، خ ل.

الزبير قد القى (الف خ) بين غارين(١) من المسلمين و قتل أحدهما بالآخر ثم هو يريد اللحاق بأهله فسمعه ابن جرموز فخرج هو و رجالان معه و قد كان لحق بالزبير رجل من كلب و معه غلامه.

فلما أشرف ابن جرموز و صاحبه على الزبير فحرّك الرجلان رواحلهما و خلفا الزبير وحده، فقال الزبير: ما لكما هم ثلاثة و نحن ثلاثة فلما أقبل ابن جرموز قال له الزبير: مالك إليك عنى فقال ابن جرموز: يا أبا عبد الله إننى جئتك لأسألك عن أمور الناس قال: تركت الناس على الزكب يضرب بعضهم وجوه بعض بالسيف.

قال ابن جرموز: يا أبا عبد الله أخبرنى عن أشياء أسألك عنها قال: هات، فقال أخبرنى عن خذلك عثمان و عن بيعتك عليا و عن نقضك بيعته و عن إخراجك عايشه أم المؤمنين و عن صلواتك خلف ابنك و عن هذه الحرب التى جتتها و عن لحوقك بأهلك فقال: أما خذلى عثمان فأمر قدّم الله فيه الخطيئه و أخر فيه التوبه، و أما بيعتى عليا فلم أجد منها بدا إذ بايعه المهاجرون و الأنصار، و أميا نقضى بيعته فأنما بايعته بىدى دون قلبى، و أما إخراجى أم المؤمنين فأردنا أمرا و أراد الله غيره، و أما صلواتى خلف ابنى فأنما خالته قد متنى، فتنحى ابن جرموز عنه، و قال قتلنى الله إن لم أقتلك.

و فى شرح المعتزلى بعد ما ذكر سؤال ابن جرموز و جواب الزبير قال: فسار ابن جرموز معه و كل واحد منهما يتقى الآخر فلما حضرت الصلاه فقال الزبير يا هذا إنا نريد أن نصلى، فقال ابن جرموز: أنا اريد ذلك فقال الزبير: فتؤمى و أوّمك، قال: نعم فشئى الزبير رجلا و أخذ وضوءه، فلما قام إلى الصلاه شدّ ابن جرموز عليه فقتله و أخذ رأسه و خاتمه و سيفه و حثا عليه ترابا يسيرا و رجع إلى

ص: ١٥٦

١- (١) و فى حديث على عليه السلام قال يوم الجمل ما ظنك بامرء جمع بين هذين الغارين اى الجيشين و الغار الجماعه هكذا اخرج ابو موسى فى الغين و الواو و ذكره الهروى فى الغين و الياء قال و منه حديث الاحنف قال فى الزبير حين منصرفه من الجمل ما اصنع ان كان جمع بين غارين، نهايه

الأحنف فأخبره، فقال: و الله ما أدري أسأت أم أحسنت، اذهب إلى عليّ عليه السّلام فأخبره فجاء إلى عليّ فقال للآذن: قل له: عمرو بن جرموز بالباب و معه رأس الزّبير و سيفه فادخله.

و فى كثير من الزّوايات أنّه لم يأت بالرّأس بل بالسّيف فقال له: أنت قتلته قال: نعم قال: و الله ما كان ابن صفيّه جباناً و لا ليثماً و لكنّ الحين(١) و مصارع السّوء، ثمّ قال ناوّلنى سيفه فناوله فهزّه، و قال: سيف طال ما جلى به الكرب عن وجه رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم.

فقال ابن جرموز: الجائزه يا أمير المؤمنين، فقال عليه السّلام: أما أنّى سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم يقول بشّر قاتل ابن صفيّه بالنّار، فخرج ابن جرموز خائبا و قال:

أتيت عليّاً برأس الزّبير أبغى به عنده الزّلفه

فبشّر بالنّار يوم الحساب فبئست بشاره ذى التّحفه

فقلت له إنّ قتل الزّبير لو لا رضاك من الكلفه

فإنّ ترض ذاك فمنك الرّضا و إلّا فدونك لى حلفه

و ربّ المحلّين و المحرمين و ربّ الجماعه و الالفه

لسيّان عندى قتل الزّبير و شرطه عنز بذى الجحفه

ثمّ خرج ابن جرموز على عليّ عليه السّلام مع أهل النّهر، فقتله معهم فيمن قتل.

فان قيل: أليس ما رواه ذلك صريحا فى توبه الزّبير حيث إنّّه لو لم يكن تائبا لما استحقّ قاتله النّار بقتله، فيدل ذلك على صحه ما ذهب إليه الشّارح المعتزلى وفاقا لساير المعتزله من صحه توبه الزّبير.

قلت: قد اجيب عنه تاره بأنّ بشاره القاتل بالنّار لا ينافى كون المقتول فيها أيضا، و لا يلزم توبته، و ذلك لأنّ ابن جرموز قتل الزّبير على وجه الغيله و المكر و هذه منه معصيه لا شبهه فيها فإنّما استحقّ ابن جرموز النّار بقتله إياه غدرا لا لأنّ

ص: ١٥٧

و اجيب اخرى بأنّ جرموز كان من جمله الخوارج كما ذكره الشارح في آخر كلامه و التّبيّ صلى الله عليه و آله و سلّم قد كان خبّره بحالهم و دلّه على جماعه منهم بأعيانهم و أوصافهم، فلمّا جاءه ابن جرموز برأس الزّبير أشفق أمير المؤمنين عليه السّلام من أن يظنّ به لعظيم ما فعله الخير و يقطع له على سلامه العاقبه و يكون قتله الزّبير شبهه فيما يصير إليه من الخارجيّة قطع عليه بالنّار لتزول الشّبّهه في أمره و ليعلم أنّ هذا الفعل الذي فعله لا يساوى شيئاً مع ما يرتكبه في المستقبل.

و الذي يدلّ على أنّ بشارته بالنّار لم تكن لكون الزّبير تائباً بل لبعض ما ذكرناه هو أنّه لو كان الأمر كما ادّعوه لأفاده أمير المؤمنين عليه السّلام به ففي عدوله عليه السّلام من ذلك دلالة على ما ذكرنا كما هو واضح لا يخفى، مضافاً إلى أنّه لو كان تائباً لم يكن مصرعه مصرع سوء لا سيّما و قد قتله غادراً، و يأتي إنشاء الله تحقيق هذا المعنى في شرح الكلام المأه و السّابعه و الثلاثين بما لا مزيد عليه فانتظر.

الترجمه

از جمله کلام بلاغت نظام آن حضرتست که اراده نموده بآن زبیر را در حالی که اقتضا میکرد آن را ادّعا میکند زبیر که بیعت کرده بدست خود و بیعت نموده بقلب خود، پس بتحقیق اقرار نمود بیعت خود شرعاً و ادّعا کرد پنهان داشتن خلاف آنرا در باطن، پس باید که بیاورد بر آن دعوی یا دلیلی که شناخته می شود بآن دلیل صحّت آن دعوی، و اگر اقامه دلیل نتواند بکند باید داخل شود بآن چیزی که از آن خارج شده.

و من کلام له علیه السّلام و هو ناسع المختار فی باب الخطب

اشاره

و قد أَرعدوا و أبرقوا، و مع هذين الأمرين الفشل، و لسنا نرعد حتّى نوقع، و لا نسيل حتّى نمطر.

اللغه

(أرعد) الرجل و (أبرق) أوعد و تهدّد قال الكميت:

أرعد و أبرق يا يزيد فما وعيدك لى بضائر

و (الفشل) بفتحيتين مصدر فشل إذا ضعف و جبن.

الاعراب

الفشل مرفوع على الابتداء قدم عليه خبره توسّعا، و الفعلان الواقعان بعد حتّى منصوبان إمّا بنفس حتّى كما يقوله الكوفيون، أو بأن مضمره نظرا إلى أنّ حتّى إنّما تخفض الأسماء و ما يعمل فى الأسماء لا يعمل فى الأفعال، و كيف كان فهى فى الموضعين إمّا بمعنى إلى كما فى قوله سبحانه:

«حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى» أو بمعنى إلّا كما فى قوله:

ليس العطاء من الفضول سماحه حتّى تجود و ما لديك قليل

قال ابن هشام: و هذا المعنى (1) ظاهر من قول سيبويه فى تفسير قولهم: و الله لا- أفعال إلّا- أن تفعل، المعنى حتّى أن تفعل و الأظهر فى كلامه عليه السّلام إرادته المعنى الثانى فافهم.

المعنى

اعلم أنّ كلامه عليه السّلام فى هذا المقام ناظر إلى طلحه و الزبير و أتباعهما من أصحاب الجمل و وارد فى توبيخهم و ذمّهم (و) ذلك لأنّهم (قد أرعدوا و أبرقوا) أى أوعدوا و تهدّدوا قبل ايقاع الحرب (و مع هذين الأمرين الفشل) إذ الوعيد و التهديد الضّوضاء قبل ايقاع الحرب و الظفر على الخصم أماره الضّعف و الجبن و علامه رذاله النّفس، كما أنّ الصّمت و السّكوت أماره الشّجاعه و لذلك أنّه عليه السّلام قال لأصحابه فى تعليم آداب الحرب فى ضمن كلامه المأه و الرّابع و العشرين: و أميتوا أصواتكم فإنّه أطرّد للفشل، و قال لأصحابه فى غزوه الجمل: إيّاكم و كثره الكلام فإنّه فشل ثمّ بعد الاشارة إلى ذمّهم و رذاله أنفسهم أشار عليه السّلام إلى علوّ همّته و فضيله نفسه و أصحابه بقوله: (و لسنا نرعد حتّى نوقع و لا نسيل حتّى نمطر) يعنى كما أنّ

ص: ١٥٩

١- (١) أى كون حتى بمعنى الامنه.

فضيله السحاب اقتران وقوع المطر منه برعده و برقه و إسالته بامطاره فكذلك أقوالنا مقرونه بأفعالنا و إساله عذابنا مقارنه بامطاره، و يحتمل أن يكون المعنى إننا لا نهتد إلا أن نعلم أننا سنوقع، و لا نوجد إلا إذا أوقعنا بخصمنا، يعنى إذا أوقعنا بخصمنا أوعدنا حينئذ بالايقاع به غيره من خصومنا و هكذا كان حال الشجعان فى سالف الزمان و غابره.

كما روى أنّ كاتب حدود الروم كتب إلى المعتصم أنّ أبا قيس الرومى حاكم قلعه عموريه أمسك امرأه من المسلمين يعذبها و هى تصيح و محمّدها و معتصماه و أبو قيس يستهزء بها و يقول: إنّ المعتصم يركب مع جنوده على خيل بلق يأتى إلى و يستخرجك من عذابي، فلما ورد عليه الكتاب كان خادمه معه قدح من ماء السكر يشربه المعتصم فقال له احفظ هذا و لا تناولنيه إلا فى بيت المرأه المسلمه، فخرج من سرّ من رأى و أمر بعساكره أن لا يركب إلا من عنده فرس أبلق فاجتمع عنده ثمانون ألفا يركبون خيلا بلقا، و كان المنجمون أشاروا عليه بأن لا يسافر و أن قلعه عموريه لا تفتح على يديه.

فقال إنّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال: من صدّق منجمًا فقد كذب ما أنزل الله على محمّد فسار إلى القلعه و حصرها مدّه و كان الشتاء فى غايه البرد فخرج المعتصم يوما من خيمته و وجد العسكر واقفا من شدّه البرد لا يقدرّون على رمى السيّهام، فأمر بمأتى قوس و ركب إلى حصار القلعه بنفسه فلما رآه جنوده ركضوا على القلعه من أطرافها و فتحوها فسأل عن المرأه فدلوه عليها و اعتذر لديها، و قال: إنّك ندبتنى من عموريه و سمعتك من سامرا و قلت: لبيك، فها أنا ركبت على الخيل البلق و اخذت بظلامتك، ثم أمر خادمه باحضار ماء السيكر فشربه و قال: الآن طاب الشراب و احتوى على ما فيها من الأموال و قتل ثلاثين ألف أو أزيد هذا.

و فى قوله عليه السّلام لا- نسيل حتى نمطر تعريض على أصحاب الجمل و أنّهم فى وعيدهم و اجلابهم بمنزله من يدعى أنّه يحدث السّيل قبل إحداث المطر و هذا محال لأنّ السّيل إنّما يكون من المطر فكيف يسبق المطر، و الله العالم بحقائق

الترجمه

یعنی مانند رعد در تهدید می غرّند و مانند برق در توعید می جهند و با این دو امر ترس و جبن است، و نیستیم ما که بترسانیم تا این که واقع گردانیم، و نه سیل روان نمائیم تا این که بارانیم، و الله اعلم.

و من خطبه له علیه السلام و هی الخطبه العاشره

اشاره

ألا و إنّ الشّيطان قد جمع حزبه، و استجلب خيله و رجله، و إنّ معى لبصيرتى، ما لبست على نفسى و لا لبس علىّ، و أيم الله لأفرطنّ لهم حوضاً أنا ماتحه، لا يصدرون عنه، و لا يعودون إليه.

اللغه

(الخيل) الفرسان و (الرجل) بالفتح جمع راجل كالركب جمع راكب و (أيم الله) مخفف أيمن قال الفيومي أيمن اسم استعمل في القسم و التزم رفعه كما التزم رفع لعمر و الله، و همزته عند البصريين وصل و اشتقاقه عندهم من اليمن و هو البركه، و عند الكوفيين قطع لأنه جمع يمين عندهم و قد يختصر منه و يقال و أيم الله بحذف الهمزه و النون ثم اختصر ثانيا فيقال م الله بضم الميم و كسرهما و (افرطن) إمّا بفتح الهمزه و ضم الراء مضارع فرط زيد القوم كقعد أى سبقهم و تقدم عليهم، و فرط بفتحيتين المتقدم في طلب الماء يهيبى الدلاء و الارشاء، و إمّا بضم الهمزه و كسر الراء من باب الافعال مأخوذ من أفرط المزاده أى ملاءها و (الماتح) كالمايح و هو المستقى من البئر إلا- أن الفرق بينهما كاعجامهما كما قاله أبو على، يعنى أنّ التاء بنقطتين من فوق و كذلك الماتح لأنه المستقى فوق البئر و الياء بنقطتين من تحت و كذلك المايح لأنه الذى ينزل إلى البئر فيملاء الدلو.

ألا حرف تنبيه تدلّ على تحقّق ما بعدها لتركبها من همزه الاستفهام و لاء النّفى، و همزه الاستفهام إذا دخلت على النّفى أفادت التحقيق نحو:

«أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى» قال الزمخشري: و لكونها بهذا المنصب من التحقيق لا تكاد تقع الجملة بعدها إلا مصدره بنحو ما يتلقّى به القسم نحو:

«أَلَا- إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا- خَوْفٌ عَلَيْهِمْ» أقول: و كان ينبغي له أن يضيف إلى ذلك وقوع نفس القسم بعدها كما فى كلامه عليه السّلام، و أيم الله مرفوع بالابتداء خبره محذوف أى أيم الله قسمى و قد يدخله اللام للتوكيد فيقال ليمن الله قسمى، و افطن إن كان من فعل فحوضاً منصوب بنزع الخافض و اللام فى لهم إمّا للتقوية على حد قوله: يؤمن للمؤمنين، أو تعليلته أى لاسبقنهم أو لاسبقن لأجلهم إلى حوض على حد قوله: و اختار موسى قومه، و إن كان من افعل فحوضاً مفعول به و لهم مفعول لاجله أى لأملأن لأجلهم حوضاً، و جملة لا يصدر عن و لا يعودون إليه حاله أو صفة للحوض.

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبة ملتقطه من خطبه طويله له عليه السّلام لما بلغه أنّ طلحه و الزبير خلعا بيعته و هو غير منتظم، و قد أورد السّيد منها فصلاً آخر و هى الخطبة الثّانية و العشرون؛ و نورد تمام الخطبه هناك إنشاء الله و على ذلك فالمراد بقوله عليه السّلام:

(إلا إنّ الشيطان قد جمع حزبه) هو الشيطان الحقيقى لا معاويه كما توهمه الشّارح المعتزلى، و حزبه هو طلحه و الزبير و أتباعهما و هم المراد أيضاً بقوله: (و استجلب خيله و رجله) و فيه إشاره إلى أنّ الشيطان هو الباعث لهم على مخالفه الحقّ و الجامع لهم على الباطل بوسوسته و اغرائه و تزيينه الباطل فى قلوبهم و أنّ هؤلاء أطاعوا له و أجابوا دعوته و شاركوه فى الدعاء إلى الباطل فصاروا حزبه قال تعالى:

«وَالشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا» أى استخف من استطعت منهم أن تستفزه بدعائك إلى الفساد قال ابن عبيد: كل راكب أو راجل فى معصية الله فهو من خيل إبليس و جنوده و يدخل فيه كل راكب و ماش فى معصية الله فخيله و رجله كل من شاركه فى الدعاء إلى المعصية.

ثم أشار عليه السلام إلى كمال عقله و استعداده بقوله: (وإنّ معى لبصيرتى) يريد أنّ البصيره التى كانت معى فى زمن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لم تتغير، و إلى هذه اشيرت فى قوله تعالى:

«قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي» قال أبو جعفر عليه السلام فى روايه الكافى ذاك رسول الله و أمير المؤمنين و الأوصياء من بعدهما، يعنى أنّ الداعى إلى الله مع البصيره هو رسول الله و أمير المؤمنين و الأوصياء التابعون له فى الأفعال و الأفعال.

ثم أكد كمال عقله بالاشارة إلى عدم انخداعه بخدع الشيطان و بتلبيسه الباطل بصوره الحقّ كما يلبس على ذوى البصائر الضّعيفه و اولى العقول السخيفه سواء كان مخادعته بغير واسطه و هو المشار إليه بقوله: (ما لبست على نفسى) أى لا يتلبس على نفسى المطمئنه ما تلقيه إليها نفسى الأماره، أو بواسطه غيره و هو المشار إليه بقوله: (و لا لبس على) أى لم يحصل التلبس على من الخارج من جنود إبليس و أتباعه الذين تلقفوا عنه الشبهه و صار فى قوتهم أن يلبسوا الحقّ بصوره الباطل (و أيم الله لأفرطنّ لهم حوضاً أنا ماتحه) هذا الكلام منه عليه السلام وارد مورد التهديد و جار على سبيل الاستعاره، و معناه لاسبقنهم أو لاسبقنّ لأجلهم حياض الحرب التى أنا متدرّب بها، أو لأملئنّ لهم حياض الحرب التى هى عادتى و أنا خير بها

قال الشارح البحراني: استعار إفراط الحوض لجمعه الجند و تهيئه أسباب الحرب و كُنِيَ بقوله: أنا ماتحه، أنه هو المتولى لذلك و في تخصيص نفسه بالمتح تأكيد تهديد لعلمهم بشجاعته و قد حذف المضاف إليه أي أنا ماتح مائه إذ الحوض لا يوصف بالمتح و قوله:(لا يصدرون عنه و لا يعودون إليه) يعني أن الوارد منهم إليه لا يصدر عنه و لا ينجو منه فهو بمنزله من يغرق فيه و أن من نجا منهم لا يطمع في الحرب مَرَّة اخرى و لا يعود إليها ابدا.

الترجمه

آگاه باش قسم بخدا که بتحقیق شیطان ملعون جمع کرده است حزب خود را از برای اغواء و اضلال و جمع نموده است سواران و پیادگان یعنی أعوان و انصار خود را، و بدرستی بصیرتی که داشتم در زمان حضرت رسالت مآب صلوات الله علیه و آله با من است، پوشانیده ام بر نفس خود باطل را بصورت حق، و پوشانیده نشده است بر من یعنی بر ضلالت نیفتاده ام نه از قبل نفس خود و نه بواسطه اضلال دیگری قسم بخداوند هر آینه سبقت میکنم ایشان را بسوی حوضهای حرب یا پر میکنم بجهه ایشان حوضهای محاربه و مقاتله را که من آب کشنده آن حوضها می باشم، یعنی خبیر و بصیر باشم به آنها چنان حوضهایی که باز نگردد از آنها آنهایی که آمده باشند و باز نیایند بسوی آنها آنهایی که رهیده باشند، یعنی هر که بسوی بحر حرب شتابد غرق شود و جان بمالک دوزخ بسپارد، و هر که از آن دریای خونخوار نجات یابد دیگر باره طمع در جنگ نمی نماید، و الله أعلم بالصواب و إليه المرجع و المآب

و من کلام له علیه السلام لابنه محمد بن الحنفیه لما اعطاه

اشاره

الرایه یوم الجمل و هو الحادی عشر من المختار فی

باب الخطب.

تزلزل الجبال و لا تزل، عصّ علی ناجذک، أعر الله جمجمتک،

ص: ۱۶۴

تد في الأرض قدمك، إرم ببصرك أقصى القوم، و غَضَّ بصرك، و اعلم أنّ النَّصر من عند الله سبحانه.

اللغة

(عَضَّ) أمر من عضضت اللقمة و بها و عليها من باب تعب لكن بسكون المصدر و من باب منع أمسكتها (الناجذ) السن بين الضرس و الثآلب و ضحك حتى بدت نواجذه، قال تغلب: المراد الأنياب، و قيل التآجد آخر الأضراس و هو ضرس الحلم لأنه ينبت بعد البلوغ و كمال العقل و قيل: الأضراس كلها نواجذ (و الجمجمه) عظم الرّأس المشتمل على الدماغ و ربّما يعبر بها عن الانسان كما يعبر عنه بالرّأس و (تد) أمر من و تد قدمه في الأرض اى أثبتها فيها كالوتد.

الاعراب

متعلق تزول و تزل محذوف أى تزل الجبال عن مكانها و لا تزل عن مقامك و موضعك، و الباء في قوله: ارم ببصرك زايدة، يقال: رميت و رميت به ألقيته، و سبحانه منصوب على المصدر بمحذوف من جنسه أى سبّحته سبحانه، و نقل عن سيبويه أنّ سبّحان ليس بمصدر بل هو واقع موقع المصدر الذى هو التسييح، و الاضافه إلى المفعول لأنه هو المسبّح بالفتح، و نقل عن أبى البقاء أنّه جوّز أن يكون الاضافه إلى الفاعل و قال: المعروف هو الأوّل؛ و المعنى على ذلك اسبّح مثل ما سبّح الله به نفسه

المعنى

اشاره

اعلم أنّه عليه السّلام أشار في كلامه هذا إلى أنواع آداب الحرب و كيفيه القتال و علّم محمّدا سنّه امور منها.

الأوّل ما عليه مدار الظفر و الغلبه و هو الثّبات و الملازمه و إليه أشار بقوله:

(تزول الجبال و لا تزل) و هو خبر في معنى الشرط اريد به المبالغه أى لو زالت الجبال عن مواضعها لا تزل و هو نهى عن الزوال مطلقا لأنّ النهى عنه على تقدير زوال الجبال الذى هو محال عاده مستلزم للنهى عنه على تقدير العدم بالطريق الاولى.

الثاني ما أشار إليه بقوله: (عَضَّ عَلَى نَاجِدِكَ) فَإِنَّ عَضَّ النَّوَاجِدِ يَنْبُو السَّيْفَ عَنِ الدِّمَاغِ مِنْ حَيْثُ إِنَّ عِظَامَ الرَّأْسِ تَشْتَدُّ وَتَصَلِبُ عِنْدَ ذَلِكَ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: وَعَضُّوا عَلَى النَّوَاجِدِ، فَإِنَّهُ أُنْبَأُ لِلصَّوَارِمِ عَنِ الْهَامِ مِضَافًا إِلَى مَا فِي عَضِّهَا مِنْ رِبْطِ الْجَاشِ (١) عَنِ الْفِشْلِ وَالْخَوْفِ كَمَا يَشَاهِدُ فِي حَالِ الْبَرْدِ وَالْخَوْفِ الْمَوْجِبِ لِلرَّعْدَةِ فَإِنَّهُ إِذَا عَضَّ عَلَى أَضْرَاسِهِ تَسْكُنُ رَعْدَتَهُ وَيَتَمَاسِكُ الْإِنْسَانُ بَدَنَهُ.

الثالث ما أشار إليه بقوله: (أَعْرَ اللَّهُ جَمِجَمَتَكَ) وَ الْمَرَادُ بِهِ بِذَلِكَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ لِيَنْتَفِعَ بِهَا فِي دِينِ اللَّهِ كَمَا يَنْتَفِعُ الْمُسْتَعِيرُ بِالْعَارِيَةِ، قَالَ الشَّارِحُ الْمَعْتَرِ لِي: وَ يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ إِنَّ ذَلِكَ إِشْعَارٌ بِأَنَّهُ لَا- يُقْتَلُ فِي تِلْكَ الْحَرْبِ لِأَنَّ الْعَارِيَةَ مَرْدُودَةٌ وَ لَوْ قَالَ لَهُ: بَعِ اللَّهُ جَمِجَمَتَكَ لَكَانَ ذَلِكَ إِشْعَارًا لَهُ بِالشَّهَادَةِ فِيهَا.

أقول: وَ ذَلِكَ لِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ:

«إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ» الْآيَةَ.

الرابع ما أشار إليه بقوله: (تَدُّ فِي الْأَرْضِ قَدَمَكَ) وَ هُوَ أَمْرٌ بِالزَّمَامِ قَدَمَهُ فِي الْأَرْضِ كَالْوَتْدِ لِاسْتِزْمَامِهِ رِبْطَ الْجَاشِ وَ اسْتِصْحَابِ الْعِزْمِ وَ كَوْنِهِ مِظَنَّهُ الشَّجَاعَةِ.

الخامس ما أشار إليه بقوله: (ارْمِ بِبَصْرِكَ أَقْصَى الْقَوْمِ) وَ هُوَ الْأَمْرُ بِفَتْحِ عَيْنِيهِ وَ رَفْعِ طَرَفِهِ وَ مَدَّ نَظْرَهُ إِلَى أَقْصَى الْقَوْمِ لِيَعْلَمَ عَلَى مَاذَا يَقْدَمُ فَعَلِ الشَّجَاعُ الْمَقْدَامَ غَيْرَ الْمَبَالِي لِأَنَّ الْجَبَانَ تَضَعُفُ نَفْسُهُ وَ يَضْطَرُّ قَلْبُهُ فَيَكُونُ غَضِيضَ الطَّرْفِ نَاكِسَ الرَّأْسِ لَا يَرْتَفِعُ طَرَفُهُ وَ لَا يَمْتَدُّ عُنُقُهُ.

السادس ما أشار إليه بقوله: (وَ غَضَّ بِبَصْرِكَ) وَ هُوَ أَمْرٌ بِغَضِّ بَصْرِهِ بَعْدَ مَدِّهِ عَنِ بَرِيْقِ سَيْوْفِهِمْ وَ لِمَعَانِ دَرُوعِهِمْ، لِأَنَّ مَدَّ النَّظْرِ إِلَى بَرِيْقِ السَّيْوْفِ مِظَنُّهُ الرَّهْبَةَ وَ الْمَدْهَشَةَ، ثُمَّ إِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ تَعْلِيمِهِ آدَابَ الْمُحَارِبَةِ وَ الْمُقَاتَلَةِ قَالَ لَهُ: (وَ اعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ) لِيَتَأَكَّدَ ثَبَاتَهُ بِوَتُوقِهِ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ مَعَ مَلَاَحِظِهِ قَوْلَهُ تَعَالَى:

ص: ١٦٦

«إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ» هذا.

و ينبغي لنا أن نذكر هنا طرفا من وقائع الجمل مما يناسب المقام بما فيه من الاشارة إلى مورد ذلك الكلام منه عليه السلام.

فاقول: في البحار من كتاب المناقب من كتاب جمل انساب الأشراف أنه زحف على عليه السلام بالناس غداه يوم الجمعة لعشر ليال خلون من جمادى الآخرة سنة ست و ثلاثين و على ميمنته الأشر و سعيد بن قيس و على ميسرته عمّار و شريح بن هانى و على القلب محمّد بن أبى بكر و عدى بن حاتم و على الجناح زياد بن كعب و حجر ابن عدى و على الكمين عمرو بن الحمق و جندب بن زهير و على الرّجاله أبو قتاده الأنصارى و أعطى رايته محمّد بن الحنفية ثم أوقفهم من صلاة الغداه إلى صلاة الظهر يدعوهم و يناشدهم و يقول لعائشه إنّ الله أمرك أن تقرى فى بيتك اتقى الله و ارجعى، و يقول لطلحه و الزبير، خبأتما نساءكما و أبرزتما زوجة رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و استفززتماها فيقولان: إنّما جئنا للطلب بدم عثمان و أن يرد الامر شورى و البست عائشه درعا و ضربت على هودجها صفائح الحديد و ألبس الهودج درعا و كان الهودج لواء أهل البصره و هو على جمل يدعى عسكريا.

ابن مردويه فى كتاب الفضائل من ثمانيه طرق أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال للزبير: أما تذكر يوما كنت مقبلا- بالمدينه تحدّثنى إذ خرج رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فرآك معى و أنت تبسم إلیّ فقال لك: يا زبير أ تحب عليّا؟ فقلت: و كيف لا- احبه و بينى و بينه من النسب و المودّه فى الله ما ليس لغيره، فقال: إنّك ستقاتله و أنت ظالم له فقلت: أعوذ بالله من ذلك، و قد تظاهرت الرّوايات أنه عليه السلام قال: إنّ النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم قال لك: يا زبير تقاتله ظلما و ضرب كتفك قال: اللهم نعم، قال: أفجئت تقاتلنى؟ فقال: أعوذ بالله من ذلك، ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام: دع هذا بايعتنى طائعا ثم جئت محاربا فما عدا ممّا بدا، فقال: لا جرم و الله لا قاتلتك.

حليه الاولياء قال عبد الرحمن بن أبى لیلی فلقاه عبد الله ابنه فقال: جينا جينا

فقال يا بنى: قد علم الناس أنى لست بجبان و لكن ذكرنى على شئنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فحلفت أن لا اقاتل، فقال: دونك غلامك فلان اعتقه كفاره يمينك نزهه الابصار عن ابن مهدي أنه قال همام الثقفى:

أ يعتق مكحولاً و يعصى نبيه لقد تاه عن قصد الهدى ثم عوق

لشئان ما بين الضلالة و الهدى و شئان من يعصى الاله و يعتق

و فى روايه قالت عايشه لا- و الله بل خفت سيوف ابن أبى طالب أما أنها طوال حداد تحملها سواعد أنجاد و لئن خفتها فلقد خافها الرجال من قبلك، فرجع إلى القتال فقيل: لأمير المؤمنين عليه السلام إنه قد رجع، فقال دعوه إن الشئخ محمول عليه، ثم قال عليه السلام: أيها الناس غصوا أبصارهم و عضوا على نواجذكم و أكثروا من ذكر ربكم و إياكم و كثره الكلام فإنه فشل، و نظرت عايشه إليه و هو يجول بين الصفين فقالت:

انظروا إليه كان فعله فعل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يوم بدر، أما و الله ما ينتظر بك إلا زوال الشمس فقال على عليه السلام يا عايشه:

«عَمَّا قَلِيلٍ لِيُصِيبَ مِحْنٌ نَادِمِينَ» فجدد الناس فى القتال فنهاهم أمير المؤمنين، و قال: اللهم إنى أعذرت و أنظرت فكن لى عليهم من الشاهدين، ثم أخذ المصحف و طلب من يقرأ عليهم:

«وَ إِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا» الآية فقال مسلم المجاشعى: ها أناذا فخوفه عليه السلام بقطع يمينه و شماله و قتله فقال: لا- عليك يا أمير المؤمنين فهذا قليل فى ذات الله فأخذه و دعاهم إلى الله فقطعت يده اليمنى فأخذه بيده اليسرى فقطعت فأخذه بأسنانه فقتل فقالت أمه شعرا:

يا رب إن مسلما أتاهم بمحكم التنزيل إذ دعاهم

يتلو كتاب الله لا يخشاهم فرملوه (١) رملت لحاهم

(٢) فقال عليّ عليه السّلام: الآن طاب الصّراب، وقال لمحَمَّد بن الحنفية و الزّايه في يده: يا بنى تزول الجبال و لا تزل إلى آخر ما مرّ ثم صبر سويعه فصاح النّاس عن كلّ جانب من وقع الثّبال، فقال عليه السّلام: تقدّم يا بنى فنقدّم و طعن طعنا منكرا و قال عليه السّلام:

اطعن بها طعن أبيك تحمد لا خير في الحرب إذا لم توقد

بالمشرفي (٣) و القنا المسدّد و الضّرب بالخطي (٤) و المهند

فأمر الأشر أن يحمل فحمل و قتل هلال بن و كيع صاحب ميمنه الجمل و كان زيد يرتجز و يقول: ديني ديني و بيعي بيعي و جعل مخنف بن مسلم يقول:

قد عشت يا نفس و قد غنيت دهرا و قبل اليوم ما عييت

و بعد ذا لا شكّ قد فنيت أما مللت طول ما حييت

فخرج عبد الله بن الثّيربي قائلا:

يا ربّ إنني طالب أبا الحسن ذاك الذي يفرق حقّا بالفتن

فبرز إليه عليّ عليه السّلام قائلا:

إن كنت تبغى أن ترى أبا الحسن فاليوم تلقاه مليّا فاعلمن

فضربه ضربه مجرفه (٥) فخرج بنوضبه و جعل يقول بعضهم:

نحن بنو ضبه أعداء عليّ ذاك الذي يعرف فيهم بالوصي

و كان عمر بن الثّيربي يقول:

ص: ١٦٩

١- (١) اي لطحوه بالدم منه.

٢- (٢) جمع لحيه منه.

٣- (٣) المشرفيه سيوف نسبت الى مشارف و هي قرى من أرض العرب تدلو عن الريف ذكره الجوهري و قال المهند السيف المطبوع من حديد الهند بحار.

- ٤- (٤) و الخط موضع باليمامة ينسب إليه الرماح الخطيه لانها تحمل من بلاد الهند فتقوم به بحار
- ٥- (٥) جرفه جرفا و جرفه ذهب به كله ق.

إن تنكروني فانا ابن الثيربي قاتل علباء و هذا الجملى

ثم ابن صوحان على دين على فبرز اليه عمار قائلا:

لا تبرح العرصه يابن الثيربي اثبت اقاتلك على دين على

و أرداه عن فرسه و جرّ برجله إلى على عليه السلام فقتله فخرج أخوه قائلا:

أضربكم و لو أرى علينا عمّمته أبيض مشرفيا

و أسمرا عنطنطا(١) خطيا أبكى عليه الولد و الوليا

فخرج على عليه السلام متنكرا و هو يقول:

يا طالبا فى حربيه علينا يمسخه ابيض مشرفيا

اثبت ستلقاه بها مليا مهذباً سميد(٢) عاكماً

فضربه فرمى نصف رأسه فناده عبد الله بن خلف الخزاعي صاحب منزل عايشه بالبصره:

أ تبارزنى؟ فقال عليه السلام: ما أكره ذلك و لكن ويحك يا ابن خلف ما راحتك فى القتل و قد علمت من أنا، فقال: ذرنى من

بذحك(٣) يابن أبى طالب ثم قال:

إن تدن منى يا على فترا(٤) فأنتى دان إليك شبرا

بصارم يسقيك كاسا مرّا ها إن فى صدرى عليك و ترا(٥)

فبرز إليه على عليه السلام قائلا.

يا ذا الذى يطلب منى الوترا إن كنت تبغى أن تزور القبرا

حقاً و تصلى بعد ذلك جمرا فادن تجدنى أسدا هزبرا

ص: ١٧٠

١- (١) الاسمر الرمح و العنطنط الطويل ق.

٢- (٢) السميدع السيد الموطوء الاكتاف و الكمى الشجاع المتكمى فى سلاحه لانه كمى نفسه اى سترها بالدرع و البيضه بحار.

٣- (٣) البذخ الكبير لغه.

٤- (٤) الفتر ما بين طرف السبابه و الابهام اذا فتحهما لغه.

٥- (٥) الوتر بالكسر و الفتح الحقد و طلب الدم لغه.

اصعطك (١) اليوم ذعاقا صبيرا فضربه عليه السلام فطير جمجمته فخرج ماذن الضبي قائلا:

لا تطمعوا في جمعنا المكمل الموت دون الجمل المجلل

فبرز إليه عبد الله بن نهشل قائلا:

إن تنكروني فانا ابن نهشل فارس هيجا وخطيب فيصل

فقتله و كان طلحه يحث الناس و يقول عباد الله الصبر الصبر في كلام له، و عن البلاذري أن مروان بن الحكم قال و الله ما أطلب ثارى بعثمان بعد اليوم أبدا فرمى طلحه بسهم فأصاب ركبته و التفت إلى أبان بن عثمان و قال لقد كفيتهك أحد قتله أبيك معارف القتيبي أن مروان قتل طلحه يوم الجمل فاصاب ساقه الحميري:

و اختل (٢) من طلحه المزهو جنته سهم بكف قديم الكفر غدار

في كف مروان اللعين أرى رهط الملوك ملوك غير أختيار

و له:

و اغتر طلحه عند مختلف القنا عبل (٣) الذراع شديد اصل المنكب

فاختل حبه قلبه بمدلق (٤) ريان من دم جوفه المتصبب

في مارقين من الجماعه فارقوا باب الهدى و حيا (٥) الربيع المخصب

و حمل أمير المؤمنين عليه السلام على بنى ضبّه فما رأيتهم إلا- كرماد اشتدت به الرّيح في يوم عاصف فانصرف الزبير فتبعه عمرو بن جرموز و جزّ رأسه و أنى به إلى أمير المؤمنين عليه السلام القصّه فقالوا: يا عايشه قتل طلحه و الزبير و جرح عبد الله بن عامر

ص: ١٧١

١- (١) اصعطه الرمح طعنه به في انفه و صعطه و اصعطه سعطه، لغه.

٢- (٢) اختل بسهم اي انتظم و اختله به انتظمه به، لغه

٣- (٣) رجل عبل الذراعين ضخمهما بحار

٤- (٤) دلق السيف من عمدته اخرجه بحار

٥- (٥) الحيا بالقصر الخصب و المطر بحار.

من يدى علىٰ فصالحى عليًا فقال كبير عمرو(١) عن الطوق و جلّ أمر عن العتاب ثم تقدّمت فحزن علىٰ عليه السّلام و قال: «إِنَّا لِلّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ» فجعل يخرج واحد بعد واحد و يأخذ الزّمام حتى قتل ثمان و تسعون رجلا ثم تقدّمهم كعب بن سوره الأزدي و هو يقول:

يا معشر النّاس عليكم أممكم فإنّها صلاتكم و صومكم

و الحرمه العظمى التى تعمّمكم لا تفضحوا اليوم فداكم قومكم

فقتله الاشر فخرج ابن جفير الأزدي و هو يقول:

قد وقع الأمر بما لم يحذر و النّبل يأخذن وراء العسكر

و أمنا فى حذرنا المشمّر

فبرز إليه الأشتر قائلا:

اسمع و لا تعجل جواب الاشر و اقرب تلاق كأس موت أحمر

ينسيك ذكر الجمل المشمّر

فقتله ثم قتل عمير الغنوى و عبد الله بن عتاب بن اسيد ثم جال فى الميدان جولا و هو يقول:

نحن بنو الموت به غدّينا

فخرج إليه عبد الله بن الزّبير قطعنه الأشتر و أرداه و جلس على صدره ليقتله، فصاح عبد الله اقتلونى و مالكا و اقتلوا مالكا معى فقصد إليه من كلّ جانب فخلاه و ركب فرسه فلمّا رآوه راكبا تفرّقوا عنه و شدّ رجل من الأزدي على محمّد بن الحنفية و هو يقول: يا معشر الأزدي كزّوا فضربه ابن الحنفية فقطع يده و قال: يا معشر الأزدي فزّوا فخرج الأسود بن البخترى السّلمى قائلا:

ص: ١٧٢

١- (١) كبر عمرو عن الطوق اى لم يبق للصالح مجال قال الزمخشري فى المستقصى هو عمرو بن عدى ابن اخت حذيمه قد طوق صغيرا ثم استهوته الجن مده فلما عاد همت امه باعاده الطوق اليه فقال حذيمه ذلك بحار.

ارحم إلهي الكلّ من سليم و انظر إليه نظره الرّحيم

فقتله عمرو بن الحمق فخرج جابر الأزدي قائلاً

يا ليت أهلي من عمار حاضر يمن سادّه الأزدي و كانوا ناصري

فقتله محمّد بن أبي بكر، و خرج عوف القيني قائلاً:

يا أمّ يا أمّ خلا منّي الوطن لا ابتغي القبر و لا أبغي الكفن

فقتله محمّد بن الحنفية، فخرج بشر الضّبي قائلاً:

ضبّه أبدى للعراق عمعه (١) و أضرم الحرب العوان (٢) المضرمة

فقتله عمّار و كانت عايشه تنادي بأرفع صوت أيّها النّاس عليكم بالصّبر و إنّما تصبر الأحرار فأجابها كوفّي:

يا أمّ يا أمّ عقتت فاعلموا و الامّ تغذو ولدها و ترحم

أ ما ترى (٣) كم من شجاع يكلم و تجتلي هامّته و المعصم

و قال آخر:

قلت لها و هي على مهوات إنّ لنا سواك امّهات

في مسجد الرّسول نادات فقال الحجاج بن عمرو الأنصاري:

يا معشر الأنصار قد جاء الاجل إنّني أرى الموت عيانا قد نزل

فبادروه نحو أصحاب الجمل ما كان في الأنصار جبن و فشل

فكلّ شيء ما خلا الله الجلل

(٤) و قال خزيمه بن ثابت:

ص: ١٧٣

١- (١) العمائم الجماعات المتفرقة، بحار.

٢- (٢) العوان من الحرب التي قوتل فيها مره، بحار.

٣- (٣) اما ترين كم شجاع يكلم، خ ل.

٤- (٤) الجلل بالتحريك العظيم الهين.

لم يغضبوا لله إلا للجمل و الموت خير من مقام فى حمل

و الموت أجرى من فرار و فشل

و قال شريح بن هانى:

لا عيش إلا ضرب أصحاب الجمل و القول لا ينفع إلا بالعمل

ما إن لنا بعد على من بدل

و قال هانى بن عروه المذحجى:

يا لك حربا حشها جمالها قائده ينقصها ضلالها

هذا على حوله أقيالها

و قال سعد بن قيس الهمدانى:

قل للوصى اجتمعت قحطانها إن يك حرب اضرمت نيرانها

و قال عمّار:

إنى لعمّار و شيخى ياسر صاح كلانا مؤمن مهاجر

طلحه فيها و الزبير غادر و الحق فى كفّ على ظاهر

و قال الأشر:

هذا على فى الدجى مصباح نحن بذا فى فضله فصاح

و قال عدى بن حاتم:

أنا عدى و يمانى حاتم هذا على بالكتاب عالم

لم يعصه فى الناس إلا ظالم

و قال عمرو بن الحمق:

هذا على قائد يرضى به أخو رسول الله فى أصحابه

من عوده التّامى و من نصابه

و قال رفاعه بن شداد البجلى:

ص: ١٧٤

و شكّت (١) السّيهام الهودج حتّى كأنّه جناح نسر أو درع قنفذ، فقال أمير المؤمنين: ما أرى يقاتلكم غير هذا الهودج اعقروا الجمل. و في روايه عرقبوه، فأنّه شيطان و قال لمحمّد بن أبي بكر: انظر انظر إذا عرقب الجمل فأدر ك اختك فوارها فعرقب رجل منه فدخل تحته رجل ضيّب ثمّ عرقب اخرى عبد الرحمن فوقع على جنبه فقطع عمّار نسعه فأتاه عليّ عليه السّلام و دقّ رمحه على الهودج و قال: يا عايشه أ هكذا أمرك رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم أن تفعلی؟ فقالت: يا أبا الحسن ظفرت فأحسن و ملكت فأسجج فقال لمحمّد بن أبي بكر: شأنك بأختك فلا يدنو أحد منها سواك، فقال: فقلت لها: ما فعلت بنفسك عصيت ربّك و هتكت سترك ثمّ أبحت حرمتك و تعرّضت للقتل، فذهب بها إلى دار عبد الله بن خلف الخزاعي فقالت: أقسمت عليك ان تطلب عبد الله بن الزبير جريحا كان أو قتيلا، فقال: إنّه كان هدفا للأشتر فانصرف محمّد إلى العسكر فوجده، فقال: اجلس يا ميشوم أهل بيته، فأتاها به فصاحت و بكّت ثمّ قالت: يا أخي استأمن له من عليّ عليه السّلام، فأتى أمير المؤمنين عليه السّلام فاستأمن له منه فقال عليه السّلام:

أمنته و أمنّت جميع الناس.

و كانت وقعه الجمل بالخريبه و وقع القتال بعد الظهر و انقضی عند المساء فكان مع أمير المؤمنين عشرون ألف رجل منهم البدریون ثمانون رجلا- و ممّن بايع تحت الشجره مائتان و خمسون و من الصّیحابه ألف و خمسمائه رجل، و كانت عايشه في ثلاثين ألف أو يزيدون منها المكيون ستمائه رجل، قال قتاده: قتل يوم الجمل عشرون ألفا، و قال الكلبي قتل من أصحاب عليّ عليه السّلام ألف رجل و سبعون فارسا، منهم زيد بن صوحان و هند الجملي و أبو عبد الله العبدی و عبد الله بن رقيه.

و قال أبو مخنف و الكلبي: قتل من أصحاب الجمل من الأزد خاصّه أربعة

آلاف رجل، و من بنى عدى و مواليتهم تسعون رجلا، و من بنى بكر بن وائل ثمانمائة رجل، و من بنى حنظله تسعمائة رجل، و من ناجيه أربعمائة رجل؛ و الباقي من أخلاط الناس إلى تمام تسعه آلاف إلا تسعين رجلا القرشيين منهم طلحه و الزبير و عبد الله ابن عتاب بن اسيد و عبد الله بن حكيم بن خرام و عبد الله بن شافع بن طلحه و محمد بن طلحه و عبد الله بن ابي بن خلف الجمحي و عبد الرحمن بن معد و عبد الله بن معد.

و عرقب الجمل أولا أمير المؤمنين عليه السلام و يقال المسلم بن عدنان و يقال رجل من الانصار و يقال رجل ذهلي و قيل لعبد الرحمن بن صرد الشوخي لم عرقت الجمل؟ فقال:

عقرت و لم أعقرها لهوانها علي و لكني رأيت المهالكا

إلى قوله فيا ليتني عرقته قبل ذلكا

تبصره

في ترجمه محمد بن الحنفية و الاشاره إلى بعض أحواله و مناقبه.

أقول: اشتهاره بابن الحنفية لأن أمها خوله بنت جعفر بن قيس من قبيلة بنى حنيفة و كنيته أبو القاسم برخصه من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في ذلك و لم يرخص في حق غيره أن يكتنى بأبي القاسم و الاسم محمد ذكره ابن خلّكان في تاريخه.

قال الشارح المعتزلي: أم محمد رضى الله عنه خوله بنت جعفر بن قيس بن مسلمة ابن عبيد بن ثعلبه بن يربوع بن ثعلبه بن الدؤل بن حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، و اختلف في أمرها فقال قوم: إنها سبية من سبايا الرّده قوتل أهلها على يد خالد بن الوليد في أيام أبي بكر لئلا يمنع كثير من العرب الزّكاه و ارتدّت بنو حنيفة و ادّعت نبوه مسيلمه و أنّ أبا بكر دفعها إلى علي عليه السلام من سهمه في المغنم و قال قوم منهم أبو الحسن علي بن محمد بن سيف المدائني: هي سبية في أيام رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قالوا: بعث رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عليا عليه السلام إلى اليمن فأصاب خوله لابني زبيد و قد ارتدوا مع عمرو بن معدى كرب و كانت زبيد سبتها من بنى حنيفة في غاره

لهم عليهم فصارت في سهم عليّ عليه السّلام فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: إن ولدت منك غلاما فسّمه باسمي وكنّه بكنيتي فولدت له بعد موت فاطمه عليها السّلام محمّدا فكناه أبا القاسم وقال قوم وهم المحقّقون وقولهم الأظهر: إن بنى أسد أغارت على بنى حنيفه في خلافه أبي بكر فسبوا خوله بنت جعفر وقدموا بها المدينة فباعوها من عليّ عليه السّلام وبلغ قومها خبرها فقدموا المدينة على عليّ فعرّفوها وأخبروه بموضعها منهم فأعتقها ومهرها وتزوجها فولدت له محمّدا فكناه أبا القاسم وهذا القول خيار أحمد بن يحيى البلادري في كتابه المعروف بتاريخ الأشراف.

وقال: كان عليّ عليه السّلام يقذف لمحمّد في مهالك الحرب ويكفّ حسنا وحسنا عنها وقيل لمحمّد لم يغرب بك أبوك في الحرب ولا يغرب بالحسن والحسين عليهما السّلام؟ فقال: إنهما عيناه وأنا يمينه فهو يدفع عن عينيه بيمينه.

أقول: هذا الجواب منه رضي الله عنه يكفي في جلاله قدره وسموّ مكانه وخلوص باطنه.

وقال: لَمّا تقاعس محمّد يوم الجمل عن الحمله وحمل عليّ بالزّايه فضضع أركان عسكر الجمل، دفع إليه الزّايه وقال: امح الاولى بالآخرى وهذه الأنصار معك وضمّ إليه خزيمه بن ثابت ذا الشّهادتين في جمع الأنصار كثير منهم من أهل بدر حمل حملات كثيره أزال بها القوم عن مواقفهم وأبلى بلاء حسنا فقال خزيمه بن ثابت لعليّ عليه السّلام: أما أنّه لو كان غير محمّد اليوم لافتضح (1) ولئن كنت خفت عليه الجبن وهو بينك وبين حمزه وجعفر لما خفناه عليه وان كنت أردت أن تعلمه الطعان فطال ما علّمته الرّجال، وقالت الأنصار: يا أمير المؤمنين لو لا ما جعل الله تعالى لحسن وحسين عليهما السّلام لما قدمنا على محمّد أحدا من العرب فقال عليّ عليه السّلام: أين النّجم من الشّمس والقمر أمّا أنّه قد اغنى وأبلى وله فضله ولا ينقص فضل صاحبيه عليه وحسب صاحبكم ما انتهت به نعمه الله إليه فقالوا يا أمير المؤمنين: إنّنا والله ما نجعله كالحسن والحسين ولا نظلمهما له ولا نظلمه لفضلهما عليه حقّه فقال عليّ عليه السّلام أين يقع ابني من ابني رسول الله

ص: ١٧٧

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ خَزِيمَةُ بْنُ ثَابِتٍ فِيهِ شِعْرًا:

مَحْمَدٌ مَا فِي عَوْدِكَ الْيَوْمَ وَصَمَهُ وَ لَا كُنْتُ فِي الْحَرْبِ الضَّرُوسَ مَعْرَدًا

أَبُوكَ الَّذِي لَمْ يَرْكَبِ الْخَيْلَ مِثْلَهُ عَلِيٌّ وَ سَمَّاكَ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا

فَلَوْ كَانَ حَقًّا مِنْ أَبِيكَ خَلِيفَهُ لَكُنْتُ وَ لَكِنْ ذَاكَ مَا لَا يَرَى لَهُ بَدًّا

وَ أَنْتَ بِحَمْدِ اللَّهِ أَطْوَلَ غَالِبَ لِسَانًا وَ أَنْدَاهَا بِمَا مَلَكَتْ يَدَا

وَ أَقْرَبَهَا مِنْ كُلِّ خَيْرٍ تَرِيدُهُ قَرِيشَ وَ أَوْفَاهَا بِمَا قَالَ مَوْعِدَا

وَ أَطْعَنَهُمْ صَدْرَ الْكُمَى بِرَمْحِهِ وَ أَكْسَاهُمْ لِلْهَامِ غَضْبًا مَهْتَدَا

سِوَى أَخْوَيْكَ السَّيِّدِينَ كِلَاهِمَا إِمَامَ الْوَرَى وَ الدَّاعِيَانِ إِلَى الْهُدَى

أَبَى اللَّهِ أَنْ يُعْطَى عَدُوَّكَ مَقْعَدًا مِنَ الْأَرْضِ أَوْ فِي اللَّوْحِ مَرْقِيٍّ وَ مَصْعَدًا

وَ فِي الْبَحَارِ مِنَ الْمَنَاقِبِ دَعَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُحَمَّدِ بْنَ الْحَنْفِيَّةِ يَوْمَ الْجَمَلِ فَأَعْطَاهُ رَمْحَهُ وَ قَالَ لَهُ: اقْصِدْ بِهَذَا الرَّمْحِ قِصْدَ الْجَمَلِ فَذَهَبَ فَمَنْعُوهُ بَنُو ضُبَيْبَةَ فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى وَالِدِهِ انْتَرَعَ الْحَسَنُ رَمْحَهُ مِنْ يَدِهِ وَ قِصْدَ قِصْدِ الْجَمَلِ وَ طَعَنَهُ بِرَمْحِهِ وَ رَجَعَ إِلَى وَالِدِهِ وَ عَلِيٌّ رَمْحَهُ أَثَرَ الدَّمِّ فَتَمَعَّزَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا تَأْنَفْ فَإِنَّ ابْنَ النَّبِيِّ وَ أَنْتَ ابْنُ عَلِيٍّ.

أَقُولُ: هَذَا نَبَذَ مِنْ مَنَاقِبِهِ وَ فَضَائِلِهِ فِي زَمَنِ أَبِيهِ سَلَامَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَ أَمَّا بَعْدُهُ فَقَدْ كَانَ خَالِصًا فِي التَّشْيِيعِ وَ مَخْلَصًا لِلْوَلَايَةِ لِأَخْوِيهِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَ بَعْدَهُمَا لِابْنِ أَخِيهِ عَلِيٍّ بْنِ الْحَسَنِ سَلَامَ اللَّهِ عَلَيْهِ.

كَمَا يُوضِّحُهُ مَا رَوَاهُ ثِقَةُ الْإِسْلَامِ الْكَلْبِيُّ عَطَرَ اللَّهِ مَضْجَعَهُ فِي الْكَافِي بِإِسْنَادِهِ عَنِ الْمَفْضَلِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: لَمَّا حَضَرَتِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ الْوَفَاةَ قَالَ: يَا قَبْرَ انْظُرْ هَلْ تَرَى مِنْ وَرَاءِ بَابِكَ مُؤْمِنًا مِنْ غَيْرِ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ فَقَالَ: اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ ابْنُ رَسُولِهِ أَعْلَمَ مِنِّي قَالَ: ادْعُ لِي مُحَمَّدِ بْنَ عَلِيٍّ فَأَتَيْتُهُ فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ قَالَ: هَلْ حَدِثَ الْآخِرَ قُلْتُ أَجِبْ أَبَا مُحَمَّدٍ فَعَجَلَ عَلِيٌّ شَسَعَ نَعْلَهُ فَلَمْ يَسُوهُ وَ خَرَجَ مَعِيَ يَعْدُو فَلَمَّا قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ سَلَّمَ فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: اجْلِسْ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِثْلَكَ يَغِيبُ عَنْ سَمَاعِ كَلَامِ يَحْيَى بِهِ الْأَمْوَاتُ وَ يَمُوتُ بِهِ الْأَحْيَاءُ كَوْنُوا وَعِيهِ الْعِلْمُ وَ مَصَابِيحُ

الهدى فإنّ ضوء النهار بعضه أضوء من بعض، أما علمت أنّ الله تبارك و تعالى جعل ولد ابراهيم عليه السّلام أئمه و فضل بعضهم على بعض و أتى داود عليه السّلام زبوراً و قد علمت بما استأثر الله به محمّدا صلّى الله عليه و آله و سلّم يا محمّد بن عليّ إنّى أخاف عليك الحسد و إنّما وصف الله به الكافرين فقال الله عزّ و جلّ:

«كُفَّاراً حَسِداً مَنْ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ» و لم يجعل الله للشيطان عليك سلطاناً يا محمّد بن عليّ ألا اخبرك بما سمعت من أبيك فيك؟ قال: بلى، قال: سمعت أباك عليه السّلام يقوم يوم الظله (البصره خ) من أحبّ أن يبزني في الدّنيا و الآخرة فليبرّ محمّداً و لى، يا محمّد بن عليّ لو شئت أن اخبرك و أنت نطفه في ظهر أبيك لا خبرتك، يا محمّد بن عليّ أما علمت أنّ الحسين بن عليّ عليهما السّلام بعد وفاه نفسى و مفارقة روحى جسمى امام من بعدى و عند الله جلّ اسمه فى الكتاب وراثه من النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم أضافها الله عزّ و جلّ له فى وراثه أبيه و أمه صلّى الله عليهم، فعلم الله أنكم خيره خلقه فاصطفى منكم محمّداً صلّى الله عليه و آله و سلّم و اختار محمّداً عليّاً عليه السّلام و اختارنى عليّاً بالامامه و اخترت أنا الحسين عليه السّلام.

فقال له محمّد بن عليّ: أنت إمام و أنت و سيلتى إلى محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم و الله لوددت أن نفسى ذهبت قبل أن أسمع منك هذا الكلام الاوان فى رأسى كلاماً لا تنزفه الدلاء و لا تغيره نغمه الزّياح كالكتاب المعجم فى الرّق المنمنم اهم بابدائه فاجدنى سبقت اليه سبق الكتاب المنزل أو ما جاءت (خلت خ) به الرّسل و أنّه الكلام يكّل به لسان الناطق و يد الكاتب حتّى لا يجد قلماً و يؤتوا بالقرطاس جما فلا يبلغ فضلك و كذلك يجزى الله المحسنين و لا قوه إلا بالله.

الحسين أعلمنا علماً و أثقلنا حلماً و أقربنا من رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم رحماً كان فقيهاً قبل أن يخلق، و قرء الوحي قبل أن ينطق، و لو علم الله فى أحد خيراً غير محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم ما اصطفى الله محمّداً فلما اختار الله محمّداً و اختار محمّداً عليّاً و اختارت الحسين، سلمنا و رضينا من بغيره يرضى و من كنا نسلم به من مشكلات أمرنا.

و عن محمّد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السّلام يذكر فيه كيفيه دفن الحسن عليه السّلام بعد ما ذكر منع عايشه من دفنه عند النّبىّ صلّى الله عليه وآله و سلّم و احتجاج الحسين عليه السّلام عليها قال: ثمّ تكلم محمّد بن الحنفية و قال لعائشه يوما على بغل و يوما على جمل فما تملكين نفسك و لا- تملكين الأرض عداوه لبنى هاشم، قال: فأقبلت عليه فقالت: يا بن الحنفية هؤلاء الفواطم يتكلمون فما كلامك؟ فقال لها الحسين عليه السّلام: و أنى (أنت خ) تبعدين محمّدا من الفواطم فو الله لقد ولدته ثلاث فواطم فاطمه بنت عمران بن عائذ بن عمرو بن مخزوم و فاطمه بنت أسد بن هاشم، و فاطمه بنت زائده بن الأصم بن رواحه بن حجر بن عبد معيص (مقص خ) بن عامر الحديث.

و عن أبي عبيده و زراره جميعا عن أبي جعفر عليه السّلام قال: لمّا قتل الحسين عليه السّلام أرسل محمّد بن الحنفية إلى عليّ بن الحسين عليهما السّلام فخلّى به فقال له: ابن أخي قد علمت أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم دفع الوصية و الامامه من بعده إلى أمير المؤمنين عليه السّلام ثمّ إلى الحسن ثمّ إلى الحسين عليهما السّلام و قد قتل أبوك رضى الله عنه و صلى على روحه و لم يوص و أنا عمك و صنو أبيك و ولادتي من عليّ عليه السّلام فى سنّى و قدمى أحقّ بها فى حدائتك فلا تنازعنى فى الوصية و الامامه و لا تحاجنى.

فقال له عليّ بن الحسين عليهما السّلام: اتق الله و لا- تدع ما ليس لك بحقّ إننى أعظك أن تكون من الجاهلين إنّ أبى يا عمّ صلوات الله عليه أوصى إلىّ قبل أن يتوجّه إلى العراق و عهد إلىّ فى ذلك قبل أن يشهد (يستشهد خ) بساعه و هذا سلاح رسول الله صلّى الله عليه وآله و سلّم عندى فلا تتعرض لهذا فأنى أخاف عليك نقص العمر و تشتت الحال، إنّ الله عزّ و جلّ جعل الوصية و الامامه فى عقب الحسين عليه السّلام فاذا أردت أن تعلم ذلك فانطلق بنا إلى الحجر حتّى نتحاكم إليه و نسأله عن ذلك.

قال أبو جعفر عليه السّلام و كان الكلام بينهما بمكة فانطلقا حتى أتيا الحجر الأسود، فقال عليّ بن الحسين عليهما السّلام لمحمّد بن الحنفية: ابدء أنت فابتهل إلى الله عزّ و جلّ و أسأله أن ينطق لك الحجر ثمّ سأله فابتهل محمّد فى الدعاء و سال الله عزّ و جلّ ثمّ دعا الحجر فلم يجبه فقال عليّ بن الحسين عليهما السّلام يا عمّ لو كنت وصيّا و إماما لأجابك

قال له محمد فادع الله أنت يا بن أخي و أسأله فدعا الله علي بن الحسين عليهما السلام بما أراد ثم قال:

أسألك بالذي جعل فيك ميثاق الأنبياء و ميثاق الأوصياء و ميثاق الناس أجمعين لما خبرتنا من الوصي و الإمام بعد الحسين بن علي عليهما السلام؟ قال: فتحرك الحجر حتى كاد أن يزول عن موضعه ثم أنطقه الله عز و جل بلسان عربي مبين فقال: اللهم إن الوصي و الامامه بعد الحسين بن علي بن فاطمه بنت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لك، قال فانصرف محمد بن علي و هو يتولى علي بن الحسين عليهما السلام.

الترجمه

از جمله کلام بلاغت نظام آن حضرتست که فرمود پسر خود محمد بن حنفیه را هنگامی که داد او را علم در روز حرب جمل: زایل می شوند کوهها از جای خود و تو زایل مشو از جای خودت، دندان بالای دندان خود بگذار عاریه بده بخداوند تعالی کاسه سر خودت را، میخ ساز بر زمین قدم خود را یعنی ثابت قدم باش و در مکان خود محکم بایست، بینداز چشم خود را بر نهایت قوم تا در کار قتال خود با بصیرت بوده باشی، و فرو خوابان چشم خود را از لمعان سیوف که مظنه خوف و خشیت است و بدان بدرستی که نصرت از حق سبحانه و تعالی است.

و من کلام له علیه السلام لما اظفره الله باصحاب الجمل و هو

اشاره

الثانی عشر من المختار فی باب الخطب

و قد قال له بعض أصحابه و ددت أن أخى فلانا كان شاهدا لیری ما نصرک الله به علی أعدائك فقال علیه السلام: أهوی أخیک معنا؟ فقال:

نعم، قال علیه السلام: فقد شهدنا و لقد شهدنا فی عسکرنا هذا قوم فی أصلاب

ص: ۱۸۱

الرّجال و أرحام النّساء سيرعف بهم الرّمان، و يقوى بهم الإيمان.

اللغة

(يرعف) بهم الرّمان يوجد هم و يخرجهم كما يرعف الانسان بالدم الذى يخرج من انفه قال الشّاعر:

و ما رعف الرّمان بمثل عمرو و لا تلد النّساء له ضربيا

الاعراب

هوى مرفوع المحلّ على الابتداء و معنا خبره و فاعل شهد الأوّل ضمير راجع إلى أخيك، و فاعل شهد الثّانى قوم و اسناد يرعف إلى الرّمان مجاز عقليّ إذ الفاعل الحقيقي هو الله و هو من قبيل الاسناد إلى الظرف أو الشّروط و المعدّ لأنّ الرّمان من الاسباب المعدّه لقوابل وجودهم.

المعنى

اشاره

لما كان بعض أصحابه عليه السّلام يحبّ حضور أخيه معهم فى تلك الحرب حتّى يرى نصره الله لأوليائه على أعدائه و يفرح بذلك قال عليه السّلام له: (أ هوى أخيك معنا) يعنى أنّ أخيك كان هواه معنا و كان إرادته و ميله أن يكون فى حزبنا (فقال: نعم) هو من مواليك و كان هواه معك (قال عليه السّلام: فقد شهدنا) أخوك بالقوّه و إن لم يكن حاضرا بالفعل و حصل له من الأجر مثل ما حصل للحاضرين بمقتضى هواه و محبّته التى كانت له، ثمّ أكّد حضوره بقوله عليه السّلام: (و لقد شهدنا فى عسكرنا هذا قوم فى أصلاب الرّجال و أرحام النّساء) من المحبين و المواليين و عباد الله الصالحين (سيرعف بهم الرّمان) و يخرجهم من العدم إلى الوجود (و يقوى بهم الإيمان).

اعلم أنّ الشّارح المعتزلى ذكر فى شرح هذا الفصل نبذا من الوقايح التى صدرت منه عليه السّلام بعد ظفره على أصحاب الجمل و لامهم لنا فى الاطاله بالاشاره إلى جميع ما ذكره هنا مع خلو أكثرها عن المناسبه للمقام، و إنّما ينبغى الاشاره إلى طوافه

عليه السّلام على القتلى بعد ما وضعت الحرب أوزارها، و ما قاله عليه السّلام لطلحه حين وقوفه عليه قصدا للتنبيه على خطأ الشّارح تبعا لأصحابه، و لنذكر أولا ما رواه أصحابنا رضی الله عنهم في هذا الباب، ثمّ نتبعها بما رواه الشّارح.

فاقول: روى الطبرسى في الاحتجاج أنّه عليه السّلام لما مرّ على طلحه بين القتلى قال اقعدوه، فاقعد فقال: إنّ كانت لك سابقه لكن الشّيطان دخل منخريك فأوردك النار و فيه أيضا روى أنّه عليه السّلام مرّ عليه فقال: هذا الثّاكن بيعتى و المنشىء للفتنه فى الامه و المجلب علىّ و الداعى إلى قتلى و قتل عترتى اجلسوا طلحه، فأجلس فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: يا طلحه بن عبيد الله لقد وجدت ما وعدنى ربّى حقّا فهل وجدت ما وعدك ربّك حقّا؟ ثمّ قال: اضجعوا طلحه، و سار فقال بعض من كان معه: يا أمير المؤمنين تكلم طلحه بعد قتله؟ فقال: و الله لقد سمع كلامى كما سمع أهل القليب كلام رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم يوم بدر، و هكذا فعل عليه السّلام بكعب بن سور لثما مرّ به قتيلا، و قال: هذا الذى خرج علينا فى عنقه المصحف يزعم أنّه ناصر أمّه (١) يدعو النّاس إلى ما فيه و هو لا يعلم ما فيه، ثم استفتح و خاب كلّ جبار عنيد، أمّا أنّه دعا الله أن يقتلنى فقتله الله و فى البحار من كتاب الكافيه لابطال توبه الخاطئه روى خالد بن مخلد عن زياد بن المنذر عن أبى جعفر عن آبائه عليهم السّلام قال: مرّ أمير المؤمنين عليه السّلام على طلحه و هو صريع فقال: أجلسوه، فاجلس، فقال: ام و الله لقد كانت لك صحبه و لقد شهدت و سمعت و رأيت و لكن الشّيطان أزاغك و أمالك فأوردك جهنّم.

و روى الشّارح المعتزلى عن اصبح بن نباته أنه لثما انهزم أهل البصره ركب علىّ عليه السّلام بغله رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم الشّهباء و كانت باقيه عنده و سار فى القتلى ليستعرضهم فمرّ بكعب بن سور القاضى قاضى البصره و هو قتيل فقال: أجلسوه، فاجلس، فقال:

ويل أمك كعب بن سور لقد كان لك علم لو نفعك و لكن الشّيطان أضلك فأزلك فعجلك إلى النّار أرسلوه، ثمّ مرّ بطلحه بن عبيد الله قتيلا فقال: أجلسوه فاجلس، ثمّ قال: قال أبو مخنف فى كتابه: فقال له: ويل أمك طلحه لقد كان لك قدم لو نفعك

ص: ١٨٣

١- (١) يعنى عايشه، منه.

و لَكِنَّ الشَّيْطَانَ أَضَلَّكَ فَأَزَلَّكَ فَعَجَّلَكَ إِلَى النَّارِ.

قال الشَّارِحُ بعد ذكر ذلك و أمَّا اصحابنا فيروون غير ذلك، يروون أنَّه قال له لَمَّا أَجْلَسُوهُ: اعزَّزْ عَلَيَّ أبا مُحَمَّدٍ أَنْ أُرَاكَ مَعْفَرًا تحت نجوم السَّمَاءِ و في بطن هذا الوادي ابعده جهادك في الله و ذبيك عن رسول الله، فجاء إليه انسان فقال: اشهد يا أمير المؤمنين لقد مررت عليه بعد أن أصابه السَّيِّئُهم و هو صريع فصاح بي فقال: من أصحاب من أنت؟ فقلت: من أصحاب أمير المؤمنين، فقال امدد يدك لابيع لأمير المؤمنين فمددت إليه يدي فبايعني لك فقال علي عليه السَّلام: أباي الله أن يدخل طلحه الجَنَّةَ الا و بيعتي في عنقه، انتهى كلامه.

و أنت خبير بما فيه أمَّا أو لا فلا نَّ هذه الرواية ممَّا انفرد أصحابه بنقلها فهي غير مسموعه و المعروف بين الفريقين هو ما رواه أبو مخنف، و ثانياً أنَّ الشَّارِحَ قال في أوائل شرحه عند الكلام على البغاه و الخوارج: أمَّا أصحاب الجمل فهم عند أصحابنا هالكون كلهم إلا عايشه و طلحه و الزبير، فإنهم تابوا و لو لا التَّوبَةُ لحكموا لهم بالنَّار لا صرارهم على البغي فإنَّ هذا الكلام منهم صريح في استحقاقه للنَّار لو لا التَّوبَةُ و لا بد لهم من إثبات التَّوبَةُ و أنَّي لهم بذلك و مبايعته لمن يبايع أمير المؤمنين عليه السَّلام في تلك الحال التي كان عليها صريعا بين القتلى آيسا من الحياه لا يكفي في رفع العقاب و استحقاق الثَّواب قال سبحانه:

«إِنَّمَا التَّوبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا وَ لَيْسَتِ التَّوبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَ لَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَ هُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا»

بل أقول: إنَّ توبته في تلك الحال على تسليم كون تلك المبايعه منه توبه إنما هي مثل توبه فرعون التي لم تنجيه من عذاب ربّه كما قال تعالى:

«فَأَتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغِيًّا وَعَيْدُوا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُوا إِسْرَائِيلَ وَ أَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَ كُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ » و حاصل ما ذكرته عدم ثبوت التوبه أولا و عدم كفايتها في رفع العقوبه على تقدير ثبوتها ثانيا.

و هاهنا لطيفه

يعجبني ذكرها لمناسبته للمقام و هي انَّ الشَّيخَ المحدث الشَّيخَ يوسف البحراني صاحب الحدائق ذكر في لؤلؤه البحرين عند التعرُّض لأحوال شيخ الطائفة محمّد بن محمّد بن النعمان المفيد (قده) عن الشَّيخ ورام بن أبي فراس في كتابه أنَّ الشَّيخَ المفيد (ره) كان من أهل عكبرا ثم انحدر و هو صبيّ من أبيه إلى بغداد و اشتغل بالقراءة على الشَّيخ أبي عبد الله المعروف بجعل، و كان منزله في درب رباح من بغداد و بعد ذلك اشتغل بالدّرس عند أبي ياسر في باب خراسان من البلده المذكوره.

و لما كان أبو ياسر المذكور بما عجز عن البحث معه و الخروج عن عهده أشار عليه بالَمْضَى إلى عليّ بن عيسى الرّمانى الذى هو من أعاضم علماء الكلام، فقال الشَّيخ: إنّي لا أعرفه و لا أجد أحدا يدلّنى عليه، فأرسل أبو ياسر معه بعض تلامذته و أصحابه فلما مضى و كان مجلس الرّمانى مشحونا من الفضلاء جلس الشَّيخ في صف النّعال و بقى يتدرّج في القرب كلما خلا المجلس شيئا فشيئا لاستفاده بعض المسائل من صاحب المجلس، فاتفق أنّ رجلا من أهل البصره دخل و سأل الرّمانى فقال له:

ما تقول في حديث الغدير و قصّه الغار؟ فقال الرّمانى: قصّه الغار درايه و خبر الغدير

روایه و لا تعارض الزوایه الدراییه و لما كان ذلك الرجل البصرى ليس له قوه المعارضه سكت و خرج.

فقال الشيخ إني لم أجد صبيرا عن السيكوت عن ذلك فقلت: أيها الشيخ عندي سؤال، فقال: قل، فقلت: ما تقول في من خرج على الامام العادل و حاربه؟ فقال: كافر، ثم استدرك فقال: فاسق، فقلت ما تقول في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام؟ فقال: إمام عادل، فقلت: ما تقول في حرب طلحه و الزبير له في حرب الجمل؟ فقال: انهم تابوا، فقلت له: خبر الحرب درايه و التوبه روايه، فقال: أ و كنت عند سؤال الرجل البصرى؟ فقلت: نعم، فقال: روايه بروايه و سؤالك متجه وارد.

ثم إنّه سأله من أنت و عند من تقرأ من علماء هذا البلد؟ فقلت: عند الشيخ أبي عبد الله جعل، ثم قال لي: مكانك و دخل منزله و بعد لحظه خرج و بيده رقعه مهموره فدفعها إليّ فقال: ادفعها إلى شيخك أبي عبد الله، فأخذت الرقعه من يده و مضيت إلى مجلس الشيخ المذكور و دفعت له الرقعه ففتحها و بقي مشغولا بقراءتها و هو يضحك فلما فرغ من قراءتها قال: إن جميع ما جرى بينك و بينه قد كتب إليّ و أوصاني بك و لقبك المفيد، و الله الهادي.

الترجمه

از جمله کلام آن جناب ولایت مآب است هنگامی که مظفر و منصور گردانید خداوند سبحانه و تعالی او را باصحاب جمل و گفت او را بعض اصحاب او دوست داشتم که برادر من فلان حاضر بود در این حرب تا این که می دید آن چیزی را که نصرت داده تو را خدای تعالی بآن بر دشمنان تو، پس فرمود آن حضرت آیا میل و محبت برادر تو با ماست؟ گفت بلی یا امیر المؤمنین، فرمود پس بتحقیق حاضر است با ما و بخدا سوگند البته حاضرند با ما در این لشکرگاه ما جماعت محبان ما که در پشتهای پدرانند و در رحمهای مادران، زود باشد که بیرون آورد ایشان را زمان مانند بیرون آمدن خون از دماغ، و قوت گیرد بسبب وجود ایشان ایمان و اهل طغیان مقهور شوند

و من كلام له عليه السلام في ذم أهل البصره و هو الثالث

اشاره

عشر من المختار في باب الخطب

تكلّم بذلك بعد الفراغ من قتال أهلها و قد رواه الطبرسي في الاحتجاج و عليّ ابن إبراهيم القمي و المحدث البحراني بزياده و نقصان يعرف تفصيل ذلك في أوّل التنبهات إنشاء الله.

كنتم جند المرأه و أتباع البهيمه، رغا فأجبتهم، و عقر فهربتم، أخلاقكم دقاق، و عهدكم شقاق، و دينكم نفاق، و ماؤكم زعاق، المقيم بين أظهركم مرتهن بذنبه، و الشاخص عنكم متدارك برحمه من ربّه، كآني بمسجدكم كجؤجؤ سفينه، قد بعث الله عليها العذاب من فوقها و من تحتها، و غرق من في ضمنها. و في روايه و أيم الله لتغرقن ببلدكم حتى كآني أنظر إلى مسجدها كجؤجؤ سفينه أو نعامه جاثمه. و في روايه كجؤجؤ طير في لجه بحر.

اللغه

(الرّغاء) و زان غراب صوت البعير و رغت النّاقه ترغو صوتت فهي راغيه و (الدّقيق) خلاف الجليل و (شاقّه) مشاقه و شقاقا خالفه و حقيقته ان يأتي كلّ منهما ما يشقّ على صاحبه فيكون كلّ منهما في شقّ غير شقّ صاحبه و (نافق) الرّجل نفاقا إذا أظهر الاسلام لأهله و أضمر غير الاسلام و (الرّزاق) بضمّ الرّاء المعجمه المالح و (بين أظهر) التّاس و بين ظهرهم و بين ظهرانيهم بفتح التّون كلها بمعنى بينهم، و فائده

إدخاله فى الكلام أن إقامته بينهم على سبيل الاستظهار بهم و الاستناد إليهم و كان المعنى أن ظهرا منه قدامه و ظهرا ورائه فكأنه مكنوف من جانبه هذا أصله، ثم كثر حتى استعمل فى الاقامه بين القوم و إن كان غير مكنوف بينهم و (الجؤجؤ) كهدهد من الطير و السفينه صدرهما و قيل عظام الصدر و (جثم) الطائر و الارنب يجثم من باب ضرب جثوما و هو كالبروك من البعير.

الاعراب

الفاء فى قوله: فاجبتم، و قوله: فهربتم، فصيحه، و قوله كأنى بمسجدكم اه كان للتقريب و الباء زائده و الأصل كأنى أبصر مسجدكم ثم حذف الفعل و زيدت الباء كما ذكره المطرزي فى شرح قول الحريرى: كأنى بك تنحط، من أن الأصل كأنى ابصر ك تنحط حذف الفعل و زيدت الباء و قال ابن عصفور: الباء و الكاف فى كأنى بك تنحط، و كأنك بالدنيا لم تكن، كافتان لكأن عن العمل، و الباء زائده فى المبتدأ و على ذلك فىكون قوله عليه السلام بمسجدكم مبتداء و كجؤجؤ سفينه خبره و جمله قد بعث حال متممه لمعنى الكلام كالحال فى قوله تعالى:

«فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرِهِ مُعْرِضِينَ» و قال نجم الأئمة الرضى فى المثال الثانى: الأولى أن تبقى كأن على معنى التشبيه و لا تحكم بزياده شىء و تقول التقدير كأنك تبصر بالدنيا أى تشاهدها من قوله تعالى:

«فَبَصَّرْتَهُ بِهِ عَنْ جُنْبٍ» و الجملة بعد المجرور بالباء حال أى كأنك تبصر بالدنيا و تشاهدها غير كايته.

المعنى

اشاره

اعلم أنه عليه السلام ذكر فى كلامه ذلك امورا سبعة نبه فيها على ذمهم و توبيخهم

الاول ما أشار عليه السلام إليه بقوله: (كنتم جند المرأه)

و أراد بها عايشه حيث جعلوها عقد نظامهم و مدار قوامهم، و من المعلوم أن النساء على نقصان عقولهن

و حظوظهنّ و ايمانهنّ على ما ستعرفها تفصيلا في محلّها مذمومه عند العرب و ساير العقلاء، فالتابع لها و الجاعل زمام أمره إليها لا بدّ و أن يكون أنقص عقلا منهمّ و حرّيا بالذّم و التّويخ.

روى في البحار من كثر جامع الفوائد و تأويل الآيات عن محمّد البرقى عن الحسين ابن سيف عن أخيه عن أبيه عن سالم بن مكرم عن أبيه قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول في قوله تعالى:

«مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ» قال: هي الحميراء قال مؤلّف الكتاب: إنّما كُنّي عنها بالعنكبوت لأنّه حيوان ضعيف اتّخذت بيتا ضعيفا أو هن البيوت، و كذلك الحميراء حيوان ضعيف لقله عقلها و حظها و دينها اتّخذت من رأيها الضّعيف و عقلها السّخيف في مخالفتها و عداوتها لمولاها بيتا مثل بيت العنكبوت في الوهن و الضعف و سيأتى بعض الأخبار فيها في التّنبية الثّاني إنشاء الله.

الثاني ما تبه عليه السّلام عليه بقوله: (و أنباع البهيمه)

و أراد بها الجمل.

قال في البحار: و أعطى يعلى بن منبه عايشه جملا اسمه عسكر اشتراه بمأتي دينار و قيل بثمانين دينارا فركبته و قيل: كان جملها لرجل من عرنيه قال العرني بينما أنا أسير على جمل إذ عرض لي راكب قال اتبع جملك؟ قلت: نعم، قال: بكم؟ قلت: بألف درهم قال: أمجنون أنت؟ قلت: و لم و الله ما طلبت عليه أحدا إلا أدركته و لا طلبني و أنا عليه أحد إلا فته، قال: لو تعلم لمن نريده إنّما نريده لأئمّ المؤمنين عايشه، فقلت: خذه بغير ثمن قال: بل ارجع معنا إلى الرّحل فنعطيك ناقة و دراهم قال: فرجعت فأعطوني ناقة مهرية و أربعمائه درهم أو ستمائه.

و في شرح المعتزلي لمّا عزمت عايشه على الخروج إلى البصره طلبوا لها بعيرا أيّدا يحمل هودجها فجاءهم يعلى بن اميّة ببعير المسمّى عسكرا و كان عظم الخلق

شديداً، فلما رأته أعجبها و أنشأ الجمال يحدثها بقوته و شدته و يقول في أثناء كلامه عسكر، فلما سمعت هذه اللفظه استرجعت و قالت ردوه لا حاجه لى فيه و ذكرت حيث سألت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ذكر لها هذا الاسم و نهاها عن ركوبه و أمرت أن يطلب لها غيره فلم يوجد لها ما يشبهه فغير لها بجلال غير جلاله، و قيل لها قد أصبنا لك أعظم منه خلقاً و أشد قوه و اتيت به فرضيت.

ثم إنه عليه السلام أوضح متابعتهم للبهيمه بقوله: (رغا فأجبتهم) فإن كونهم مجيين لرغائه شاهد صدق على المتابعه و قد كان الجمال رايه أهل البصره قتلوا دونه كما يقتل الرجال تحت الرّيات، و كان كل من أراد الجند فى الحرب و قاتل قتال مستميت يتقدم الجمال و يأخذ بخطامه و روى أنه اخذ الخطام سبعون رجلا من قريش قتلوا كلهم و كان أكثر الناس حمايه له و ذباً عنه بنى ضبّه و الأزد.

و فى شرح المعتزلى عن المداينى و الواقدى أنه ما حفظ رجز قط أكثر من رجز قيل يوم الجمال، و أكثره لبنى ضبّه و الأزد الذين كانوا حول الجمال يحامون عنه و لقد كانت الرءوس تندر عن الكواهل، و الأيدى تطيح من المعاصم، و أفتاب البطن تندلق من الأـجواف، و هم حول الجمال كالجراد الثابته لا تزلزل و لا تتحلحل(١) حتى لقد صرخ بأعلى صوته ويلكم: اعقروا الجمال فإنه شيطان، ثم قال عليه السلام اعقروه و إلاً فنيت العرب لا يزال السيف قائماً و راکعا حتى يهوى البعير إلى الأرض فعمدوا له حتى عقروه فسقط و له رغاء شديد فلما برک كانت الهزيمة و إليه أشار عليه السلام بقوله:

(و عقر فهربتم).

قال أبو مخنف حدّثنا مسلم الأـعور عن حبه العرنى قال: فلما رأى على عليه السلام أنّ الموت عند الجمال و أنه ما دام قائماً فالهرب لاـ يطفأ وضع سيفه على عاتقه و عطف نحوه و أمر أصحابه بذلك و مشى نحوه و الخطام مع بنى ضبّه فاقتلوا قتالا شديداً و استحرّ القتل فى بنى ضبّه فقتل منهم مقتله عظيمه و خلص على عليه السلام فى جماعه من النخع و همدان إلى الجمال.

ص: ١٩٠

١- (١) حللهم ازالهم عن مواضعهم ق.

فقال لرجل من النخع اسمه بحير: دونك الجمل يا بحير فضرب عجز الجمل بسيفه فوقه لجنبه و ضرب بجرانه الأرض و عجز عجا شديدا لم يسمع بأشد منه فما هو إلا أن صرع الجمل حتى فزت الرجال كما يطير الجراد في الريح الشديده الهبوب و احتملت عايشه بهودجها فحملت إلى دار عبد الله بن خلف و أمر علي عليه السلام بالجمل أن يحرق ثم يذرى بالريح، و قال: لعنه الله من دابته فما أشبهه بعجل بنى إسرائيل ثم قرء:

«وَ انظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا» و في الاحتجاج أنّ محمّد بن أبى بكر و عمّار بن ياسر توليا عقره بعد طول دمائه، و روى أنّه كلما قطعت قائمه من قوائمه ثبت على اخرى حتى قتل.

الثالث ما ذكره بقوله عليه السلام (أخلاقكم دقاق)

أى رذيله حقيقه قال الشارح المعتزلى: فى الحديث أنّ رجلا قال له: يا رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم إننى أحب أن انكح فلانه إلاّ أنّ فى أخلاق أهلها دقه فقال له: إياك و خضراء الدمن إياك و المرأه الحسناء فى منبت السوء و علل البحرانى دقه أخلاقهم بأنّ أصول الفضائل الخلقية لما كانت ثلاثه: الحكمة و العفه و الشجاعه و كانوا على طرف الجهل لوجوه الآراء المصلحيه و هو طرف التفريط من الحكمة العلميه و على طرف الجبن و هو التفريط من الشجاعه و على طرف الفجور و هو طرف الافراط من ملكه العفه و العدالة لا جرم صدق أنّهم على رذائل الأخلاق و دقاقها.

أقول: و يشهد على جهلهم اتباعهم للمرأه و متابعتهم للبهيمه، و على جنهم ما مر فى الخطب السابقه من قوله عليه السلام: و قد أَرعدوا و أبرقوا و مع هذين الأمرين الفشل، و على فجورهم خروجهم على الامام العادل و محاربتهم معه.

الرابع ما تبه عليه السلام عليه بقوله: (و عهدكم شقاق)

يعنى معاهدتكم لا- يمكن الاعتماد عليها و الوثوق بها، لأنها صورته و ظاهريه و فى المعنى و الحقيقه مخالفه و عداوه يشهد بذلك نكتهم لبيعته بعد عقدهم إياه.

الخامس ما أشار عليه السلام إليه بقوله: (و دينكم نفاق)

و ذلك أنهم أظهروا الاسلام أى الايمان بألسنتهم و خالفوا بقلوبهم كما حكى عليه السلام فيما سبق عن الزبير أنه: يزعم أنه بايع بيده و لم يبايع بقلبه فقد أقر بالبيعه و ادعى الوليجه.

السادس ملوحه مائهم المشار إليه بقوله: (و ماؤكم زعاق)

أى مالح بسبب قربه من البحر يوجب أمراضا كثيره كسوء المزاج و البلاده و فساد الطحال و نحوها و هذا و إن لم يكن من افعالهم الاختياريه إلا أنه ممّا يذم به البلد فيستحقون بذلك المذمه لسوء اختيارهم ذلك المكان قال الشاعر:

بلاد بها الحمى و اسد عرينه و فيها المعلى يعتدى و يجور

فأنى لمن قد حلّ فيها لراحم و إنى لمن لم يأتها لنذير

(و السابع أن المقيم بين أظهركم مرتين بذنبه)

لأنه إما أن يشاركهم فى الذنوب أو يراها فلا ينكرها، و قد ورد الاخبار عن أئمتنا الأطهار سلام الله عليهم على تحريم مجاوره أهل المعاصى و مخالطتهم اختيارا و المجالسه معهم و كون المجاور و المجالس مستحقا بذلك للعقوبه.

مثل ما رواه فى الوسائل باسناده عن مهاجر الأسدى عن أبى عبد الله عليه السلام قال:

مرّ عيسى بن مريم عليه السلام على قريه قد مات أهلها و طيرها و دوابها فقال: أمّا أنهم لم يموتوا إلا لسخطه و لو ماتوا متفرّقين لتدافنوا، فقال الحواريون: يا روح الله و كلمته ادع الله أن يحييهم لنا فيخبرونا ما كانت أعمالهم فتتجّبها، قال: فدعا عيسى عليه السلام فنودى من الجوّ أن نادهم فقام عيسى بالليل على شرف من الأرض فقال: يا أهل القريه، فأجابه مجيب منهم لييك، فقال: و يحكم ما كانت أعمالكم؟ قال: عباده

الطاغوت و حبّ الدّنيا مع خوف قليل و أمل بعيد و غفله في لهو و لعب إلى أن قال:

و كيف عبادتكم للطاغوت؟ قال: الطاعة لأهل المعاصي قال: كيف كان عاقبه أمركم؟ قال: بتنافي عافيه و أصبحنا في الهاويه، فقال: و ما الهاويه؟ قال: سجين، قال:

و ما سجين؟ قال: جبال من جمر توقد علينا إلى يوم القيامة إلى أن قال، قال:

ويحك كيف لم يكلمني غيرك من بينهم؟ قال: يا روح الله إنهم ملجمون بلجم من نار: بأيدي ملائكة غلاظ شداد و إنّي كنت فيهم و لم أكن منهم فلمّا نزل العذاب أعمنى معهم و أنا معلق بشعره على شفير جهنم لا أدري أكبكب فيها أم أنجو منها، فالتفت عيسى عليه السّلام إلى الحواريين فقال: يا أولياء الله أكل الخبز اليابس بالملح الجريش و التّوم على المزابل خير كثير مع عافيه الدّنيا و الآخرة.

و عن أبي حمزه عن أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليهما السّلام قال: سمعته يقول: أما أنّه ليس من سنه أقلّ مطرا من سنه و لكن الله يضعه حيث يشاء إنّ الله جلّ جلاله إذا عمل قوم بالمعاصي صرف عنهم ما كان قدر لهم من المطر في تلك السنه إلى غيرهم و إلى الفيافي و البحار و الجبال، و إنّ الله ليعذبّ الجعل في جحرتها بحبس المطر عن الأرض التي هي بمحلّتها لخطايا من بحضرتها، و قد جعل الله لها السبيل إلى مسلك سوى محله أهل المعاصي قال: ثمّ قال أبو جعفر عليه السّلام: فاعتبروا يا أولى الأبصار.

و عن أبي حمزه عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام في حديث طويل قال: أيّاكم و صحبه العاصين و معونه الظالمين و مجاوره الفاسقين، احذروا فتنّهم و تباعدوا من ساحتهم.

و في الفقيه عن محمّد بن مسلم قال: مرّ بي أبو جعفر عليه السّلام و أنا جالس عند قاض بالمدينه فدخلت عليه من الغد فقال عليه السّلام: ما مجلس رأيتك فيه أمس قال: قلت له:

جعلت فداك إنّ هذا القاضي لي مكرم فربّما جلست إليه فقال: و ما يؤمنك أن تنزل اللعنه فتعمّك معه، و روى في خبر آخر فتعمّ من في المجلس.

و في الكافي عن الجعفرى قال: سمعت أبا الحسن عليه السّلام يقول: مالى رأيتك عند عبد الرّحمن بن يعقوب؟ فقال: إنّه خالى، فقال عليه السّلام: إنّه يقول في الله قولاً عظيماً يصف الله و لا- يوصف فإمّياً جلست معه و تركتنا، و إمّياً جلست معنا و تركته؛ فقلت:

هو يقول ما شاء أى شىء علىّ منه إذا لم أقل ما يقول؟ فقال أبو الحسن عليه السّلام: أما تخاف أن تنزل به نقمه فتصيبيكم جميعاً، أما علمت بالذى كان من أصحاب موسى عليه السّلام و كان أبوه من أصحاب فرعون فلما لحقت خيل فرعون موسى تخلف عنه ليعظ أباه فيلحقه بموسى فمضى أبوه و هو يراغمه حتى بلغ طرفاً من البحر فغرقا جميعاً فأتى موسى الخبر فقال: هو فى رحمته الله و لكن النّقمه إذا نزلت ليس لها عمّن قارب المذنب دفاع.

و قوله عليه السّلام: (و الشّاخص عنكم متدارك برحمه من ربّه) و ذلك لأنّ المقيم بينهم و المخالط معهم إذا كان رهينا بذنبه يلزمه كون الشّاخص عنهم و المتباعد من ساحتهم متداركاً برحمه الله لسلامته من عقوبه المجاوره و المجالسه.

ثمّ أشار عليه السّلام إلى ابتلائهم بالعقوبه الدّنيويه قبل عذاب الآخره و قال:

(كأنّى بمسجدكم كجؤجؤ سفينه قد) برز من الماء حين (بعث الله عليها) أى على البصره (العذاب من فوقها و من تحتها و غرق من فى ضمنها) قال الرّضى (و فى روايه) اخرى (و أيم الله لتغرقنّ بلدتكم حتىّ كأنّى أنظر إلى مسجدها كجؤجؤ سفينه أو نعامه جائمه) أى باركه متلبده بالأرض قال: (و فى روايه) ثالثه (كجؤجؤ طير فى لجه بحر).

قال الشّارح المعتزلى: أمّا إخباره عليه السّلام أنّ البصره تغرق عدا المسجد الجامع فقد رأيت من يذكر أنّ كتب الملاحم تدلّ على أنّ البصره يهلك بالماء الأسود ينفجر من أرضها فتغرق و يبقى مسجدها، و الصّحيح أنّ المخبر به قد وقع فإنّ البصره غرقت مرّتين مرّه فى أيّام القادر بالله و مرّه فى أيّام القائم بأمر الله غرقت بأجمعها و لم يبق منها إلاّ مسجدها الجامع مبارزا بعضه كجؤجؤ الطائر حسب ما أخبر به أمير المؤمنين عليه السّلام: جاءها الماء من بحر الفارس من جهه الموضع المعروف الآن بجزيره الفرس و من جهه الجبل المعروف الآن بجزيره السّنام، و خربت دورها و غرق كلّ ما فى ضمنها و هلك كثير من أهلها، و أخبار هذين الغرقين عند أهل البصره يتناقله خلفهم عن سلفهم.

أقول: و لا بأس بما ذكره إلاّ أنّ المستفاد من ذيل هذه الخطبه على ما رواها

الشّارح البحرانى حسبما تعرفه فى أوّل التنبّهات أنّ الماء الذى يغرق به البصره ينفجر من الأرض كما قال عليه السّلام: و إنى لأعرف موضع منفجره من قرىكم هذه و ظاهر ذلك أنّه لا يكون من ناحيه اخرى، و الله العالم بحقايق الامور

و ينبغى التنبه على امور

الاول

اعلم أنّ هذه الخطبه رويت بطرق مختلفه

قد رواها جماعه من الأصحاب بزياده و نقصان و لا بأس بالاشاره إليها تكثيرا للفائده.

فمنها ما فى الاحتجاج عن ابن عباس (رض) قال: لَمَّا فرغ أمير المؤمنين عليه السّلام من قتال أهل البصره وضع قنبا على قنبا فحمد الله و أثنى عليه فقال: يا أهل البصره يا أهل المؤتفكه يا أهل الداء (١) العضال يا أتباع البهيمه يا جند المرأه رغا فأجبتهم و عقر فهربتم، ماؤكم زعاق، و دينكم نفاق، و أحلامكم دقاق، ثم نزل عليه السّلام يمشى بعد فراغه من خطبته فمشينا معه فمرّ بالحسن البصرى و هو يتوضأ فقال: يا حسن أسبغ الوضوء فقال: يا أمير المؤمنين لقد قتلت بالأمس أناسا يشهدون أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له و أنّ محمدا عبده و رسوله و يصلّون الخمس و يسبغون الوضوء، فقال له أمير المؤمنين عليه السّلام: قد كان ما رأيت فما منعك أن تعين علينا عدونا؟ فقال: و الله لا صدقنك يا أمير المؤمنين لقد خرجت فى أوّل يوم فاغتسلت و تحنّطت و صببت علىّ سلاحى و أنا لا أشكّ فى أنّ التّخلف عن أمّ المؤمنين عايشه كفر، فلَمَّا انتهيت إلى موضع من الخريبه (٢) نادى مناد يا حسن إلى أين ارجع فإنّ القتال و المقتول فى النار، فرجعت ذاعرا و جلست فى بيتى.

فلَمَّا كان فى اليوم الثّانى لم أشكّ أنّ التّخلف عن أمّ المؤمنين هو الكفر فتحنّطت و صببت علىّ سلاحى و خرجت اريد القتال حتّى انتهيت إلى موضع من الخريبه فنادى مناد من خلفى يا حسن إلى أين مرّه بعد اخرى فإنّ القتال و المقتول فى النار.

ص: ١٩٥

١- (١) الداء العضال الذى لا دواء له صحاح.

٢- (٢) هى بضم الخاء محله من محال البصره ينسب إليها خلق كثير نهايه.

قال عليّ عليه السّلام: صدقت أفتدري من ذلك المنادى؟ قال: لا، قال عليه السّلام: أخوك إبليس و صدقك أنّ القاتل و المقتول منهم في النار، فقال الحسن البصرى: الآن عرفت يا أمير المؤمنين أنّ القوم هلكى.

و منها ما فى تفسير عليّ بن إبراهيم القمى فى تفسير قوله:

«وَالْمِيؤْتَفِكَهَ أَهْوَى» قال: المؤتفكه (١) البصره، و الدليل على ذلك قول أمير المؤمنين عليه السّلام: يا أهل البصره و يا أهل المؤتفكه يا جند المرأه و أتباع البهيمه رغا فأجبتهم و عقر فهربتم ماؤكم زعاق و اخلاقكم دقاق «و أحلامكم رقاق خ ل» و فيكم ختم النفاق و لعنتم على لسان سبعين نبيا إنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم أخبرنى أنّ جبرئيل عليه السّلام أخبره أنّه طوى له الأرض فرأى البصره أقرب الأرضين من الماء و أبعدها من السّماء، و فيها تسعه أعشار الشرّ و الداء العضال، المقيم فيها مذنب و الخارج عنها برحمه و قد ائتفكت بأهلها مرّتين و على الله تمام الثالثه، و تمام الثالثه فى الرجعه.

أقول: قال فى مجمع البيان: المؤتفكه المنقلبه و هى التى صار أعلاها أسفلها و أسفلها أعلاها، و أهوى أى انزل بها فى الهواء قال: و المؤتفكه قرى قوم لوط المخسوفه أهوى أى اسقط أهواها جبرئيل بعد أن رفعها و هذا تنزيلها و ما رواه القمى رحمه الله تأويلها، و قال القمى فى تفسير قوله سبحانه:

«وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَ الْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ» المؤتفكات البصره، و الخاطئه فلانه و فى نسخه حميراء، و فى البحار و أمّا التأويل الذى (٢) ذكره عليّ بن إبراهيم فقد رواه مؤلف تأويل الآيات الباهره عن محمّد البرقى عن سيف بن عميره عن أخيه عن منصور بن حازم عن حمران قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: و جاء فرعون يعنى الثالث، و من قبله يعنى الأولين، و المؤتفكات أهل

ص: ١٩٤

١- (١) قال فى تفسير البيضاوى المؤتفكه القرى التى ائتفكت بأهلها اى انقلبت و عن النهايه فى حديث انس البصره احدى المؤتفكات يعنى انها غرقت فشبه غرقها بانقلابها منه.

٢- (٢) يعنى فى الآيه الاخيره، منه.

البصرة، بالخاطئه الحميراء، فالمراد بمجىء الأولين و الثالث بعائشه أنهم أسسوا لها بما فعلوا من الجور على أهل البيت عليهم السلام أساسا به تيسر لها الخروج و لولا ما فعلوا لم تكن تجترى على ما فعلت، و المراد بالمؤتفكات أهل المؤتفكات و الجمع باعتبار البقاع و القرى و المحلات.

و منها ما فى شرح البحرانى متفرقه إلا أنّ المحدث العلامة المجلسى (ره) جمع ما وجد منها فى البحار و ألف شتاتها و نحن نرويهما من البحار من الشرح.

قال (قدّه): روى الشيخ كمال الدين بن ميثم البحرانى مرسلًا أنّه لما فرغ أمير المؤمنين عليه السلام من أمر الحرب لأهل الجمل أمر مناديا ينادى فى أهل البصره أن الصلاه الجامعه لثلاثه(1) أيام من غد إنشاء الله و لا عذر لمن تخلف إلا من حجّه أو عله فلا تجعلوا على أنفسكم سيلا فلما كان اليوم الذى اجتمعوا فيه خرج عليه السلام فصلى بالناس الغداه فى المسجد الجامع فلما قضى صلاته قام فأسند ظهره إلى حائط القبلة عن يمين المصلّى فخطب الناس و أثنى عليه بما هو أهله و صلّى على النبى و آله و استغفر للمؤمنين و المؤمنات و المسلمين و المسلمات ثم قال:

يا أهل البصره يا أهل المؤتفكه انتفكت(2) بأهلها ثلاثا و على الله تمام الرابعه، يا جند المراه و اعوان البهيمه رغا فأجبتهم و عقر فانهمتم اخلاقكم دقاق و دينكم نفاق و ماؤكم زعاق، و بلادكم اتن بلاد الله تربه و ابعدها من السيماء، بها تسعه اعشار الشر المحتبس فيها بذنبه و الخارج منها بعفو الله، كأتى انظر إلى قريتكم هذه و قد طبقها الماء حتى ما يرى منها إلا شرف المسجد كأنه جؤجؤ طير فى لجه بحر فقام إليه الأحنف(3) بن قيس فقال له: يا أمير المؤمنين متى يكون ذلك؟

ص: ١٩٧

١- (١) اى بعد ثلاثه ايام و اللام للاختصاص منه،

٢- (٢) اى انقلبت اما حقيقه أو كنايه عن الغرق منه.

٣- (٣) الاحنف هو الذى كان معتزلا عن الفريقين يوم الجمل و يكنى ابا بحر بالباء الموحده و اسمه الضحاك بن قيس من بنى تميم، بحار الانوار.

قال: يا أبا بحر إنك لن تدرك ذلك الزمان و إن بينك و بينه لقرونا و لكن ليبلغ الشاهد منكم الغائب عنكم لكي يبلغوا إخوانهم إذا هم رأوا البصره قد تحوّلت أخصاصها(١) دورا و آجامها قصورا فالهرب الهرب فأنه لا بصره لكم يومئذ.

ثم التفت عن يمينه فقال: كم بينكم و بين الأبله؟(٢) فقال له المنذر بن الجارود فداك أبي و أمي أربعة فراسخ قال له: صدقت فوالذي بعث محمّدا و آله و أكرمه بالنبوه و خصّه بالرساله و عجل بروحه إلى الجنّه لقد سمعت منه كما تسمعون مني أن قال لي: يا عليّ هل علمت أنّ بين التي تسمى البصره و تسمى الأبله أربعة فراسخ و سيكون في التي تسمى الأبله موضع أصحاب العشور يقتل في ذلك الموضع من أمّتي سبعون ألفا شهيدهم يومئذ بمنزله شهداء بدر.

فقال له المنذر: يا أمير المؤمنين و من يقتلهم فداك أبي و أمي؟ قال: يقتلهم اخوان الجنّ و هم جيل(٣) كأنهم الشياطين سود ألوانهم منتنه أرياحهم(٤) شديد كلبهم(٥) قليل سلبهم طوبى لمن قتلهم و طوبى لمن قتلوه، ينفر لجهادهم في ذلك الزمان(٦) قوم هم أذله عند المتكبرين من أهل ذلك الزمان، مجهولون في الأرض معروفون في السماء تبكي السماء عليهم و سكانها و الأرض و سكانها.

ص: ١٩٨

-
- ١- (١) جمع خص بيت يعمل من الخشب القضب بحار.
 - ٢- (٢) بضم الهمزه و الباء و تشديد اللام الموضع الذي به مدينه البصره و في الأبله اليوم موضع العشارين حسبما اخبر (عليه السلام) به بحار.
 - ٣- (٣) الجيل هو الصف من الناس و قيل كل قوم يختصمون بلغه فهم جيل بحار.
 - ٤- (٤) جمع ريح و هي الريحه بحار.
 - ٥- (٥) الكلب بالتحريك الشر و الاذى و شبه جنون يعرض الانسان من عض الكلب الكلب و السلب بالتحريك ما يأخذه أحد القرينين في الحرب من قرينه مما يكون عليه بحار.
 - ٦- (٦) و كانه أشار الى خروج صاحب الريح و كان جيشه حفاتا مشاتا لم يكن لهم قعقه لجم و لا جمجمه خيل بحار الانوار.

ثم هملت (١) عيناه بالبكاء ثم قال: ويحك يا بصره ويلك يا بصره لا رهج (٢) له ولا حس (٣) فقال له المنذر: يا أمير المؤمنين و ما الذى يصيبهم من قبل الغرق مما ذكرت و ما الويح و ما الويل؟ فقال: هما بابان فالويح باب رحمه و الويل باب عذاب يابن الجارود نعم تارات (٤) عظيمه.

منها عصبه يقتل بعضها بعضا، و منها فتنه يكون بها خراب منازل و خراب ديار و انتهاك أموال (٥) و قتل رجال و سب نساء يذبحن و نجايا ويل امرهن حديث عجيب منها أن يستحل (٦) بها الدجال الأكبر الأعور (٧) الممسوح العين اليمنى و الاخرى كأنها ممزوجة بالدم لكأنها فى الحمرة علقه ناتى (٨) الحدقه كهيه حبه العنب الطافيه (٩) على الماء فيتبعه من أهلها عدّه من قتل بالابله من الشهداء اناجيلهم فى صدورهم يقتل من يقتل و يهرب من يهرب ثم رجف (١٠) ثم قذف (١١) ثم خسف (١٢) ثم مسخ ثم الجوع الأغبر ثم الموت الأحمر و هو الغرق.

يا منذر إنّ للبصره ثلاثه أسماء سوى البصره فى الزّير الأوّل لا يعلمها الاّ

ص: ١٩٩

- ١- (١) اى فاضت بالدمع بحار.
- ٢- (٢) بالتحريك الغبار بحار.
- ٣- (٣) الصوت الخفى بحار.
- ٤- (٤) جمع تاره اى مرات و المعنى ترد عليهم فتنه عظيمه مره بعد اخرى بحار.
- ٥- (٥) اخذ الاموال بما لا يحل بحار.
- ٦- (٦) اى يتخذها مسكنا و يتزلها من حل بالمكان اذا نزل وصف الدجال بالاكبر لكثره مدعى الاباطيل كما فى بعض الاخبار بحار.
- ٧- (٧) الذى ذهب احدى عينيه بحار.
- ٨- (٨) الناتى المرتفع بحار.
- ٩- (٩) طفا على الماء يطفوا اذا علا و لم يرسب بحار.
- ١٠- (١٠) الرجف الزلزله و الاضطراب بحار.
- ١١- (١١) القذف الرمى بالحجاره و نحوها م.
- ١٢- (١٢) الخسف الذهاب فى الارض و خسف المكان ان يغيب فى الارض و هذا الخسف يحتمل. ان يكون خسف جيش او طائفه بالبصره أو خسف مدينتهم و بعض مساكنهم و وصف الجوع بالاغبر لان الجوع غالبا يكون فى السنين المجدبه و سنو الجذب تسمى غير الاغبرار اطالها من قله الامطار و ارضيها لعدم النبات و اما لان وجه الجائع يشبه الوجه المغبر و المراد بالجوع الاغبر الجوع الكامل الذى يظهر لكل أحد بحار.

العلماء منها الخريبه و منها تدمر(١) و منها المؤتفكه، يا منذر و الذى فلق الحبه و براء النسمة لو أشاء لأخبرتكم بخراب العرصات عرصه عرصه متى تخرب و متى تعمر بعد خرابها إلى يوم القيامة و أنّ عندى من ذلك علما جمّا(٢) و ان تسألونى تجدونى به عالما لا اخطى منه علما(٣) و لا دار فناء و لقد استودعت علم القرون الاولى و ما هو كائن إلى يوم القيامة.

ثمّ قال: يا أهل البصره إنّ الله لم يجعل لأحد من أمصار المسلمين خطه شرف و لا كرم إلاّ و قد جعل فيكم أفضل ذلك و زادكم من فضله بمنّه ما ليس لهم أنتم أقوم الناس قبله قبلتكم على المقام حيث يقوم الامام بمكّه، و قارئكم أقرء الناس، و زاهدكم أزهد الناس، و عابدكم أعبد الناس، و تاجركم انجر الناس و أصدقهم فى تجارته، و متصدّقكم أكرم الناس صدقه، و غيتكم أشدّ الناس بذلا و تواضعا، و شريفكم أحسن الناس خلقا، و أنتم أكرم الناس جوارا و أقلهم تكلفا لما لا يعنيه و أحرصهم على الصلاه فى جماعه، ثمّرتكم أكثر الثمار، و أموالكم أكثر الأموال و صغاركم أكيس(٤) الاولاد، نساؤكم أقنع النساء و أحسنهن تبعلا(٥) سخر لكم الماء يغدو(٦) عليكم و يروح، صلاحا لمعاشكم و البحر سببا لكثرتهم أموالكم فلو صبرتم

ص: ٢٠٠

١- (١) من الدمار بمعنى الهلاك بحار.

٢- (٢) الجم الكثير بحار.

٣- (٣) العلم بالتحريك الجبل و الرايه و دار فناء الامر داخله ذكره فى القاموس اى لا اخطى منه ظاهرا و لا خفيا بحار.

٤- (٤) الكيس بالفتح خلاف الحمق بحار.

٥- (٥) مصاحبه الزوجيه بحار.

٦- (٦) غدو الماء و رواحه اليه كناية عن الجزر و المد فى الوقتين فان نهر البصره و الانهار المقارنه له يمد فى كل يوم و ليله مرتين و يدور فى اليوم و الليله و لا يخص وقتا كطلوع الشمس و غروبها و ارتفاعها و انخفاضها و يكون ذلك بالمد اليومى و يكون المد عند زياده نور القمر اسد و يسمى ذلك بالمد الشهرى و اشار عليه السلام بهذه الفقره الى فايده المد و الجزر بحار.

و استقمتم لكانت لكم شجره طوبى مقبلاً ظلًا ظليلاً(١) غير أنّ حكم الله فيكم ماض و قضاؤه نافذ لا معقب لحكمه و هو سريع الحساب يقول الله:

«وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا» و اقسام لكم يا أهل البصره ما الذى ابتدأتكم به من التوبيخ إلا تذكيرا و موعظه لما بعد لكيلا تسرعوا إلى الوثوب فى مثل الذى و ثبتم و قد قال الله لنبىه صلى الله عليه و آله و سلم «وَ ذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ» و لا الذى ذكرت فيكم من المدح و التطريه(٢) بعد التذكير و الموعظه رهبه منى لكم و لا- رغبه فى شىء مما قبلكم فأنى لا اريد المقام بين أظهركم إنشاء الله لامور تحضرنى قد يلزمنى المقام بها فيما بينى و بين الله لا عذر لى فى تركها و لا علم لكم بشىء منها حتى يقع مما اريد أن أخوضها(٣) مقبلا و مدبرا.

فمن أراد أن يأخذ بنصيبه منها فليفعل، فلعمري إنّه للجهد الصّافى صفاه(٤) لنا كتاب الله و لا الذى أردت به من ذكر بلادكم موجد(٥) منى عليكم لما شاققتومنى

ص: ٢٠١

١- (١) الظل الظليل القوى الكامل و من عادته العرب وصف الشىء بمثل لفظه للمبالغه و قيل اى الظل الدائم الذى لا تنسخه الشمس كما فى الدنيا بحار.

٢- (٢) التطريه المبالغه فى المدح و الغالب فيه الاطراء بحار.

٣- (٣) الخوض فى تلك الامور مقبلا و مدبرا مبالغه فى نفي الاستنكاف عنها و توطين النفس عن القيام بها بحار.

٤- (٤) أى جعله خالصا عن الشوائب منه.

٥- (٥) بكسر الجيم الغضب و المشاقه و الانشقاق الخلاف و العداوه بحار.

غير أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِي يَوْمًا وَ لَيْسَ مَعَهُ غَيْرِي: إِنَّ جِبْرَائِيلَ الرَّوحَ الْأَمِينَ حَمَلَنِي عَلَى مَنْكِبِهِ الْأَيْمَنِ حَتَّى أَرَانِي الْأَرْضَ وَ مِنْ عَلَيْهَا وَ أَعْطَانِي أَقَالِيدَهَا(١) وَ لَمْ يَكْبِرْ ذَلِكَ عَلَيَّ كَمَا لَمْ يَكْبِرْ عَلَى أَبِي آدَمَ عِلْمَهُ الْأَسْمَاءَ وَ لَمْ يَعْلَمْهُ الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ.

وَ إِنِّي رَأَيْتُ بَقْعَهُ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ تَسْمَى الْبَصْرَةَ، فَإِذَا هِيَ أَبْعَدُ الْأَرْضِ مِنَ السَّمَاءِ وَ أَقْرَبُهَا مِنَ الْمَاءِ وَ أَنَّهَا لِأَسْرَعَ الْأَرْضِ خَرَابًا وَ أَخْشَنَهَا (أَخْشَبَهَا خ) تَرَابًا وَ أَشَدَّهَا عَذَابًا، وَ لَقَدْ خَسَفَ بِهَا فِي الْقُرُونِ الْخَالِيَةِ مَرَارًا وَ لِيَأْتِينَ(٢) عَلَيْهَا زَمَانٌ وَ إِنَّ لَكُمْ يَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ وَ مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى مِنَ الْمَاءِ لِيَوْمًا عَظِيمًا بِلَاؤُهُ وَ إِنِّي لِأَعْرِفُ مَوْضِعَ مَنْفَجِرِهِ مِنْ قَرِيَّتِكُمْ هَذِهِ، ثُمَّ أُمُورٌ قَبْلَ ذَلِكَ تَدْهَمُكُمْ(٣) أَخْفَيْتُ عَلَيْكُمْ وَ عَلِمَنَاهُ فَمَنْ خَرَجَ عِنْدَ دُنُوِّ غَرَقِهَا فَبِرَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ سَبَقَتْ لَهُ، وَ مِنْ بَقِيٍّ فِيهَا غَيْرُ مَرَابِطٍ بِهَا فَبِذَنْبِهِ وَ مَا اللَّهُ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ.

فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَخْبِرْنِي مِنْ أَهْلِ الْجَمَاعَةِ وَ مِنْ أَهْلِ الْفِرْقَةِ وَ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعَةِ وَ مِنْ أَهْلِ السَّنَةِ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِذَا سَأَلْتَنِي فَافْهَمْ عَنِّي وَ لَا عَلَيْكَ أَنْ لَا تَسْأَلَ أَحَدًا بَعْدِي، أَمَّا أَهْلُ الْجَمَاعَةِ فَأَنَا وَ مَنْ أَتْبَعَنِي وَ إِنْ قَلَّوْا، فَذَلِكَ الْحَقُّ عَنِ أَمْرِ اللَّهِ وَ أَمْرُ رَسُولِهِ، وَ أَهْلُ الْفِرْقَةِ فَالْمُخَالَفُونَ لِي وَ لِمَنْ أَتْبَعَنِي وَ إِنْ كَثُرُوا، وَ أَمَّا أَهْلُ السَّنَةِ فَالْمُسْتَمْسِكُونَ بِمَا سَنَّ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ إِنْ قَلَّوْا؛ وَ أَمَّا أَهْلُ الْبِدْعَةِ فَالْمُخَالَفُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ وَ لِكِتَابِهِ وَ لِرَسُولِهِ الْعَالِمُونَ «الْعَامِلُونَ ظ» بِرَأْيِهِمْ وَ هَوَائِهِمْ وَ إِنْ كَثُرُوا قَدْ مَضَى مِنْهُمْ الْفُوجُ(٤) الْأَوَّلُ وَ بَقِيَتْ أَفْوَاجٌ وَ عَلَى اللَّهِ قِصْمُهَا(٥) وَ اسْتِيصَالُهَا عَنِ جَدِّ الْأَرْضِ(٦) وَ بِاللَّهِ التَّوْفِيقُ

ص: ٢٠٢

- ١- (١) جمع اقليد و هو المفتاح بحار.
- ٢- (٢) النون للتفخيم اي يأتى عليها زمان شديد بحار.
- ٣- (٣) اي تفجاكم و تغشيكم بحار.
- ٤- (٤) المراد به اما أصحاب الجمل أو الاعم منهم و من الخلفاء و اتباعهم بحار.
- ٥- (٥) القصم كسر الشيء مع الابانه بحار.
- ٦- (٦) الجد الارض الصلبيه المستويه بحار.

أقول: ولعلّ تمام الخطبه ما رواه في الاحتجاج عن يحيى بن عبد الله بن الحسن عن أبيه عبد الله بن الحسن، قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام يخطب بالبصره بعد دخولها بأيام، فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني من أهل الجماعه و من أهل الفرقة؟ و ساق إلى قوله و استيصالها عن جدد الأرض و بعده فقام إليه عمّار و قال: يا أمير المؤمنين إنّ الناس يذكرون الفىء و يزعمون أنّ من قاتلنا فهو و ماله و ولده فىء لنا.

فقام إليه رجل من بكر بن وائل يدعى عباد بن قيس و كان ذا عارضه و لسان شديد فقال يا أمير المؤمنين و الله ما قسمت بالسويّه و لا عدلت فى الرّعيه فقال: عليه السّلام و لم ويحك؟ قال: لأنّك قسمت ما فى العسكر و تركت الأموال و النّساء و الدّريه فقال: أيّها النّاس من كان له جراحه فليداوها بالسّمّن، فقال عباد: جئنا نطلب غنائمنا فجاءنا بالترّهات.

فقال له أمير المؤمنين عليه السّلام: إن كنت كاذبا فلا أماتك الله حتّى يدركك غلام ثقيف، قيل: و من غلام ثقيف؟ فقال رجل لا يدع لله حرمه إلاّ انتهكها فقيلا أ فيموت أو يقتل؟ فقال عليه السّلام يقصه قاصم الجبارين بموت فاحش يحترق منه دبره لكثره ما يجرى من بطنه.

يا أخا بكر انت امرء ضعيف الرأى أو ما علمت أنّا لا نأخذ الصّيغير بذنّب الكبير، و أنّ الأموال كانت لهم قبل الفرقة؟؟ و تزوّجوا على رشده و ولد و اعلى فطره و إنّما لكم ما حوى عسكرهم و ما كان فى دورهم فهو ميراث فان عدا أحد منهم أخذنا بذبّه و إن كفّ عنا لم نحمل عليه ذنب غيره.

يا أخا بكر لقد حكمت فيهم بحكم رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فى أهل مكّه، فقسّم ما حوى العسكر و لم يتعرّض لما سوى ذلك. و إنّما اتبعت أثره حذ و التعل بالتعل.

يا أخا بكر أما علمت أنّ دار الحرب يحلّ ما فيها و أنّ دار الهجره لا- يحلّ ما فيها إلاّ- بحقّ فمهلا مهلا رحمكم الله فان لم تصدّقونى و أكثرتم علىّ و ذلك(1)

ص: ٢٠٣

١- (١) جمله معترضه من كلام الراوى منه.

أنه تكلم فى هذا غير واحد فأَيُّكم يأخذ عايشه بسهمه؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين أصبت و أخطأنا و علمت و جهلنا فنحن نستغفر الله و نادى الناس من كل جانب أصبت يا أمير المؤمنين أصاب الله بك الرّشاد و السّداد.

فقام عباد (عمارخ) فقال: أيها الناس إنكم و الله ان اتبعتموه و أطعتموه لن يضلّ بكم عن منهل نبيكم صلّى الله عليه و آله و سلّم حتّى قيس (١) شعره كيف؟ و لا يكون ذلك و قد استودعه رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم علم المنايا و القضايا (و الوصايا خ ل) و فصل الخطاب على منهاج هارون عليه السّلام و قال له أنت منى بمنزله هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبي بعدى، فضلا خصّه الله به و إكراما منه لنبّيه حيث أعطاه ما لم يعط أحدا من خلقه.

ثمّ قال أمير المؤمنين عليه السّلام: انظروا رحمكم الله ما تؤمرون به فامضوا له فان العالم أعلم بما يأتى به من الجاهل الخسيس الأ-خسّ فأنّى حاملكم إنشاء الله إن أطعتمونى على سبيل النّجاه و إن كان فيه مشقّه شديده و مراره عتيده (٢) و الدّنيا حلوه و الحلاوه لمن اغترّ بها من الشّقوه و الندامه عمّا قليل.

ثمّ إنى اخبركم أنّ جيلا- من بنى إسرائيل أمرهم نبيهم أن لا- يشربوا من النّهر فلبجوا فى ترك أمره فشرّبوا منه إلاّ- قليلا- منهم، فكونوا رحمكم الله من أولئك الذين أطاعوا نبيهم و لم يعصوا ربّهم و أمّا عايشه فأدر كها رأى النّساء و لها بعد ذلك حرمتها الاولى و الحساب على الله، يعفو عمّن يشاء و يعذب من يشاء.

الثانى

فى الاشارة إلى جملة من الآيات و الأخبار الواردة فى نهى عايشه عن الخروج

إلى القتال

و ما فيها الاشارة إلى تعديها عن حدود الله و عمّا أوجباه فى حقّها فنقول قال تعالى:

«يا نساء النّبىّ من يأت منكنّ بفاحشته مبيّنه يضاعف لها العذابُ»

ص: ٢٠٤

١- (١) يقال بينها قيس رمح و قاس رمح اى قدر رمح صحاح.

٢- (٢) العتيد الحاضر المهيا لغه.

«ضِعْفَيْنِ وَ كَانَ ذَلِكْ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا» روى على بن إبراهيم فى تفسيره باسناده عن حريز عن أبى عبد الله عليه السلام قال: الفاحشه الخروج بالسيف، وقال تعالى:

«وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى» روى فى الصّافى من الاكمال عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى حديث أنّ يوشع ابن نون وصّى موسى عاش بعد موسى ثلاثين سنه و خرجت عليه صفراء بنت شعيب زوجه موسى فقالت: أنا أحق منك بال. مر فقاتلها فقتل مقاتليها و أحسن اسرها، و إنّ ابنه أبى بكر ستخرج على على عليه السلام فى كذا و كذا ألف من امتى فيقاتلها فيقتل مقاتليها و ياسرها فيحسن اسرها، و فيها أنزل الله تعالى: «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى» يعنى صفراء بنت شعيب، و روى القمى عن الصادق عن أبيه عليهما السلام فى هذه الآية قال: أى سيكون جاهليته اخرى، و فى البحار من الكافيه من تفسير الكلبي عن ابن عباس لما علم الله أنّه سيجرى حرب الجمل قال لأزواج النبى صلى الله عليه وآله وسلم: و قرن فى بيوتكن و لا تبرجن تبرج الجاهليه الاولى و قال:

«يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ» فى حربها مع على عليه السلام و فى الاحتجاج روى الشّعبى عن عبد الرّحمان بن مسعود العبدى قال: كنت بمكه مع عبد الله بن الزبير و طلحه و الزبير فارسلا إلى عبد الله بن الزبير و أنا معه فقالا له: إنّ عثمان قتل مظلوما و إنّنا نخاف أمر أمه محمّد صلى الله عليه وآله وسلم أن يختلّ بهم، فان رأيت عايشه أن تخرج معنا لعل الله أن يرتق بها فتقا و يشعب بها صدعا.

قال: فخرجنا نمشى حتى انتهينا إليها فدخل عبد الله بن الزبير معها فى سترها و جلست على الباب فأبلغها ما ارسلنا به إليها، فقالت: سبحان الله، و الله ما امرت بالخروج و ما تحضرنى من أمهات المؤمنين إلا ام سلمه فان خرجت خرجت معها

فرجع إليها فبلغهما ذلك فقالا- ارجع فلتأتها فهي أثقل عليها من فرجع إليها فبلغها فأقبلت حتى دخلت على أم سلمة فقالت أم سلمة: مرحبا بعائشه والله ما كنت لي بزواره فما بدا لك؟ قال: قدم طلحه والزبير فخبرا أن أمير المؤمنين عثمان قتل مظلوما، فصرخت أم سلمة صرخه أسمعت من في الدار، فقالت: يا عائشه أنت بالامس تشهدين عليه بالكفر وهو اليوم أمير المؤمنين قتل مظلوما. فما تريدين؟ قالت: تخرجين معنا فلعل الله أن يصلح بخروجنا أمر أمه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، قالت: يا عائشه اخرجي وقد سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما سمعنا.

نشدتك بالله يا عائشه الذي يعلم صدقك إن صدقت أ تذكرين يوما كان نوبتك من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصنعت حريره في بيتي فأتيت بها وهو يقول: والله لا تذهب الليالي والأيام حتى تتباح كلاب ماء بالعراق يقال له: الحوَاب امرأه من نسائي في فئه باغيه فسقط الاناء من يدي فرفع رأسه إلي وقال: ما لك يا أم سلمة؟ فقلت:

يا رسول الله ألا يسقط الاناء من يدي وأنت تقول ما تقول؟ ما يؤمنني أن أكون أناهي؟ فضحكت أنت فالتفت إليك فقال: مم تضحكين يا حميراء الساقين إنني أحسبك هيه.

و نشدتك بالله يا عائشه أ تذكرين ليله أسرى بنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من مكان كذا وكذا وهو بيني وبين علي بن أبي طالب عليه السلام يحدثنا فدخلت جملك فحال بينه وبين علي فرفع مقرعه كانت معه فضرب بها وجه جملك وقال: أما والله ما يومه منك بواحد ولا بليته منك بواحد إنه لا يبغضه إلا منافق كذاب.

وانشذك بالله أ تذكرين مرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي قبض فيه فأتاه أبو بكر يعودده ومع عمر وقد كان علي بن أبي طالب عليه السلام يتعاهد ثوب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونعله وخفه ويصلح ما دهى (1) منها، فدخل قبل ذلك فأخذ نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي حضرميه وهو يخصفها خلف البيت فاستأذنا عليه فأذن لهما فقالا: يا رسول الله كيف أصبحت؟ قال: أحمد الله، قالوا: لا بد من الموت، قال: صلى الله عليه وآله وسلم أجل لا بد من الموت: قالوا

ص: ٢٠٦

١- (١) دهى كوعى وولى انخرق وانشق واسترخى أباطيه ق.

يا رسول الله فهل استخلفت أحدا؟ قال: ما خليفتي فيكم إلا خاصف النعل فمرا على علي عليه السلام وهو يخصف نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل ذلك تعرفيه يا عايشه و تشهدين عليه ثم قالت أم سلمة: يا عايشه أنا أخرج علي علي عليه السلام بعد الذي سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرجعت إلى منزلها وقالت: يا ابن الزبير ابغهما إنني لست بخارجه من بعد الذي سمعته من أم سلمة فرجع فبلغهما قال: فما انتصف الليل حتى سمعنا رغاء إبلها ترتحل فارتحلت معهما.

و فيه عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن آبائه عن علي عليهم السلام قال:

كنت أنا و رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المسجد بعد أن صلى الفجر ثم نهض و نهضت معه و كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا أراد أن يتجه إلى أعلمني بذلك و كان إذا أبطأ في ذلك الموضع صرت إليه لأعرف خبره لأنه لا يتصاير قلبي على فراقه ساعه واحده، فقال لي: أنا متجه إلى بيت عايشه فمضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و مضيت إلى بيت فاطمه الزهراء عليها السلام فلم أزل مع الحسن و الحسين فأنا و هي مسروران بهما.

ثم إنني نهضت و صرت إلى باب عايشه فطرقت الباب فقالت لي عايشه: من هذا؟ فقلت لها: أنا علي فقالت: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم راقد فانصرفت، ثم قلت:

رسول الله راقد و عايشه في الدار فرجعت و طرقت الباب فقالت لي عايشه: من هذا؟ فقلت لها: أنا علي، فقالت: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم على حاجه فانتثيت مستحيا من دقي الباب و وجدت في صدري ما لا أستطيع عليه صبرا، فرجعت مسرعا فدققت الباب دقا عنيفا، فقالت لي عايشه من هذا؟ فقلت لها: أنا علي فسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لها: افتحي البابا، ففتحت و دخلت فقال لي: اقعد يا أبا الحسن احديثك بما أنا فيه أو تحدثنى بابطائك عني؟ فقلت: يا رسول الله حدثنى فإن حديثك أحسن.

فقال: يا أبا الحسن كنت في أمر كتمته من ألم الجوع فلما دخلت بيت عايشه و أطلت القعود ليس عندها شيء تأتي به فمددت يدي و سألت الله القريب المجيب فهبط علي حبيبي جبرئيل و معه هذا الطير و وضع اصبعه على طائر بين يديه فقال: إن الله تعالى أوحى إلي أن آخذ هذا الطير و هو أطيب طعام في الجنة فأتيك به يا محمد،

فحمدت الله عزّ وجلّ كثيرا و عرج جبرئيل فرفعت يدي إلى السماء فقلت: اللهم يسّر عبدا يحبّك و يحبّني يأكل معي هذا الطير، فمكثت مليا فلم أر أحدا يطرق الباب فرفعت يدي إلى السماء فقلت: اللهم يسّر عبدا يحبّك و يحبّني أن يأكل معي هذا الطير فمكثت مليا فلم أر أحدا يطرق الباب فرفعت يدي إلى السماء فقلت: اللهم يسّر عبدا يحبّك و يحبّني و تحبّه و أحبّه يأكل معي هذا الطير، فسمعت طرقك الباب و ارتفاع صوتك فقلت لعائشه: ادخلي عليّ، فدخلت.

فلم أزل حامدا لله حتّى بلغت إلى إذ كنت تحبّ الله و تحبّني و يحبّك الله و احبّك، فكل يا عليّ فلما أكلت أنا و رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم الطائر قال لي: يا عليّ حدّثني فقلت: يا رسول الله لم أزل منذ فارقتك أنا و فاطمه و الحسن و الحسين مسرورين جميعا ثم نهضت اريدك فجئت فطرقت الباب فقالت لي عائشه: من هذا؟ فقلت:

أنا عليّ، فقالت: إنّ رسول الله راقدا، فانصرفت فلما أن صرت إلى بعض الطريق الذي سلكته رجعت فقلت: إنّ رسول الله راقدا و عائشه في الدار لا- يكون هذا، فجئت فطرقت الباب فقالت لي: من هذا؟ فقلت لها أنا عليّ فقالت إنّ رسول الله عليّ حاجه فانصرفت مستحييا، فلما انتهيت إلى الموضع الذي رجعت منه أوّل مره وجدت في قلبي ما لم أستطع عليه صبورا، فقلت: النّبىّ عليه السّلام عليّ حاجه و عائشه في الدار، فرجعت فدققت الباب الدقّ الذي سمعته يا رسول الله فسمعتك يا رسول الله و أنت تقول لها: ادخلي عليا فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: أبيت(١) إلا أن يكون الأمر هكذا يا حميرا ما حملك عليّ هذا؟ قالت: يا رسول الله اشتهيت أن يكون أبى يأكل من الطير، فقال لها: ما هو أوّل ضغن بينك و بين عليّ عليه السّلام و قد وقفت عليّ ما في قلبك إنشاء الله لتقاتلينه فقالت: يا رسول الله و تكون النساء يقاتلن الرجال؟ فقال لها: يا عائشه إنّك لتقاتلين عليّ و يصحبك و يدعوك إلى هذا نفر من أهل بيتي و أصحابي فيحملونك عليه

ص: ٢٠٨

١- (١) أبى الله خ ل كذا في نسخه عديده قديمه.

و ليكونن فى قتالك أمر يتحدّث به الأوّلون و الآخرون و علامه ذلك أنّك تركيب الشيطان ثمّ تبتلين قبل أن تبلغى إلى الموضع الذى يقصد بك إليه فتنبح عليك كلاب الحوآب فتسألين الرجوع فتشهد عندك قسامه أربعين رجلا ما هى كلاب الحوآب فتصيرين إلى بلد أهله أنصارك، و هو أبعد بلاد على الأرض من السماء و أقربها إلى الماء، و لترجعن و أنت صاغره غير بالغه ما تريدن، و يكون هذا الذى يرّدك مع من يثق به من أصحابه و أنه لك خير منك له و لينذرناك ما يكون الفراق بينى و بينك فى الآخره و كلّ من فرق علىّ بينى و بينه بعد وفاتى ففراقه جازى.

فقال يا رسول الله: ليتنى متّ قبل أن يكون ما تعدنى فقال: هيهات هيهات و الذى نفسى بيده ليكونن ما قلت حتّى كأنى أراه، ثمّ قال صلّى الله عليه و آله و سلّم لى: قم يا علىّ فقد وجبت صلاه الظهر حتّى أمر بلالا- بالأذان فأذن بلال و أقام و صلّى و صلّيت معه و لم نزل فى المسجد.

و فيه عن الباقر عليه السلام أنّه قال: لما كان يوم الجمل و قد رشق(1) هودج عايشه بالنبل قال أمير المؤمنين عليه السلام: و الله ما أرانى إلاّ مطلقها فانشد الله رجلا سمع من رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم يقول: يا علىّ أمر نسائى بيدك من بعدى لما قام فشهد قال: فقام ثلاثة عشر رجلا فيهم بدریان فشهدوا أنّهم سمعوا رسول الله يقول يا علىّ أمر نسائى بيدك من بعدى، قال: فبكت عايشه عند ذلك حتّى سمعوا بكائها.

و فى البحار من كتاب الكافيه لابطال توبه الخاطئه عن الحسن بن حماد عن زياد بن المنذر عن الأصمغ بن نباته قال: لما عقر الجمل وقف علىّ عليه السلام على عايشه فقال و ما حملك على ما صنعت؟ قالت ذيت(2) و ذيت، فقال: أما و الذى فلق الحبه و برء النسمه لقد ملأت اذنيك من رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و هو يلعن أصحاب الجمل و أصحاب النهروان أمّا أحياءهم فيقتلون فى الفتنه و أمّا أمواتهم فى النار على مله اليهود،

ص: ٢٠٩

١- (١) الرشق تيرباران كردن.

٢- (٢) ذيت و ذيت اى كيت و كيت.

إلى غير ذلك مما رواها الأصحاب و تركنا روايتها مخافه الاطئاب.

الثالث

قال العلامة الحلبي طاب ثراه في كتاب كشف الحق و نهج الصّيدق: خرجت عايشه إلى قتال أمير المؤمنين صلوات الله عليه و معلوم أنها عاصيه بذلك.

أما أولاً فلأنّ الله قد نهاها عن الخروج و أمرها بالاستقرار في منزلها فهتكت حجاب الله و رسوله و تبرّجت و سافرت في محفل عظيم و جمّ غفير يزيد على ستّة عشر ألفاً.

و أما ثانياً فلأنّها ليست وليّ الدّم حتّى تطالب به و لا لها حكم الخلافه فبأى وجه خرجت للطلب؟.

و أمّا ثالثاً فلأنّها طلبته من غير من عليه الحقّ لأنّ أمير المؤمنين عليه السّلام لم يحضر قتله و لا أمر به و لا واطأ عليه و قد ذكر ذلك كثيراً.

و أمّا رابعاً فلأنّها كانت تحرّض على قتل عثمان و تقول: اقتلوا نعتلاً قتل الله نعتلاً فلمّا بلغها قتله فرحت بذلك، فلمّا قام أمير المؤمنين عليه السّلام بالخلافه اسندت القتل إليه و طالبت به بدمه لبغضها له و عداوتها معه، ثمّ مع ذلك تبعها خلق عظيم و ساعدها عليه جماعه كثيره الوفا مضاعفه، و فاطمه سلام الله عليها لمّا جاءت تطالب بحقّ ارثها الذي جعله الله لها في كتابه العزيز و هي محقّه فيه لم يتبعها مخلوق و لم يساعدها بشر انتهى كلامه.

الترجمه

از جمله کلام فصاحت نظام آن امام عالی مقام است که در مذمت بصره و أهل آن فرموده: بودید شما لشکر زن که عایشه است و تابعان بهیمه که جمل او بود آواز کرد آن جمل، پس جواب دادید آن را و پی کرده شد پس گریختید، خلقهای شما رذیل و حقیر است و عهد شما مخالفت است و شقاق، و دین شما دورویی است و نفاق، و آب شما بی مزه است و شور، اقامت کننده در میان شما رهین است بگناه خویش، و رحلت نماینده از شما دریافته شده است برحمت پروردگار خود، گویا من

نظر میکنم بمسجد شما که فرا گرفته است آن را آب بمرتبۀ که دیده نمی شود مگر کنگره های آن مسجد مانند سینۀ کشتی در دریا، بتحقیق که فرو فرستاده خداوند سبحانه بر بصره که شهر شما است عذاب را از بالای آن، و غرق کرده شده کسی که در میان آن شهر بوده، و در روایت دیگر وارد شده که فرمود قسم بذات خداوند هر آینه غرق کرده شود این شهر شما تا این که گویا من نظر میکنم بسوی مسجد آن شهر همچو سینۀ کشتی بر روی دریا یا شتر مرغ سینۀ خوابیده در دریا، و در روایت دیگر آمده که همچو سینۀ مرغ در میان دریا.

و من کلام له علیه السلام فی مثل ذلک و هو الرابع عشر من

اشاره

المختار فی باب الخطب الجاری مجراها

أرضکم قریبه من الماء، بعیده من السماء، خَفَّتْ عقولکم، و سفهت حلومکم، فأنتم غرض لنابل، و أکله لآکل، و فریسه لصائل.

اللغه

(سفه) سفها من باب تعب و سفه بالضمّ سفاهه فهو سفیه و السّفه النّقص فی العقل و أصله الخفّه و سفه الحقّ جهله قال سبحانه:

«وَمَنْ يَزْعُبْ عَن مِّلِّهِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ» قال الطبرسیّ صاحب التّفسیر: أی جهل قدره و (الحلم) العقل و الجمع حلوم و أحلام و (الغرض) ما ینصب لیرمی بالسّیّهام و (النّابل) ذو النّبل و (الاکله) بضمّ الهمزه اسم للمأکول و (فریسه) الأسد ما یفرسه و (صول) البعیر و الأسد ککرم صاله واثب النّاس أو صار یقتل النّاس و یعد و علیهم فهو صائل و صؤل.

الاعراب

العطف فی قوله علیه السلام: و سفهت حلومکم للتّفسیر و التّوکید إن کان المراد بالسّفه المعنی الأوّل، و إلا فللتأسیس و الفاء فی قوله: فأنتم، فصیحه و هو ظاهر.

قد عرفت فى شرح الخطبه السابقه أنّ قوله عليه السلام (أرضكم قريبه من الماء بعيده من السماء) ممّا حكاه عليه السلام عن النبى و المراد بقرب أرضهم من الماء إمّا كون موضع البصره منخفضا قريبا من البحر كما يشاهد من دخول الماء حدايقهم و مزارعهم كلّ يوم مرّه أو مرّتين، أو كونها قريبه من الغرق بالماء فيكون قوله عليه السلام: من الماء من قبيل الحذف و الايصال، و أمّا بعد أرضهم من السماء فأمّا من حيث انخفاضها عن غيرها من الأرض، أو من حيث بعدها عن دائره المعدل.

قال الشارح المعتزلى: إنّ أرباب علم الهيئه و أهل صناعه التنجيم يذكرون إنّ أبعد موضع فى الأرض من السماء الأبله، و ذلك موافق لقوله عليه السلام و معنى البعد عن السماء هاهنا هو بعد تلك الأرض المخصوصه عن دائره معدّل النهار، و البقاع و البلاد تختلف فى ذلك، و قد دلّت الارصاد و الآلات النجوميه على أنّ أبعد موضع فى المعموره عن دائره معدّل النهار هو الأبله، و الأبله هى قصبه البصره انتهى.

و فيه أنّ كونها أبعد بلاد العرب من المعدل مسلّم و أما كونها أبعد موضع منه فى المعموره ممنوع قطعاً و فاسد حسّاً إلا أن يكون مراده به ما ذكرناه و يكون التسامح فى العبارة هذا.

و يحتمل أن يكون المراد ببعدها من السماء البعد من سماء الرّحمه و الاستعداد لنزول العذاب و قوله:(خفّت عقولكم و سفهت حلومكم) و صف لهم بقله العقل و السّفاهه الموجه لانحطاط الرّتبّه و الدرّجه فى العقائد الدينيه و العبادات البدنيه و إشاره إلى قلّه استعدادهم لدرك وجوه المصالح الواقعيّه كما يشهد به متابعتهم للمرأه و إجابتهم للبهيمه، و تنبيه على جهالتهم و عدم تفكّرهم فى عواقب الامور و غفلتهم عن اصلاح أحوالهم و على تسرّعهم إلى ما لا- ينبغى و لأجل ذلك حسن التّفريع بقوله: (فأنتم غرض لنا بل) أى هدف لمن يريد أذاكم (و اكله لآكل) أى عرضه لأن يطمع فى أموالكم و يأكلها من يريد أكلها و (فريسه لصائل) أى فى

معرض أن يفترسكم من يريد قتلکم و هلاککم، و هذا کله من لوازم خفه العقل و السفاهه و قله الفهم و الغاوه.

الترجمه

از جمله کلام آن امام انام است در مثل همین مقام: زمین شما نزدیک است بآب و دور است از آسمان خفیف است عقلهای شما و سفیه است حلمهای شما، پس شما بواسطه نقصان عقل و قله تدبیر نشانه اید از برای هر تیر اندازنده، و طعمه اید از برای هر خورنده، و شکارید از برای هر حمله کننده، و هجوم آورنده، و الله اعلم بالصواب.

و من کلام له علیه السلام فیما رده علی المسلمین من قطایع

اشاره

عثمان و هو الخامس عشر من المختار فی باب

الخطب الجاری مجراها

و الله لو وجدته قد تزوج به النساء، و ملک به الإمام، لرددته فإن فی العدل سعه، و من ضاق علیه العدل فالجور علیه أضحيق.

اللغه

(القطایع) اسم لما لا- ينقل من المال كالاراضی و الحصون و يقابله الصّفايا و هو اسم للمنقول و فی شرح المعتزلی القطایع ما یقطعه الامام لبعض الرّعیه من أرض بیت المال ذات الخراج و یسقط عنه خراجه و یجعل علیه ضریبه یسیره عوضا عن الخراج

الاعراب

اسناد تزوج و ملک إلى النساء و الاماء مع خلوهما من علامه التانیث علی حدّ قوله تعالی: «وَقَالَ نِسْوَةٌ».

المعنی

اعلم أنّ هذا الکلام مع الخطبه الآتیة من فصول خطبه خطب علیه السلام بها بعد

قتل عثمان، و قد رويت بزياده و نقصان و نحن نوردها بتمامها فى شرح الخطبه الاتيه و نقول هنا مضافا إلى ما سيأتى أنه قد رواه الشارح المعتزلى عن الكلبى مرفوعا إلى أبى صالح عن ابن عباس (رض) قال: إن عليا عليه السلام خطب فى اليوم الثانى من بيعته بالمدينه فقال: ألا إن كل قطيعه أقطعها عثمان و كل مال أعطاه من مال الله فهو مردود فى بيت المال، فإن الحق القديم لا يبطله شىء، و لو وجدته قد تزوج به النساء و فرق فى البلدان لرددته إلى حاله فإن فى العدل سعه و من ضاق عنه العدل فالجور عنه أضيّق إذا أحطت خيرا بذلك فلنعد إلى شرح كلامه عليه السلام على ما أورده الرضى ره.

فنقول: إن عثمان كان أقطع كثيرا من بنى اميه و غيرهم من أصحابه و أتباعه قطايح من أرض الخراج كما عرفته فى شرح الفصل الرابع من فصول الخطبه الشقشقيه و قد كان عمر أقطعها أيضا إلا أنه أقطعها لأرباب الجهد و العناء و ذوى الوقايح المشهوره فى الحروب، ترغيبا فى الجهاد، و لمّا كان قطايحه لغرض صحيح لم يتعرض عليه السلام له بعد نهوضه بالخلافه، و إنما تعرض لقطايح عثمان التى أقطعها لمجرد هوى نفسه و ميلا إلى أصحابه من غير عناء فى الحرب فقال عليه السلام (و الله لو وجدته) أى ما بذله عثمان من تلك القطايح (قد تزوج به النساء و ملك به الاماء) أى صار مهرا للحرائر و ثمنا للاماء (لرددته) إلى حاله و إلى بيت مال المسلمين.

ثم علل ذلك بقوله: (فإن فى العدل سعه) يعنى أن وجوب الرد بمقتضى العدل و فيه وسعه للناس إذ به نظامهم و قوام امورهم، و لولاه لاختل النظام و ضاع القوام.

ثم أكد ذلك بقوله: (و من ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيّق) يعنى من ضاق عليه القيام بالحكم الذى اقتضاه العدل فالجور الذى أقدم عليه بمقتضى هوى نفسه و ميل طبعه أضيّق عليه فى الدنيا و الآخره، و ذلك توعيد لهم و إشاره إلى أن رد القطايح التى أقطعها عثمان لهم و إن كان ضيقا عليهم و شاقا فى أنفسهم، لكنّه عدل و القيام به سهل بالنسبه إلى عدم الردّ و الامتناع منه، لأنّه جور و هو أضيّق عليهم منه فى الدنيا و الآخره، أمّا فى الدنيا فلائنها ربّما انتزعت منهم قهرا و يكون

جورهم سببا للتحريج و التضييق، و أما الآخره فلكونها موجهه للسخطه و العقوبه هذا.

و ذكر شارحوا الكتاب فى تفسير كلامه عليه السّلام ذلك وجوها يابى عنها الذّوق السّليم و الطبع المستقيم من أراد الاطلاع عليها فليرجع إليها.

قال الكلبيّ بعد روايته ما روينا عنه سابقا: ثمّ أمر عليه السّلام بكلّ سلاح وجد لعثمان فى داره ممّا تقوى بها(١) على المسلمين فقبض و أمر بقبض نجائب كانت فى داره من ابل الصدقه فقبضت و أمر بقبض سيفه و درعه و أمر أن لا يعرض لسلاح وجد له لم يقاتل به المسلمون و بالكفّ عن جميع أمواله التى وجدت فى داره و غير داره، و أمر أن ترتجع الأموال التى أجاز بها عثمان و حيث اصيبت أو اصيبت أصحابها فبلغ ذلك عمرو بن العاص و كان بايله من أرض الشّام أتاها حيث دئب النّاس على عثمان فنزلها، فكتب إلى معاويه ما كنت صانعا فاصنع اذا قشرك ابن أبى طالب من كلّ مال تملكه كما تقشر عن العصا لحائها(٢) قال الشّارح المعتزلى: و قال الوليد بن عقبه و هو أخو عثمان من أمّيه يذكر قبض علىّ عليه السّلام نجائب عثمان و سيفه و صلاحه:(٣).

بنى هاشم ردّوا سلاح ابن اختكم و لا تنهبوه لا تحلّ مناهبه

بنى هاشم كيف الهواده بيننا و عند علىّ درعه و نجائبه

بنى هاشم كيف التودّد منكم(٤) و بز ابن اردى(٥) فيكم و حرائبه

بنى هاشم إلا تردّوا فأننا سواء علينا قاتلاه و سالبه

بنى هاشم إنّا و ما كان منكم كصدع الصّفا لا يشعب الصّدع شاعبه

ص: ٢١٥

١- (١) متعلق بقوله وجد منه.

٢- (٢) أى قشرها منه.

٣- (٣) أى الصلح

٤- (٤) أى سلبه،

٥- (٥) اردى ام عثمان منه.

قتلتم أخی کی ما تکنونوا مکانه کما غدرت یوما بکسری مرآز به

فأجابه عبد الله بن أبى سفیان بن الحرث بن عبد المطلب بأبیات طویلہ من جملتها:

فلا تسألونا سیفکم إنَّ سیفکم اضیع و القاه لدى الرّوع صاحبه

سلوا أهل مصر عن سلاح ابن اختنا فهم سلبوه سیفه و حرائبه

و كان ولیّ الأمر بعد محمّد علیّ و فى کلّ المواطن صاحبه

علیّ إلی أن أظهر الله دینه و أنت مع الاشقیین فیمن یحاربه

و أنت امرؤ من أهل صفور نارخ فما لك فینا من حمیم یغائبه

و قد أنزل الرحمن إنک فاسق و ما لك فى الاسلام سهم تطالبه

و شبّهته کسرى و قد كان مثله شبیها بکسرى هدیة و ضرائبه

أى كان كافرا کما كان کسرى كافرا قال الشّارح: و كان المنصور إذا أنشد هذا البيت یقول لعن الله الولید هو الذى فرّق بین بنى عبد مناف بهذا الشّعر.

الترجمه

از جمله کلام آن حضرت است در خصوص چیزی که ردّ فرموده بود آن را بر مسلمانان از قطیعه های عثمان که بر بنی امیه و سایر اعوان خود بخشش کرده بود و آن کلام عدل نظام اینست که فرمود: بخداوند سوگند اگر بیابم آن مال را که تزویج شده باشند بآن زنان و ملک شده باشند بآن کنیزان هر آینه بر می گردانم آن را، از جهت این که در عدل وسعت است و هر که تنک آید بر او عدل پس جور و ستم بر او تنک تر است.

و من کلام له علیه السلام لما بویع بالمدينه و هو السادس عشر

اشاره

من المختار فى باب الخطب الجارى مجراها

و الأولى العنوان بمن خطبه له علیه السّلام کما فى بعض النسخ لأنّ هذه من جلائل خطبها و من مشهوراتها و هو أوّل خطبه خطبها بالمدينه بعد ما نهض بالخلافه و قد رواها جمع منّا و من العامه کالکلینى فى روضه الکافى و المفید فى الارشاد و المحدّث

المجلسى و الشارح البحرانى و الشارح المعتزلى من كتاب البيان و التبيين للجاحظ عن أبى عبيده معمر بن المثنى و غير هؤلاء إلا أن فيها على اختلاف طرقها زياده و نقصانا و تغييرا كثيرا و نحن نوردها بتمامها بعد الفراغ من شرح ما أورده الرضى قدس سره بطريق الكلينى توضيحا لما أورده و تثبيتا لما ذكره مع الاشارة إلى تفسير بعض ما رواه الكلينى أيضا و شرح ما أورده الرضى ره فى ضمن فصلين.

الفصل الاول

اشاره

ذمتى بما أقول رهينه و أنا به زعيم، إن من صرحت له العبر عما بين يديه من المثالات، حجزه التقوى عن التّفحم فى الشبهات، ألا و إن بليتكم قد عادت كهيتها يوم بعث الله نبيه صلى الله عليه و آله و سلم، و الذى بعثه بالحق، لتبلىن ببله، و لتغربلن غربله، و لتساطن سوط القدر، حتى يعود أسفلكم أعلاكم، و أعلاكم أسفلكم، و ليسبقن سابقون كانوا قَصروا، و ليقصرن سابقون كانوا سبقوا، و الله ما كتمت و سمه، و لا كذبت كذبه، و لقد نبئت بهذا المقام، و هذا اليوم ألا و إن الخطايا خيل شمس حمل عليها أهلها، و خلعت لجمها، فتفحمت بهم فى النار، ألا و إن التقوى مطايا ذلل حمل عليها أهلها، و أعطوا إزمتهما، فأوردتهم الجنة حق و باطل، و لكل أهل فلئن أمر الباطل لقديما فعل، و لئن قل الحق فلربما و لعل، و لقلما أدبر شىء فأقبل.

ص: ٢١٧

قال الرّضیّ ره أقول: إنّ فی هذا الكلام أدنی من مواقع الاحسان(١) ما تبلغه مواضع الاستحسان، و إنّ حظّ العجب منه أكثر من حظّ العجب به، و فيه مع الحال التي وصفنا زوائد من الفصاحة لا يقوم بها لسان، و لا يطلع فجّها إنسان، و لا يعرف ما أقول إلاّ من ضرب فی هذه الصّناعه بحقّ، و جرى فيها على عرق، و ما يعقلها إلاّ العالمون

اللغه

(الرهينه) الوثيقه و (الزّعيم) الكفيل و (صرحت) كشفت و (العبر) جمع العبره و (المثلات) العقوبات و (الحجز) الحجب و المنع و (تقّم) فلاين ألقى نفسه فی المهلكه، و تقّم الانسان فی الأمر دخل فيه من غير رويّه و (تبلبت) الألسن اى اختلطت، و فی التّهايه البلابل الهموم و الأحزان و بلبله الصّيدر وسوسته و منه حديث علىّ عليه السّلام لتبلبلنّ بلبله و (تغزلنّ) من غربل الدّقيق أى نخله أو من غربلت اللحم أى قطعته و (ساط) القدر يسوطه سوطاً قلب ما فيها من الطعام بالمحراك و أداره حتّى اختلط أجزاءه و (السباق) كشدّاد و (الوشمه) بالشين المعجمه الكلمه و بالمهمله الأثر و العلامه و (شمس) الفرس شموسا و شماسا منع ظهره من الرّكوب فهو شموس و الجمع شمس كرسل و (اللجم) بضمّتين جمع لجام و (ذلل) جمع ذلول كرسل و رسول و هو المنقاد قال سبحانه:

«فَأَسْلِكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلَالًا» و (امر) الباطل بالكسر إذا كثر و تمّ

الاعراب

من المثلات بيان لما، و جمله حجزه اه مرفوعه المحلّ على كونها خبر أنّ، و تبلبلنّ و تغزلنّ و تساطنّ كلّها بالبناء على المفعول، و كتبت بالبناء على المفعول أو على

ص: ٢١٨

١- (١) الاحسان فى كلام السيد ره مصدر احسن اذا فعل حسنا و مواقع الاحسان الكلمات الحسنه و مواضع الاستحسان الفكر المستحسنه قوله و ان حظ الى قوله به اى ان تعجب الفصحاء من حسنه أكثر من عجبهم بانفسهم باستخراج محاسنه لاین فيه محاسن لا يمكنهم التعبير عنها و ان تعجبوا منها من حواشى نهج البلاغه.

المعلوم و كلاهما صحيحان محتملان، و فاعل خلعت ضمير مستتر راجع إلى الخيل و لجمها منصوب على المفعوليّه، أو خلعت بصيغه المجهول، و لجمها نايب عن الفاعل و حقّ و باطل خبران لمبتدأ محذوف بقرينه المقام أى الامور كلها إمّا حقّ أو باطل أو أنّ التقوى حقّ و الخطاء باطل على ما سبق التصريح اليهما.

و قولهلقد يما فعلفاعل الفعل عايد إلى الباطل و المفعول محذوف أى قديما فعل الباطل ذلك و إسناده إليه مجاز و المراد به أهلها و أنّ فعل بمعنى افعال كما فى قوله قد جبر الدين الا له فجبر أى فانجبر، و قوله: فلربّما و لعلّ كلمه ما كافّه مهينه لدخول ربّ على الفعل المحذوف بعدها بقرينه المقام، و لعلّ للترجى و المعمول محذوف و تقدير الكلام و لئن قلّ الحقّ فلربّما يكون غالبا و لعله ينتصر أهله.

المعنى

اشاره

اعلم أنّه عليه السلام صدرّ كلامه بما يكون مرغبا لهم فى الاستماع بما يقوله بقوله:

(ذمّتى بما أقول) ه (رهينه) أى وثيقه (و أنا به) أى بكونه صدقا مطابقا للواقع (زعيم) و كفيل ثمّ أشار عليه السلام إلى وجوب الاعتبار بالعبر النافعه من حيث كونها وسيله إلى التقوى الحاجز عن الاقتحام فى الشبهه و قال (إنّ من صرّحت له العبر) أى كشفت (عمّا بين يديه من المثالات) و العقوبات الواقعه على الامم السابقه و الجاريه فى القرون الخاليه يكون انكشاف تلك العبر و اعتباره بها مؤديا إلى الخشيه من الله سبحانه و (حجزه التقوى عن التّقّم فى الشبهات) و الاقتحام فى الهلكات من غير رويّه.

و المراد بالشبهات الامور الباطله الشبيهه بالحقّ و حاجزيّه التقوى منها من حيث أنّه لمّا كان عباره عن اتيان الأوامر و ترك التّواهى كما قال الصادق عليه السلام فى تفسيره بعد ما سئل عنه: أن لا يفقدك الله حيث أمرك و لا يراك حيث نهاك، لا بدّ و أن يكون المتّصف به مجتنبًا من الشبهات كيلا يقع فى المناهى و المحرّمات، فإنّ الأخذ بها و التّقّم فيها مظنّه الوقوع فى الحرام من حيث لا يعلم و قد وقع الاشاره إلى ذلك فى عدّه روايات

مثل ما رواه فى الوسائل بإسناده عن فضيل بن عياض عن أبى عبد الله عليه السلام قال: قلت له: من الورع من الناس؟ قال: الذى يتورع من محارم الله و يجتنب هؤلاء فاذا لم يتق الشبهات وقع فى الحرام و هو لا يعرفه.

و عن عمر بن حنظله عنه عليه السلام أيضا فى حديث قال: و إنما الامور ثلاثة: أمر بين رشده فيتبع، و أمر بين فيجتنب، و أمر مشكل يرد علمه إلى الله سبحانه، قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حلال بين و حرام بين و شبهات بين ذلك فمن ترك الشبهات نجا من المحرمات و من أخذ بالشبهات ارتكب المحرمات و هلك من حيث لا يعلم، ثم قال فى آخر الحديث: فإن الوقوف عند الشبهات خير من الاقتحام فى الهلكات.

و عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: إن لكل ملك حمى و إن حمى الله حلاله و حرامه و المشتبهات بين ذلك، كما لو أن راعيا رعى إلى جانب الحمى لم يثبت غنمه أن تقع فى وسطه، فدعوا المشتبهات.

إذا عرفت ذلك فاعلم أنه عليه السلام لما تبهم على لزوم التقوى و أنه مانع من تقحم الشبهات تبهم بعده على أنهم فى الشبهات مغمورون بقوله: (ألا- و إن بليتكم هذه قد عادت كهيتها يوم بعث الله نبيه صلى الله عليه و آله و سلم) و أشار عليه السلام بليتهم هذه إلى ما هم عليه من تشنت الآراء و تفرق الأهواء و عدم الالفه و الاجتماع فى نصره الله عن شبهات يلقيها الشيطان على الأذهان القابله لوسوسته المقهوره فى يده، و ذلك من أعظم الفتن التى بها يبتلى الله عباده كما قال:

«و نَبَلُكُمْ بِالسَّرِّ وَ الْخَيْرِ فِتْنَةً وَ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ» و هى امور تشبه ما كان عليه الناس حال بعثه النبى صلى الله عليه و آله و سلم، لأنهم كانوا يومئذ مللا متفرقه و أهواء منتشره و طرائق متشتته، و فيه تنبيه لهم على أنهم ليسوا من تقوى الله فى شىء، و لا على دين الحق أيام خلافه الثلاثة كما أنهم لم يكونوا من أهل الديانه فى أيام الفتره و يوم بعثه النبى صلى الله عليه و آله و سلم، و إشاره إلى أنهم كما كانوا يومئذ مأمورين بالتمسك بأذيال النبوه كى يخلصوا من الكفر و الضلاله فكذلك هؤلاء

اليوم مأمورون باتباعه و الاقتباس من أنواره عليه السّلام ليهدتوا بها فى ظلمات الشّبهات و مدلهّمات الجهاله.

كما قال الرّضا عليه السّلام فى حديث عبد الله بن جندب المروىّ فى الوسائل من تفسير العياشى: إنّ هؤلاء القوم سنج لهم الشّيطان اغترّهم بالشّبهه و لبس عليهم أمر دينهم و أرادوا الهدى من تلقاء أنفسهم فقالوا لم و متى و كيف فأتاهم الهلك من مأمّن احتياطهم و ذلك بما كسبت أيديهم و ما ربّيك بظلام للعبيد، و لم يكن ذلك لهم و عليهم بل كان الفرض عليهم و الواجب لهم من ذلك الوقوف عند التحير و ردّ ما جهلوه من ذلك إلى عامله «عالمه ظ» و مستنبطه لأنّ الله يقول فى كتابه:

«وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ» يعنى آل محمّد عليهم السّلام و هم الذين يستنبطون من القرآن و يعرفون الحلال و الحرام و هم الحجّه لله على خلقه و قد مضى فى شرح الفصل الرّابع من فصول الخطبه الثانيه.

ثمّ إنّ عليه السّلام لمّا ذكر وقوعهم فى البليه و قابل يوم بيعته بيوم البعثه أشار إلى مآل ذلك الابتداء و ما يؤل إليه آخر أمر المبايعين من خلوص بعضهم و ارتداد الآخريّن فقال: (و الذى بعته بالحقّ لتبلىّن بلبله) أى لتخلطنّ بعضكم ببعض و تقعنّ فى الهموم و الأحزان و وساوس الصّدور (و لتغربلنّ غربله) أى ليتميزنّ جيّدكم من رديكم تميز نخاله الدّقيق من خالصه بالغربال.

كما قال الصّيادق عليه السّلام فى روايه ابن أبى يعفور المرويه فى الكافى فى باب التمحيص و الامتحان: لا بدّ للنّاس من أن يمحّصوا و يميزوا و يغربلوا و يستخرج فى الغربال خلق كثير (و لتساطنّ سوط القدر حتى يعود أسفلكم أعلا-كم و أعلا-كم أسفلكم) لتصريف أئمه الجور إياكم و تقليبيكم من حال إلى حال و إهانتكم و تغييركم من وضع إلى وضع و من دين إلى دين، و يحتمل أن يكون المراد به أنّه يصير عزيزكم ذليلا- و ذليلكم عزيزا و يرفع أراذلكم و يحطّ أكابركم (و ليسبقنّ سابقون كانوا قصّروا) و هم

المقَصِّرون عن نصرته في مبدء الأمر بعد وفاه الرسول صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم النَّاصرون لله في ولايته المقاتلون معه في سائر حروبه (و ليَقْصِرْنَ سَبَاقُونَ كانوا سبقوا) وهم الذين كانت لهم سابقه في الاسلام ثم خذلوه وانحرفوا عنه و قاتلوه كأصحاب الجمل و الشام و أهل النَّهروان قال الشَّارح البحراني: و يشبه أن يكون مراده عليه السَّلام أعمّ من ذلك، فالمقَصِّرون الذين يسبقون كلّ من أخذت العناية الالهية بيده و قاده زمام التَّوفيق إلى الجدّ في طاعه الله و أتباع سائر أوامره و الوقوف عند نواهيه و زواجه بعد تقصير في ذلك، و عكس هؤلاء من كان في مبدء الأمر مستمرًا في سلوك سبيل الله ثم جذبته هواه إلى غير ما كان عليه و سلك به الشَّيطان مسالكه فاستبدل بسبقه في الدِّين تقصيرا و انحرافا عنه.

ثم إنّه عليه السَّلام لما أخبرهم بعواقب امورهم و مآل حالهم أكد ذلك بالقسم البارّ تحقيقا لوقوع المخبر به لا محاله، و نبّه عليه السَّلام على أنّه ما ينطق عن الهوى في هذه الأخبار و أمثالها و إنّما تلقّاها من مصدر التَّبَوُّه و دوحه الرِّساله فقال: (و الله ما كتمت و شمه) على البناء للمفعول أي لم يكتم منّي رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم كلمه أو علامه ممّا يجب عليه إظهاره، أو بالبناء على المعلوم أي لم أكتم شيئا ممّا يتعيّن على الاباحه (1) به من كلمه أو أثر و علامه (و لا كذبت كذبه) في شيء ممّا اخبرت به (و لقد ثبتت) أي أنبئني رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم (بهذا المقام) و هو مقام اجتماع الخلق عليه (و هذا اليوم) أي يوم بيعتهم له.

ثم إنّه عليه السَّلام أردف كلامه بالترهيب عن الخطاء و التَّرجيب في التَّقوى بالتنبيه على ما يقود إليه كلّ منهما و قال: (ألا و إنّ الخطايا خيل شمس حمل عليها أهلها و خلعت لجمها فتقحمت بهم في النَّار) و هو من لطيف التَّشبيه و من قبيل تشبيه المعقول بالمحسوس، و وجه الشَّبه أنّ الفرس الشَّموس التي خلعت لجامها كما أنّها تجري على غير نظام و تتقحّم بصاحبها في المعاطب و المهالك، فكذلك الخطيئه يجري راجعها بر كوبه عليها على غير نظام الشَّريعه فتورده أعظم موارد الهلكه، و هي نار

ص: ٢٢٢

١- (١) اباح به اظهره لغه؟؟؟.

الجحيم المعدّه للعاصيين و الخاطئين (الأ- و إنّ التقوى مطايا ذلل حمل عليها أهلها و اعطوا أزمّتها فأوردتهم الجنّه) و التشبيه فيه كما فى سابقه، و وجه الشّبه أنّ المطيه الدّلّول التى زمامها بيد راكمها كما أنّ من شأنها أن تتحرّك براكبها على رفق و نظام و يصرفها الرّاكب من أجل كون زمامها بيده عن المهالك و يسير بها إلى المقاصد، فكذلك التقوى، فإنّ صاحبه الذى زمامه بيده و هى الحدود الشرعيّه التى بها يملكه و يستقرّ عليه يسهل (1) له سلوك الصّراط المستقيم و العطف عن الشّمال و اليمين، و يتمكّن من الفوز بالسّعيّ عاده الأبدية و من الوصول إلى أسنى المطالب السّينيه و هى الجنّه التى عرضها السّماوات و الأرض أعدت للمتقين.

ثمّ إنّ عليه السّلام لما أشار إلى أنّ هاهنا طريقين مسلوكين أحدهما طريق الخطاء و الآخر طريق التقوى ذكر بعدهما أنّهما (حقّ و باطل) يعنى أنّ التقوى حقّ و الخطاء باطل أو أنّ الأمور كلّها إمّا حقّ أو باطل (و لكلّ) منهما (أهل) أى سالك يسلكه و طالب يطلبه بمقتضى طيب الطينه و خبثها (فلئن امر الباطل) و كثر (لقديما فعل) الباطل أى أهله ذلك (و لئن قلّ الحقّ فلربّما) يكون غالبا مع قلّته على الباطل (و لعلّه) ينتصر أهله (و لقلّما أدبر شىء فأقبل) قال الشّارح البحرانى: استبعاد لرجوع الحقّ الى الكثره و القوّه بعد قلّته و ضعفه على وجه كلّى فإنّ زوال الاستعداد للأمر مستلزم لزوال صورته و صورته الحقّ إنّما افيضت على قلوب صفت و استعدادت لقبوله فإذا اخذ ذلك الاستعداد فى النقصان بموت أهله أو بموت قلوبهم، و تسوّد ألواح نفوسهم بشبه الباطل، فلا- بدّ أن ينقص نور الحقّ و تكثر ظلمه بسبب قوّه الاستعداد لها، و ظاهر أنّ عود الحقّ و إضاءه نوره بعد ادباره و إقبال ظلمه الباطل أمر بعيد و قلّما يعود مثل ذلك الاستعداد لقبول مثل تلك الصّوره للحقّ و لعلّه يعود بقوّه فيصبح ألواح النفوس و أرضها مشرقه بأنوار الحقّ و يكرّ على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق و ما ذلك على الله بعزیز،

ص: ٢٢٣

١- (١) خبر ان منه.

و فى ذلك تنبيه لهم على لزوم الحقّ و بعث على القيام به كيلا يضمحلّ بتخاذلهم عنه فلا يمكنهم تداركه انتهى كلامه هذا.

و لعلّ الظاهر المناسب فى شرح الفقرات الأخيره أعنى قوله: حقّ و باطل إلى آخر كلامه عليه السّلام ما ذكره بعض الأخبار بين (1) حيث قال حقّ و باطل خبران لمبتدأ محذوف أى الامام حقّ و باطل و هو تقسيم للامام على قسمين، أحدهما الامام بالحقّ و إليه اشير فى قوله تعالى:

«إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا» و فى قوله: «وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا» و الثّانى الامام بالباطل و إليه الاشاره فى قوله:

«وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ» و أمر الباطل من باب نصر و علم و حسن من الاماره بمعنى الولاية، و لتديما منصوب على الظرفيه، و عامله فعل بعده على البناء للمجهول و ضميره عايد إلى المصدر المفهوم من أمر و حذف فاء الجزاء مع كون الشرط و الجزاء ماضيين لفظا و معنى اكتفاء بذكرها فى الجملة التالىه، و لئن قلّ الحقّ بضمّ القاف على البناء للمفعول من باب نصر من القلّ و هو الرّفْع، قال فى القاموس استقلّه حملة و رفعه كقلّه و اقلّه، فلربّما و لعلّ للتقليل و ندره الوقوع و التقدير ربّما كان كذلك و لعله كان كذلك.

و هو إشاره إلى أنّ الحقّ قد يكون غالبا كما فى زمن سليمان عليه السّلام و ذى القرنين و المقصود بذلك الاشاره إلى كون الحقّ غالبا فى زمن الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم و مغلوبا فى أزمنه الخلفاء الثّلاثة و غالبا فى زمنه عليه السّلام أيضا و هو نادر و على هذا فمعنى كلامه عليه السّلام أنّ الامام حقّ و باطل و لكلّ منهما أهله فان صار الباطل أميرا بعد الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم فلقد فعل ذلك أى امره الباطل فى قديم الزّمان و ليس بأمر حادث يتعجب منه، و لئن ارتفع الامام بالحقّ بعد خلافه الثّلاثة فلربّما كان كذلك و لعله كان كذلك و لقلّما

ص: ٢٢٤

١- (١) ملا خليل القزوينى فى شرح روضه الكافى منه.

قد أشرنا فى صدر الكلام أنّ هذا الفصل من كلامه عليه السّلام كالفصل الآتى من كلامه ممّا رواه العامّة و الخاصّه و وعدناك هناك أن نذكر تمام الخطبه و نفسّر بعض فقراتها المحتاجه إلى التّفسير و البيان فأقول و بالله التّكلان:

روى ثقه الاسلام محمّد بن يعقوب الكلينيّ عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن ابن محبوب عن عليّ بن رثاب و يعقوب السّراج عن أبي عبد الله عليه السّلام أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام لمّا بويع بعد مقتل عثمان صعد المنبر فقال:

الحمد لله الّذى علا فاستعلى، و دنا فتعالى و ارتفع فوق كلّ منظر، و أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، و أشهد أنّ محمّدا (عبده و رسوله خ ل) رسول الله خاتم النّبیین، و حجّه الله على العالمين، مصدّقا للرّسل الأوّلين، و كان بالمؤمنين رءوفا رحیما، و صلّى الله و ملائکته علیه و على آله. أمّا بعد أيّها النّاس فإنّ البغى يقود أصحابه إلى النّار، و إنّ أوّل من بغى على الله جلّ ذكره عناق بنت آدم، و أوّل قتيل قتله الله عناق، و كان مجلسها جريبا من الأرض فى جريب، و كان لها عشرون إصبعا، فى كلّ إصبع ظفران مثل المنجلين، فسلّط الله عليها أسدا كالفيل، و ذنبا كالبعير، و نسرا مثل البغل، فقتلواها، و قد قتل الله الجبابره على أفضل أحوالهم، و آمن ما كانوا عليه، و أمات هامان و أهلك فرعون، و قد قتل عثمان، ألاّ و إنّ بليّتكم قد عادت

كهيئتها يوم بعث الله نبيه.

وَأَلْهَىٰ بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَتَبْلُبَنَّ بَلْبَهُ، وَ لَتَغْرِبَنَّ غَرْبَهُ، وَ لَتَسَاطِنَنَّ سَوَاطِنَ الْقَدْرِ، حَتَّىٰ يَعُودَ أَسْفَلَ كُمْ أَعْلَا-كُمْ، وَ أَعْلَا-كُمْ أَسْفَلَ كُمْ، وَ لَيْسَبَقَنَّ سَابِقُونَ كَانُوا قَصِيْرًا، وَ لَيَقْصُرَنَّ سَبَاقُونَ كَانُوا سَبِقُوا، وَ اللَّهُ مَا كَتَمْتَ وَ سَمَّهِ، وَ لَا كَذَبْتَ كَذِبَهُ، وَ لَقَدْ بَيَّنَّتَ بِهَذَا الْمَقَامَ، وَ هَذَا الْيَوْمَ.

أَلَا وَ إِنَّ الْخَطَايَا خِيْلَ شَمْسٍ حَمَلَتْ عَلَيْهَا أَهْلَهَا، وَ خَلَعَتْ لِحْمَهَا، فَتَقَحَّمَتْ بِهِمْ فِي النَّارِ.

أَلَا- وَ إِنَّ التَّقْوَىٰ مَطَايَا ذَلَّلَ حَمَلَتْ عَلَيْهَا أَهْلَهَا، وَ أَعْطَوْا أَزْمَتَهَا، فَأُورِدَتْهُمْ الْجَنَّةَ، وَ فَتَحَتْ لَهُمْ أَبْوَابَهَا، وَ وَجَدُوا رِيحَهَا وَ طَيِّبَهَا، وَ قِيلَ لَهُمْ أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمَنِينَ.

أَلَا وَ قَدْ سَبَقَنِي إِلَىٰ هَذَا الْأَمْرِ مَنْ لَمْ أَشْرِكْ فِيهِ، وَ مَنْ لَمْ أَهْبَهُ لَهُ، وَ مَنْ لَيْسَتْ لَهُ تَوْبَةٌ إِلَّا بِنَبِيِّ يَبْعَثُ.

أَلَا وَ لَا نَبِيَّ بَعْدَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ، أَشْرَفَ مِنْهُ عَلَىٰ شِفَا جَرْفِ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَقٌّ وَ بَاطِلٌ وَ لِكُلِّ أَهْلٍ، فَلَنْ أَمُرَ الْبَاطِلَ لِقَدِيمَا فَعَلٍ، وَ لَنْ قَلَّ الْحَقُّ لَرَبِّمَا وَ لَعَلَّ، وَ لَقَلَّمَا أَدْبَرَ شَيْءٌ فَأَقْبَلَ، وَ لَنْ رَدَّ عَلَيْكُمْ أَمْرَكُمْ إِنَّكُمْ سَعْدَاءُ، وَ مَا عَلَيَّ إِلَّا الْجِهَادُ، وَ إِنِّي لِأَخْشَىٰ أَنْ تَكُونُوا عَلَيَّ فَتَرَهُ مَلْتَمِعًا عَنِّي مِيلَهُ كُنْتُمْ فِيهَا عِنْدِي غَيْرَ

محمودى الرأى، و لو أشاء لقلت عفا الله عما سلف.

سبق فيه الزجاجان و قام الثالث كالغراب، همته بطنه، و يله لو قص جناحاه و قطع رأسه لكان خيرا له، شغل عن الجنه و النار أمامه ثلثه و إثنان، خمسه ليس لهم سادس ملك يطير بجناحيه، و نبى أخذ الله بضبعيه، و ساع مجتهد، و طالب يرجو، و مقصير فى النار.

ألمين و الشمال مضله، و الطريق الوسطى هى الجاده، عليها باقى الكتاب و آثار النبوه، هلك من ادعى، و خاب من افترى، إن الله أدب هذه الأمم بالسيف و السوط، و ليس لأحد عند الإمام فيهما هواده، فاستتروا فى بيوتكم، و أصلحوا ذات بينكم، و التوبه من ورائكم من أبدى صفحته للحق هلك.

و فى مروى البحرانى بعد قوله عليه السلام: من أبدى صفحته للحق هلك: ألا و إن كل قطيعه أقطعها عثمان و ما أخذه من بيت «مال ظ» المسلمين فهو مردود عليهم فى بيت مالهم و لو وجدته قد تزوج به النساء و فرق فى البلد، فإنه إن لم يسعه الحق فالباطل أضيق عنه.

ص: ٢٢٧

(الجريب) الوادى استعير للقطعه المتميزه من الأرض و فى المصباح للفيومى من كتاب المساحه للسيمؤال ما محصيه له أنه عشره آلاف ذراع و عن قدامه الكاتب ما محصيه له أنه ثلاثه آلاف ذراع و ستمأه ذراع، و (المنجل) كمنبر حديده يقضب بها الزرع و الواسع الجرح من الاسنه (و أمات هاما و أهلك فرعون) كنايه عن الأول و الثانى كما فى قوله تعالى:

«و نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَ نَمُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَ نُرِيَ فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ جُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ» (من لم اشرك فيه) كما اشرك موسى هارون على ما اشير إليه فى قوله سبحانه:

«و اشركه فى أمرى» و هو نص صريح فى عدم رضائه بخلافه من سبق إليه (و من لم أهبه له) اللام للانتفاع (و من ليست له توبه الأ نبى يبعث) استثناء مفرغ و المقصود أنه لا يتصور للثلاثه توبه بسبب من الاسباب إلا أن يبعث الله نبيا بعد وفاه النبى صلى الله عليه و آله و سلم، دون فصل يكون شرعه ناسخا لشرع محميد صلى الله عليه و آله و سلم و رافعا لما أوجبه من خلافته عليه السلام و وجوب اتباعه و ما حكم به من بطلان خلافه الثلاثه (أشرف منه) قيل: الضمير فى أشرف عايد إلى من و فى منه راجع إلى مصدر سبقنى و كلمه من للتعليل و الجملة استينافيه بيانيه و المعنى أنه أشرف من لم اشركه فيه من أجل سبقته إلى هذا الأمر (على شفا جرف هار) اى على قاعده هى أضعف القواعد و هو الباطل و التفاق الذى مثله مثل شفا جرف هار فى قلبه الثبات (فانهار به فى نار جهنم) أى فهو الباطل به فى نار جهنم و هذا مأخوذ من قوله سبحانه فى سورة البراءه:

«أَفَمَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ»

«بُيَانُهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَنْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» (١) (لئن ردّ عليكم أمركم) الذي يلزمكم القيام به وهو امتثالهم لأمره وتصديقهم بامامته عليه السّلام (أنكم) تكونون حينئذ (سعداء و ما علىّ إلاّ الجهد) بفتح الجيم اى الجدّ و الاجتهاد يعنى أنا أعمل على ما يجب علىّ القيام به من أمر الشريعة و عزل و لاه السوء و امراء الفساد عن المسلمين فان تمّ ما اريده فذاك، و إلاّ كنت قد أعذرت نظير قوله سبحانه:

«فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ» قوله: (كالغراب همّته بطنه) حيث يقع على الجيفه و على الثمره و على الحبه و فى المثل أحرص من غراب و أجشع من غراب (ويله) منصوب على النداء و حرف النداء محذوف (لو قصّ جناحاه) أى قطع بالمقراض و نحوه كان خيرا له و المقصود أنه لو كان قتل قبل تلبسه بالخلافه كان خيرا له من تقحّمه فيه و قوله (ثلاثة و اثنان) مرفوعان على الابتداء و (خمسه) خبر لهما و هو فذلكه العدد كما فى قوله سبحانه:

«ثَلَاثَةٌ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَ سَبْعَةٌ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ» و المقصود أنّ المكلفين على خمسه أقسام منشعبه من قسمين لأنّه إمّا معصوم أو غير معصوم، و المعصوم على ثلاثة أقسام (ملك يطير بجناحيه) حامل للوحى و نحوه (و نبى أخذ الله بضبعيه) و عضده و وصى (ساع) فى الدّين (مجتهد) فى الشّرع أى متحمّل للجهد و المشقّه (و) غير المعصوم على قسمين أحدهما (طالب) للجنّه (يرجو) رحمه ربّه (و) الثّانى (مقصر) فى الدّين هالك (فى النّار) قوله: (إنّ الله أدب) اه

ص: ٢٢٩

١- (١) الشفا الشفير و جرف الوادى جانبه الذى ينحفر اصله بالماء و تجرفه السيول و الهار الهائر الذى اشرف على السقوط و الهدم تفسير صافى.

إشارة إلى بعض مطاعن الثلاثة من تعطيلهم حدود الله سبحانه لملاحظه القرابه او لأغراض آخر و (الهواده) اللين و ما يرجى به الصلاح و قيل هو الشفاعة لترك الانتقام من مرتكب العصيان هذا.

و غير ما ذكرته مما يحتاج من كلامه عليه السلام إلى التفسير يأتي في شرح الفصل الآتي بيانه، و الله الهادي.

الترجمه

و از جمله کلام بلاغت نظام آن حضرت است: عهد و پیمان من بصحت آنچه می گویم در گرو است و من بصدق و صواب بودن آن کفیل و ضامنم، بدرستی که کشف نمود از برای او عبرتها از آنچه در پیش او گذشته از عقوبات مانع می شود او را پرهیزکاری از انداختن نفس خود در شبهه ها، آگاه باشید بتحقیق که بلیه که عبارت است از اختلاف آراء و تفرق اهواء رجوع نموده بر مثال و هیئت آن در آن روز که خداوند سبحانه پیغمبر خود را مبعوث فرمود.

قسم بآن کسی که برانگیخت پیغمبر خود را بحق هر آینه مخلوط می شوید بهمدیگر مخلوط شدنی، و البته بیخته می شوید بغربال بیختنی که خوب و بد از همدیگر تمیز می یابد، و البته بر هم زده می شوید مثل بر هم زدن آنچه در دیکست از طعام با قاشق و نحو آن تا باز برگردد پست ترین شما بر بلندترین شما و بلندترین شما بر پست ترین شما، یعنی زیر و بالا می شوید، و البته پیشی می گیرند پیش افتاده گانی که بودند باز پس مانده، و البته مقصر میشوند پیش گیرندگان که بودند پیش افتاده مراد از طایفه اولی اشخاصی بودند که بعد از وفات حضرت رسالتآب صلوات الله علیه و آله از نصرت آن حضرت قصور ورزیدند و در زمان خلافت آن بزرگوار با جان و دل بیعت نموده و شیعه خالص وی شدند.

و مراد از طایفه دوم اشخاصی هستند که ایشان را در اسلام سابقه بود و در زمان امامت آن امام عالیمقام انحراف ورزیده و با او بمقام مقاتله و محاربه بر آمدند مثل طلحه و زبیر و سایر اصحاب جمل و نهروان.

بعد از آن اشاره می فرماید باین که این اخبار غیبیه از منبع نبوت و مهبط وحی و رسالت مأخوذ گردیده و احتمال خلاف در آن بوجه نمی باشد، و فرمود بخدا سوگند پنهان داشته نشده ام از هیچ کلمه، یعنی حضرت رسول صلی الله علیه و آله و سلم جمیع مطالب را بمن اطلاع داد، یا این که پنهان نداشتم هیچ کلمه را که لازم بود اظهار آن و دروغ نگفته ام هیچ دروغی، و بتحقیق که خیر داده شده ام باین مقام که مقام اجتماعی خلق است بر من و بر این روز که روز بیعت مردمان است با من.

آگاه باشید که بتحقیق خطاها اسبانی هستند سرکش که سوار شده باشند بر آن صاحبان آن و بر کنده باشند لجامهای خود را، پس انداخته باشند در مهالک آتش را کبان خود را، آگاه باشید بدرستی که تقوی و پرهیزکاری شترانی هستند رام که سوار شده باشند بر آن صاحبان آن، و داده شده باشند بدستهای ایشان افسارهای ایشان، پس وارد سازند در بهشت عنبر سرشت سواران خود را، پرهیزکاری راهی است راست و خطاها راهی است باطل و هر یکی را از این دو راه اهلی است، پس اگر بسیار شود باطل هر آینه در قدیم الزمان کرده است آن را اهل آن و در آن زمان بهمان قرار، و اگر کم شده است حق در آن زمان پس بسا که غالب شود آن و امید هست که منصور باشد اهل آن و هر آینه کم است که پشت کرده باشد چیزی پس روی آورد.

سید رضی رضی الله عنه بعد از اداء خطبه فرموده که می گویم من بدرستی در این کلام امام علیه السلام که کوتاه ترین لفظ است از موارد حسن چیزی هست که نمی رسد بآن مواضع وقوع تحسین، یعنی فکرها که ادراک حسن کلام را میکنند و تعداد محاسن آن را می نمایند و بدرستی که بهره تعجب از این کلام بیشتر است از بهره خود پسندی، یعنی تعجب فصحا از بدایع حسن او بیشتر است از بهره عجب بسبب استخراج نکات رائقه و لطائف فایقه آن، بجهت این که بسا بدایعی در آن هست که عقل آن را بنور بصیرت ادراک می نماید، ولی زبان بیان از تعبیر و تقریرش عاجز و قاصر است.

و در این کلام بلاغت نظام با وجود حالتی که وصف کردم زیادهاست از صناعت فصاحت که قایم نمی شود بآدای آن هیچ زبان، و اطلاع نمی یابد بعمق آن هیچ انسان، و نمی شناسد آن چیزی را که من گفتم از این اوصاف مگر کسی که عمر خود را مصروف بدارد در این صناعت فصاحت برستی، و جاری شود این صناعت بر عروق و اعصاب آن، و آن را کما هو حقّه دانسته باشد، و تعقل نمی کند آن را مگر عالمان کاملان.

الفصل الثانی

اشاره

شغل من الجَنَّة و النَّار أَمَامَهُ، سَاعَ سَرِيعِ نَجَا، و طَالِبِ بَطْءِ رَجَا، و مَقْصِرٍ فِي النَّارِ هَوَى، الِیْمِینِ و الشَّمَالِ مُضَلَّه، و الطَّرِيقِ الْوَسْطَى هِيَ الْجَادَّةُ، عَلَیْهَا بَاقِی الْکِتَابِ و آثَارِ النَّبُوَّةِ، و مِنْهَا مَنْفَذُ السَّنَّةِ، و إِلَیْهَا مَصِیرُ الْعَاقِبَةِ، هَلْکُ مِنْ أَدْعَى، و خَابَ مِنْ افْتِرَى، مِنْ أَبْدَى صَفْحَتِهِ لِلْحَقِّ هَلْکُ عِنْدَ جَهْلِهِ النَّاسِ، و کَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَنْ لَا یَعْرِفَ قَدْرَهُ، لَا یَهْلُکُ عَلَی التَّقْوَى سِنَخَ أَصْلٍ، و لَا یُظْمَأُ عَلَیهِ زَرْعُ قَوْمٍ، فَاسْتَتَرُوا بِیُوتِکُمْ، و أَصْلَحُوا ذَاتَ بَیْنِکُمْ، و التَّوْبَةُ مِنْ وِرَائِکُمْ، و لَا یَحْمَدُ حَامِدٌ إِلَّا رَبَّهُ، و لَا یَلْمُ لَاءِمٌ إِلَّا نَفْسَهُ.

اللغه

(الطریق) یدکر فی لغه نجد و به جاء القرآن فی قوله تعالی:

«فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا» و يُؤْتَى فِي لُغَةِ الْحِجَازِ وَ عَلَيْهِ جَرَى قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ (الْجَادَّةُ) مَعْظَمُ الطَّرِيقِ وَ (الْصَّفْحَةُ)

من كل شيء كالصَّيْفِ فح جانبه و (السَّخ) من كل شيء أصله و (البين) بالفتح من الأضداد يطلق على الوصل و على الفرقه، و منه ذات البين للعداوه و البغضاء، و قولهم لاصلاح ذات البين أى لاصلاح الفساد بين القوم، و المراد اسكان النَّائِره.

الاعراب

شغل على البناء للمفعول، و من الموصوله نائب عن الفاعل؛ و الجَّه و النَّار مرفوعان على الابتداء، و أمامه خبر و الجملة صلته لمن، و قيل: إنَّ شغل مسند إلى الضَّمير المستتر العائد إلى الثالث السابق فى كلامه عليه السَّلام حسبما حكيناه من الكافى، و من الجَّه بكسر الميم جار و مجرور، و النَّار أمامه مبتدأ و خبر.

و يؤيد ذلك ما فى روايه الكافى من تبديل كلمه من بكلمه عن، و عليه فالمعنى شغل الثالث يعنى عثمان عن الجَّه و الحال أنَّ النار أمامه، و ساع و طالب و مقصِّر مرفوعات على الخبريه من محذوف بقرينه المقام، و إضافه الباقي إلى الكتاب إمَّا من قبيل إضافه الصفه إلى الموصوف أى الكتاب الباقي بين الأمه، أو بمعنى من، ففيها إشاره إلى وقوع التحريف فى القرآن و النقصان فيه، و كفى بالمرء الباء زائده فى المفعول، و إضافه السَّخ إلى أصل من قبيل سعيد كرز و كرى القوم، و استتروا بيوتكم أى فى بيوتكم منصوب بنزع الخافض، و التَّوبه من ورائكم كلمه من بمعنى فى و هو واضح.

المعنى

قد عرفت فى شرح الفصل السابق أنَّ هذا الفصل من الخطبه التى ذكرناها هناك و قوله عليه السَّلام (شغل من الجَّه و النَّار امامه) جملة خبريه فى معنى الانشاء، يعنى من كان الجَّه و النَّار أمامه يجب أن يكون مشغولا بهما عن جميع ما يشغل عنهما من زبرج الدنيا و زخارفها و لذاتها و شهواتها، و المراد بالاشتغال بهما الاشتغال بما يؤدِّيه إلى الجَّه و ينجيه من النَّار، و من كونهما أمامه كونهما نصب قلبه و خياله بمرئى و مسمع منه غير غافل عنها متذكِّرا لهما مدّه عمره، فيشغل بهما عن غيرهما.

و يحتمل أن يكون المراد أن الانسان لما كان من بدو نشأته و عمره إلى منتهاه بمنزله المسافر إلى الله، و كان دائما في قطع مسافه و الانتقال من نشأه إلى نشأه، و التبديل من طور الى طور من أطوار العالم الجسماني و أطوار نشأه الآخره من حين الموت إلى حين البعث من حيث إن الموت ليس عباره عن عدم الانسان، بل من بطلان قلبه لخروج روح منه قائما بذاتها دون افتقارها بهذا البدن فله بعد هذه النشأه نشأت كثيره في القبر و البرزخ و عند العرض و الحساب و الميزان إلى أن يدخل الجنه أو النار، لا جرم(١) كان المنزل لذلك المسافر إحداهما فكأنما أمامه في ذلك السفر و غايتين يؤمهما الانسان من مبدء خلقته إلى أن ينزل إلى إحداهما و من كان أبدا في السفر إلى غايه معينه فيجب أن يكون مشغولا بمهمات تلك الغايه.

و لما تبه عليه السلام على وجوب الاشتغال بهما قسم الناس باعتبار ذلك الاشتغال إلى أقسام ثلاثه أحدها (ساع) إلى رضوان الله (سريع) في عدوه (نجا) برحمه ربّه (و) الثاني (طالب) للرضوان (بطيء) في سيره (رجا) للغفران (و) الثالث (مقصر) في طاعه الرحمن سالك سبيل الشيطان مخلد (في النار هوى) إلى الجحيم و استحق العذاب الأليم و قد أشير إلى الأقسام الثلاثه في قوله سبحانه:

« وَ كُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ فَأَصْحَابُ الْمِئْمَنَةِ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ أَهْلِ التَّبَعَاتِ يُوَفَّقُونَ لِلْحِسَابِ، وَ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ هُمُ الْمُقْصِرُونَ الظَّالِمُونَ الَّذِينَ سَلَكَ بِهِمُ الشَّيْطَانُ سَبِيلَهُ فَأُورِدَهُمُ النَّارَ وَ هُمْ مَهَانُونَ وَ أَمَّا السَّابِقُونَ فَهَؤُلَاءِ الْفَائِزُونَ الْحَائِزُونَ لِقَصْبِ السَّيِّئِ يَسْبِقُونَ الْخَلْقَ إِلَى الْجَنَّةِ مِنْ غَيْرِ حِسَابٍ، وَ يَشْمَلُ هَذَا الْقِسْمَ الْأَنْبِيَاءَ وَ الْأَوْلِيَاءَ كَشَمُولِ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: سَاع

ص: ٢٣٤

سريع نجا، لهم.

و يشهد به ما فى غاية المرام من تفسير الثعلبى باسناده عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قسم الله الخلق قسمين، فجعلنى فى خيرها قسما فذلك قوله تعالى:

«وَ أَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ» فأنا خير أصحاب اليمين، ثم جعل القسمين أثلاثا فجعلنى فى خيرها ثلاثا، فذلك قوله تعالى:

«فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ»... «وَ السَّابِقُونَ» و أنا من خير السابقين، ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلنى من خيرها بيتا فذلك قوله تعالى:

«إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» هذا و الأظهر بمقتضى الحال و المقام و بملاحظه إقراره الأنبياء فى قسم رابع مستقل كما سبق ذكره فى شرح الفصل السابق، خروج الأنبياء من هذا القسم و إرادته بالساع السريع نفسه الشريف و النقباء من شيعته كسلمان و أبى ذر و المقداد، و الطالب البطيء سائر الشيعه، و بالمقصر الجاحد لولايته، و قد فسر السابقون فى الآيه بذلك أيضا.

كما رواه فى غاية المرام من أمالى الشيخ باسناده عن ابن عباس قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قول الله عزّ و جلّ:

«وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ» فقال لى جبرائيل: ذلك على و شيعته هم السابقون إلى الجنة المقربون من الله بكرامه لهم.

و يؤيده (1) ما رواه على بن إبراهيم فى تفسير قوله:

ص: ٢٣٥

١- (١) هذا تأييد لادخال النقباء فى السابقين، منه.

«وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ» قال: وهم النَّبَاء: أبو ذر و المقداد و سلمان و عمار و من آمن و صدق و ثبت على ولايه أمير المؤمنين عليه السلام.

و لَمَّا قَسَمَ النَّاسُ إِلَى السَّابِقِينَ وَاللَّاحِقِينَ وَالْمَقْصِرِينَ، أشار عليه السَّلام لهم إلى الطريق التي يجب سلوكها و نصب عليها أعلام الهدى ليوصل إلى حضره الحق سبحانه و تعالى فقال: (اليمن و الشمال مضله و الطريق الوسطى هي الجاده) الموصلة لسالكها إلى المطلوب و هي حظيره القدس، و ذلك لأنَّ طريق السالكين إلى الله إما العلم أو العمل، فالعلم طريق القوه النظرية، و العمل طريق القوه العمليه، و كل منهما محتو برذيلتين هما طرفا التفريط و الافراط، و الوسط منهما هو العدل و الطريق الوسطى هي الجاده الواضحه لمن اهتدى.

أقول: و لعلّه كنى باليمن و الشمال عن طريق الجب و الطاغوت، و بالطريق الوسطى عن طريق الولاية له عليه السلام، و أشار بقوله مضله إلى كونهما في ضلاله فيضلان سالكي طريقهما البته، و بقوله هي الجاده إلى وجوب سلوك الطريق الوسطى، و هي ولايته لكونها سالمه و محفوظه من الضلاله منصوبه عليها أعلام الهدايه فهو عليه السلام السبيل الأعظم و الصراط الأقوم و ولايته الطريق الوسطى و الجاده العظمى لأنَّ جميع العباد إنَّما يصلون إلى الله تعالى إلى محبته و جنته و قربه و الفوز لديه بما أعدّه لمن أطاعه بولايته و محبته و طاعته، و إنَّما تصعد أعمال الخلق إلى الله إذا كانت جاريه على سنته و طريقته و كانت مأخوذه عنه بالتسليم له و الرد إليه و بالولاية له و البراءه من أعدائه هو قول الله عزَّ و جلَّ:

«إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ» يعني أن الله لا يقبل من أحد عمله إلا من المتقى، و هو الذي أحبَّ الله و رسوله و اتتمر بأمره و انتهى عن نهيه و والى وليَّ الله و عادى عدوَّ الله، و معنى المتقين في الباطن المتقون من ولايه أعدائه عليه السَّلام و هم أهل الشمال و اليمن، فمن اتقى سنه أعدائه

فهو الممتقى، فكان عليه السلام هو الطريق إلى الله و ولايته أيضا طريق صعود الأعمال إليه تعالى و قد اشير إلى هذه الطرق الثلاث أعنى اليمين و الشمال و الوسطى، و إلى التحذير من الأولين و وجوب سلوك الأخيره فى غير واحد من الآيات و الأخبار مثل ما رواه فى غايه المرام من الكافى باسناده عن بريد العجلى قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله:

«أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ» فكان جوابه:

«أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَّةِ وَ الطَّاعُوتِ وَ يَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا» يقول الأئمة الصّلال و الدّعاة إلى النار هؤلاء أهدى من آل محمّد سبيلا «أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَ مَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا» و فيه من تفسير العياشى باسناده عن بريد العجلى عن أبى عبد الله عليه السلام قال:

«وَ أَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَ لَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ» قال: تدرى ما يعنى بصراطى مستقيما؟ قلت: لا، قال: ولايه علىّ و الأوصياء، قال:

و تدرى ما يعنى فاتبعوه؟ قلت: لا، قال: يعنى علىّ بن أبى طالب صلوات الله عليه، قال: و تدرى ما يعنى بقوله: و لا تتبعوا السبل؟ قلت: لا، قال: ولايه فلان و فلان و الله، قال: و تدرى ما يعنى فتفرّق بكم عن سبيله؟ قال: قلت: لا، قال: يعنى سبيل علىّ بن أبى طالب عليه السلام.

و فيه عن الكلينى باسناده عن محمّد بن الفضيل عن أبى الحسن الماضى عليه السلام قال: قلت:

«أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» قال: إِنَّ اللَّهَ ضَرَبَ مِثْلَ مَنْ حَادَ عَنِ وِلَايَةِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ لَا يَهْتَدِي لِأَمْرِهِ، وَجَعَلَ مَنْ تَبِعَهُ سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ؛ وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَفِيهِ عَنِ ابْنِ شَهْرٍ أَشُوبَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَحْكُمُ وَعَلَى بَيْنَ يَدَيْهِ مِقَابِلُهُ، وَرَجُلٌ عَنِ يَمِينِهِ، وَرَجُلٌ عَنِ شِمَالِهِ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الْيَمِينُ وَالشَّمَالُ مِضْلَهُ، وَالطَّرِيقُ السُّوْيُ الْجَادُّ، ثُمَّ أَشَارَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ إِنَّ هَذَا صِرَاطٌ عَلَى مُسْتَقِيمٍ فَاتَّبِعُوهُ الْآيَةَ.

وَفِيهِ عَنِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ فِي تَفْسِيرِهِ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ عَنِ عَلِيِّ بْنِ رِثَابٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: نَحْنُ وَاللَّهُ سَبِيلُ اللَّهِ الَّذِي أَمَرَكَمُ اللَّهُ بِاتِّبَاعِهِ، وَنَحْنُ وَاللَّهُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، وَنَحْنُ وَاللَّهُ الَّذِينَ أَمَرَ اللَّهُ بِطَاعَتِهِمْ، فَمَنْ شَاءَ فَلْيَأْخُذْ مِنْ هُنَا، وَمَنْ شَاءَ فَلْيَأْخُذْ مِنْ هُنَاكَ، لَا تَجْدُونَ «عَنَا وَاللَّهُ مَحِيصًا خ ل» عَنْهَا مَحِيصًا.

وَفِيهِ عَنِ سَعْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فِي كِتَابِ بَصَائِرِ الدَّرَجَاتِ بِإِسْنَادِهِ عَنِ زُرِّ بْنِ حَبِيشٍ عَنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ حَفْرَتَهُ أَتَاهُ مَلَكَانِ اسْمُهُمَا مَنْكِرٌ وَنَكِيرٌ فَأَوَّلُ مَا يَسْأَلَانِهِ عَنْ رَبِّهِ ثُمَّ عَنْ نَبِيِّهِ ثُمَّ عَنْ وَلِيِّهِ فَإِنْ أَجَابَ نَجَا، وَإِنْ تَحَيَّرَ عَذِّبَاهُ، فَقَالَ رَجُلٌ: فَمَا حَالُ مَنْ عَرَفَ رَبَّهُ وَلَمْ يَعْرِفْ وَلِيِّهِ؟ قَالَ:

مَذْبُذِبٌ لَا إِلَى هُوَ لَا إِلَى هُوَ لَا وَمَنْ يَضَلُّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا، فَذَلِكَ لَا سَبِيلَ لَهُ، وَقَدْ قِيلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ وَلِيِّنَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ فَقَالَ: وَلِيِّكُمْ فِي هَذَا الزَّمَانِ عَلِيٌّ وَمَنْ بَعْدَهُ وَصِيَّتُهُ لِكُلِّ زَمَانٍ عَالَمٍ يَحْتَجُّ اللَّهُ بِهِ لِئَنْ يَكُونَ كَمَا قَالَ الضَّلَالُ قَبْلَهُمْ حِينَ فَارَقْتَهُمْ أَنْبِيَائِهِمْ

«لَوْلَا أَرْسَلْتِ إِلَيْنَا رَسُولًا فَتَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى» فما كان من ضلالتهم و هي جهالتهم بالآيات و هم الأوصياء فأجابهم الله عز و جل:

«قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبَّصُوا فَسَيَتَعَلَّمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَ مَنْ اهْتَدَى» و إنما كان ترَبَّصهم أن قالوا: نحن في سعه من معرفه الأوصياء حتى نعرف إماما فعيرهم الله بذلك، و الأوصياء هم أصحاب الصِّراط و قوفا عليه لا يدخل الجنه إلا من عرفهم عند أخذه المواثيق عليهم و وصفهم في كتابه، فقال عز و جل:

«وَ عَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ» و هم الشهداء على أوليائهم و النبي الشهيد عليهم أخذ لهم مواثيق العباد بالطاعة و أخذ النبي الميثاق بالطاعة فجرت نبوته عليهم ذلك قول الله عز و جل:

«فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا يَوْمَئِذٍ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ عَصَوْا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَ لَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا» و فيه عن محمد بن العباس معننا عن الحضرمي عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى:

«فَسَتَعَلَّمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَ مَنْ اهْتَدَى» قال: على صاحب الصِّراط السَّوِيِّ و من اهتدى إلى ولايتنا أهل البيت.

و إذا أحطت خبرا بما ذكرنا و ظهر لك أن المراد بالطريق الوسطى هي ولايته عليه السلام المعبر عنه تاره بالصراط السَّوِيِّ، و اخرى بالصراط المستقيم، و ثالثه بالطريق السَّوِيِّ، و رابعه بسبيل الله الذي أمر الله باتِّباعه، ظهر لك معنى قوله: (عليها باقى الكتاب) أى على الطريق الوسطى الباقي من الكتاب بعد وقوع التحريف فيه أو عليها الكتاب الباقي بين الأئمة و الثقل الأكبر الذي خلفه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فيهم.

و على أى تقدير فالمراد به أنّ من سلك طريق الولايه يحصل له العلم بالكتاب و يتيسر له أخذه من قيمه و العالم به و هو صاحب الولايه المطلقه، لما قد عرفت التلازم و عدم الافتراق بين الثقلين الأكبر و الأصغر فى الفصل السابع عشر من فصول الخطبه الاولى و عرفت تفصيلا فى التذييل الثالث من تذييلات ذلك الفصل أنّ أمير المؤمنين و الطيبين من آلهم عليهم السلام هم العالمون بتنزيل الكتاب و تأويله و عامه و خاصه و مرسله و محدوده و مجمله و مبينه و ناسخه و منسوخه و محكمه و متشابهه و ظاهره و باطنه، و أنّ علمه منحصر فيهم عليهم السلام و أنّ من ادعى حمله و حفظه على ما انزل و العلم بما فيه غير العتره الطاهره فهو كذاب، و فى بعض النسخ عليها ما فى الكتاب يعنى مدار ما فى الكتاب و قوامه على تلك الطريقه هذا.

و يحتمل أن يكون المراد من كون باقى الكتاب أو ما فى الكتاب عليها كونه منصوبا عليها و علما يهتدى به اليها، إذ فيه دلالة على هذه الطريقه كما أنّ فى الباقي منه على تقدير النقصان ما فيه كفايه لوجوب سلوكها و لزوم متابعتها كآيات السالفه و غيرها من الآيات النازله فى شأنه عليه السلام و المشيره إلى ولايته.

و هذان الاحتمالان جاريان فى قوله عليه السلام: (و آثار النبوه) أى على هذه الطريقه أعلام النبوه و أماراتها، من سلوكها يظهر له تلك الأعلام لكون الولايه مظهر النبوه، و على الاحتمال الثانى فالمعنى أنّ آثار النبوه منصوبه على تلك الطريق بتلك الآثار يهتدى إليها و يستدلّ عليها، و لا يبعد أن يكون المراد بالآثار على هذا الاحتمال هو الأخبار النبويه و الروايات المنقوله عنه صلى الله عليه و آله و سلم (و منها منفذ السنه) النبويه و مخرج الشريعه المحمديه عليه و آله آلاف الثناء و التحية، إذ به و بالطيبين من اولاده سلام الله عليهم انتشر الشرايع و الأحكام و عرف الحلال و الحرام، و استقامت الشريعه الطاهره و استحكمت السنه الباهره.

(و اليها مصير العاقبه) أى عاقبه الخلق فى الدنيا و الآخره، أمّا فى الدنيا

فلأذنّ نظام امورهم فى حركاتهم و سكناتهم مبنى على القوانين الشرعيّة المأخوذه من هذه الطريقه، و إلى تلك القوانين ترد عواقب امورهم، و عليها يحملون، و أمّيا فى الآخره فواضح لأنّ إياب الخلق إليه صلّى الله عليه و آله و سلّم، و إلى أولاده الطاهرين، و حسابهم عليهم و إليه الاشاره فى قوله سبحانه:

«إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ» أى إلى أوليائنا رجوعهم و مصيرهم بعد الموت، و عليهم جزاؤهم على أعمالهم، و يشهد بما ذكرته صريحا ما ورد فى فقرات الزيارة الجامعه الكبيره: و إياب الخلق إليكم و حسابهم عليكم.

قال المحدث المجلسي فى شرح هذه الفقره: أى رجوعهم فى الدنيا لأجل المسائل و الزيارات، و فى الآخره لأجل الحساب، كما روى عنهم عليهم السلام أنّهم الميزان أى الحقيقى و الواقعى، أو فى الآخره بقرينه و حسابهم عليكم كما قال تعالى أى إنّ إلينا أى إلى أوليائنا بقرينه إياهم ثم إنّ علينا حسابهم.

و روى فى الأخبار الكثيره أنّ حساب الخلاق يوم القيامه إليهم و لا استبعاد فى ذلك كما أنّ الله تعالى قرّر الشهود عليهم من الملائكه و الأنبياء و الأوصياء و الجوارح مع أنّه تعالى قال:

«وَ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً» و هو القادر الديان يوم القيامه و يمكن أن يكون مجازا باعتبار حضورهم مع الأنبياء عند محاسبه الله إياهم انتهى.

أقول: و ما ذكره أولا هو الأظهر إذ المصير إلى المجاز إنّما هو مع تعدّد إرادته المعنى الحقيقى، و أمّا مع الامكان فلا، و قد دلّت الأخبار الكثيره كما اعترف (ره) به أيضا على أنّ المحاسب هم عليهم السلام فيتعيّن إرادته الحقيقه.

و من هذه الأخبار ما فى الكافى عن الباقر عليه السلام إذا كان يوم القيامه و جمع الله

الأوليين و الآخرين لفصل الخطاب دعى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و دعى أمير المؤمنين فيكسى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حله خضراء تضىء ما بين المشرق و المغرب و يكسى أمير المؤمنين عليه السلام مثلها و يكسى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و رديه يضىء لها ما بين المشرق و المغرب و يكسى على عليه السلام مثلها، ثم يصعدان عندها، ثم يدعى بنا فيدفع إلينا حساب الناس، فنحن و الله مدخل أهل الجنة الجنة و أهل النار النار.

و عن الكاظم عليه السلام و إلينا إياب هذا الخلق و علينا حسابهم، فما كان لهم من ذنب بينهم و بين الله عزّ و جلّ حتمنا على الله فى تركه لنا فأجابنا إلى ذلك، و ما كان بينهم و بين الناس استوهبناه منهم و أجابوا إلى ذلك و عوضهم الله عزّ و جلّ هذا.

و يحتمل أن يكون المراد من قوله عليه السلام: و إليها مصير العاقبه، كون مدار عاقبه الخلق و خاتمتهم خيرا و شرا على الولاية، فان كان العبد مدعنا بالولاية كان عاقبه خيرا، و إن كان منكرا لها كان عاقبه شرّ، كما دلّت عليه الأخبار المتواتره و المستفيضه الوارده فى تفسير قوله سبحانه:

«وَقَفُوهُمْ إِنِّهُمْ مَسْئُولُونَ» مثل ما روى فى غايه المرام عن الشيخ فى مصباح الأنوار بإسناده عن عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: إذا كان يوم القيامة أقف أنا و علىّ على الصّراط بيد كلّ واحد منّا سيف فلا يمرّ أحد من خلق الله إلّا سألتاه عن ولايه علىّ عليه السلام فمن معه شىء منها نجا و إلّا ضربنا عنقه و ألقيناه فى النار ثم تلا:

«وَقَفُوهُمْ إِنِّهُمْ مَسْئُولُونَ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُشْتَسِلِمُونَ» و الأخبار فى هذا المعنى كثيره لا حاجه إلى الاطاله (هلك من ادعى) الامامه من غير استحقاق لها (و خاب من افترى) على الله و على رسوله فى دعواه لها، و الجملتان تحتملان الدعاء و الاخبار، و المراد بالهلاك الهلاك الاخرى و بالخيبه الحرمان و الخسران كما أشير إليه فى قوله تعالى:

«وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ» قال أبو عبد الله عليه السلام في مروى البحار من غيبة النعماني بإسناده عن ابن ظبيان عنه في تفسيره: من زعم أنه إمام وليس بإمام.

و في البحار أيضا من تفسير العياشي عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام:

«وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ» قال: من ادعى الامامه دون الامام.

و عن علي بن ميمون الصايغ عن ابن أبي يعفور قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ثلاثه لا ينظر الله إليهم يوم القيامة و لا يزكّيهم و لهم عذاب أليم: من ادعى امامه من الله ليست له، و من جحد إماما من الله، و من قال: إنّ لفلان و لفلان نصيبا في الإسلام.

و من المحاسن بإسناده عن العلا عن محمّد قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنّ أئمة الجور و أتباعهم لمعزولون عن دين الله و الحقّ قد ضلّوا بأعمالهم التي يعملونها.

«كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكُمْ هُوَ الضَّلَالُ البَعِيدُ» (و من أبدى صفحته للحقّ هلك عند جهله الناس) أراد به نفسه و نبه به على أنّ المتجرّد لظاهر الحقّ في مقابله كلّ باطل و ردّ الجهال من جهالاتهم و حملهم على مَرّ الحقّ و صعبه في كلّ وقت يكون في معرض الهلاك بأيديهم و ألسنتهم، إذ لا يعدم منهم من يوليه المكروه و يسعى في دمه.

و يشهد بذلك ما رواه السيد المحدث الجزائري ره مرفوعا في كتابه المسمّى

بزهرة الزبيح أن الصيادق عليه السلام سئل عن الخلفاء الأربعة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما بال الشيخين قد انتظمت لهما أمور الخلافة و جرت على أيديهم فتوح البلاد من غير معارضة أحد من المسلمين؟ و ما بال عثمان و أمير المؤمنين عليه السلام لم تنتظم لهما أمور الخلافة بل قامت المسلمون على عثمان و حصروه في داره و قتلوه وسط بيته، و أما أمير المؤمنين عليه السلام فثارت الفتن في زمن خلافته حتى قتل الناكثين و القاسطين و المارقين؟ فأجاب عليه السلام أن أمور تلك الدنيا و الخلافة فيها لا يجرى بباطل بحت و لا بحق خالص، بل تجرى بحق و بباطل ممزوجين، فأما عثمان فأراد أن يجرى أمور الخلافة بمحض الباطل فلم يتم له الأمر، و أما أمير المؤمنين عليه السلام فأراد أن يجرى أحكامها على الطريقة المستقيمة و السنن النبوية فلم يحصل له ما أراد، و أما الشيخان فأخذا قبضه من الحق و قبضه من الباطل فجرت لهما الأمور كما أرادا.

و لَمَّا تَبَّهَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى مَعَانِدِهِ الْجَهَالَ لِلْحَقِّ وَ أَهْلَهُ أَشَارَ إِلَى مَا يَتَرْتَبُ عَلَى صِفَةِ الْجَهَالَةِ وَ مَا هِيَ ثَمَرُهُ لَهَا بِقَوْلِهِ: (وَ كَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا إِنْ لَا يَعْرِفُ قَدْرَهُ) وَ يَتَعَدَى طَوْرَهُ وَ يَجْهَلُ رَتْبَهُ وَ لَا يَتَصَوَّرُ نَفْسَهُ كَأَحَادِ النَّاسِ، وَ هَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَهْلَكَاتِ لِكُونِهِ مَنشَأَ الْعَجَبِ وَ الْكِبَرِ وَ الْغُرُورِ وَ الْإِنْيَةِ وَ ادَّعَاءِ مَا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ كَمَا فِي مَعَاوِيَةَ عَلَيْهِ الْهَآوِيَةُ حَيْثُ لَمْ يَعْرِفْ رَتْبَهُ وَ قَدْرَهُ وَ ادَّعَى الْخِلَافَةَ وَ سَعَى فِي إِهْلَاكِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ إِفْسَادِ الْأَمْرِ عَلَيْهِ لِأَبْدَاءِ صَفْحَتِهِ لِلْحَقِّ، وَ حَمَلَهُ النَّاسُ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْمُسْتَقِيمَةِ وَ الْمَحْجَّةِ الْبَيْضَاءِ الَّتِي كَانَتْ مَكْرُوهُهُ لِذَلِكَ اللَّعِينِ بِمَقْتَضَى طِينَتِهِ الْخَبِيثَةِ.

ثُمَّ تَبَّهَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى لُزُومِ التَّقْوَى بِقَوْلِهِ: (وَ لَا يَهْلِكُ عَلَى التَّقْوَى سِنَخٌ أَصْلٌ) كَانَ بِنَاؤُهُ عَلَيْهِ إِذِ الْأَصْلُ الَّذِي كَانَ بِنْيَانَهُ عَلَى التَّقْوَى مَحَالٌ أَنْ يَهْلِكَ وَ يَلْحَقَ بَانِيهِ خَسْرَانٌ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ:

«أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ»

(و لا يظماً عليه زرع قوم) لأن من زرع فى أرض قلبه زرعاً أخروبياً كالمعارف الإلهية و العقائد الحقّة و سقاها ماء التقوى و جعله مادّتها فلا يلحق ذلك الزرع ظمأ، بل عليه ينشأ بأقوى ساق و أزكى ثمرة و قوله: (فاستتروا بيوتكم) قد عرفت فى شرح الفصل السابق أنّ هذا الكلام مسبوق بقوله عليه السّلام: إنّ الله أدب هذه الامّة بالسّيف و السّوط و ليس لأحد عند الامام فيهما هواده، أى شفاعه فى تأخير التعزير أو تركه و هو وارد فى مقام التهديد و التّوعيد و إشاره إلى أنّه عليه السّلام لا يأخذه فى الله لومه لائم و أنّه لا يشفع عنده فى إقامة الحدود و السياسات و لا يعطل الأحكام بالشفاعة كما عطلها من تقدّم عليه عليه السّلام.

و لَمّا تبّهّم على ذلك أمرهم بالاستتار فى بيوتهم كيلا يجتمعوا على المنافرات و المفاخرات و المشاجرات فيحصل من اجتماعهم ما يوجب الحدّ و التعزير و لا يمكن له إسقاطه بالشفاعة و الهواده، فالاستتار فى البيوت كناية عن الاعتزال حسماً لماده الفتن و لَمّا كان قطع مادّه الفتنه سبباً لاصلاح ذات البين أردفه بقوله: (و أصلحوا ذات بينكم) ثمّ نبّه العصاه على استدراك عصيانهم بالرجوع إلى التّوبه بقوله:

(و التّوبه من ورائكم) قال الشّارح البحرانى: و كونها وراء لأنّ الجواذب الإلهية إذا أخذت بقلب العبد فجذبته عن المعصية حتّى أعرض عنها و التفت بوجه نفسه إلى ما كان معرضاً عنه من النّدم على المعصية و التّوجّه إلى القبلة الحقيقة فأنّه يصدق عليه اذن أنّ التّوبه وراء أى وراء عقلياً و هو أولى من قول من قال من المفسّرين أنّ ورائكم بمعنى أمامكم (و لا يحمد حامد إلا ربّه و لا يلم لائم إلا نفسه) جملتان خبريتان فى معنى الانشاء يعنى أنّه يجب أن يكون حمد كلّ حامد لله سبحانه لكونه مبدء جميع المحامد و الخيرات، و يجب أن يكون لوم كلّ لائم على نفسه لكونها منشأ الشّرور و الخطيئات كما قال تعالى:

«ما أصابك من حسنّه فمنّ الله و ما أصابك من سيّئه فمنّ نفسك» و الحمد لله و الصّلاه على نبيّه و وليّه و آله.

مشغول گردید آن کسی که بهشت و دوزخ در پیش اوست باینها از غیر اینها و مکلفین باعتبار اشتغال باینها سه فرقه اند یکی سعی نماینده برضای خداوند شتابنده در سعی خود و نجات یافت برحمت پروردگار، دومی طلب کننده خیرات که کامل است در آن طلب امیدوار است بمغفرت کردگار، سومی تقصیر کننده در طاعات که فرود آمده است در جهنم، جانب راست و جانب چپ محلّ ضلالت و گمراهی است و راه میانه آن جاّده است درست، و بر اوست باقی کتاب واجب التّکریم و علامت نبوّه واجب التعظیم، و از اوست مخرج سنّه مطّهّره و باوست بازگشت عاقبت خلق در دنیا و آخرت، هلاک شد کسی که دعوی امامت نمود بباطل، و فضول و نومید گردید کسی که افترا بست بخداوند و رسول، کسی که ظاهر گردانید روی خود را از برای حقّ در مقابل باطل هلاک شد نزد مردمان نادان و جاهل، و کفایت میکند مر او را از حیث جهالت این که قدر خود را نشناسد و رتبه و شان خود را نداند، و هلاک نمی شود اصلی که بناء آن پرهیزکاری بوده باشد، و تشنه نمی باشد زراعت هیچ گروهی که آبیاری آن از پرهیزکاری گردد، پس پنهان شوید در خانه های خودتان و اصلاح کنید در میان مردمان و توبه و پشیمانی در پیش شما است، و باید که حمد و ثنا نکند هیچ ستایش کننده در روزگار مگر پروردگار خود، بجهه این که اوست منعم علی الاطلاق و سزاوار تعظیم و اجلال، و باید که ملامت نکند هیچ ملامت کننده مگر نفس خود را که منشأ شرّ است و فساد.

و من کلام له علیه السّلام فی صفة من یتصدی للحکم بین

اشاره

الامه و لیس لذلك باهل و هو السابع عشر من

المختار فی باب الخطب الجاری مجراها

هذا الکلام الشّریف رواه المفید فی الارشاد من ثقات أهل النّقل عند الخاصّه

ص: ۲۴۶

و العامه، و الطبرسي أيضا في الاحتجاج مرسلًا عنه عليه السلام كالكتاب، و ثقہ الاسلام الكليني قدس الله روحه في باب البدع و الزاى و المقاييس من اصول الكافي مسندًا تاره و مرفوعًا اخرى حسبما تعرفه، و أما ما ذكره الرضوي قدس سره فهو أنه قال:

إنَّ أبغض الخلق الى الله رجلان: رجل و كله الله إلى نفسه، جائر عن قصد السبيل مشغوف بكلام بدعه، و دعاء ضلاله فهو فتنه لمن افتتن به، ضالٌّ عن هدى من كان قبله، مضلٌّ لمن اقتدى به في حياته و بعد وفاته، حَمالٌ خطايا غيره، رهنٌ بخطيئته، و رجل قمش جهلا- موضع في جهال الامه، غارٌّ في أغباش الفتنه، عم بما في عقد الهدنه، قد سمّاه أشباه الناس عالما و ليس به، بكر فاستكثر من جمع ما قلّ منه خير ممّا كثر، حتّى إذا ارتوى من آجن، و اکتنز من غير طائل، جلس بين الناس قاضيا، ضامنا لتخليص ما التبس على غيره، فإن نزلت به إحدى المبهمات هيأ لها حشوا رثًا من رأيه، ثم قطع به، فهو من لبس الشبهات مثل نسج العنكبوت، لا- يدرى أصاب أم أخطأ، فإن أصاب خاف أن يكون قد أخطأ، و إن أخطأ رجا أن يكون قد أصاب، جاهل خيَّاط جهالات، عاش ركباب عشوات، لم يعضّ على العلم بضرر قاطع، يذرى الزوايات إذ راء الزريح الهشيم، لا ملئى و الله بإصدار ما ورد عليه، و لا هو أهل لما فوّض إليه، لا

يحسب العلم فى شىء ممّا أنكره، ولا يرى أنّ من وراء ما بلغ منه مذهبا لغيره، وإن أظلم عليه أمر اكتتم به، لما يعلم من جهل نفسه، تصرخ من جور قضائه الدماء، و تعجّ منه الموارىث، إلى الله أشكو من معشر يعيشون جهّالا، و يموتون ضالّالا، ليس فيهم سلعه أبور من الكتاب إذا تلى حقّ تلاوته، و لا سلعه أنفق بيعا، و لا أعلى ثمنا من الكتاب إذا حرّف عن مواضعه، و لا عندهم أنكر من المعروف و لا أعرف من المنكر.

اللغة

(وكله) إلى نفسه بالتخفيف يكله و كالا- و وكولا- تركه و نفسه و (الجائر) باعجام الأوّل أو باعجامهما و فى بعض نسخ الكافى بالمهملتين و المعانى متقاربه أى عادل أو متجاوز أو حيران (عن قصد السبيل مشغوف) بالغين المعجمه و فى بعض النسخ بالمهملة و بهما قرء قوله تعالى: قد شغفها حبّا و على الأوّل فهو مأخوذ من شغاف القلب أى حجابته أو سويدها، و على الثانى من الشّعف و هو شدّه الحبّ و إحراقه القلب و (البدعه) اسم من ابتدع الأمر إذا أحدثه كالرّفعه من الارتفاع و الخلفه من الاختلاف و (الهدى) بفتح الأوّل و سكون الثانى الطريقه و السيره أو بالضّمّ و القصر و هو الرّشاد و (رهن) و فى بعض النسخ رهين أى مأخوذ و (القمش) جمع الشىء من ههنا و ههنا و (موضع) بضّم الميم و كسر الضاد مسرع من وضع البعير أسرع و أوضعه راكبه فهو موضع به أى أسرع به و (غار) بالغين المعجمه و الرّاء المهملة المشدّده أى غافل و فى بعض النسخ عاد بالعين و الدّال المهملتين من العدو بمعنى السعى أو من العدوان، و فى أكثر نسخ الكافى عان بالعين و التّون من

قولهم عنى فيهم اسيرا أى أقام فيهم على اساره و احتبس و عناه غيره حبسه، و العانى الأسير او من عنى بالكسر بمعنى تعب أو من عنى به فهو عان اشتغل و اهتم به، و (الأغباش) جمع غباش كسبب و أسباب و هو ظلمه آخر الليل، و فى بعض النسخ أغطاش الفتنة، و الغطش أيضا الظلمه.

و عمى عما كرضى ذهب بصره كله فهو أعمى و (عم) و هى عمياء و عميه و العمى أيضا ذهاب بصر القلب و البكره و البكور هو الصيِّباح و (بكر) و بكر بالتشديد و التخفيف إذا دخل فيه و كثيرا ما يستعملان فى المبادره و الاسراع إلى شىء فى أى وقت كان، و منه الحديث بكَروا بصلاه المغرب أى صلّوها عند سقوط القرص و روى من الماء بالكسر و (ارتوى) امتلا من شربه و الماء (الآجن) المتغير الطعم و اللون و (اكتنز) من الاكتناز و هو الاجتماع و فى بعض النسخ و أكثر و هو الظاهر.

و (التخليص) التبيين و هو قريب من التلخيص أو هما واحد و (الحشو) فضل الكلام و (الزّث) بفتح الزّاء و التشديد الخلق ضدّ الجديد و (عاش) خابط فى ظلام و (العشوه) بتثليث الأوّل الأمر الملتبس الذى لا يعرف وجهه مأخوذه من عشوه الليل أى ظلمته (و ذرت) الريح الشىء ذروا و أذرتة إذا راء أطارته و قلبته و (الهشيم) الثّبت اليابس المنكسر و فى بعض الروايات يذر و الروايات ذرو الريح و فى بعضها يذرى الروايات ذرو الريح الهشيم، و توجيهه مع كون الذّرو مصدر يذر و لا يذرى هو كونهما بمعنى واحد حسبما عرفت فصّح إقامه مصدر المجزّد مقام مصدر المزيد (و الملىء) بالهمزه الثقه الغنى قال الجزرى: قد أولع الناس بحذف الهمزه و تشديد الياء و (يحسب) إمّا بكسر السين من الحسبان، و إمّا بالضمّ من الحساب و (العجّ) رفع الصّوت و (السّله) بالكسر المتاع و (أبور) أفعل من البور و هو الفاسد و بار الشىء فسد و بارت السّله كسدت و لم ينفق، و هو المراد ههنا و أصله الفساد أيضا و (نفق) البيع إذا راج.

قوله بكر فاستكثر من جمع ما قلّ منه خير ممّا كثر روى من جمع منوّنا و بغير تنوين أمّا بالتّنين فيحتمل كونه بمعنى المفعول أى من مجموع و كونه على معناه الحقيقي المصدرى و على كلّ تقدير فما موصوله مبتداء و خير خبره و قلّ صلته و فاعل قلّ ضمير مستكن عايد إلى الاستكثار المفهوم من استكثر و ضمير منه عايد إلى الموصول و الجملة مجروره المحلّ لكونها بدلا للجمع، و أمّا بدون التّنين فالموصوف محذوف و هو المضاف إليه أى من جمع شىء الذى قلّ منه خير، فما على ذلك موصوله و يحتمل كونها مصدرية أى من جمع شىء قلّته خير من كثرته.

وقيل إنّ جمع مضاف إلى ما و المحذوف هو ان المصدرية بعدها، و قلّ مبتداء بتقديرها على حدّ و تسمع بالمعدي خير من أن تراه، أى من جمع ما أن أقلّ منه أى قلّته خير، و فى روايه الكافى بكر فاستكثر ما قلّ منه خير، و قوله: و اكتنز من غير طائلاسناد اكتنز إلى فاعله و هو الرّجل الموصوف إمّا على سبيل المجاز أو فى الكلام تقدير أى اكتنز له العلوم الباطله، و على ما فى بعض النسخ من قوله:

فاكثر من غير طائل لا يحتاج إلى تكلف، و ضامنا إمّا صفه لقاضيا أو حال بعد حال.

المعنى

إشارة

اعلم أنّ البغض كالحبّ الذى هو ضدّه لما كان من صفات النّفس أعنى نفار النّفس عن الشىء و كان إسناده إليه سبحانه محالا لا جرم ينبغى أن يراد به حيثما اسند إليه معناه المجازى أعنى سلب الفيض و الاحسان و هذا المعنى هو المراد بقوله عليه السّلام: (انّ أبغض الخلائق إلى الله رجلان) مما ز جان بين الحقّ و الباطل متشبهان بذيل الشّبّهات و الجهالات يحسبان أنّها من علوم الدّين و مراتب اليقين.

و إنّما كانا أبغض الخلائق باعتبار أنّ ضررهما النّاشى من جهالتهما بأمر الدّين لم يكن راجعا إلى أنفسهما فقط، بل متعدّيا إلى الغير و ساريا إلى الأتباع و باقيا فى الأعقاب إلى يوم القيامة فكانا مع ضلالتهما فى نفسهما مضلّين لغيرهما عن

سلوك جادّه اليقين و تحصيل معارف الدين، فلذلك كانا أبغض الخلائق.

و كيف كان فأحمد الرّجلين (رجل و كله الله إلى نفسه) أى فوّض إليه أمره و خلاه و نفسه و جعل و كوله و اعتماده عليها لظّنه الاستقلال فى نفسه على القيام بمصالحه و زعمه القدره على تحصيل المراد و الوصول إليه بالرأى و القياس و الاستحسانات الفاسده التى لا أصل لها، و الرّوايات التى لم تؤخذ من مأخذها فلا جرم أفاض الله عليه صورته الاعتماد على نفسه فيما يريد من امور الدين و قوانين الشّرع المبين فلم يدر أنّه هللك فى أى واد:

«وَمَنْ يُضَلِّلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ» و حيث إنّه كان اعتماده عليه (فهو جائر عن قصد السبيل) و مائل عن طريق الحقّ و ضالّ عن الصّراط المستقيم و واقع فى طرف الافراط من فضيله العدل قريب من الشّر بعيد عن الخير كما ورد فى بعض الأدعيه: و لا تكلنى إلى نفسى طرفه عين، فانك ان و كلتنى إلى نفسى تقربنى من الشرّ و تباعدنى من الخير.

و سرّ ذلك أنّ النّفس بالذّات مايله إلى الشرّ فاذا سلبت عنها أسباب التوفيق و الهدايه تاهت فى طريق الضلاله و الغوايه (مشغوف بكلام بدعه و دعاء ضلاله) أى دخل حبّ كلام البدعه و دعوته النّاس إلى الضلاله شغاف قلبه أى حجاب به أو سويده و على كونه بالعين المهمله فالمعنى أنّه غشى حبّها قلبه من فوقه إذ الشّعفه من القلب رأسه عند معلق النّياط، و هو عرق علق به القلب إذا انقطع مات صاحبه، و على أى تقدير فالمقصود به كونه أشدّ حبّا و أفرط ميلا إلى كلامه الذى لا أصل له فى الدين و دعوته المضلّه عن نهج اليقين، فهو من الأخسرين أعمالا الذين ضلّ سعيهم فى الحيوه الدّنيا فهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعا.

كما قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: كلّ بدعه ضلاله و كلّ ضلاله فى التّار و عنه صلّى الله عليه و آله و سلّم أيضا فى روايه الكافى: أبى الله لصاحب البدعه بالتّوبه، قيل: يا رسول الله و كيف ذلك؟ قال: إنّّه قد اشرب قلبه حبّها

و لا بأس بتحقيق الكلام فى معنى البدعه و قد عرفت معناها اللغوى و غلبت فى العرف على ما هو زياده فى الدين أو نقصان منه، و قيل: كل ما لم يكن فى زمن النبى صلى الله عليه و آله و سلم فهو بدعه.

و ردّه الأردبيلى بمنع الشرطيّه و قال: البدعه هى كل عبادته لم تكن مشروعته ثم أحدثت بغير دليل شرعى أو دل دليل شرعى على نفيها فلو صلى أو دعى أو فعل غير ذلك من العبادات مع عدم وجودها فى زمانه صلى الله عليه و آله و سلم فإنه ليس بحرام لأن الأصل كونها عبادته و لغير ذلك مثل الصلاه خير موضوع و الدعاء حسن انتهى، و أنت خير بما فى تخصيصها بالعبادات لظهور عمومها لها و لغيرها.

و التحقيق فيها ما ذكره الشهيد قده فى القواعد قال فى محكى كلامه: و محدثات الامور بعد عهد النبى صلى الله عليه و آله و سلم تنقسم أقساما لا يطلق اسم البدعه عندنا إلا ما هو محرّم عندنا أولها الواجب كتدوين القرآن و السنّه إذا خيف عليها التفلت من الصدور فإن التبليغ للقرون الآتية واجب إجماعا و لا يتم إلا بالحفظ، و هذا فى زمن الغيبه واجب، و أمّا فى زمان ظهور الامام عليه السلام لأنه الحافظ لها حفظا لا يتطرق إليه خلل و ثانيها المحرّم؛ و هو كل بدعه تناولها قواعد التحريم و أدلته من الشريعة كتقديم غير المعصومين عليهم و أخذهم مناصبهم و استيثار و لاه الجور بالأموال و منعها مستحقّها و قتال أهل الحقّ و تشريدهم و إبعادهم و القتل على الظنّه و الالزام ببيعه الفساق و المقام عليها و تحريم مخالفتها و الغسل فى المسح و المسح على غير القدم، و شرب كثير من الأشربه، و الجماعه فى النوافل و الأذان الثانى يوم الجمعة، و تحريم المتعتين، و البغى على الامام و توريث الأبعاد و منع الأقارب، و منع الخمس أهله و الافطار فى غير وقته إلى غير ذلك من المحدثات المشهورات، و منها توليه المناصب غير الصالح لها ببذل أو إرث أو غير ذلك.

و ثالثها المستحبّ و هو ما تناولته أدلّه الندب كبناء المدارس و الرّبط، و ليس منه اتخاذ الملوكة الاهبه ليعظموا فى النفوس اللهم إلا أن يكون مرهبا للعدو.

و رابعها المكروه، و هو ما شملته أدلّه الكراهه كالزياده فى تسبيح الزهراء

عليها السّلام و ساير الموظّفات أو النقيصه منها و التّنعّم في الملابس و المآكل بحيث يبلغ الاسراف بالنّسبه إلى الفاعل و ربّما أدّى إلى التّحريم إذا استضرّبه هو و عياله و خامسها المباح، و هو الدّاخل تحت الأدلّه المباحه كنخل الدّقيق فقد ورد أوّل شيء أحدثه النّاس بعد رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم اتّخاذ المناخل لأنّ لين العيش و الرّفاهيه من المباحات فوسيلته مباحه انتهى كلامه رفع مقامه.

و قد تحصّل من ذلك أنّ البدعه عباره عن محدثات الامور المحرّمه و أنّ الرّجل الموكول إلى نفسه الجائر عن قصد السّبيل قد شغف بها و بدعوته إلى الضلاله و من أجل ذلك كان سببا لضلّاله من أجاب دعوته (فهو فتنه لمن افتتن به) و بلاء لمن اتبع له (ضالّ عن هدى من كان قبله) أى عن سيره أئمه الدّين و طريقه أعلام اليقين الذين أخذوا العلوم الحقيقيه و المعارف اليقنيه بالهام الهىّ و إرشاد نبوىّ، و ذلك من حيث اغتراره بنفسه و اعجاباه بكلامه و استقلاله برأيه و استغنائه بما اخترعه فهمه و ما ابتدعه و همه عن الرّجوع إليهم و العكوف عليهم.

كما قال أبو الحسن موسى بن جعفر عليهما السّلام (١) لعن الله أبا حنيفه كان يقول: قال علىّ و قلت أنا، و قالت الصّيحابه و قلت هذا و علىّ كون هدى في كلامه عليه السّلام بضمّ الهاء و الألف المقصوره فالمراد به كونه ضالّا عن الصّراط المستقيم مع وجود هدى قبله مأمور باتّباعه و هو كتاب الله و سنّه رسوله و أعلام هداه الحاملون لدينه، لما أشرنا اليه من استبداده برأيه الفاسد و نظره الكاسد نظير ما صدر عن أبى حنيفه و نظرائه.

كما حكاه الزّمخشريّ في ربيع الأبرار قال: قال يوسف بن أسباط: ردّ أبو حنيفه علىّ النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم أربعمائاه حديث أو أكثر قيل: مثل ما ذا؟ قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: للفرس سهمان، و قال أبو حنيفه: لا أجعل سهم بهيمه أكثر من سهم المؤمن و أشعر رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و أصحابه البدن، و قال أبو حنيفه: الاشعار مثله، و قال

ص: ٢٥٣

١- (١) رواه في الكافي في باب البدع و الرأى، منه.

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: البيعان بالخيار ما لم يفترقا، وقال أبو حنيفة إذا وجب البيع فقد لزم، و كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقرع بين نسائه إذا أراد سفرا، وقال أبو حنيفة: القرع قمار انتهى (مضلل لمن اقتدى به في حياته و بعد موته) و ذلك لأن من كان ضالاً في نفسه و مشعوفاً بكلامه البدعه و دعائه الضالّ لا بد أن يكون مضللاً و سبباً لا ضلال غيره في حال حياته و هو ظاهر، و بعد مماته أيضاً من حيث بقاء العقائد الباطلة و المذاهب الفاسده المكتسبه عنه بعده، ألا ترى كيف بقى مذهب أبي حنيفة و الشافعي و أحمد بن حنبل و مالك و غيرها من المذاهب المبتدعه و الآراء المخترعه المضللّه إلى الآن؟ و تبقى إلى ظهور صاحب الزمان فتبعها جمع كثير و تضلّ بها جم غفير و لذلك صار هذا الرجل المضللّ (حمّال خطايا غيره) كحملة خطايا نفسه حيث كان سبباً لضلّالته فهو (رهين بخطيئته) كما أنه رهين بخطيئته غيره مأخوذ بها و معاقب عليها كما قال سبحانه:

«لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ مِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ» قال الفخر الرازي: إنه يحصل للرؤساء مثل أوزار الأتباع، و السبب فيه ما روى عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: أيما داع دعا إلى الهدى فاتبع كان له مثل أجر من اتبعه لا ينقص من أجورهم شيء، و أيما داع دعا إلى ضلاله فاتبع كان عليه مثل وزر من اتبعه لا ينقص من آثامهم شيء.

و اعلم أنه ليس المراد أنه تعالى يوصل العقاب الذي يستحقّه الأتباع إلى الرؤساء، لأن هذا لا يليق بعدل الله و الدليل عليه قوله تعالى:

«وَ أَنْ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى» و قوله: «وَ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى» بل المعنى أن الرئيس إذا وضع سنّه قبيحه عظم عقابه حتّى أن ذلك العقاب

يكون مساويا لكل ما يستحقه كل واحد من الأتباع.

قال الواحدى: لفظه من فى قوله: و من أوزار الذين يضلونهم، ليست للتبعيض لأنها لو كانت للتبعيض لخفف عن الأتباع بعض أوزارهم و ذلك غير جاز لقله عليه السلام من غير أن ينقص من أوزارهم شىء، و لكنّها للجنس أى ليحملوا من جنس أوزار الأتباع هذا.

و لما فرغ من أوصاف أول الرّجلين أشار إلى ثانيهما و ذكر له أحدا و عشرين وصفا.

الأول ما أشار إليه بقوله:(و رجل قمش جهلا)أى جمعه من أفواه الرّجال أو من الرّوايات الغير الثّابته عن الحجّه أو ممّا اخترعه و همه بالقياس و الاستحسان و استعار لفظ الجمع المحسوس للمعقول بقصد الايضاح.

الثانى أنّه (موضع فى جهّال الامّه) يعنى أنّه مسرع بين الجهّال أو أنّه مطرح فيهم وضيع ليس من أشرف الناس على ما ذكره البحرانى من كون وضع بفتح الضّاد، و قال إنّ يفهم منه أنّه خرج فى حقّ شخص معيّن و إن عمّه و غيره.

الثالث أنّه (غار فى أغباش الفتنة) أى غافل فى ظلمات الخصومات لا يهتدى إلى قطعها سبيلا، و قد مرّ فيه وجوه آخر فى بيان اللّغه.

الرّابع أنّه (عم بما فى عقد الهدنه) يعنى أنّه عميت بصيرته عن ادراك مصالح المصالحه بين الناس فهو جاهل بالمصالح مثير للفتن.

الخامس أنّه (قد سمّاه أشباه الناس عالما و ليس به) و المراد بأسبابه الناس العوام و الجهّال لخلوّهم عن معنى الانسانيه و حقيقتها و هم يشبهون النّاس فى الصّوره الظاهره الحسيه التى بها يقع التمايز على ساير الصّور البهيميه، و لا يشبهون فى الصّور الباطنيه العقليه التى هى معيار المعارف اليقينيّه و العلوم الحقيقته، فهؤلاء الأشباه لفقد بصائرهم و نقصان كمالاتهم ينخدعون بتمويه ذلك الرّجل و يزعمون من تلبسه بزى العلماء أنّه عالم مع أنّه ليس بعالم

السادس أنه (بكر فاستكثر من جمع ما قل منه خير ممّا كثر) يعني أنه أسرع و بادر في كل صباح، و هو كناية من شدة اهتمامه و طلبه في كل يوم أو في أول العمر إلى جمع شيء فاستكثر منه ما قبله خير من كثيره، أو قلته خير من كثرته، و المراد بذلك الشيء إمّا زهرات (1) الدنيا و أسبابها، و يؤيده مناسبه لما قبله يعني أنه لم يطلب العلم و لكن طلب أسباب الدنيا التي قليلها خير من كثيرها، هذا إن كان جمعها على وجه الحلال و إلا فلا خير فيه أصلاً، و إمّا الشبهات المضلّة و الآراء الفاسده و العقائد الباطله و يؤيده زياده ارتباط ذلك بما بعده، و على التقديرين فيه تنبيه على غايه بعده عن الحقّ و العلم لرسوخ الباطل في طبعه و ثبوته في ذهنه.

السابع ما يترتب على بكوره و استكثره من جمع الشبهات، و هو ما أشار إليه بقوله: (حتى إذا ارتوى من آجن) يعني حصل له الامتلاء من شرب الماء الآجن المتعفن (و اكتنز) أي اجتمع له العلوم الباطله (من غير طائل) و لا فائده يتصوّر فيها (جلس بين الناس قاضياً) استعار الآجن للشبهات الفاسده و الأفكار الباطله و العلوم الحاصله له من الاستحسانات و الاقيسه، كما يستعار عن العلوم الحقيقيه و المعارف اليقينيّه بالماء الصافي الزلال، ثمّ و شح تلك الاستعاره بذكر الارتواء و جعل غايته المشار إليها من ذلك الاستكثر جلوسه بين الناس قاضياً.

الثامن كونه (ضامناً لتخليص ما التبس على غيره) لوثوقه من نفسه بفصل ما بين الناس من الخصومات و المرافعات و ظنّه القابليّه لقطع المنازعات، و منشأ ذلك الوثوق و الاطمينان هو زعمه أن العلوم الحاصله له من آرائه الفاسده و أقيسته الباطله علوم كامله كافيّه في تخليص الملتبسات و تخليص المشكلات مع أنّها ليست بذلك.

التاسع ما أشار إليه بقوله: (فان نزلت به إحدى المبهمات هيأ لها حشوا

ص: ٢٥٦

رثًا من رأيه ثم جزم به) يعنى أنه إذا نزلت به إحدى المسائل المبهمة المشكله الملتبس عليه وجه فصلها و طريق حلها هيا لها كلاما لا طائل تحته و لا غناء فيه و أعدّ لحلها وجها ضعيفا من رأيه ثم قطع به كما هو شأن أصحاب الجهل المركب.

العاشر ما تبّه عليه بقوله:(فهو من لبس الشبهات فى مثل نسج العنكبوت)نسج العنكبوت مثل للامور الواهيه كما قال سبحانه:

«وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبُيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» قال الشارح البحرانى: و وجه هذا التمثيل أنّ الشبهات التى تقع على ذهن مثل هذا الموصوف إذا قصد حلّ قضيه تكثرت فيلتبس على ذهنه وجه الحقّ منها فلا يهتدى له لضعف ذهنه، فتلك الشبهات فى الوها تشبه نسج العنكبوت، و ذهنه فيها يشبه ذهن الدّباب الواقع فيه، فكما لا- يتمكن الدّباب من خلاص نفسه من شباك العنكبوت لضعفه، فكذا ذهن هذا الرّجل لا يقدر على التخلّص من تلك الشبهات، و قال المحدّث المجلسى بعد نقله كلام البحرانى هذا: أقول: و يحتمل أيضا أن يكون المراد تشبيه ما يلبس على الناس من الشبهات بنسج العنكبوت لضعفها و ظهور بطلانها لكن تقع فيها ضعفاء العقول فلا يقدرّون على التخلّص منها لجهلهم و ضعف يقينهم، و الأوّل أنسب بما بعده.

الحادى عشر أنه (لا- يدري أصاب) فيما حكم به (أم أخطأ فان أصاب خاف أن يكون قد أخطأ و إن أخطأ رجا أن يكون قد أصاب) و خوف الخطاء مع الاصابه و رجاء الاصابه مع الخطاء من لوازم عدم الدّرايه فى الحكم و الافتاء.

الثانى عشر أنه (جاهل خباط جهالات) أراد به أنه جاهل بالأحكام كثيرا لخبط فى جهلاته، كنى به عن كثره أغلاطه التى يقع فيها فى القضايا و الأحكام فيمشى فيها على غير طريق الحقّ من القوانين، و ذلك معنى خبطه مأخوذ من خبط العشواء و هى النّاقه التى فى بصرها ضعف تخبط بيدها كلّ شىء إذا مشت.

الثالث عشر أنه (عاش ركاب عشوات) يعنى أنّ به عشاوه و سوء بصر بالليل

و النَّهَارِ وَ أَنَّهُ كَثِيرُ الرَّكُوبِ عَلَى الْأُمُورِ الْمَلْتَبِسَةِ الْمَظْلَمَةِ، قَالَ الشَّارِحُ الْبَحْرَانِيُّ رَهْ وَ هِيَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ لَا يَسْتَتِجُ نُورَ الْحَقِّ فِي ظِلْمَاتِ الشَّبَهَاتِ إِلَّا عَلَى ضَعْفٍ وَ نَقْصَانٍ فِي نُورِ بَصِيرَتِهِ، فَهُوَ يَمْشِي فِيهَا عَلَى مَا يَتَخَيَّلُهُ دُونَ مَا يَتَحَقَّقُهُ مِنَ الصِّفَةِ هَذِهِ، أَيْ وَ كَثِيرًا مَا يَكُونُ حَالُهُ كَذَلِكَ وَ لَمَّا كَانَ مِنْ شَأْنِ الْعَاشِي إِلَى الضُّوءِ فِي الطَّرِيقِ الْمَظْلَمَةِ تَارَهُ يَلُوحُ لَهُ فَيَمْشِي عَلَيْهِ وَ تَارَهُ يَخْفَى عَنْهُ فَيُضَلُّ عَنِ الْقَصْدِ وَ يَمْشِي عَلَى الْوَهْمِ وَ الْخِيَالِ كَذَلِكَ حَالَ السَّالِكِ فِي طَرِيقِ الدِّينِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْتَكْمَلَ نُورَ بَصِيرَتِهِ بِقَوَاعِدِ الدِّينِ وَ يَعْلَمُ كَيْفِيَّةَ سَلُوكِ طَرِيقِهِ، فَأَنَّهُ تَارَهُ يَكُونُ نُورَ الْحَقِّ فِي الْمَسْأَلَةِ ظَاهِرًا فَيُدْرِكُهُ وَ تَارَهُ يَغْلِبُ عَلَيْهِ ظِلْمَاتُ الشَّبَهَاتِ فَتَعْمَى عَلَيْهِ الْمَوَارِدُ وَ الْمَصَادِرُ فَيَبْقَى فِي الظُّلْمَةِ خَاطِبًا وَ عَنِ الْقَصْدِ جَائِرًا.

الرَّابِعُ عَشْرَ أَنَّهُ (لَمْ يَعِضْ عَلَى الْعِلْمِ بِضُرْسٍ قَاطِعٍ) وَ هُوَ كُنْيَاةٌ عَنِ عَدَمِ نَفَازِ بَصِيرَتِهِ فِي الْعُلُومِ وَ عَدَمِ اتِّقَانِهِ لِلْقَوَانِينِ الشَّرْعِيَّةِ لِيَنْتَفِعَ بِهَا اتِّفَاعًا تَامًا، يُقَالُ فُلَانٌ لَمْ يَعِضْ عَلَى الْعِلْمِ بِضُرْسٍ قَاطِعٍ إِذَا لَمْ يَحْكَمْهَا وَ لَمْ يَتَقَنَّهَا، وَ أَصْلُهُ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَمْضِغُ الطَّعَامَ الَّذِي هُوَ غِذَاؤُهُ ثُمَّ لَا يَجِيْدُ مَضْغَهُ لِيَنْتَفِعَ بِهِ الْبَدَنُ اتِّفَاعًا تَامًا فَمِثْلُ بِهِ مِنْ لَمْ يَحْكَمْ وَ لَمْ يَتَقَنَّ مَا يَدْخُلُ فِيهِ مِنَ الْمَعْقُولَاتِ الَّتِي هُوَ غِذَاءُ الرُّوحِ لِيَنْتَفِعَ بِهِ الرُّوحُ اتِّفَاعًا كَامِلًا.

الخَامِسُ عَشْرَ أَنَّهُ (يَذَرِي الرُّوَايَاتِ إِذْرَاءَ الرِّيْحِ الْهَشِيمِ) الْيَابِسِ مِنَ النَّبَاتِ الْمُنْكَسِرِ وَ فِيهِ تَشْبِيهُ تَمَثُّلِيٍّ وَ وَجْهَ الشَّبَهِ صَدُورِ فِعْلِ بِلَا رُويَةٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعُودَ إِلَى الْفَاعِلِ نَفْعٍ وَ فَائِدَةٍ، فَأَنَّ هَذَا الرَّجُلَ الْمَتَصَفِّحَ لِلرُّوَايَاتِ لَيْسَ لَهُ بَصِيرَةٌ بِهَا وَ لَا شَعُورٌ بِوَجْهِ الْعَمَلِ عَلَيْهَا بَلْ هُوَ يَمْرٌ عَلَى رُويَةٍ بَعْدَ أُخْرَى وَ يَمْشِي عَلَيْهَا مِنْ غَيْرِ فَائِدَةٍ، كَمَا أَنَّ الرِّيْحَ الَّتِي تَذَرِي الْهَشِيمَ لَا شَعُورَ لَهَا بِفِعْلِهَا وَ لَا يَعُودُ إِلَيْهَا مِنْ ذَلِكَ نَفْعٌ.

السِّدَّاسُ عَشْرَ أَنَّهُ (لَا مَلِيءٌ وَ اللَّهُ بِاصْدَارِ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ) أَيْ لَيْسَ لَهُ مِنَ الْعِلْمِ وَ الثَّقَةِ قَدْرٌ مَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَصْدُرَ عَنْهُ انْحِلَالٌ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ مِنَ الشَّبَهَاتِ وَ الْإِشْكَالَاتِ.

السِّبَاعُ عَشْرَ مَا فِي بَعْضِ نَسَخِ الْكِتَابِ مِنْ قَوْلِهِ: (وَ لَا هُوَ أَهْلٌ لِمَا فَوَّضَ إِلَيْهِ) أَيْ لَيْسَ هُوَ بِأَهْلٍ لِمَا فَوَّضَ إِلَيْهِ النَّاسُ مِنْ أُمُورِ دِينِهِمْ، وَ أَكْثَرَ النَّسَخِ خَالَ مِنْ

ذكر هذا الوصف و في روايه الكافي الآتيه و لا هو أهل لما منه فرط بالتخفيف بمعنى سبق و تقدّم أى ليس هو أهل لما ادّعاه من علم الحقّ الذى من أجله سبق الناس و تقدّم عليهم بالرّياسه و الحكومه، و ربّما يقرأ بالتشديد أى ليس هو من أهل العلم كما يدّعيه لما فرط فيه و قصّير عنه، و عن الارشاد و لا يندم على ما منه فرط، و قال الشّارح المعتزلى: و في كتاب ابن قتيبه و لا أهل لما فرط به قال: أى ليس بمستحقّ للمدح الذى مدح به.

الثامن عشر أنّه (لا- يحسب العلم فى شىء ممّا أنكره) و لم يعرفه يعنى أنّ ذلك الرّجل يعتقد أنّ ماله من العلم المغشوش المدلس بالشّبّهات الذى يكون الجهل خيرا منه بمراتب هو العلم و لا- يظنّ لغايه جهله وجود العلم لأحد فى شىء ممّا جهله لاعتقاده أنّه أعلم العلماء و أنّ كلّ ما هو مجهول له مجهول لغيره بالطريق الأولى، و على احتمال كون يحسب من الحساب على ما مرّت إليه الاشاره فالمعنى أنّه لا يعدّ ما ينكره علما و لا يدخله تحت الحساب و الاعتبار بل ينكره كساير ما أنكره.

التّاسع عشر ما أشار إليه بقوله:(و لا يرى أنّ من وراء ما بلغ منه مذهبا لغيره) يعنى أنّه لو فور جهله يظنّ أنّه بلغ غايه العلم فليس بعد ما بلغ إليه فكره لأحد موضع تفكر و مذهب صحيح.

العشرون ما تبه عليه بقوله:(و إن أظلم عليه أمر اكنتم به) أى إن صار عليه أمر من امور الدّين مظلما مشتبهها لا يدري وجه الحقّ فيه و لا وجه الشّبّهه أيضا اكنتم به و ستره من غيره من أهل العلم و غيرهم و ذلك (لما يعلم من جهل نفسه) بذلك الأمر و عدم معرفته به حتّى من وجه الشّبّهه و الرّأى فيستره و يخفيه و لا يسأله من غيره و لا يصغى إلى غيره حتّى يستفيده، و ذلك لثلا يقال: إنّ لا يعلمه فيحفظ بذلك علوّ منزلته بين الناس كما هو المشاهد من قضاة السّوء، فإنّهم كثيرا ما يشكل عليهم الأمر فى القضايا و الأحكام فيكتتمون ما أشكل عليهم و لا- يسألون أهل العلم عنه لثلا- يظهر جهلهم بين أهل الفضل مراعاة لحفظ المنزله و المناصب.

الحادى و العشرون أنّه(تصرخ من جور قضاة الدّماء و تعجّ منه المواريث)

و يستحلّ بقضائه الفرج الحرام و يحرم بقضائه الفرج الحلال، كما فى روايه الكافى الآتية و نسبه الصّيراخ إلى الدّماء و العجيج إلى المواريث إمّا من قبيل الحذف و الايصال، أى تصرخ أولياء الدّماء و تعجّ مستحقّوا المواريث، أو من قبيل المجاز فى الاسناد على نحو صام نهاره مبالغه على سبيل التمثيل و التخييل بتشبيه الدّماء و المواريث بالانسان الباكى من جهة الظلم و الجور و إثبات الصّيراخ و العجيج لهما، أو من قبيل الاستعاره التحقيقيه التبعيّه باستعاره لفظ الصّيراخ و العجيج لنطق الدّماء و المواريث بلسان حالها المفصح عن مقالها، و وجه المشابهه أنّ الصّيراخ و العجّ لما كانا يصدران من ظلم و جور و كانت الدّماء المهراقه و المواريث المستباحه بالأحكام الباطله ناطقه بلسان حالها مفصحه بالتظلم و الشكايه، لا جرم حسن تشبيه نطقها بالصّراخ و العجّ و استعارتهما له، فالمعنى أنّه تنطق الدّماء و المواريث بالشكايه و التظلم من جور قضاياه و أحكامه.

و أمّا استحلال الفرج الحرام بقضائه و تحريم الفرج الحلال فأمّا من أجل جهله بالحكم أو لخطائه و سهوه فى موضع الحكم لعدم مراعاة الاحتياط أو لوقوع ذلك منه عمدا لغرض دنيوى كالتقرّب بالجائر أو أخذ الرّشوه أو نحو ذلك.

ثمّ أنّه عليه السّلام بعد أن خصّ الرجلين المذكورين بما ذكر فيهما من الاوصاف المنفره على سبيل التفصيل، أردف ذلك بالتنفير عنهما على الاجمال بما يعتمهما و غيرهما من ساير الجهال و الضلال فقال: (إلى الله أشكو من معشر يعيشون جهّالا و يموتون ضلّالا) و الثّانى مسبّب عن الأوّل إذ العيش على الجهاله يؤدّى إلى الموت على الضّلاله (ليس فيهم سلعه) و متاع (أبور من الكتاب إذا تلى حقّ تلاوته) يعنى إذا فسّر الكتاب و حمل على الوجه الذى انزل عليه و على المعنى الذى اريد منه اعتقدوه فاسدا و طرحوه لمنافاه ذلك الوجه و المعنى لأغراضهم (و لا سلعه أنفق بيعا) أى أكثر رواجا (و لا أعلى ثمنا إذا حرّف عن مواضعه) و مقاصده الأصليّه و نزل على حسب أغراضهم و مقاصدهم و منشأ كلّ ذلك و أصله هو الجهل (و لا عندهم أنكر من المعروف و لا أعرف من المنكر) و ذلك لأنّ المعروف لما خالف أغراضهم و مقاصدهم طرحوه

حتى صار منكرا بينهم يستقبحون فعله و المنكر لما وافق دواعيهم و لائم طباعهم لزموه حتى صار معروفا بينهم يستحسنون إتيانه هذا.

و ينبغي الاشارة إلى الفرق بين الرجلين الموصوفين فأقول:

قال الشارح المعتزلي: فان قيل: بينوا الفرق بين الرجلين اللذين أحدهما وكله الله إلى نفسه و الآخر رجل قمش جهلا؟ قيل: أما الرجل الأول فهو الضال في اصول العقائد كالمشبه و المجبر و نحوهما، ألا تراه كيف قال: مشغوف بكلام بدعه و دعاء ضلاله، و هذا يشعر بما قلناه من أن مراده به المتكلم في أصول الدين و هو ضال عن الحق، و لهذا قال: إنه فتنه لمن افتتن به ضال عن هدى من قبله مضل لمن يجيء بعده، و أما الرجل الثاني فهو المتفقه في فروع الشرعيات و ليس بأهل لذلك كفقهاء السوء ألا تراه كيف يقول: جالس بين الناس قاضيا، و قال أيضا:

تصرخ من جور قضائه الدماء و تعج منه المواريث.

و قال المحدث المجلسي قدده في كتاب مرآة العقول بعد حكاية كلام الشارح على ما حكيناها: أقول: و يمكن الفرق بأن يكون المراد بالأول من نصب نفسه لمناصب الافاده و الارشاد، و بالتالي من تعرض للقضاء و الحكم بين الناس و لعله أظهر.

و يحتمل أيضا أن يكون المراد بالأول العباد المبتدعين في العمل و العباده كالمصوفه و المرتاضين بالرياضات الغير المشروعه، و بالتالي علماء المخالفين و من يحذو حذوهم حيث يفتون الناس بالقياسات الفاسده و الآراء الواهيه و في الارشاد و أن أبغض الخلق عند الله عز و جل رجل و كله الله إلى نفسه إلى قوله: رهن بخطيئته و قد قمش جهلا، فالكل صفة لصنف واحد.

تكملة استبصاره

اعلم أنك قد عرفت الاشارة إلى أن هذا الكلام له عليه السلام مما رواه ثقة الاسلام الكليني في الكافي و صاحب الاحتجاج عطر الله مضجعهما فأحببت أن أذكر ما في الكتابين اعتضادا لما أورده الرضوي (ره) في الكتاب و معرفه لك بمواقع الاختلاف بين الروايات فأقول:

روى فى الكافى عن محمّد بن يحيى عن بعض أصحابه وعلّى بن إبراهيم عن هارون ابن مسلم عن مسعده بن صدقه عن أبى عبد الله عليه السّلام وعلّى بن إبراهيم عن أبىه عن ابن محبوب رفعه عن أمير المؤمنين عليه السّلام أنّه قال:

من أبغض الخلق إلى الله تعالى لرجلين: رجل و كله الله تعالى إلى نفسه فهو جائر عن قصد السبيل مشعوف بكلام بدعه قد لهج (١) بالصوم والصلاه فهو فتنه لمن افتتن به، ضالّ عن هدى من كان قبله، مضلّ لمن اقتدى به فى حياته و بعد موته حمال خطايا غيره رهن بخطيئته.

و رجل قمش جهلا فى جهال الناس عان بأعباش الفتنه قد سمّاه أشباه الناس عالما و لم يغن (٢) فيه يوما سالما، بكر فاستكثر ما قلّمه خير ممّا كثر حتّى إذا ارتوى من آجن و اكتنز من غير طائل جلس بين الناس قاضيا ضامنا لتلخيص (لتخليص خ) ما التبس على غيره، و إن خالف قاضيا سبقه لم يأمن أن ينقض حكمه من يأتى بعده كفعله بمن كان قبله، و إن نزلت به احدى المبهمات المعضلات هيأ لها حشوا من رأيه ثم قطع (٣).

فهو من لبس الشبهات فى مثل غزل العنكبوت لا يدرى أصاب أم أخطأ لا يحسب العلم فى شىء ممّا أنكر و لا يرى أنّ وراء ما بلغ فيه مذهبا، إن قاس شيئا بشىء لم يكذب نظره، و إن أظلم عليه أمر اكتتم به لما يعلم من جهل نفسه لكيلا يقال له:

لا يعلم، ثم جسر فقضى فهو مفاتيح (٤) (مفتاح خ ل) عشوات ركاب شبهات خباط جهالات لا يعتذر ممّا لا يعلم فيسلم، و لا يعضّ فى العلم بضرر قاطع فيغنم يدرى

ص: ٢٤٢

١- (١) اللهج بالشىء محرکه الولوع فيه و الحرص عليه اى هو حريص على الصوم و الصلاه و بذلك يفتتن به الناس، مرآت العقول.

٢- (٢) من قولك غنيت بالمكان اغنى اذا قمت به نهايه.

٣- (٣) اى جزم و فى النهج به و فى غيره عليه، مرآت العقول.

٤- (٤) اى يفتح على الناس ظلمات الشبهات و الجهالات أو بسببها، مرآت العقول.

الزوايات ذرو الزريح الهشيم تبكى منه المواريث و تصرخ منه الدماء و يستحل بقضائه الفرج الحرام، و يحرم بقضائه الفرج الحلال لا ملء باصدار ما عليه ورد، و لا هو أهل لما منه فرط، من ادعائه علم الحق.

و فى الاحتجاج و روى أنه عليه السلام قال: إن أبغض الخلائق إلى الله رجلان: رجل وكله الله إلى نفسه فهو جاير عن قصد السبيل؛ ساير بغير علم و لا دليل، مشعوف بكلام بدعه و دعاء ضلاله، فهو فتنه لمن افتتن به ضال عن هدى من كان قبله، مضل لمن اقتدى به فى حياته و بعد وفاته، حمال خطايا غيره، رهن بخطيئته.

و رجل قمش جهلا فوضع فى جهله الامه، عان باغباش فتنه، قد لهج منها بالصوم و الصلاه، عم بما فى عقد الهدنه قد سماه الله عاريا منسلخا و قد سماه أشباه الناس (الرجال خ ل) عالما، و لما يغن فى العلم يوما سالما، بكر فاستكثر من جمع ما قل منه خير مميا كثر حتى إذا ارتوى من آجن، و أكثر من غير طائل جلس بين الناس مفتيا قاضيا ضامنا لتخليص (تلخيص خ ل) ما التبس على غيره.

إن خالف من سبقه لم يأمن من نقض حكمه من يأتى من بعده كفعله بمن كان قبله، فان نزلت به إحدى المبهمات (المعضلات خ ل) هيأ لها حشوا من رأيه ثم قطع به، فهو من لبس الشبهات فى مثل نسج العنكبوت خباط جهالات، و ركاب عشوات، و مفتاح شبهات، فهو و إن أصاب أخطاء لا يدرى أصاب الحق أم أخطأ، إن أصاب خاف أن يكون قد أخطأ، و إن أخطأ رجا أن يكون قد أصاب.

فهو من رأيه مثل نسج (غزل خ ل) العنكبوت الذى إذا مرت به النار لم يعلم بها، لم يعرض على العلم بضرر قاطع فيغتم، يذرى الزوايات إذ راء الزريح الهشيم لا ملء و الله باصدار ما ورد عليه، لا يحسب العلم فى شىء ممّا أنكره، و لا يرى أن من وراء ما ذهب فيه مذهب ناطق، و إن قاس شيئا بشىء لم يكذب رأيه كيلا يقال له لا يعلم شيئا و إن خالف قاضيا سبقه لم يأمن فى صحته حين خالفه و إن أظلم عليه أمر اکتتم به لما يعلم.

من معشر (۱) يعيشون جهّالا- و يموتون ضالّالا لا- يعتذر ممّا لا يعلم فيسلم، تصرخ منه الدّماء، و تولول منه الفتياء و تبكى منه المواريث، و يحلّل بقضائه الفرج الحرام، و يحزّم بقضائه الفرج الحلال و يأخذ المال من أهله فيدفعه إلى غير أهله.

و روى الطبرسيّ و المفيد في الارشاد بعد روايه هذا الكلام نحو ما تقدّم أنّه عليه السّلام قال بعد ذلك:

أيّها النّاس عليكم بالطاعة و المعرفة بمن لا تعذرون بجهاله، فإنّ العلم الذي هبط به آدم عليه السّلام و جميع ما فضّلت به النّبیین إلى خاتم النّبیین في عتره نبيكم محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم، فأنّى يتاه بكم بل أين تذهبون يا من نسخ من أصلاب أصحاب السّيفينه، هذه مثلها فيكم فاركبوها، فكما نجا في هاتيكم من نجا فكذلك ينجو في هذه من دخلها أنا رهين بذلك قسما حقا و ما أنا من المتكلّفين، و الويل لمن تخلف ثمّ الويل لمن تخلف.

أما بغلکم ما قال فيکم نبيکم؟ حيث يقول في حجّه الوداع: إنّي تارکم فيکم الثّقلين ما إن تمسيّکتُم بهما لن تضلّوا بعدی، کتاب الله و عترتی أهل بيتی و أنّهما لم يفترقا حتّى یردا علیّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، ألا هذا عذب فرات فاشربوا، و هذا ملح اجاج فاجتنبوا.

الترجمه

از جمله کلام آن عالی مقام است در صفت کسی که متصدی شود بحکم کردن میان امّه محمّديه و حال این که اهلیت نداشته باشد، بتحقیق که دشمن ترین خلق بسوی خدا دو مردند یکی از این دو نفر مردی است که باز گذاشته باشد حق تعالی او را بنفس خودش، و الطاف خفیه خود را از او سلب نموده باشد پس آن بد روزگار تبه کار میل کننده است از میانه راه راست

ص: ۲۶۴

۱- (۱) هکذا فی نسخه الاحتجاج و الظاهر ان يكون الاصل الى الله من معشر و علی هذه النسخه فيحتمل ان يكون قوله من معشر خبر مبتدأ محذوف ای هو من معشر منه.

بمیان دل او رسانیده شده است سخنان بدعه و جهالت با این که دل سوخته شده است از فرط محبت باینکلام بدعه، و بخواندن مردم بگمراهی و ضلالت، پس آن مرد فتنه و بلا است مر آن کسی را که در فتنه و بلا افتاده باشد بواسطه او گمراه است از راه راست و طریقه مستقیم آن کسیکه بوده است پیش او گمراه کننده است مر کسی را که اقتدا نماید او را در حال حیات او و بعد از وفات او، بردارنده است بار گناهان غیر خود را، در گرو است بگناه خود و گرفتار است بکار تباہ خود.

و دومی از این دو نفر مردی است که جمع کرده جهالت را سرعه کننده است باین که وضع و پست گردانیده شده در میان جاهلان امه، غافل است در ظلمات خصومات بی بصیرت است به آن چه در عقد صلحست از مصالح مصالحه، بتحقیق که نام نهاده اند او را جهّال مردمان که در صورت انسان و در معنی حیوان می باشند عالم بعلوم شریعت و حال آنکه عالم نیست، بامداد کرد پس بسیار نمود از جمع آوردن چیزی که اندکی آن از او بهتر است از آنچه بسیار است، یا آنکه از جمع آوردن چیزی که کمی او بهتر است از زیاده آن، مراد فکرهای فاسده و رأیهای باطله است تا این که چون سیراب شد از آب متعفن گندیده، و پر شد از مسایل بی فایده ناپسندیده نشست در میان مردم در حالتی که حکم کننده است میان ایشان، ضامن است از برای خالص کردن آن چیزی که مشتبه است حل آن بر غیر او، پس اگر نازل بشود بر او یکی از قضایای مشکله مهیا میکند از برای آن سخنان بی فایده ضعیف و سست از رأی باطله خود، پس از آن جزم و قطع کند بآن کلام، پس او از پوشیدگی و التباس شبه ها افتاده است در امور واهیه که مثل تار عنکبوت است، نمی داند به صواب حکم میکند یا بخطاء، پس اگر بصواب حکم میکند می ترسد از آنکه خطا کرده باشد و اگر بخطا حکم نماید امید می دارد که صواب گفته باشد.

نادانست بسیار خبط کننده در نادانیها ضعیف البصر است در ظلمات جهل سواره شبّهات، نگزیده علم و دانش بدنندان برنده و این کنایه است از عدم ایقان بر قوانین شرعیه و عدم اتقان مسائل دینیّه، منتشر می سازد و می پراند روایات را مثل

پرانندن و منتشر کردن باد گیاه خشک را، بخدا سوگند که نیست قادر و توانا بیاز گردانیدن و جواب دادن آنچه وارد شده است بر او از مسائل، گمان نمی برد که علمی که و رای اعتقاد اوست فضیلتی داشته باشد، و گمان نمی کند این که از ورای آنچه رسیده است باو مذهبی بوده باشد مر غیر او را.

و اگر پوشیده و پنهان باشد بر او کاری پنهان می کند آن را بجهه آنکه می داند از جهل نفس خود به مسائل و می خواهد که آشکار نشود حال او بارباب فضائل فریاد می کند از جور حکم او خونهای ناحق ریخته، و می نالد از ستم او میراثهای مأخوذه با حکمهای باطله.

بسوی خداوند شکایت می کنم از جماعتی که زندگانی می کنند در حالتی که جاهلانند، و می میرند در حالتی که گمراهانند، نیست در میان ایشان هیچ متاعی که کاسدتر باشد از کتاب الله وقتی که خوانده شود حق خواندن بدون تحریف و تغییر، و نیست هیچ متاعی که رواج تر باشد از روی فروختن و نه پر بها باشد از کتاب خدا وقتی که تحریف و تغییر داده شود از مواضع خود، و نیست نزد ایشان زشت تر از معروف و نه نیکوتر از منکر، و الله العالم.

و من کلام له علیه السلام فی ذم اختلاف العلماء فی الفتیا

اشاره

و هو الثامن عشر من المختار فی باب الخطب

الجاری مجراها

و قد رواه الطبرسی فی الاحتجاج مرسلا عنه کالکتاب ترد علی أحدهم القضیه فی حکم من الأحکام فیحکم فیها برأیه، ثم ترد تلك القضیه بعینها علی غیره فیحکم فیها بخلاف غیره «قوله خ»

ص: ۲۶۶

ثم يجتمع القضاء بذلك عند الإمام الهندي استقضاهم فيصوب آرائهم جميعا، وإلههم واحد، ونييهم واحد، وكتابهم واحد، فأمرهم الله بالإختلاف فأطاعوه؟ أم نهيههم عنه فعصوه؟ أم أنزل الله دينا ناقصا فاستعان بهم على إتمامه؟ أم كانوا شركائه فلهم أن يقولوا وعليه أن يرضى؟ أم أنزل الله دينا تاما فقصير الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن تبليغه وأدائه؟ والله سبحانه يقول: «ما فرطنا في الكتاب من شيء» وقال: «فيه تبيان كل شيء» وذكر أن الكتاب يصدق بعضه بعضا، وأنه لا اختلاف فيه فقال سبحانه: «ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا» وإن القرآن ظاهره أنيق، وباطنه عميق، لا تفنى عجائبه «ولا تنقضى عجائبه خ» ولا تكشف الظلمات إلا به.

اللغة

(الفتيا) بالضم الفتوى و (استقضى) فلانا طلب إليه أن يقضيه و استقضى صير قاضيا و (التبيان) بالكسر وقد يفتح من المصادر الشاذة إذ المصادر على وزن التفعال لم تجيء إلا بالفتح كالتكرار والتذكار و (الأنيق) كأمر الحسن المعجب.

الأعراب

الضمير في غيره الثاني راجع إلى غيره الأول، و في بعض النسخ كالاحتجاج فيحكم فيها بخلاف قوله، فيكون مرجع الضمير فيه و في غيره الأول واحدا و هو أحدهم، و الواو في قوله و الههم واحد حالتيه كالتين بعدها، و الهمزة في قوله

أفأمرهم للاستفهام على سبيل الإنكار الإبطالي على حدّ قوله: «أفأصفاكم ربكم بالبنيين» و كلمه من فى قوله: من شىء، زائده فى المفعول، و قوله و أنّ القرآن اه جمله استينافيه

المعنى

اعلم أنه لا بدّ قبل الخوض فى شرح كلامه عليه السلام من تمهيد مقدّمه

إشاره

و هى أنه وقع الخلاف بين العامّة و الخاصّه فى التخطئه و التصويب، و قد عنونه أصحابنا رضى الله عنهم فى كتبهم الأصوليه و حقّقوا الكلام فيه بما لا مزيد عليه، و محصّل ما ذكروه أنّ الكلام يقع فيه فى مقامات أربعة.

الاول اصول العقائد

و قد نقل غير واحد من الأصحاب إجماع الكلّ على أنّ المصيب فيها واحد و على أنّ المخطى فيها آثم كافر إن كان نافيا للاسلام، و لم يخالف فيه إلاّ- أبو عبد الله الحسين العنبرى و الجاحظ فذهبا إلى أنّ الكل مصيب، قال العلامة ليس مرادهما الاصابه من حيث المطابقه فى نفس الأمر، بل المراد زوال الحرج و الاثم عن المخطى باعتقاد خلاف الواقع و خروجه عن عهده التّكليف باجتهاده، و ربّما عزى الخلاف إلى الأوّل فى أصل الاصابه و إلى الثّانى فى تحقّق الاثم على ما ذكره العلامة.

و على اىّ تقدير فهو شاذّ ضعيف لا يلتفت إليه، ضروره بطلان الاصابه و استحالتها بديهه العقل، و إلاّ لزم اجتماع التّقيضين فى مثل قدم العالم و حدوثه، و عصمه الامام و عدمها، و وجود المعاد الجسمانى و عدمه.

و أمّا من حيث الاثم فالحقّ فيه التفصيل بين القصور و التّقصير فالمقصر آثم دون القاصر، و إلاّ لزم التّكليف بما لا يطاق، و هو ظاهر إلاّ- أنّ الكلام فى تحقّق الصغرى و أنّ القصور هل هو ممكن موجود؟ و تفصيل الكلام فى الاصول، و لا يخفى أنّ ما ذكرناه من أنّه لا إثم على الكافر القاصر فأنّما هو فى الآخره، و أمّا فى الدّنيا فلا يبعد القول باجراء أحكام الكفر عليه.

الثانى الفرعيّات التى استقلّ العقل بحكمها

، فالحقّ فيها أيضا من حيث الاصابه هو العدم كما عليه الجمهور حذرا من اجتماع التّقيضين فى مثل قبح الظلم

و العدوان، و من حيث الاثم و عدم التفصيل بين التقصير و القصور على ما سبق، و لا خفاء فى امكان القصور هنا بل تحقّقه غالباً فى مطلق الناس، و أمّا المجتهد فلا يبعد فى حقّهم دعوى امكان الوصول إلى الواقع دائماً.

الثالث الفرعيات العمليه التى قام الدليل القطعى عليها كالضرويات من العبادات

و المعاملات

، فالحقّ فيها أيضاً أنّ المصيب واحد و أمّا من حيث الاثم ففيه ما مرّ من التفصيل، قال بعض الأصحاب: أمّا إمكان الخفاء و العدم ففيه فى هذا المقام خفاء لكن بعد التأمل يظهر الامكان نادراً فى غير المجتهدين، و أمّا المجتهدون المتفحصون ففي إمكان الخفاء عليهم لأجل عروض الشبهات إشكال لكن لو رأينا أحداً أنكر و احتمل فى حقّه الشبهه أجرينا عليه أحكام المقصر لغلبيه التقصير فى المنكرين، و هذه الغلبه معتبره عندهم فى هذا المقام.

الرابع الفرعيات التى لم يستقلّ العقل بحكمها و لم يقم عليها دليل قطعى

، و هذه هى التى صارت معركة للآراء بينهم، فذهب أصحابنا إلى أنّ لله سبحانه فى كلّ واقعه حكماً واحداً معيّناً، و المصيب واحد و من أخطأ فهو معذور فلا اثم عليه.

و ذهب جمهور المخالفين إلى أنّه لا حكم معيّن لله تعالى فيها بل حكمه تابع لظنّ المجتهد و ظنّ كل مجتهد فيها حكم الله فى حقّه و حقّ مقلّده، و كلّ مجتهد مصيب لحكم الله غير آثم و تصوير الاصابه فيها بوجوه.

أحدها أنّ الحكم تابع للحسن و القبح و أنّهما يختلفان بالوجوه و الاعتبارات فحدوث العلم و الجهل محدث للصيّفه و الصيّفه يتبعها الحكم فرأى المجتهد محدث للحكم، و يكون الأحكام متعلّقه على آرائهم.

الثانى أنّه تعالى أوجد أحكاماً مقصوده بالأصالة و يطابقها آراء المجتهدين قهراً عليهم.

الثالث أنّه تعالى أوجد أحكاماً واقعيّه و يطابقها آراء المجتهدين من باب الاتفاق لا محاله.

الرَّابِع أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا عَلِمَ أَنَّ الْآرَاءَ يَتَعَلَّقُ بِالْأَحْكَامِ الْمَخْصُوصَةِ فَجَعَلَ لِأَجْلِ عِلْمِهِ بِذَلِكَ أَحْكَامًا فَيُطَابِقُهَا، وَبِعِبَارِهِ أُخْرَى أَنَّهُ تَعَالَى جَعَلَ أَحْكَامًا مُخْتَلَفَةً فِي الْوَاقِعِ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ آرَاءِ الْمُجْتَهِدِينَ عَلَى مَا يَعْلَمُهُ مِنْ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ لَدَى التَّشْبِيهِ بِالْأَمَارَةِ يُؤَدِّي ظَنَّهُ إِلَيْهِ حَتَّى أَنَّهُ رُبَّمَا يَكُونُ فِي حَقِّ الشَّخْصِ الْوَاحِدِ أَحْكَامًا مُخْتَلَفَةً بِحَسَبِ الْوَاقِعِ بِاخْتِلَافِ الْأَمَارَاتِ الْمُتَعَدِّدَةِ فِي الْأَزْمَنِ الْمَتَدَرِّجَةِ فَضِلًا عَنِ اخْتِلَافِ الْوَاقِعِيَّاتِ فِي حَقِّ الْأَشْخَاصِ وَيَجْمَعُهُ وَسَابِقُهُ انْتِفَاءُ الْحُكْمِ الْوَاقِعِيِّ الْمَشْتَرِكِ فِيهِ الْكُلِّ وَإِنْ كَانَ فِي الْوَجْهِ الْأَوَّلِ بَانْتِفَاءُ الْمُقَيِّدِ وَفِي الثَّلَاثَةِ الْآخِرَةِ بَانْتِفَاءُ الْقَيْدِ وَكَيْفَ كَانَ وَالتَّصْوِيبُ بِجَمِيعِ تَصْوِيرَاتِهِ بَاطِلٌ عِنْدَ أَصْحَابِنَا نَوَّرَ اللَّهُ مَضَاجِعَهُمْ وَقَدْ أَقَامُوا عَلَى بَطْلَانِهِ الْأَدْلَةَ الْقَاطِعَةَ وَالْبِرَاهِينَ السَّاطِعَةَ فِي كِتَابِهِمُ الْاَصُولِيَّةِ وَدَلَّتْ نِصُوصُهُمُ الْمُتَوَاتِرَةَ عَنِ اتِّمَّتِهِمْ سَلَامَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ عَلَى أَنَّ حُكْمَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي الْوَقَائِعِ وَاحِدٌ بِحَسَبِ الْوَاقِعِ وَأَنَّ لِلَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ وَاقِعَةٍ حُكْمًا مَخْزُونًا عِنْدَ أَهْلِهِ أَصَابَهُ مِنْ أَصَابِهِ، وَأَخْطَأَهُ مِنْ أَخْطَأِهِ، وَ مِنْ جَمَلِهِ تِلْكَ النَّصُوصُ كَلَامُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي نَحْنُ بِصَدْدِ شَرْحِهِ حَسِبْنَا تَعْرِفُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

لا- يقال: المستفاد من كلامه عليه السَّلَامُ وَ مَا ضَاهَاهُ هُوَ اتِّحَادُ الْحُكْمِ بِقَوْلٍ مُطْلَقٍ، وَ هُوَ يَنَافِي بِنَاءَ الْأَصْحَابِ عَلَى آرَائِهِمْ وَ عَمَلِهِمْ بِمَا أَدَّى إِلَيْهِ ظُنُونُهُمْ وَ تَعَدُّدُهُمْ بِالْعَمَلِ بِذَلِكَ بِنَاءً عَلَى أَنَّهُ حُكْمُ اللَّهِ فِي حَقِّ الْمُجْتَهِدِ وَ حَقِّ مَقْلَمِهِ، ضَرُورُهُ أَنَّ الْآرَاءَ مُخْتَلَفَةً فَيُخْتَلَفُ بِاخْتِلَافِهَا الْأَحْكَامَ جَدًّا.

لأننا نقول: أوَّلا- إِنَّ كَلَامَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَاطِرٌ إِلَى الْعَامِلِينَ بِالْقِيَاسِ وَ الرَّأْيِ لَا بِالْكِتَابِ وَ السَّنَةِ كَمَا صَرَّحَ بِهِ الْفَاضِلُ الْقَمِّي فِي الْقَوَانِينِ.

وَ أَشَارَ إِلَيْهِ الشَّارِحُ الْمُعْتَرِلي حَيْثُ قَالَ: وَ الْمَرَادُ الرَّدُّ عَلَى أَهْلِ الْاجْتِهَادِ فِي الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَ إِفْسَادُ قَوْلٍ مِنْ قَالَ: كُلُّ مُجْتَهِدٍ مُصِيبٌ، وَ تَلْخِيسُ الْاِحْتِجَاجِ مِنْ وَجْهِ خَمْسَةٍ ثُمَّ ذَكَرَ الْوُجُوهَ الْخَمْسَةَ ثُمَّ قَالَ: وَ اعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْوُجُوهَ هِيَ الَّتِي يَتَعَلَّقُ بِهَا الْاِمَامِيَّةُ وَ نِفَاهُ الْقِيَاسِ وَ الْاجْتِهَادِ فِي الشَّرْعِيَّاتِ.

و ثانياً أنّ كلامه عليه السّلام و إن كان مطلقاً إلاّ أنّه لا بدّ أن يراد به اتّحاد الأحكام الواقعيه لقيام الاجماع على تعدّد الأحكام الظاهريّه و على أنّ المجتهد متعبّد بظنّه و تكليفه العمل بما أدّى إليه ظنّه الحاصل من الأمارات الشرعيّه كظواهر الكتاب و السنّه و أخبار الآحاد و غيرها.

فإن قلت: إذا كان تكليف المجتهد التّعبد بظنه و العمل بمودّيات الظنون و اختلفت الأحكام باختلافها فلا فرق حيثنذ بين المصوبه و المخطئه إذ مآل القولين كليهما إلى تعدّد الأحكام بتعدّد الظنون فيكون الحكم الشرعيّ تبعاً للظنّ قلت: الفرق بينهما واضح، ضروره أنّ القائلين بالتصويب يقولون بتبعيّه الأحكام الواقعيّه لعلم المجتهد أو ظنّه و أنّ العلم أو الظنّ يوجب جعل الحكم في حقّه في الواقع، فما لم يحصل له علم أو ظنّ لا- يكون في حقّه حكم واقعا و أمّا القائلون بالتخطئه فيقولون: إنّ لله سبحانه حكيمين واقعيّ و هو الذي كلفنا به أولاً- لو لا- جهل المكلف المانع من تعلّق التكليف به، و حكم ظاهريّ و هو الذي يجب علينا البناء عليه و التبعّد به في ظاهر الشرع بمقتضى الأمارات الشرعيّه، سواء علمنا مطابقتها للأول، أو ظنّنا، أو شككنا، أو ظنّنا مخالفتها، أو علمنا بالمخالفه كما هو في بعض الفروض.

و بعبارة اخرى مقتضى القول بالتصويب هو كون الحكم من أصله تابعا للأماره بحيث لا يكون في حقّ الجاهل مع قطع النظر عن وجود الأماره و عدمها حكم، فيكون الأحكام مختصّه في الواقع بالعالمين بها، و الجاهل مع قطع النظر عن قيام أماره عنده على حكم العالمين لا حكم له أو محكوم بما يعلم الله أنّ الأماره تؤدّي إليه.

و مقتضى القول بالتخطئه هو أنّ في الواقع حكما مشتركا بين الكلّ، و عليه فإن حصل للمكلف علم به أو ظنّ مطابق له فهو، و إلاّ فتكليفه العمل بما أدّى إليه ظنّه في ظاهر الشرع و يكون ذلك واقعيّاً ثانويّاً في حقّه.

فإن قلت: إذا كان تكليفه عند عدم حصول العلم بالواقع هو العمل بالظنّ فلا

تفاوت بين أن نقول: إنَّ هناك حكماً واقعياً وراء المظنون كما يقوله المخطئ، و بين أن نقول: بأن لا حكم هنا وراء المظنون، و محصّله عدم ثمره عمليه بين القولين و عدم فايده تترتب على الخلاف فى مقام العمل.

قلنا: الثمره إنّما تظهر إذا انكشف له الحال بعد العمل بالظنّ بأن حصل له العلم بالواقع و كان ظنّه الذى عمل به مخالفا للواقع فيلزمه الاتيان به ثانيا على القول بالتخطئه لأنّ مطلوب الشّارع فى المقام حقيقه هو الواقع و إنّما تعلق التّكليف بالظاهر نظرا إلى اشتباه المكلف و عجزه عن الوصول إلى الواقع.

و تحقيق ذلك أنّ مؤدّيات الطرق الشّرعيه على القول بالتصويب مجعولات فى الواقع ليس للمكلف فى الواقع تكليف ورائها، فحالتها مثل حال الأوامر الواقعيه الاختياريه لا إشكال فى إجزائها بل لا يتصوّر انكشاف الخلاف فيها أصلا، و أمّا على القول بالتخطئه فإنّما يترتب عليها الآثار الشّرعيه مع عدم حصول العلم بخلافها، و مع قصور المكلف عن الوصول إلى الواقع و أمّا بعد انكشاف الخلاف و حصول علمه بالواقع فيكون مكلفا به و يرجع الأمر إلى التّكليف الأوّل، فإن كان الوقت باقيا و جب الاعاده بمقتضى الأصل لبقاء التّكليف و وجوب الامتثال، و إن كان فايئا و جب القضاء لو دلّ دليل على وجوب القضاء لصدق الفوات.

ثمّ إنّ هذا كله مبنى على ما ذهب إليه غير واحد من متأخري أصحابنا من جعلهم مسأله الاجزاء من متفرّعات مسأله التخطئه و التصويب و بنوا الاجزاء على التصويب و عدمه على التخطئه إلا- أنّ الشّأن عدم تماميه التفرّيع فى الطرفين لعدم الملازمه بين التخطئه و عدم الاجزاء بل مع القول بها مجال للاجزاء و عدمه، و تفصيل الكلام فى ذلك موكول إلى الاصول فليرجع إليه.

و إذا تمهد لك هذه المقدّمه فلنرجع إلى شرح كلامه عليه السلام فنقول: إنّ صدر كلامه بيان حال العلماء السوء العاملين بالأراء تعريضا عليهم ببطلان عملهم بالرأى و توبيخا لهم على ذلك ثمّ أردفه بالإشاره على بنائهم عليه من القول بالتصويب فى

الأحكام المختلفه المنشعبه عن الآراء المتشكته، و تبه على بطلان ذلك البناء و فساد هذا القول بالوجه الآتية فقال:

(ترد على أحدهم القضييه فى حكم من الأحكام) الشرعيه (فيحكم فيها برأيه) أى بظنونه المأخوذه لا من الأدله الشرعيه و المآخذ المنتهيه إلى الشارع بل من الاستحسانات العقلية و القياسات الفقهيّه (ثم ترد تلك القضيّه بعينها على غيره) اى على غير القاضى الأول (فيحكم فيها بخلاف قوله) أى قول الأول استنادا إلى رأيه الفاسد و نظره الكاسد أيضا، كما كان استناد الأول فى حكمه إليه.

(ثم يجتمع القضاء بذلك) الحكم المختلف (عند الامام) الضالّ و رئيسهم المضلّ (الذى استقضاهم) و صيرهم قاضيا (فيصوّب آرائهم جميعا) و يحكم بكون الأحكام المختلفه الصّادره عنهم فى قضيه شخصيه كلّها صوابا مطابقا للواقع (و) هو باطل بالضرورة، لأنّ (الههم واحد و نيّهم واحد و كتابهم واحد) و ليس لكلّ منهم اله يحكم بحكم مخالف لحكم اله الآخر و يرسل على ذلك رسولا- و ينزل على ذلك كتابا حتّى يسند كلّ منهم حكمه المخالف لحكم الآخر إلى إلهه، و إذا ثبت وحده الاله سبحانه فلا بدّ أن يكون الحكم الواقعى واحدا إذ الوجه المتصوّره لاستناد تعدّد الاحكام و اختلافها حينئذ(1) إليها امور كلّها باطله بحكم العقل و الثقل كما أشار إليها بقوله:(أ فأمرهم الله بالاختلاف فأطاعوه، أم نهاهم عنه فعصوه) مفاد همزه الاستفهام المفيده للانكار على سبيل الابطال مع أم المنقطعه المفيده للاضرار مفادها فى قوله تعالى:

«قُلْ أَللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ» فيدلّ الكلام على ذلك، على أنّ اختلافهم ليس مأمورا به بل منهيّ عنه فيكونون عاصين فيه، أمّا أنّه ليس مأمورا به فلعدم ورود أمر بذلك فى الكتاب و السنّه، و أمّا أنّه منهيّ عنه فلدلاله العقل و الثقل على ذلك، أمّا العقل فلتقيح العقلاء

ص: ٢٧٣

١- (١) اى حين إذ كان الاله واحدا منه

من يتكلف من قبل مولاه بما لا يعلم بوروده عن المولى فضلا عما علم بعدم وروده و أما النقل فمن الكتاب الآيه السابقه حيث دلت على أنّ ما ليس باذن من الله فهو افتراء له و من المعلوم أنّ الافتراء حرام و منهى عنه و قوله:

«وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ» و قوله:

«وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» و قوله: «وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» فإن الحكم بالرأى الذى هو منشأ للاختلاف حكم بغير ما نزل من الله سبحانه إذ العمل بالرأى و القياس إنّما هو فيما لم يتبين حكمه فى الكتاب و السنّه كما هو ظاهر.

و من السنّه ما رواه محمد بن خالد عن أبى عبد الله عليه السلام قال: القضاء أربعة ثلاثة فى النار و واحد فى الجنّه: رجل قضى بالجور و هو يعلم فهو فى النار، و رجل قضى بالجور و هو لا يعلم فهو فى النار، و رجل قضى بالحقّ و هو لا يعلم فهو فى النار، و رجل قضى بالحقّ و هو يعلم فهو فى الجنّه.

و وجه الدلاله غير خفى حيث إنّ المستفاد منه أنّ القضاء بما لا يعلم سواء كان حقاً أو جوراً موجب لدخول النار فيكون محرماً منهياً عنه، و من المعلوم أنّ القضاء بالأراء المختلفه قضاء بما لا يعلم فيكون منهياً عنه و ستعرف توضيح ذلك بما لا مزيد عليه فى التنبیه الآتى، و كيف كان فقد تحصل ممّا ذكرناه أنّ الاختلاف ليس مأموراً به بل منهى عنه هذا.

و لما نبه عليه السلام على بطلان كون الاختلاف بأمر منه سبحانه أردفه بسائر الوجوه التى يحتمل كونه بسببها ممّا هو ضرورى البطلان، و هى بحسب الاستقراء منحصره فى ثلاثه اذ اختلافهم فى دينه و شرعه و حاجتهم إلى ذلك إمّا أن يكون مع نقصانه أو مع تمامه و تقصير الرسول فى أدائه، و على الوجه الأوّل فذلك الاختلاف إنّما يكون

على أحد وجهين، أحدهما أن يكون اتماما لذلك النقصان أو على وجه أعم من ذلك و هو كونهم شركاءه في الدين و قد أشار عليه السلام إلى الوجه الأول بقوله: (أم أنزل الله دينا ناقصا فاستعان بهم على إتمامه) و إلى الثاني بقوله: (أم كانوا شركاء له فلهم أن يقولوا و عليه أن يرضى) و إلى الثالث بقوله: (أم أنزل الله دينا تاما فقصر الرسول عن تبليغه و أدائه) ثم استدل على بطلان الوجوه الثلاثة بقوله: (و الله سبحانه يقول) في سورة الانعام (ما فرطنا في الكتاب من شيء) (و قال) (فيه تبيان كل شيء) و هذا مضمون آيه في سورة النحل و هو قوله تعالى:

«وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ۖ وَ مَثَلًا قَوْلَهُ سَبْحَانَ فِي سُورَةِ الْاِنْعَامِ:

«وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ» فَإِنَّ دَلَالَةَ هَذِهِ الْآيَاتِ عَلَى بَطْلَانِ الْوَجْهَيْنِ الْأَوَّلِينَ وَاضِحَةٌ، فَضَرُورَةٌ أَنَّ الْكِتَابَ الْحَكِيمَ إِذَا لَمْ يَتْرَكَ فِيهِ شَيْءٌ وَ لَمْ يَفْرُطْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ بَلْ كَانَ فِيهِ بَيَانٌ لِّكُلِّ شَيْءٍ وَ كَلَّ رَطْبٌ وَ يَابَسٌ فَلَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ الدِّينُ بِتَمَامِهِ مَنْزِلًا فِيهِ وَ حَيْثُ فَلَا يَكُونُ فِيهِ نَقْصَانٌ حَتَّى يَسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَى إِتْمَامِهِ أَوْ يَأْخُذَهُمْ شُرَكَاءُ لَهُ فِي أَحْكَامِهِ، فَالْقَوْلُ بِكَوْنِ الدِّينِ نَاقِصًا بَاطِلٌ بِنَصِّ الْقُرْآنِ وَ حَسْبَانَ الْاِسْتِعَانَةَ وَ الْاِفْتِقَارَ بِهِمْ عَلَى الْاِتْمَامِ أَوْ كَوْنِهِمْ مُشَارِكِينَ لَهُ فِي الْاِحْكَامِ كَفَرُ وَ زَنْدَقُهُ بِالْبَدِيهِهِ وَ الْعِيَانِ وَ أَمَّا دَلَالَتُهَا عَلَى بَطْلَانِ الْوَجْهِ الثَّلَاثِ فَهِيَ أَيْضًا ظَاهِرَةٌ بَعْدَ ثُبُوتِ عَصْمَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ وَ عَدَمِ إِمْكَانِ تَصْوِيرِ التَّقْصِيرِ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ فِي التَّبْلِيغِ وَ قَدْ قَالَ تَعَالَى:

«قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنَّمَا اتَّبَعْتُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ»

روى الصيّدوق في العيون عن الرضا عليه السّلام أنّه سئل يوما وقد اجتمع عنده قوم من أصحابه وقد كانوا يتنازعون في الحديثين المختلفين عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في الشيء الواحد فقال عليه السّلام: إنّ الله عزّ وجلّ حرّم حراما وأحلّ حلالا- وفرض فرائض فما جاء في تحليل ما حرّم الله أو تحريم ما أحلّ الله أو رفع فريضه في كتاب الله رسمها قائم بلا نسخ نسخ ذلك فذلك شيء لا يسع الأخذ به، لأنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لم يكن ليحرّم ما أحلّ الله ولا ليحلّل ما حرّم الله ولا ليغيّر فرائض الله وأحكامه و كان في ذلك كلّ متبعا مسلّما مؤيدا عن الله عزّ وجلّ وذلك قول الله عزّ وجلّ: **إِنْ أَتَيْتَ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ فَكَانَ مَتَّبِعًا مَّوَدِّعًا عَنِ اللَّهِ مَا أَمَرَ بِهِ مِنْ تَبْلِيغِ الرَّسَالِ.**

ثمّ إنّ بعد ما تحصّل من كلامه بطلان كون الاختلاف جائزا ومأذونا فيه وبأمر من الله سبحانه، أكّد ذلك بالتّصريح على دليل ذلك بقوله: (وذكر أنّ الكتاب يصدّق بعضه بعضا وأنّه لا اختلاف فيه فقال سبحانه) في سورة النساء أفلا يتدبّرون القرآن (و لو كان من عند غير الله) أي من كلام غيره سبحانه (لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) وتقريب الاستدلال بها أنّ القرآن مدرّك الدّين ومشمّط على الاحكام الشّرعيه وقد أخبر الله سبحانه بأنّه لا يوجد فيه اختلاف، لكونه من عنده فلا يوجد فيه أحكام مختلفه من حيث إنّ نفي العامّ مستلزم لنفي الخاصّ فاذن لا يكون الاختلاف في الاحكام من عنده سبحانه ومأذونا فيه وهو واضح.

قال الطبرسيّ في مجمع البيان وهذه الآيه تضمّنت الدّلاله على أنّ التّناقض من الكلام لا يكون من فعل الله، لأنّه لو كان من فعله لكان من عنده لا من عند غيره والاختلاف في الكلام يكون على ثلاثه أضرب: اختلاف تناقض، واختلاف تفاوت واختلاف تلاوه، واختلاف التفاوت يكون في الحسن والقبح والخطاء والصّواب ممّا تدعو إليه الحكمة وتصرف عنه، وهذا الجنس من الاختلاف لا يوجد في القرآن كما لا يوجد اختلاف التناقض، وأما اختلاف التلاوه فهو كاختلاف وجوه القرآن واختلاف مقادير الآيات والسور واختلاف الاحكام في النّاسخ والمنسوخ فذلك موجود في القرآن وكلّه حقّ وصواب.

ثم إنه عليه السلام أردف كلامه بالتنبيه على أن الكتاب العزيز واف بجميع المطالب إذا تدبروا معناه ولا حظوا أسرارته فقال: (وإن القرآن ظاهره أنيق) أي حسن معجب بانواع البيان وأصنافه و غرابه الأسلوب و حسنه و ابتلاف النظم و انساقه (و باطنه عميق) لاشتماله على أنواع الحكم من أمر بحسن و نهى عن قبيح و خبر عن مخبر صدق و دعاء إلى مكارم الأخلاق و حث على الخير و الزهد و اشتماله على تبيان كل شيء و على ما كان و ما يكون و ما هو كائن.

كما قال الصادق عليه السلام في روايه العياشي: نحن و الله نعلم ما في السموات و ما في الأرض و ما في الجنة و ما في النار و ما بين ذلك، ثم قال: إن ذلك في كتاب الله ثم تلا قوله تعالى:

«وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ۖ» و في الكافي عنه عليه السلام إنني لأعلم ما في السموات و ما في الأرض و أعلم ما في الجنة و أعلم ما في النار و أعلم ما كان و ما يكون ثم سكت هنيهة فرأى أن ذلك كبر على من سمعه منه فقال: علمت ذلك من كتاب الله عز و جل إن الله يقول: فيه تبيان كل شيء (و لا تفنى عجائبه) أي الأمور المعجبه منه (و لا تنقضي غرائبه) أي التكت الغريبه فيه (و لا تكشف الظلمات) أي ظلمات الشبهات (إلا به) أي بسواطع أنواره و لوامع أسرارته

تنبيه

قد تحصيل ممّا ذكرنا كلّهُ أنّ مقصود الامام عليه السلام بهذا الكلام من أوله إلى آخره هو المنع عن العمل بالرأى و إبطال الاختلاف في الأحكام المنشعب عن الآراء المختلفه و إفساد القول بالتصويب فيها، و هذا كلّهُ موافق لاصول الاماميه رضوان الله عليهم و مطابق لأخبارهم المتواتره المأثوره عن العتره الطاهره، و لا بأس بالإشاره الى بعض تلك الاخبار تثبيتا للمرام و توضيحا لكلام الامام عليه السلام.

فمنها ما رواه ثقة الاسلام محمد بن يعقوب الكليني قدس الله روحه في الكافي عن

محمّد بن أبي عبد الله رفعه عن يونس بن عبد الرحمن قال: قلت لأبي الحسن الأوّل عليه السّلام (١) فقال: يا يونس لا تكوننّ مبتدعا من نظر برأيه هلك، و من ترك أهل بيت نبيّه صلّ، و من ترك كتاب الله و قول نبيّه كفر (٢).

و عن عليّ بن إبراهيم عن هارون بن مسلم عن مسعده بن صدقه قال: حدّثنى جعفر عليه السّلام عن أبيه أنّ عليّا عليه السّلام قال: من نصب نفسه للقياس لم يزل دهره في التباس و من دان الله بالرأى لم يزل دهره في ارتماس، قال: و قال أبو جعفر عليه السّلام: من أفتى النّاس برأيه فقد دان الله بما لا يعلم و من دان الله بما لا يعلم فقد ضادّ الله، حيث أحلّ و حرّم فيما لا يعلم و الظاهر أنّ المراد بالالتباس هو التخليط بين الحقّ و الباطل، و بالارتماس الانغماس في ظلمات الشّبّهه و الضّلاله، فالالتباس باعتبار استخراج الاحكام بالرأى و القياس، لأنّه يلتبس عليه الامور و يشتبه عليه الحقّ و الباطل، و الارتماس باعتبار العمل بتلك الاحكام، قال المجلسيّ (قده) في قوله فقد ضادّ الله: أى جعل نفسه شريكا لله.

و عن عليّ بن محمّد بن عيسى عن يونس عن قتيبه قال سألت رجلا أبا عبد الله عليه السّلام عن مسأله فأجابها فيها فقال الرّجل رأيت إن كان كذا و كذا ما يكون القول فيها؟ فقال له: مه ما أجبتك فيه من شيء فهو عن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم لسنا من رأيت في شيء قال المجلسيّ: لَمَا كان مراده أخبرني عن رأيك الذي تختاره بالظنّ و الاجتهاد نهاه عليه السّلام عن هذا الشيء من الظنّ و بين أنّهم لا يقولون شيئا إلاّ بالجزم و اليقين و بما وصل إليهم من سيد المرسلين صلوات الله عليه و عليهم أجمعين.

و منها ما في الوسائل عن أحمد بن محمّد بن خالد البرقي في المحاسن عن أبيه عمّن ذكره عن أبي عبد الله عليه السّلام في رسالته إلى أصحاب الرأى و القياس: أمّا بعد فإنّ

ص: ٢٧٨

١- (١) هكذا في النسخه و الصحيح كما في الكافي و فيه: قلت لأبي الحسن الاول عليه السلام: بما أوحى الله؟ فقال إلخ «المصحح».

٢- (٢) لا يخفى ان عمده منظور الامام عليه السلام بهذا الكلام كمنظور الائمه سلام الله عليهم بهذه الاخبار هو الرد على الذين استغنوا بعلمهم بالآراء و الاقيسه عنهم عليهم السلام كما هو شعار العامه العمياء زعما منهم عدم كون جميع الاحكام مودعا و عدم وجوب الرجوع اليهم و يشهد بما ذكرناه ملاحظه الاخبار الوارده في هذا الباب، منه ره.

من دعا غيره إلى دينه بالارتياء و المقائيس لم ينصف و لم يصب حظّه، لأنّ المدعوّ إلى ذلك أيضا لا- يخلو من الارتياء و المقائيس، و متى لم يكن بالدّاعى قوّه فى دعائه على المدعوّ لم يؤمن على الدّاعى أن يحتاج إلى المدعوّ بعد قليل، لأننا قد رأينا المتعلّم الطالب ربّما كان فائقا لمعلّمه و لو بعد حين، و رأينا المعلّم الدّاعى ربّما احتاج فى رأيه إلى رأى من يدعو، و فى ذلك تحير الجاهلون و شكّ المرتابون و ظنّ الظانون و لو كان ذلك عند الله جائزا لم يبعث الله الرّسل بما فيه الفصل و لم يمه عن الهزل و لم يعب الجهل و لكنّ الناس لما سفهوا الحقّ و غمطوا النّعمه و استغنوا بجهلهم و تدابروا عن علم الله و اكتفوا بذلك عن رسله و القوّم بأمره و قالوا لا شىء إلا ما أدركته عقولنا و عرفته ألبابنا فولّاهم الله ما تولّوا و أهملهم و خذلهم حتّى صاروا عبده أنفسهم من حيث لا يعلمون و لو كان الله رضى منهم اجتهادهم و ارتيائهم فيما ادّعوا من ذلك لم يبعث إليهم فاصلا لما بينهم و لا زاجرا عن وصفهم.

و إنّما استدللنا أنّ رضاء الله غير ذلك ببعثه الرّسل بالامور القيمه الصّحيحه و التحذير من الامور المشكله المفسده ثمّ جعلهم أبوابه و صراطه و الأدلاء عليهم بامور محجوبه عن الرّأى و القياس فمن طلب ما عند الله بقياس و رأى لم يزد من الله إلا بعدا، و لم يبعث رسولا- قط و إن طال عمره قائلا- من الناس خلاف ما جاء به حتّى يكون متبوعا مرّه و تابعا اخرى و لم ير أيضا فيما جاء به استعمل رأيا و لا مقياسا حتّى يكون ذلك واضحا عند الله كالوحي من الله و فى ذلك دليل لكلّ ذى لبّ و حجى أنّ أصحاب الرّأى و القياس مخطئون مدحسون.

و الأخبار فى هذا المعنى فوق حدّ الاحصاء و قد عقد فى الوسائل كالكافى بابا لعدم جواز القضاء و الحكم بالرّأى و الاجتهاد و المقائيس و نحوها من الاستنباطات الظنّيه فى الأحكام الشّرعيّه من أراد الاطلاع فليراجع إلى الكتابين، و الله الهادى

الترجمه

از جمله کلام بلاغت نظام آن امام عالمیان است در مذمت اختلاف علماء در فتواها که استغنا ورزیده اند بجهه عمل بآراء از
أئمة هدى سلام الله عليهم: وارد می شود

بر یکی از آنها قضیه در حکمی از حکمها پس حکم می کند در آن قضیه برای فاسد و نظر کاسد خودش که مستند است باستحسانات عقلیه و قیاسات ظنیه، بعد از آن وارد می شود همین قضیه شخصی بر غیر آن حاکم پس حکم می کند آن حاکم ثانی در همان قضیه بخلاف قول حاکم اول، بعد از آن جمع می شوند قاضیان بآن احکام نزد پیشوای خودشان که آنها را قاضی نموده است، پس حکم می کند بصواب بودن رأی های همه ایشان و حال آنکه این تصویب فاسد است، بجهت این که خدای ایشان یکی است و پیغمبر ایشان یکی است و کتاب ایشان یکی است.

پس آیا امر نموده است خداوند ایشان را باختلاف؟ پس اطاعت کرده اند او را یا این که نهی فرموده است ایشان را از آن اختلاف؟ پس معصیت کرده اند ایشان با او یا آنکه خداوند فرو فرستاده دین ناقصی پس یاری خواسته بایشان در اتمام آن یا این که بوده اند ایشان شریکان خداوند رحمن، پس ایشان راست این که بگویند و مر او راست این که راضی بشود بگفتار ایشان چنانکه شأن شریکان با همدیگر این است یا این که فرو فرستاده خداوند دین تمامی پس تقصیر کرده حضرت رسالت‌آب صلی الله علیه و آله از رسانیدن و ادا نمودن آن بر انام.

و حال آنکه حق تعالی فرموده در کتاب مجید خود: که ما تقصیر نکرده ایم در کتاب خود از هیچ چیز در هیچ باب و در آن کتاب است بیان هر چیزی، و ذکر فرموده این که بدرستی که قرآن تصدیق کننده است بعضی از آن مر بعض دیگر را، و بدرستی که بوجه من الوجوه در آن اختلاف نیست، پس فرموده است: که اگر بودی این کتاب عزیز از نزد غیر پروردگار هر آینه یافتندی در آن اختلاف بسیار و بدرستی که ظاهر قرآن حسن است و معجب و باطن آن عمیق است و بی پایان، فانی نمی شود سخنان عجیبه آن و بنهایت نمی رسد نکته های غریبه آن و زایل نمی شود ظلمات شبهات مگر بانوار آیات باهرات آن

أشاره

فى باب الخطب الجارى مجراها

قاله للأشعث بن قيس و هو على منبر الكوفه يخطب فمضى فى بعض كلامه عليه السلام شىء اعترضه الأشعث فقال يا أمير المؤمنين: هذه عليك لا لك، فخفض عليه السلام إليه بصره ثم قال عليه السلام له:

و ما يدريك ما على و ما على؟ عليك لعنه الله و لعنه الألعين، حائكك بن حائكك، منافق بن كافر، و الله لقد أسرك الكفر مره و الإسلام أخرى، فما فداك منهما مالك و لا حسبك، و إن امرء دلّ على قومه السيف، و ساق إليهم الحنف، لحرى أن يمقته الأقرب، و لا يأمنه الأبعد.

أقول: يريد أنه اسر فى الكفر مره و فى الاسلام مره و أما قوله: دلّ على قومه السيف فأراد به حديثا كان للأشعث مع خالد بن الوليد باليمامة غزّ فيه قومه و مكر بهم حتى أوقع بهم خالد، و كان قومه بعد ذلك يسمونه عرف النار، و هو اسم للغادر عندهم.

اللغة

(خفض إليه بصره) طأطأه و (الحائكك) بالهمزة التأسج و (الفداء) ما يفديه الأسير لفكّ رقبته و (الحنف) الموت و (العرف) الرمل و المكان المرتفعان قال الشّارح البحرانى و أمّا استعارتهم له عرف النار فلأنّ العرف عباره عن كلّ عال مرتفع، و الأعراف فى القرآن الكريم سور بين الجنّه و النار، و لمّا كان من شأن كلّ عال مرتفع أن يستر ما ورائه و كان الغادر يستر بمكره و حيلته امورا

كثيره و كان هو قد غرّ قومه بالباطل و غدر بهم، صدق عليه بوجه الاستعاره لفظ عرف النار لستره عليهم لما ورائه من نار الحرب أو نار الآخره إذ حملهم على الباطل.

أقول: روى فى المجلد التاسع من البحار فى الباب المأه و الثلاثه عشر المتضمّن للأخبار الغيبية لأمير المؤمنين عليه السّلام عن الحسن بن علىّ عليهما السّلام فى خبر أنّ الأشعث ابن قيس الكندى بنى فى داره ميذنه و كان يرقى إليها إذا سمع الأذان فى أوقات الصّلاه فى مسجد جامع الكوفه فيصيح من أعلى ميذنته: يا رجل إنك لكذاب ساحر، و كان أبى يسميه عنق النّار و فى روايه عرف النّار، فسئل عن ذلك فقال إنّ الاشعث إذا حضرته الوفاه دخل عليه عنق من النّار ممدوده من السّماء فتحرقه فلا يدفن إلّا و هو فحمه سوداء، فلما توفّى نظر ساير من حضر إلى النّار و قد دخلت عليه كالعنق الممدود حتّى أحرقتة و هو يصيح و يدعو بالويل و الشبور.

و الميذنه بالكسر موضع الأذان و المناره، و قد ظهر من هذه الرّوايه سبب تسميته بعرف النّار، و أنّه ليس سببها ما توهمه البحرانى ره

الاعراب

كلمه ما مرفوع المحلّ على الابتداء، و يدريك خبره، و ماء الثّانيه فى موضع رفع على الابتداء، و يدريك معلق لتضمّنه معنى الاستفهام و على خبره و الجمله متعلّقه بيدريك فى موضع المفعول الثّانى على حدّ قوله سبحانه: و ما أدريك ما الحاقّه قال الثّورى: يقال: للمعلوم ما أدريك و لما ليس بمعلوم ما يدريك فى جميع القرآن و حائك مرفوع على أنّه خبر لمبتدأ محذوف، أى أنت حائك، أو على التّداء بحذف حرف التّداء، أو منصوب بتقدير الفعل المحذوف أى أذمّ حائك بن حائك على حدّ قوله:

و امرأته حمّاله الحطب فتأمل.

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام (قاله عليه السّلام للأشعث بن قيس) الأشجّ لأنّه شجّ فى بعض حروبه و هو من بنى كنده و اسمه معدى كرب و كان أشعث الرأس أبدا فغلب الأشعث عليه حتّى

نسى اسمه و كيف كان فقد قاله (و هو على منبر الكوفه يخطب) خطبه يذكر فيها أمر الحكامين و ذلك بعد ما انقضى أمر الخوارج (فمضى فى بعض كلامه شىء) و هو أنه قام إليه رجل من أصحابه و قال له: نهيتنا عن الحكومه ثم أمرتنا بها فما ندرى أى الأمرين أرشد؟ فصفق عليه السلام باحدى يديه على الأخرى و قال: هذا جزء من ترك العقده أى جزاى حيث وافقتكم على ما الزتمونى به من أمر التحكيم و ترك الحزم فلما قال ذلك (اعترضه الأشعث) لشبهه وجدها فى نفسه من تركه عليه السلام وجه المصلحه و اتباع الآراء الباطله و أراد إفحامه (فقال يا أمير المؤمنين هذه عليك لا لك) و جهل أو تجاهل أن وجه المصلحه قد يترك محافظه على أمر أعظم منه و مصلحته أهم فأنه عليه السلام لم يترك العقده إلا خوفا من أصحابه أن يقتلوه كما ستطلع عليه فى قصه تهم هذا و قال الشارح المعتزلى: إن الشىء الذى اعترضه الأشعث فى كلامه هو أنه كان مقصوده بقوله: هذا جزء من ترك العقده هذا جزاؤكم إذ تركتم الرأى و الحزم و أصررتم على إجابته القوم إلى التحكيم، فظن الأشعث أنه أراد هذا جزاى حيث تركت الرأى و الحزم و حكمت لأن هذه اللفظه محتمله ألا ترى أن الرئيس إذا شغب عليه جنده و طلبوا منه اعتماد أمر ليس بصواب فوافقهم تسكيناً لشغبهم لا استصلاحاً لرأيهم ثم ندموا بعد ذلك، قد يقول هذا (١) جزء من ترك الرأى و خالف وجه الحزم، و يعنى بذلك أصحابه و قد يقوله يعنى به نفسه حيث وافقهم أمير المؤمنين عليه السلام إنما عنى ما ذكرناه دون ما خطر للأشعث.

(ف) لما قال له هذه عليك لا لك (خفض عليه السلام إليه بصره) و طأطأه (ثم قال له:

و ما يدريك ما علىّ مما لى) إشاره إلى جهله و عدم جواز الاعتراض من مثله عليه سلام الله عليه، ثم اتبعه بالطرد و الابعاد عن رحمه الله سبحانه و قال (عليك لعنه الله و لعنه اللاعنين) و استحقاقه بذلك من حيث كونه من المنافقين فى خلافته عليه السلام و هو فى أصحابه كعبد الله بن أبى سلول فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كل واحد منهما رأس النفاق فى زمانه كما يدلّ عليه اعتراضه عليه عليه السلام و يشهد به شهادته عليه السلام بأنه منافق

ص: ٢٨٣

١- (١) أى الندامه منه.

ابن كافر، ولا شك أنّ المنافق مستحقّ للعن و الطرد لقوله تعالى:

«إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ» و يدلّ على كفره و نفاقه صريحا ما رواه الشّارح المعتزلى عن أبى الفرج الاصبهانى فى شرح كلام الخامس و الستين فى ذكر كيفيه شهاده أمير المؤمنين عليه السّلام، قال: قال أبو الفرج: و قد كان ابن ملجم لعنه الله أتى الأشعث بن قيس فى هذه الليله فخلا به فى بعض نواحي المسجد و مرّ بهما حجر بن عدىّ فسمع الأشعث و هو قول: ابن ملجم النّجا النّجا بحاجتك فقد فضحك الصّيح، قال له حجر: قتلته يا أعور، و خرج مبادرا إلى علىّ عليه السّلام و قد سبقه ابن ملجم و ضربه، و أقبل حجر و النّاس يقولون: قتل أمير المؤمنين عليه السّلام.

قال أبو الفرج: و للأشعث بن قيس فى انحرافه عن أمير المؤمنين عليه السّلام أخبار يطول شرحها.

منها أنّه جاء الأشعث إلى علىّ عليه السّلام يستأذن عليه فردّه قنبر فأدمى الأشعث أنفه فخرج علىّ عليه السّلام و هو يقول: مالى و لك يا أشعث أما و الله لو لعبد ثقيف تمرست لا قشعرت شعيراتك، قيل يا أمير المؤمنين من عبد ثقيف؟ قال غلام لهم لا يبقى أهل من العرب الاّ أدخلهم ذلّا، قيل يا أمير المؤمنين كم يلى أو كم يمكث؟ قال:

عشرين إن بلغها.

و قال أبو الفرج: إنّ الأشعث دخل على علىّ عليه السّلام فكلمه فأغلظ علىّ عليه السّلام له فعرض له الأشعث ان سبقتك به فقال له علىّ عليه السّلام: أ بالموت تخوفنى أو تهدّدنى؟ فو الله ما ابالى وقعت على الموت أو وقع الموت علىّ أقول: و أشار بعبد ثقيف إلى حجاج بن يوسف الثقفى و المستفاد من روايه أبى مخنف المرويه فى البحار أنّ حضور الأشعث تلك الليله فى المسجد إنّما كان

لمعونه ابن ملجم لعنه الله على قتله عليه السّلام، و في الكافي عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: إنّ الأشعث بن قيس شرك في دم أمير المؤمنين، و ابنته جعده سمّت الحسن، و ابنه محمّد شرك في دم الحسين عليهم السّلام.

ثمّ عيّره عليه السّلام بأنّه (حائك بن حائك) و المراد بهما إمّا معناهما الحقيقي لما روى أنّه كان هو و أبوه ينسجان برود اليمن و ليس هذا ممّا يخصّ بالأشعث بل أهل اليمن كلهم يعيرون بذلك كما قال خالد بن صفوان: ما أقول في قوم ليس فيهم إلّا حائك برد، أو دابغ جلد، أو سايس قرد، ملكتهم امرأه، و أغرقتهم فاره، و دلّ عليهم هدهد و إمّا معناهما المجازي، و هو حائك الكذب على الله و رسوله و وليه كما هو شأن المنافق و الكافر.

و من ذلك ما رواه في الوسائل مرفوعاً إلى أبي عبد الله عليه السّلام قال ذكر الحائك عند أبي عبد الله عليه السّلام أنّه ملعون، فقال: إنّما ذلك الذي يحوك الكذب على الله و رسوله و على هذا المعنى فارداف اللعن به يكون إشاره إلى علّة الاستحقاق له هذا.

و الأظهر أنّهم أرادوا على سبيل الاستعارة إشاره إلى نقصان عقله و قلّه تدبيره و استعداده، كما أنّ الحائك ناقص العقل، إمّا من حيث كون معاملته و معاشرته غالباً مع النساء و الصّبيان كالمعلّمين، و لا شك أنّ المخالطة مؤثّره و لذلك قال الصادق عليه السّلام لا تستشيروا المعلّمين و لا الحوكة فإنّ الله قد سلبهم عقولهم مبالغه في قصور عقولهم.

و في حديث آخر عنه عليه السّلام أنّه قال: عقل أربعين معلّماً عقل حائكك، و عقل أربعين حائكا عقل امرأه، و المرأه لا عقل لها.

و إمّا من حيث إنّ ذهنه عامّه و قته مصروف إلى جهه صنعته مصبوب الفكر إلى أوضاع الخيوط المتفرّقه و ترتيبها و نظامها محتاجاً إلى حركة يديه و رجله كما أنّ الشاهد له يعلم من حاله أنّه مشغول الفكر عمّا وراء ما هو فيه غافل عمّا عداه.

و يمكن أن يكون المقصود بالاستعارة الإشاره إلى دنائه النّفس و رذاله الطبع

و البعد عن مكارم الأخلاق و محاسن الآداب و التخلُّق بالأوصاف الذميمة و الأخلاق الدنيئة، لا تصاف الحائك بذلك كله، و لذلك ورد في بعض الأخبار النهى عن الصِّلاه خلفه، بل ورد أنّ ولده لا ينبغي إلى سبعة أبطن نحو ما ورد في ولد الزنا و روى القمى في تفسير قوله سبحانه:

«و هُزِّي إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ» أنه كان ذلك اليوم يوم سوق فاستقبلها الحاكة و كانت الحياكة أنبل صناعه في ذلك الزمان، فأقبلوا على بغال شهب فقالت لهم مريم: أين النخلة اليابسه؟ فاستهزءوا بها و زجروها، فقالت لهم: جعل الله كسبكم بورا و جعلكم في الناس عارا، ثم استقبلها جمع من التجار فدلوها على النخلة اليابسه فقالت لهم: جعل الله البركه في كسبكم و أحوج الناس إليكم الحديث.

و روى المحدث الجزائرى ره في كتاب زهر الزبيح عن شيخنا بهاء المله و الدّين أنّه دخل رجل إلى مسجد الكوفه و كان ابن عباس مع أمير المؤمنين عليه السّلام يتذاكران العلم، فدخل الرّجل و لم يسلمّ و كان أصلع (1) الرّأس من أوحش ما خلق الله تعالى و خرج أيضا و لم يسلمّ.

فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: يا بن عبّاس أتبع هذا الرّجل و اسأله ما حاجته و من أين و إلى أين فأتى و سأله فقال: أنا من خراسان و أبى من القيروان و امى من اصفهان قال: و إلى أين تطلب؟ قال: البصره فى طلب العلم، قال ابن عباس: فضحكت من كلامه فقلت له: يا هذا تترك عليّا جالسا فى المسجد و تذهب إلى البصره فى طلب العلم و النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم قال: أنا مدينه العلم و علىّ بابها فمن أراد العلم فليأت المدينه من بابها، فسمعنى علىّ عليه السّلام و أنا أقول له ذلك، فقال: يا ابن عبّاس اسأله ما تكون صنعته، فسألته فقال: إننى رجل حائك، فقال عليه السّلام: صدق و الله حبيبي رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم حيث قال: يا علىّ إياك و الحائك، فإنّ الله نزع البركه من أرزاقهم فى الدّنيا

ص: ٢٨٤

١- (١) الصلغ انحسار شعر مقدم الرّأس لقله ماده الشعر فى تلك البقعه ق.

ثم قال عليه السلام: يا ابن عباس أتدرى ما فعل الحثاك في الأنبياء والأوصياء من عهد آدم إلى يومنا هذا، فقال: الله ورسوله و ابن عم رسول الله أعلم، فقال عليه السلام معاشر الناس من أراد أن يسمع حديث الحثاك فعليه بمعاشره الديلم، ألا و من مشى مع الحثاك قتر عليه رزقه، و من أصبح به جفى، فقلت: يا أمير المؤمنين و لم ذلك؟ قال عليه السلام: لأنهم سرقوا ذخيره نوح، و قدر شعيب، و نعلى شيث، و جبّه آدم، و قميص حواء، و درع داود، و قميص هود، و رداء صالح، و شمله إبراهيم، و نخوت اسحاق، و قدر يعقوب، و منطقه يوشع، و سروال زليخا، و ازار أيوب، و حديد داود، و خاتم سليمان، و عمّامه إسماعيل، و غزل ساره، و مغزل هاجر، و فصيل ناقه صالح، و اطفاء سراج لوط، و القوا الرّمل فى دقيق شعيب، و سرقوا حمار العزيز و علّقوه فى السقف و حلفوا أنّه لا- فى الأرض و لا فى السّماء، و سرقوا مردد «مرود ظ» الخضر، و مصلى زكريّا، و قلنسوه يحيى، و فوطه يونس، و شاه إسماعيل؛ و سيف ذى القرنين و منطقه أحمد، و عصا موسى، و برد هارون، و قصعه لقمان، و دلو المسيح، و استر شدتهم مريم فدلوها على غير الطريق، و سرقوا ركاب النّبى، و حطام النّاقه و لجام فرسى، و قرط خديجه، و قرطى فاطمه، و نعل الحسن، و منديل الحسين، و قماط إبراهيم، و خمار فاطمه، و سراويل أبى طالب، و قميص العباس، و حصير حمزه، و مصحف ذى التّون، و مقراض إدريس، و بصقوا فى الكعبه، و بالوا فى زمزم، و طرحوا الشّوك و العثار فى طريق المسلمين.

و هم شعبه البلاء، و سلاح الفتنة، و نساج الغيبه، و أنصار الخوارج، و الله تعالى نزع البركه من بين أيديهم بسوء أعمالهم، و هم الذين ذكرهم فى محكم كتابه العزيز بقوله «وَ كَانَ فِي الْمَدِينَةِ تَشِيعَةٌ رَهْطٌ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَ لَا يُصْلِحُونَ » و هم الحاكه و الحجاج فلا تخالطوهم و لا تشاركوهم، فقد نهى الله عنهم.

و يناسب هذه الرّوايه الشّعر المنسوب إليه عليه السلام و إن لم أجده فى الدّيان

لعن الحائك في عشر خصال فعلوها بشلنك لنك لنك و مكوك ترحوها

و برجلين تطق طق و برأس حركوها و بكر كز فر هاء هوء نسجوها

سرقوا قدر شعيب و حريص أكلوها قتلوا ناقة صالح ثم جاءوا قسموها

و مناديل رسول سرقوها حرقوها و بسبعين نبيا كلهم قد لعنوها

و بالجمله فقد تحصل ممّا ذكرناه أنّ تعريضه عليه السّلام على الأشعث الملعون بأنّه حائك بن حائك دلالة على كمال القدح و الطعن و أكده بقوله (منافق بن كافر) بحذف حرف العطف إشاره إلى كمال الاتّصال المعنوي ثمّ أتبعه بقوله: (و الله لقد أسرك الكفر مزه و الاسلام أخرى) تأكيدا لنقصان عقله و إشاره إلى أنّه لو كان له عقل لما حصل له في الأسر مرّتين.

أمّا اسره الواقع في الكفر فهو على ما رواه الشّارح المعتزلي عن ابن الكلبي أنّه لما قتلت مراد أباه قيسا الأشجّ خرج الأشعث طالبا بشاره، فخرجت كنده متساندين على ثلاثة ألويه، على أحد الألويه كبش بن هاني بن شرجيل، و على أحدها القشعم، و على أحدها الأشعث فأخطئوا مرادا و لم يقفوا عليهم و وقعوا على بنى الحارث بن كعب، فقتل كبش و القشعم و اسر الأشعث ففدى بثلاثه آلاف بعير لم يفسد بها عربيّ قبله و لا بعده، فقال في ذلك عمرو بن معديكرب الزبيدي فكان فداؤه ألفي بعير و ألف من طريفات و تله و أمّا اسره الواقع في الاسلام فهو أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم لما قدمت كنده حجاجا عرض نفسه عليهم كما كان يعرض نفسه على احياء العرب، فدفعه بنو وليعه من بنى عمرو بن معاويه و لم يقبلوه فلما هاجر صلّى الله عليه و آله و سلّم و تمهدت دعوته و جائته و فود العرب جاءه و تد كنده و فيهم الأشعث و بنو وليعه، فأسلموا فأطعم رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم بنى وليعه من صدقات حضرموت، و كان قد استعمل على حضرموت زياد بن ليبيد البياضى الانصارى فدفعها زياد إليهم فأبوا أخذها و قالوا: لا ظهر لنا فابعث بها إلى بلادنا على ظهر

من عندك، فأبى زياد و حدث بينهم و بين زياد شرّ كاد يكون حربا، فرجع منهم قوم إلى رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم و كتب زياد إليه صَلَّى الله عليه و آله و سلم يشكوهم قال الشّارح المعتزلى و فى هذه الواقعة كان الخبر المشهور عن رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم قال لبنى وليعه: لتنتهنّ يا بنى وليعه أو لأبعثنّ إليكم رجلا- عديل نفسى يقتل مقاتليكم و يسبى ذراريكم، قال عمر بن الخطاب: فما تمنّيت الاماره إلاّ يومئذ و جعلت أنصب له صدرى رجاء أن يقول: هو هذا، فأخذ بيد علىّ و قال: هو هذا.

ثمّ كتب لهم رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم إلى زياد فوصلوا إليه الكتاب و قد توفّى رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم، و طار الخبر بموته إلى قبائل العرب فارتدّت بنو وليعه و غنّت بغاياهم و خضبن له أيديهنّ، فأمر أبو بكر زيادا على حضرموت و أمره بأخذ البيعه على أهلها و استيفاء صدقاتهم فبايعوه إلاّ بنى وليعه فلمّا خرج ليقبض الصّدقات من بنى عمرو بن معاوية أخذ ناقه لغلام منهم يعرف بشيطان بن حجر و كانت صفته نفسه اسمها شذره، فمنعه الغلام عنها، و قال خذ غيرها فأبى زياد ذلك و لجّ فاستغاث الشّيطان بأخيه الغداء بن حجر، فقال لزياد دعها و خذ غيرها، فأبى زياد ذلك و لجّ الغلامان فى أخذها و لجّ زياد فهتف الغلامان مسروق بن معدى كرب، فقال مسروق لزياد: أطلقها، فأبى ثمّ قام فأطلقها فاجتمع إلى زياد بن لبيد أصحابه و اجتمع بنو وليعه و أظهروا أمرهم فتبينهم زيادوهم غارون فقتل منهم جمعا كثيرا و نهب و سبى و لحق فلهم و دّ بالأشعث بن قيس اللّعين فاستنصروه فقال لا- أنصركم حتّى تملكونى عليكم، فملكوه و توجّوه كما يتوجّج الملك من قحطان فخرج إلى زياد فى جمع كثيف.

و كتب أبو بكر إلى مهاجر بن أبى أمية و هو على صنعاء أن يسير بمن معه إلى زياد، فاستخلف على صنعاء و سار إلى زياد، فلقوا الأشعث فهزموه و قتل مسروق و لجأ الأشعث و الباقون إلى الحصن المعروف بالبخير، فحاصرهم المسلمون حصارا شديدا حتّى ضعفوا، و نزل الأشعث ليلا إلى مهاجر و زياد فسألهما الأمان على نفسه حتّى يقدما به على أبى بكر فيرى فيه رأيه على أن يفتح لهم الحصن و يسلم إليهم من فيه

وقيل بل كان في الأمان عشره من أهل الأشعث فأمناه و أمضيا شرطه، ففتح لهم الحصن فدخلوه و استنزلوا كل من فيه و أخذوا أسلحتهم و قالوا للأشعث:

اعزل العشره، فعزلهم فتركوهم و قتلوا الباقين و كانوا ثمانمائه، و قطعوا أيدي النساء اللواتي شمتن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فاسروا الأشعث و حملوه إلى أبي بكر موثقا في الحديد هو و العشره.

و قيل: إنه لما حاصره المسلمون و قومه بعث إلى زياد يطلب منه الأمان لأهله و لبعض قومه، و كان من غفلته أنه لم يطلب لنفسه بالتعيين فلما نزل أسره زياد و بعث به إلى أبي بكر فسأل أبا بكر أن يستبقه لحربه فعفا عنه و زوجته اخته أم فروه بنت أبي قحافه.

و كان من جهالته أنه بعد خروجه من مجلس عقد أم فروه أصلت سيفه في أزقه المدينة و عقر كل بعير رآه و ذبح كل شاه استقبلها للناس و التجأ إلى دار من دور الأنصار، فصاح به الناس من كل جانب و قالوا: قد ارتد الأشعث مره ثانيه فأشرف عليهم من السطح و قال يا أهل المدينة إنني غريب ببلدكم قد أولمت بما نحرت و ذبحت فليأكل كل إنسان منكم ما وجد و ليغد إلى من كان له على حق حتى ارضيه فدفع أثمانها إلى أربابها فضرب أهل المدينة به المثل و قالوا أو لم من الأشعث و فيه قال الشاعر:

لقد أولم الكندي يوم ملاكه وليمه حمال لتقل العظام

فإن قلت: المستفاد مما ذكرته أخيرا مضافا إلى ما ذكرته سابقا من أنه فدى عند اسره في الكفر بثلاثة آلاف بعير أنه كان ذا مال و ثروه فكيف يجتمع ذلك مع قوله عليه السلام: (فما فداك من واحده منهما مالك و لا حسبك)؟ قلت: لم يرد عليه السلام به الفداء الحقيقي و إنما أراد به ما دفع عنك الاسر مالك و لا حسبك و ما نجاك من الوقوع فيه شيء منهما.

ثم أردف عليه السلام ذلك كله بالإشارة إلى صفه رذيله أخرى له أعنى صفه الغدر الذي هو مقابل فضيله الوفاء و قال: (و إن أمرء دل على قومه السيف و قاد إليهم الحتف

لحرى بأن يمقته الأقرب و) حقيق بأن (لا يأمنه الأبعد) و المراد به الاشارة إلى ما سبق ذكره منّا أنه طلب الأمان لنفسه أو له مع عشره من قومه ففتح لزياد و مهاجر باب الحصن و عزل العشره و أسلم الباقين للقتل فقتلوا صبيرا، و لا شك أنّ من كان كذلك لجدير أن يمقته قومه و لا يأمنه غيرهم، و أمّا ما قاله السيّد رضی الله عنه من أنه أراد به حديثا كان للأشعث مع خالد بن الوليد باليمامة إلى آخر ما مرّ ذكره، فأنكره الشارحان إلا أنّ البحراني قال: و حسن الظنّ بالسيّد يقتضى تصحيح نقل السيّد ره.

الترجمه

از جمله کلام آن عالی مقام است که گفته است آن را با شعث بن قیس علیه اللعنه و العذاب در حالتی که بر بالای منبر کوفه خطبه می فرمود پس گذشت در اثنای کلام آن حضرت چیزی که اشعث بآن اعتراض نمود پس گفت ای امیر مؤمنان این کلمه که فرمودی بر ضرر تو است نه بر نفع تو پس فرود آورد بسوی اشعث چشم خود را بعد از آن فرمود:

و چه دانا گردانید تو را بر آنچه بر من مضرّ است از آنچه بر من نفع دارد بر تو باد لعنت خدا و لعنت جميع لعن کنندگان ای جولاه پسر جولاه و منافق پسر کافر، قسم بخدا که اسیر نمودند تو را اهل کفر یک بار و اهل اسلام یک بار دیگر، پس نجات نداد از افتادن تو در دست هر یک از اهل کفر و اسلام مال تو و نه حسب تو، و بدرستی مردی را که راهنمایی کند بر قوم خود شمشیر برنده را و بکشد بسوی ایشان مرگ و هلاک را هر آینه سزاوار است باین که دشمن دارد او را نزدیکتر او و خاطر جمع نباشد باو دورتر او، یعنی کسی که متّصف باشد بصفّت غدر لایق است باین که قوم و بیگانه از او ایمن نشود و باین که او را دشمن بدارند

و من خطبه له عليه السلام وهي العشرون من المختار في

اشاره

باب الخطب

فإنكم لو عايتتم ما قد عاين من مات منكم لجزعتم و وهلتم و سمعتم و أطعتم، و لكن محجوب عنكم ما قد عاينوا، و قريب ما يطرح الحجاب، و لقد بصّرتهم إن أبصرتهم، و اسمعتم إن سمعتم، و هديتم إن اهتديتم، بحق أقول لقد جاهرتكم العبر، و زجرتهم بما فيه مزدجر، و ما يبلغ عن الله بعد رسل السماء إلا البشر.

اللغة

(جزع) الزجل جزعا من باب تعب ضعف عن حمل ما نزل به فلم يجد به صبرا و (وهل) كنعب أيضا فزع و (زجرته) زجرا من باب قتل منعه و ازدجر يستعمل لازما و متعديا و (المزدجر) المتعظ مفتعل من الزجر، أبدلت التاء دالا ليوافق الزاي بالجهر قال سبحانه: «وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ» أي متعظ و هو بمعنى المصدر اي ازدجار عن الكفر و تكذيب الرسل.

الاعراب

قريب مرفوع على الخبرية، و ما مصدرية مرفوع المحل على الابتداء و الجملة بعدها في تأويل المصدر

المعنى

اشاره

اعلم أن هذه الخطبه له وارده في إنذار الجاهلين و الغافلين بالأهويل و الشدايد الواقعه بعد الموت و حينه فكأنه عليه السلام يقول يا أهل الجهاله و العصيان المتمردين عن طاعه الرحمن، حتام على الدنيا إقبالكم، و شهوتها اشتغالكم،

ص: ٢٩٢

و قد وخطكم القتير(١)، و وافاكم التذير، و أنتم عما يراد بكم لاهون، و بلذّه يومكم ساهون.

(فأنكم لو عايتم) بعين التعين الخالصة عن الشوائب العاربه عن الغطاء و الحواجب (ما قد عايته من مات منكم) قبلكم من غمرات الموت و سكراته؛ و أهوال القبر و ظلماته، و عقوبات البرزخ و نقماته، و عذاب الآخره و شدايدها (لجزعتم و وهلتم) و فزعتم لشده تلك الأهوال و هول هذه الأحوال (و) ل (سمعتم) الواعيه(٢) (و أطعتم) الداعيه للملازمه البيته بين معايته هذه الأمور بعين اليقين و بين الجزع و الفزع و السماع و الطاعه لرب العالمين.

كما شهد به الكتاب المكنون: «إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ» (و لكن) نى اعتذر منكم بلسان حالكم بأنه (محجوب عنكم ما قد عايته) ه مستور عنكم ما قد شهدوه، و لذلك ذهلتكم و غفلتم و رغبتكم فى الدنيا و أهتمكم لذاتها، و شغلتكم شهواتها ألا- إن هذا العذر غير مقبول، و ذلك الاعتذار غير نافع (و) ذلك لأنه (قريب ما يطرح الحجاب) حين ما حلّ بك الموت و واراك التراب و شهد عليك الرقيب و العتيد، فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد.

(و) الله (لقد بصيرتم) و بصيرتم مبصيرين (إن ابصرتهم) و نظرتهم بعين ناظره (و اسمعتم) و بصيرتم سامعين (إن سمعتم) و وعيتم بأذن واعيه (و هديتم إن اهتديتم) بعقول كامله و قلوب صافيه (بحق أقول لقد جاهرتمكم العبر) و عالتمكم الانباء و الأثر بالمصائب التنازله على الامم الماضيه، و العقوبات الواقعه فى القرون الخاليه، و ما حلّ بأهل القبور سطورا بافناء الدّور، ألا ترونهم كيف تدانوا فى خططهم، و قربوا فى مزارهم و بعدوا فى لقائهم، عمروا فخربوا، و آنسوا فأوحشوا، و سكتوا فازعجوا،

ص: ٢٩٣

١- (١) القتير الشيب و الوخط بالخاء يقال و خطه القتير اى خالطه الشيب منه.

٢- (٢) الواعيه وزان كامله الصراخ و النداء بصوت عال و كذلك الداعيه و النبى داعى الله لانه يدعوا لناس الى الحق، منه.

و قطنوا فرحلوا.

فإنّ في هذه الامور كلها عبره لمن اعتبر، و تذكره لمن اذكر (و) مع هذه كلها (زجرتم بما فيه مزدجر) من النهى الأكيد، و الوعيد الشديد الوارد في الكتب الإلهية و السنين النبوية (و) بعد ذلك كله لم يبق عذر لمن اعتذروا (ما يبلغ عن الله بعد رسل السماء إلا البشر) و ما فُزط و لا قَصّر، بل بَلَّغ و ذكر، و بَشَّر و أنذر حكمه بالغه فما تغنى النَّذر.

و لتتبع هذه الخطبه الشريفه لأمير المؤمنين و سيّد الوصيين بندبه جليله لسبطه الأجل زين العابدين و سيّد الساجدين سلام الله عليهما من ربّ العالمين، لكون تلك التّديه مع هذه الخطبه مطابقيه المضامين، مضافا إلى ما فيها من الفوائد الجمه و المواعظ الحسنه التي يتتبع بها الجاهل عن نوم الغفله، و يهتدى بها الضّالّ عن طريق الضّلاله.

و هي ما رواها شاکر بن غنيمه بن أبي الفضل عن عبد الجبار الهاشمي قال:

سمعت هذه التّديه من الشيخ أبي بشر بن أبي طالب الكندي يرويها عن أبي عيينه الزّهرى قال: كان عليّ بن الحسين عليهما السلام يناجي و يقول:

قل لمن قلّ عزّؤه، و طال بكأؤه، و دام عناؤه، و بان صبره، و تقسم فكره، و التبس عليه أمره، من فقد الأولاد، و مفارقه الآباء و الاجداد، و الامتعاض بشماته الحساد: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ» شعر:

تعرّف فكلّ للمتيّه ذائق و كلّ ابن انثى للحياه مفارق

فعمر الفتى للحادثات ذريته تناهيه ساعاتها و الدّقائق

كذا تتفانى واحدا بعد واحد و تطرقنا بالحادثات الطوارق

فحسّن الأعمال، و جمّل الأفعال، و قصّر الآمال الطوال، فما عن سبيل المنيه مذهب، و لا عن سيف الحمام مهرب، و لا إلى قصد النّجاه مطلب، فيا أيّها الانسان المتسخط على الزّمان، و الدّهر الخوان، مالك و الخلود إلى دار الأحزان، و السكون

ص: ٢٩٤

إلى دار الهوان، وقد نطق القرآن بالبيان الواضح فى سورة الرحمن: «كُلٌّ مِّنْ عَلَيْهَا فَاِنَّ وَ يَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَ الْاِكْرَامِ»
شعر:

و فيم و حتّى م الشكاية و الردى جموح لآجال البريه لاحق

فكلّ ابن انثى هالك و ابن هالك لمن ضمّنته غربها و المشارق

فلا بدّ من إدراك ما هو كائن و لا بدّ من إتيان ما هو سابق

فالشباب للهرم، و الصّحّة للسّقيم، و الوجود للعدم، و كلّ حى لا شكّ مخترم، بذلك جرى القلم، على صفحه اللوح فى القدم،
فما هذا التلهّف و النّدم، و قد خلت من قبلكم الامم شعر:

أ ترجو نجاه من حياه سقيمه و سهم المنايا للخليقه راشق

سرورك موصول بفقدان لذّه و من دون ما تهواه تأتى العوائق

و حبّك للدنيا غرور و باطل و فى ضمنها للراغبين البوائق

أ فى الحياه طمع، أم إلى الخلود نزع؛ أم لما فات مرتجع، و رحي المنون دائره، و فراسها غائره، و سطواتها قاهره، فقرب الزّاد،
ليوم المعاد، و لا تتوطّ على غير مهاد و تعمّد الصّواب، و حقّق الجواب، فلكلّ أجل كتاب، يمحو الله ما يشاء و يثبت و عنده أمّ
الكتاب شعر:

فسوف تلاقى حاكما ليس عنده سوى العدل لا يخفى عليه المناق

يتميّز أفعال العباد بلطفه و يظهر منه عند ذاك الحقائق

فمن حسنت أفعاله فهو فايز و من قبحت أفعاله فهو زاهق

أين السّيلف الماضون، و الأهلون و الأقربون، و الأوّلون و الآخرون، و الأنبياء و المرسلون، طحتهم و الله المنون، و توالى عليهم
السنون، و فقدتهم العيون، و إنّا إليهم صائرون، فإنّا لله و إنّا إليه راجعون شعر:

إذا كان هذا نهج من كان قبلنا فإنّا على آثارهم نتلاحق

فكن عالما أن سوف تدرك من مضى و لو عصمتك الرّاسيات الشّوايق

فما هذه دار المقامه فاعلمن «فاعلمن خ» و لو عمّر الانسان ما ذرّ شارق

أين من شقّ الأنهار، و غرس الأشجار، و عمر الدّيار، ألم تمح منهم الآثار، و تحلّ بهم دار البوار، فاخش الجوار، فلك اليوم بالقوم اعتبار، فأنما الدّنيا متاع و الآخرة هي دار القرار شعر:

تخرّمهم ريب المنون فلم تكن لتنفعم جئاتهم و الحدائق

و لا حملتهم حين ولّوا بجمعهم نجائبهم و الصّافات السّوابق

و راحوا عن الأموال صفرا و خلفوا ذخايرهم بالرّغم منهم و فارقوا

أين من بنى القصور و الدّساكر، و هزم الجيوش و العساكر، و جمع الأموال و حاز الآثام و الجرائر، أين الملوك و الفراغ و الأكاسره و السياسنه، أين العمّال و الدّهاقنه أين ذووا النواحي و الرّسائيق، و الأعلام و المناجيق، و العهود و الموائيق شعر:

كأن لم يكونوا أهل عزّ و منعه و لا رفعت أعلامهم و المناجق

و لا سكنوا تلك القصور التي بنوا و لا اخذت منهم بعهد موائق

و صاروا قبورا دارسات و أصبحت منازلهم تسفى عليه الخواقق

ما هذه الحيره و السّبيل واضح؛ و المشير ناصح، و الصواب لائح، عقلت فاغفلت، و عرفت فانكرت، و علمت فاهملت، هذا هو الدّاء الذي عزّ دواؤه، و المرض الذي لا يرجى شفاؤه، و الأمل الذي لا يدرك انتهاؤه، أ فأمنت الأيام؛ و طول الأسقام، و نزول الحمام، و الله يدعو إلى دار السّلام شعر:

لقد شقيت نفس تتابع غيتها و تصدف عن إرشادها و تفارق

و تأمل ما لا يستطاع بحيله (بحمله خ) و تعصيك إن خالفتها و تشاقق

و تصغى إلى قول الغوىّ و تشنى و تعرض عن تصديق من هو صادق

فيا عاقلا راحلا، و لبيبا جاهلا، و متيقّظا غافلا، أترفح بنعيم زائل، و سرور حائل، و رفيق خاذل، فيا أيها المفتون بعمله، الغافل عن حلول أجله، و الخائض في بحار زلله، ما هذا التقصير و قد و خطك القتير، و وافاك النذير، و إلى الله المصير شعر:

طلابك أمر لا يتمّ سروره و جهدك باستصحاب من لا يوافق

و أنت كمن يبني بناء و غيره يعاجله في هدمه و يسابق

و ينسج آمالا طويلا بعيده و يعلم أنّ الدهر للنسج خارق

ليست الطريقه لمن ليس له الحقيقه، و لا- يرجع إلى خليقه؛ إلى كم تكدح و لا تقنع و تجمع و لا تشبع؛ و توفر لما تجمع، و هو غيرك مودع، ما ذا الرأى العازب، و الرشد الغائب، و الأمل الكاذب، ستنقل عن القصور، و ربّاب الخدور، و الجذل و السّرور إلى ضيق القبور، و من دار الفناء إلى دار الجبور، «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ»، «وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ» شعر:

فعالك هذا غرّه و جهاله و تحسب يا ذا الجهل أنك حاذق

تظنّ بجهل منك أنك راتق و جهلك بالعقبى لدينك فائق

توخيّك من هذا أدلّ دلالة و أوضح برهانا بأنّك مائق

عجبا لغافل عن صلاحه، مبادر إلى لذاته و أفراحه، و الموت طريده «فى خ» مسائه و صباحه فيا قليل التحصيل، و يا كثير التعطيل، و يا ذا الأمل الطويل، «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ»، بناؤك للخراب، و مالك للذهاب، و أجلك إلى اقتراب شعر:

و أنت على الدنيا حريص مكاثر كأنك منها بالسلامه واثق

تحدّثك الاطماع أنّك للبقا خلقت و أنّ الدهر خلّ موافق

كأنّك لم تبصر اناسا ترادفت عليهم بأسباب المنون اللواحق

هذه حاله من لا يدوم سروره، و لا تتمّ اموره، و لا يفكّ أسيره، أتفرح بمالك و نفسك و ولدك و غرسك «عرسك»، و عن قليل تصير إلى رمسك، و أنت بين طيّ و نشر، و غنى و فقر، و وفاء و غدر، فيا من القليل لا يرضيه، و الكثير لا يغنيه، اعمل ما شئت أنّك ملاقيه، «يَوْمَ يَقُورُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَ أُمِّهِ وَ أَبِيهِ وَ صَاحِبَتِهِ وَ بَيْنِهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ» شعر:

سيقفر بيت كنت فرحه أهله و يهجر مثواك الصديق المصادق

و ينساک من صافيته و ألفته و يجفوك ذو الودّ الصّحيح الموافق

على ذا مضى الناس اجتماع و فرقه و ميت و مولود و قال و وامق

أفّ لدنيا لا يرقى سليمها، ولا يصحّ سقيمها، ولا يندمل كلومها، وعودها كاذبه، و سهامها غير صائبه، و آمالها خائبه، لا تقيم على حال، و لا تمتع بوصول، و لا تسرّ بنوال شعر:

و تلك لمن يهوى هواها مليكه تعبده أفعالها و الطرائق

يسرّ بها من ليس يعرف غدرها و يسعى إلى تطلابها و يسابق

إذا عدلت جارت على اثر عدلها فمكروهه أفعالها و الخلايق

فيا ذا السطوه و القدره، و المعجب بالكثره، ما هذه الحيره و الفتره، لك فيمن مضى عبره، و ليؤذن الغافلون عما إليه يصيرون، إذا تحققت الظنون، و ظهر السر المكنون و تندمون حين لا تقالون، ثم إنكم بعد ذلك لميتون شعر:

سيندم فعّال على سوء فعله و يزداد منه عند ذاك التّشاهق

إذا عاينوا من ذى الجلال اقتداره و ذو قوّه من كان قد ما يداق

هنالك تتلو كلّ نفس كتابها فيطفو ذو عدل و يرسب فاسق

إلى كم ذا التّشاغل بالتجاير و الأرباح، إلى كم ذا التّهور بالسّرور و الأفراح، و حتّام التّغيرير بالسّيّلامه فى مراكب النّياح، من ذا الذى سالمه الدّهر فسالم، و من ذا الذى تاجرّه الزّمان فغنم، و من ذا الذى استرحم الأيّام فرحم، اعتمادك على الصّيحه و السّلامه خرق، و سكونك إلى المال و الولد حمق، و الاغترار بعواقب الامور خلق، فدونك و حزم الامور، و التّيقظ ليوم النّشور، و طول اللبث فى صفحات القبور، فلا تغرنكم الحياه الدّنيا و لا يغرنكم بالله الغرور شعر:

فمن صاحب الأيّام سبعين حجّه فلذّاتها لا شكّ منه طوالق

فعقبى حلاوات الزّمان مريره و إن عذبت حيناً فحيناً خرايق

و من طرفته الحادّثات بويلها فلا بدّ أن تاتيه فيها الصّواعق

فما هذه الطمأنينه و أنت مزعج، و ما هذه الولوج و أنت مخرج، جمعك إلى تفريق و رفوك (و فرك خ) إلى تمزيق، و سعتك إلى ضيق، فيا أيها المفتون، و الطامع بما لا يكون، «أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ» شعر:

ستندم عند الموت شرّ ندامه إذا ضمّ أعضاك الثرى و المطابق

و عاينت أعلام المنيه و الردى و وافاك ما تبيض منه المفارق

و صرت رهينا فى ضريحك مفردا و باعدك الجار القريب الملاصق

فيا من عدم رشده، و جار قصده، و نسى ورده، إلى متى تواصل بالذنوب و أوقاتك محدوده، و أفعالك مشهوده، أ فتعول على الاعتذار، و تهمل الأعدار و الانذار، و أنت مقيم على الاصرار، و لا- تحسبنّ الله غافلا عمّا يعمل الظالمون إنّما يؤخّرههم ليوم تشخص فيه الأبصار شعر:

إذا نصب الميزان للفصل و القضا و إبليس محجاج و اخرس ناطق

و اججت النيران و اشتدّ غيظها إذا فتحت أبوابها و المغالق

و قطعت الأسباب من كلّ ظالم يقيم على اسراره و ينافق

فقدم التّوبه، و اغسل الحوبه، فلا- بدّ أن تبلغ إليك النوبه، و حسن العمل قبل حلول الأجل و انقطاع الامل، فكلّ غائب قادم، و كلّ عريب عازم (و كل غريب غارم خ)، و كلّ مفرط نادم، فاعمل للخلاص قبل القصاص، و الأخذ بالتّواص شعر:

فإنّك مأخوذ بما قد جنيته و إنك مطلوب بما أنت سارق

و ذنبك إن أبغضته فمعانق و مالك ان أحببته فمفارق

فقارب و سدّد و اتق الله وحده و لا تستقلّ الزاد فالموت طارق

و اتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله، ثمّ توفى كلّ نفس ما كسبت و هم لا يظلمون

تكملة

المستفاد من الكافى أنّ هذه الخطبه ملتقطه من خطبه طويله و روى صدرها هناك باختلاف لما أورده السيّد هنا.

قال فى الكافى فى باب ما يجب من حقّ الإمام على الرعيّه: محمّد بن يحيى العطار عن بعض أصحابنا عن هارون بن مسلم عن مسعده عن أبى عبد الله عليه السّلام قال:

قال أمير المؤمنين عليه السّلام: لا تختانوا ولا تكتم، و لا تغشوا هدايتكم، و لا تجهلوا أئمتكم و لا تصدّعوا عن جبلكم فتفشلوا و تذهب ريحكم، و على هذا فليكن تأسيس اموركم

و أَلْزَمُوا هَذِهِ الطَّرِيقَةَ فَانْتَكُمُ لَوْ عَايَنْتُمْ مَا عَايَنَ مِنْ قَدَمَاتِ مَنْكُمْ مَمَّنْ خَالَفَ مَا قَدْ تَدْعُونَ إِلَيْهِ لِبِدْرَتِهِمْ وَ خُرْجَتِهِمْ وَ لِسَمْعَتِهِمْ وَ لَكِنْ مَحْجُوبٌ عَنْكُمْ مَا قَدْ عَايَنُوا، وَ قَرِيبًا مَا يَطْرَحُ الْحِجَابَ.

الترجمه

ای غافلان و تمرد کنندگان از طاعت پروردگار عالمیان پس بدرستی که اگر ببینید آن چیزی را که بمعاینه دیدند کسانی که مردند از شما هر آینه بجزع و فزع در آئید، و می شنوید و اطاعت می نمائید و لکن مستور است از شما آنچه معاینه دیده اند آن را گذشتگان و نزدیکست برداشته شدن حجاب، و بتحقیق که نموده می شوید اگر ببینید بنظر بصیرت، و شنواید می شوید اگر بشنوید بگوش حقیقت، و هدایت یافته می شوید اگر طلب هدایت نمائید بعقل کامل و قلب صافی، براستی می گویم شما را که بتحقیق چهارا و آشکار صدا نمود شما را عبرتها، و زجر و منع کرده شدید بچیزی که در آن ازدجار و ممانعت هست از مناهی اکیده و وعیدهای شدید، و تبلیغ نمی نماید از جانب خداوند تبارک و تعالی بعد از ملائکه آسمان مگر جنس آدمیان از پیغمبران پس جای عذر نمانده شما را در تخلف کردن از دعوت ایشان.

و من خطبه له علیه السلام و هی الحادیه و العشرون من

اشاره

المختار فی باب الخطب

فإنَّ الغايه أَمَامَكُم، وَ إِنَّ وَرَائِكُم السَّاعَه تَحْدُوكُم، تَخَفُّوْا تَلْحَقُوا، فَإِنَّمَا يَنْتَظِرُ بِأَوْلِكُم آخِرَكُم.

قال السيد (ره): إنَّ هذا الكلام لو وزن بعد كلام الله سبحانه و كلام رسوله بكلّ كلام لمال به راجحا و برز عليه سابقا، فأما قوله عليه السلام تخفّفوا تلحقوا فلا سمع كلام أقلّ منه مسموعا و لا أكثر محصولا، و ما أبعد غورها من كلمه، و أنفع نطفتها

ص: ۳۰۰

من حكمه، و قد تبهنا فى كتاب الخصائص على عظم قدرها و شرف جوهرها

اللغة

(حدا) الابل و بها حدوا إذا زجرها و غتّى لها ليحثّها على السّير و (الغور) العمق و (التّطفه) ما صفى من الماء و ما (انقع) الماء ما أرواه للعطش و فى بعض النسخ ما انفع بالفاء الموحّده و لا بأس به.

الأعراب

تحدوكم منصوب المحلّ على الحالّيه، و تلحقوا منصوب بكى مضمرة

المعنى

اعلم أنّ المستفاد من كتاب مطالب السّؤل لمحمّد بن طلحه على ما رواه فى البحار منه هو أنّ هذا الكلام له عليه السّلام من تمام الخطبه السّابقه حيث قال: و من كلام أمير المؤمنين لقد جاهرتكم العبر و زجرتم بما فيه مزدجر و ما يبلغ عن الله بعد رسل السّماء إلّا البشر، ألا و إنّ الغايه أمامكم اه.

و كيف كان فقد اختلف أنظار الشّراح فى تفسير هذا الكلام له و بيان المراد منه على أقوال و الأظهر عندى أنّ قوله (فانّ الغايه أمامكم) أراد بالغايه الموت كما صرّح به فى الحديث الآخر: الموت غايه المخلوقين، أى نهايتهم التى ينتهون إليها، و لأجل كونه منتهى سير المخلوقين صحّ جعله أمامهم، لأنّهم يسرون إليه بحركه جبليّه و توجهه غريزى فيكون أمامهم لا محاله.

و أمّا قوله: (و إنّ ورائكم السّاعه) فالمراد بالسّاعه ساعات اللّيل و النّهار سمّيت بها لأنّها تسعى النّاس بها كما سمّيت القيامه ساعه لأنّها تسعى النّاس إليها بحركه جبليّه و توجهه غريزى أيضا، كما يسعى إلى الموت و إنّما جعلها و رائنا مع كونها منبسّطه على مدى العمر و انقسامها إلى الماضى و الاستقبال، باعتبار أنّها تحثّ الانسان تحثيثا و تسوقه سوقا حثيثا إلى الغايه التى أمامه أعنى الموت كما يدلّ عليه قوله: (تحدوكم) أمّا أنّها تسوقنا إليها فلاّنه بانقضائها شيئا فشيئا يكون الانسان بعيدا من

المبدأ قريبا إلى المنتهى، فتكون بمنزلة السابق إليه و من الواضح أنّ الحادى و السابق من شأنه أن يكون وراء ما يحديه و يسوقه، فبذلك الاعتبار صحّ جعلها ورائنا، و يمكن استنباط ما ذكرته من تقديم الخبر على الاسم، بيان ذلك أنّ كون الموت أمام الانسان لما كان واضحا عند الكلّ أجرى الكلام فيه على الحقيقه بتقديم ما حقّه التقديم و تأخير ما حقّه التّأخير حيث قال: فإنّ الغايه أمامكم.

و أما كون السّاعه فى الورا لما كان خفيا بالاعتبار الذى ذكرناه من انقسامها إلى الماضى و الاستقبال، و كان نظر الجاهل دائما إلى ما بقى من عمره و إلى ما هى أمامه من السّاعات الباقية غير ملتفت إلى ما مضى، لا جرم تبه على أنّ ما تحسبونه أمامكم فهى فى الحقيقه ورائكم باعتبار أنّها تحدوكم، فلذلك قدّم الخبر على الاسم و قال: إنّ ورائكم السّاعه لمزيد الاهتمام به و زياده إشعاره بهذا المعنى فافهم و إذا عرفت ما ذكرناه فلنذكر ما ذكره الشّراح فى المقام فأقول:

قال الشّارح البحرانى فى شرح قوله: إنّ الغايه أمامكم: لما كانت الغايه من وجود الخلق أن يكونوا عباد الله، كما قال تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ»، و كان المقصود من العباده إنّما هو الوصول إلى جناب عزّته و الطيران فى حظاير القدس بأجنحه الكمال مع الملائكه المقربين، و كان ذلك هو غايه الانسان المطلوبه منه و المقصوده له و المأمور بالتّوجّه إليها بوجهه الحقيقى، فان سعى لها سعيها أدركها و فاز بحلول جنّات النّعيم، و إن قصر فى طلبها و انحرف صراط السّواء الموصل إليها، كان فى جهنّم من الهاوين، و كانت غايته فدخلها مع الدّاخلين، فاذن ظهر أنّ غايه كلّ إنسان أمامه إليها يسير و بها يصير.

و فى شرح: و إنّ ورائكم السّاعه تحدوكم: إنّ المراد بالسّاعه القيامه الصّغرى و هى ضروره الموت.

فأمّا كونها ورائهم فلايّ الانسان لما كان بطبعه ينفر من الموت و يفتر منه و كانت العاده فى الهارب من الشىء أن يكون ورائه مهروب منه، و كان الموت متأخرا عن وجود الانسان و لاحقا تأخرا و لحوقا عقليا، أشبه المهروب منه المتأخّر اللاحق

هربا و تأخرا و لحوقا حسيا، فلا جرم استعير لفظ الوجهه المحسوسه و هى الوراء.

و أميا كونها تحدوهم فلأنت الحادى لَمّا كان من شأنه سوق الابل بالحداء، و كان تذكر الموت و سماع نوادبه مقلقا مزعجا للنفوس إلى الاستعداد لأمور الآخرة و الالهه للقاء الله سبحانه، فهو يحملها على قطع عقبات طريق الآخرة كما يحمل الحادى الابل على قطع الطريق البعيده الوحرة، لا جرم أشبه الحادى فأسند الحداء إليه انتهى و أقول: أما ما ذكره فى شرح الفقره الاولى، فيه أنّ الظاهر من صدر كلامه حسبما يستفاد من التمسك بالآيه أيضا هو أنّه جعل الغايه فى كلامه عليه السلام بمعنى العله الغائيه، و عليه فلا يستقيم جعل الجحيم غايه للانسان، بل و لا الجنّه أيضا إذا لغرض من خلقه الانسان هو العبوديّة كما هو نصّ الآيه الشّريفه، و أمّا المثوبه و العقوبه فهما متفرّعان عليها امتثالا و عصيانا، فلا يصحّ جعلهما غايه، و أنّ جعل الغايه بمعنى النّهايه فكونهما غايه بهذا المعنى صحيح إلاّ أنّه لا حاجه معه إلى الاستدلال بالآيه و إلى ما مهده من المقدّمه مضافا إلى منافاته بنصّ قوله: و كان ذلك هو غايه الانسان المطلوبه منه.

و أمّا ما ذكره فى شرح الفقره الثانيه ففيه أنّ جعل الشاعه بمعنى الموت إمّا باعتبار أنّها حقيقه فيه عرفا أو شرعا من دون ملاحظه المناسبه بينه و بين معناها اللغوى، فيتوجّه عليه أولاّ منع الحقيقه العرفيه أو الشرعيه، و ثانيا منع عدم ملاحظه المناسبه على تقدير تسليم الحقيقته بأحد الوجهين، و إمّا باعتبار أنّ إطلاقها عليه بملاحظه أنّ الناس يسعى إليه حسبما ذكرناه سابقا فيتوجّه عليه أنّ إطلاقها عليه باعتبار أنّ الناس يسعى إليه مع وصفه بكونه فى الوراء باعتبار أنّ الناس يهرب منه حسبما قرّره، لا يخفى ما فيه من السّماجه فافهم جيّدا.

و قال الشّارح المعتزلى: غايه المكلفين هى الثّواب و العقاب فيحتمل أن يكون أراد ذلك، و يحتمل أن يكون أراد بالغايه الموت، و إنّما جعل ذلك أمامنا لأنّ الانسان كالسائر إلى الموت أو كالسائر إلى الجزاء، فهما أمامه أى بين يديه،

ثم قال: وإن ورائكم الساعة تحذوكم أى تسوقكم، وإنما جعلها ورائنا لأنها إذا وجدت ساقط الناس إلى موقف الجزاء كما يسوق الراعي الأبل، فلما كانت سائقه لنا كانت كالشيء يخفر الانسان من خلفه و يحركه من ورائه إلى جهة ما بين يديه انتهى و فيه أن الجملة خبرية على ما حققها الأصوليون حقيقه فيما تلبس المبتدأ بالخبر فى الحال، و استعمالها فيما لم يتلبس به بعد مجازا إتفاقا لا- يصار إليه إلا- بقرينه، و على ذلك فجعل كون الساعة ورائنا بمعنى أنها تكون ورائنا إذا وجدت مجاز لا ينبغى ارادته إلا بقرينه ظاهره، و هى فى المقام مفقوده.

و قال القطب الزاوندى على ما حكى عنه الشارح المعتزلى: معنى قوله:

فإن الغايه أمامكم، يعنى أن الجنه و النار خلفكم، و معنى قوله: و رائقكم الساعه أى قدامكم انتهى.

و هو أردء ما ذكره فى شرح المقام أميا أولا- فلائذ الوراء بمعنى القدام و إن ورد إلا- أن الأمام بمعنى الخلف لم يسمع من أحد كما ذكره الشارح المعتزلى و ثانيا على تقدير تسليم وروده بذلك المعنى أن التعبير عن الخلف بالأمام و عن القدام بالوراء مع ظهورهما فى العكس ممّا يابى عنه الذوق السليم و الطبع المستقيم، فيجب تنزيه كلام الامام عليه السلام الذى هو امام الكلام عنه.

و ثالثا أنه إذا جعل المراد بالغايه الجنه و النار فلا- داعى إلى حمل الأمام بمعنى الخلف كما هو ظاهر، بل إرادته المعنى الظاهر الذى هو نقيض الخلف أولى حسبما ذهب إليه الشارح المعتزلى و البحرانى على ما قدمنا ذكره هذا.

و أما قوله: (تخففوا تلحقوا) فأصله أن الرجل يسعى و هو غير مثقل بما يحمله فيكون أجدر أن يلحق الذين سبقوه لأن التخفيف و قطع العلايق فى الاسفار سبب السبق و الفوز بلحوق السابقين و كذلك الزهد فى الدنيا و تخفيف المؤنه فيها توجب اللحوق بالسلفين المقربين، و الوصول إلى درجات أولياء الله الذين لا- خوف عليهم و لا- هم يحزنون و ما أنسب بالمقام ما رواه المحدث الجزائرى عن سلمان الفارسى، و هو أنه

لَمَّا بَعَثَ إِلَى الْمَدَائِنِ رَكِبَ حِمَارَهُ وَحَدَهُ، فَاتَّصَلَ بِالْمَدَائِنِ خَيْرَ قَدُومِهِ، فَاسْتَقْبَلَهُ أَصْنَافُ النَّاسِ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا: أَيُّهَا الشَّيْخُ أَيْنَ خَلَّفْتَ أَمِيرَنَا؟ قَالَ:

وَمِنْ أَمِيرِكُمْ؟ قَالُوا: الْأَمِيرُ سَلْمَانُ الْفَارَسِيُّ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ، فَقَالَ لَا أَعْرِفُ الْأَمِيرَ وَ أَنَا سَلْمَانٌ وَ لَسْتُ بِأَمِيرٍ، فَتَرَجَلُوا لَهُ وَ قَادُوا إِلَيْهِ الْمَرَكَبَ وَ الْجَنَائِبَ، فَقَالَ: إِنَّ حِمَارِي هَذَا خَيْرٌ لِي وَ أَوْفَقٌ، فَلَمَّا دَخَلَ الْبَلَدَ أَرَادُوا أَنْ يَنْزِلُوهُ دَارَ الْإِمَارَةِ قَالَ: وَ لَسْتُ بِأَمِيرٍ، فَتَزَلَّ عَلَى حَانُوتٍ فِي السُّوقِ، وَ قَالَ ادْعُوا إِلَيَّ صَاحِبَ الْحَانُوتِ، فَاسْتَأْجَرَ مِنْهُ وَ جَلَسَ هُنَاكَ يَقْضِي بَيْنَ النَّاسِ وَ كَانَ مَعَهُ وَطَاءٌ يَجْلِسُ عَلَيْهِ، وَ مَطْهَرُهُ يَتَطَهَّرُ بِهَا لِلصَّلَاةِ، وَ عَكَازُهُ يَعْتَمِدُ عَلَيْهَا فِي الْمَشْيِ، فَاتَّفَقَ أَنَّ سَيْلًا وَقَعَ فِي الْبَلَدِ فَارْتَفَعَ صِيَاحُ النَّاسِ بِالْوَيْلِ وَ الْعَوِيلِ يَقُولُونَ: وَ أَهْلَاهُ وَ وَاءُ وَلَدَاهُ وَ وَاءُ مَا لَاهُ، فَقَامَ سَلْمَانٌ وَ وَضَعَ وَطَاءَهُ فِي عَاتِقِهِ وَ أَخَذَ مَطْهَرَتَهُ وَ عَكَازَتَهُ بِيَدِهِ، وَ ارْتَفَعَ عَلَى صَعِيدٍ، وَ قَالَ:

هَكَذَا يَنْجُو الْمُخَفَّفُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

و روى (١) عن الشَّيْخِ وَ رَامَ طَابَ ثَرَاهُ أَنَّهُ لَمَّا مَرَضَ سَلْمَانٌ مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَتَاهُ سَعْدٌ يَعُودُهُ، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا عَبْدَ اللَّهِ؟ فَبَكَى فَقَالَ: مَا بِيَكِيكَ؟ فَقَالَ:

وَ اللَّهُ مَا أَبْكَى حِرْصًا عَلَى الدُّنْيَا وَ لَا حُبَّالَهَا، وَ لَكِنِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ عَهْدَ إِلَيْنَا عَهْدًا فَقَالَ:

لِيَكُنْ بِلَاغٍ أَحَدَكُمْ مِنَ الدُّنْيَا كَزَادِ رَاكِبٍ، فَأَخْشَى أَنْ نَكُونَ قَدْ جَاوَزْنَا أَمْرَهُ وَ هَذِهِ الْأَسَاوِرُ (٢) حَوْلِي، وَ لَيْسَ حَوْلَهُ إِلَّا- مَطْهَرُهُ فِيهَا مَاءٌ، وَ إِجَانُهُ وَ جَفْنُهُ.

قَالَ: وَ دَخَلَ رَجُلٌ عَلَيْهِ فَلَمْ يَجِدْ فِي بَيْتِهِ إِلَّا سَيْفًا وَ مِصْحَفًا، فَقَالَ لَهُ: مَا فِي بَيْتِكَ إِلَّا مَا أَرَى؟ قَالَ: إِنَّ أَمَامَنَا عَقْبَهُ كَنُودًا، وَ إِنَّا قَدَّمْنَا مَتَاعَنَا إِلَى الْمَنْزِلِ أَوْلًا فَأَوْلًا، وَ قَالَ: وَقَعَ الْحَرِيقُ فَأَخَذَ سَلْمَانٌ سَيْفَهُ وَ مِصْحَفَهُ، وَ قَالَ: هَكَذَا يَنْجُو الْمُخَفَّفُونَ.

ثُمَّ إِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا أَمْرَهُمْ بِالْتَّخْفِيفِ وَ حَثَّهُمْ عَلَى قَطْعِ الْعَلَائِقِ عَلَّاهُ بِقَوْلِهِ: (فَأَنَّمَا يَنْتَظِرُ بِأَوْلِكُمْ آخِرَكُمْ) يَعْنِي إِنَّهَا يَنْتَظِرُ بِالْبَعْثِ الْأَكْبَرِ وَ الْقِيَامَةِ الْكُبْرَى لِلَّذِينَ

ص: ٣٠٥

١- (١) اى الجزايرى.

٢- (٢) اساور جمع اسوره و لعله كنى بها عن اساس البيت.

ماتوا أولاً وصول الباقيين و موتهم.

و تحقيق ذلك الانتظار على ما حَقَّقه الشَّارح البحراني أَنَّهُ لَمَّا كَانَ نَظْرَ العنایه الإلهیة إِلَى الخلق نظراً واحداً و المطلوب منهم واحداً و هو الوصول إِلَى جناب عزَّه اللهُ الذی هو غایتهم، أَشْبَهَ طلب العنایه الإلهیة وصول الخلق إِلَى غایتهم انتظار الانسان لقوم یرید حضور جمیعهم و ترقبه بأوائلهم و وصول أواخرهم، فأطلق علیه لفظ الانتظار على سبیل الاستعارة، و لَمَّا صَوَّرَ ههنا صوره انتظارهم لوصولهم؛ جعل ذلك عَلةً لِحَثِّهم على التَخْفِيفِ و قطع العَلايقِ، و لا شكَّ أَنَّ المعقول لاولی الألباب من ذلك الانتظار حاثَّ لهم أیضاً على التَّوجه بوجه أَنفسهم إِلَى اللهُ و الاعراض عَمَّا سِوَاهِ

الترجمه

پس بدرستی که غایه یعنی مرگ در پیش شماسست و بدرستی که در عقب شماسست ساعت‌های روز و شب در حالتی که میراند شما را بسوی مرگ، سبک شوید تا لاحق شوید، پس بتحقیق که انتظار کشیده شده بلاحق شدن پیشینیان پسینیان شما گفته است سید رضی رضی الله عنه بدرستی که این کلام امام اگر موازنه بشود بعد از کلام خدا و رسول صلی الله علیه و آله و سلم بهر کلامی هر آینه میل می کند این کلام بجمیع کلامها در حالتی که راجح است، و غالب می شود به آنها در حالتی که سابق است، أما فرمایش آن حضرت تخففوا تلحقوا پس شنیده نشده کلامی که کمتر باشد از او از حیثیت لفظ و نه بیشتر باشد از حیثیت معنی و چه قدر بعید است عمق این کلمه طیبه و چه قدر رافع عطش است آب صافی این حکمه لطیفه، بتحقیق که تنبیه کرده ایم ما در کتاب خصایص خود بر عظمت قدر و شرافت جوهر آن کلمه عالی مرتبه، و فَمَقْنَا اللهُ لَهُم نَكَاتَ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ بِجَاهِ مُحَمَّدٍ وَ آله

ص: ۳۰۶

فى باب الخطب

خطب بها حين بلغ أنّ طلحه و الزبير خلعا بيعته، و هى ملتقطه من خطبه طويله مرويه فى شرح البحرانى و قد وردت فصول منها فى طرق عليحده مختلفه بزياده و نقصان يأتى إلى بعضها الاشاره، و ما رواه السيد رحمه الله:

ألا و إنّ الشيطان قد ذمّر حزبه، و استجلب جلبة، ليعود الجور إلى أوطانه، و يرجع الباطل إلى نصابه، و الله ما أنكروا على منكر، و لا جعلوا بينى و بينهم نصفا، و إنهم ليطلبون حقًا هم تركوه، و دما هم سفكوه، فلئن كنت شريكهم فإنّ لهم لنصيبهم منه، و لئن كانوا و لوه دونى فما التبعه إلا عندهم، و إنّ أعظم حجّتهم لعلى أنفسهم، يرتضعون أمّا قد فطمت، و يحيون بدعه قد أميتت، يا خيبه الداعى من دعا، و إلى ما أجيب و إنى لراض بحجّه الله عليهم، و علمه فيهم، فإن أبوا أعطيتهم حدّ السيف، و كفى به شافيا من الباطل، و ناصرا للحقّ، و من العجب بعثتهم «بعثهم خ» إلى أن ابرز للطعان، و أن اصبر للجلاد، هبّلتهم الهبول لقد كنت و ما أهدد بالحرب، و لا أرهب بالضرب، و إنى لعلى يقين من ربّى، و غير شبهه من دىنى.

(ذمر) يروى بالتخفيف والتشديد وهو الحثّ والحضّ، والتشديد دليل التّكثير والمبالغة لأنّهم يقولون: إنّ الزّيادة فى البناء لزيادته المعنى، قال فى الكشّاف ومما طنّ على اذنى من ملح العرب أنّهم يسمّون مركبا من مراكبهم بالشّدق، وهو مركب خفيف ليس فى ثقل حمال العراق، فقلت فى طريق الطايف لرجل منهم: ما اسم هذا المحمل؟ أردت محمل العراقى فقال: أليس ذلك اسمه الشّدق؟ قلت: بلى، فقال هذا اسمه الشّقنداق، فزاد فى بناء الاسم لزيادته المعنى.

و (جلبت) الشىء جلبا من باب ضرب و قتل، و الجلب بفتحيتين فعل بمعنى مفعول و هو ما تجلبه من بلد إلى بلد، قال الشّارح المعتزلى و يروى جلبه و جلبه و هما بمعنى، و هو السّحاب الرقيق الذى لا ماء فيه أى جمع قوما كالجهام الذى لا نفع فيه و فى المصباح عن الأزهرى و ابن فارس (نصاب) كلّ شىء أصله و الجمع نصب و أنصبه مثل حمار و حمر و أحمره و (النّصف) بتثيit النون و سكون الصّاد اسم بمعنى الانصاف.

و اعتراض الشّارح المعتزلى عليه بأنّ المعنى لا يحتمله، لأنّه لا معنى لقوله:

و لا- جعلوا بينى و بينهم إنصافا، بل النّصف بمعنى الذى ينصف، و المعنى لم يجعلوا بينى و بينهم ذا إنصاف، ممّا لا يكاد يظهر وجهه و (ولى) الشىء و عليه ولايه من باب حسب إذا ملك أمره و (التّبعة) كفرحه تقول: لى قبل فلان تبعه و هى الشىء الذى لك فيه بغية شبه ظلامه و نحوها و (فطم) الصّبىّ من باب ضرب إذا فصله عن الرضاع و (حدّ السّيف) الموضع القاطع منه و (الجلاد) المجادله بآله الحرب و (هبلته) أمّه بكسر الباء ثكلته و (الهبول) الثكول التى لم يبق لها ولد

الاعراب

يا خيبة الدّاعى نداء على سبيل التّعجب من عظم خيبه الدّعاء إلى قتاله، و هو نظير النداء فى قوله تعالى: يا حسره على العباد، أى يا خيبة احضرى فهذا أو أنك و كلمه من إمّا مرفوع المحل على الابتداء و الفعل بعده خبر؛ أو منصوب المحلّ

اضمر عامله على شريطه التفسير فلا محلّ لما بعده، إذ الجملة المفسّره لا محلّ لها على الأصح.

وقال ابن هشام: إنّ جملة الاشتغال ليست من الجمل التي تسمّى في الاصطلاح جملة تفسيريه وإن حصل بها تفسير، وكيف كان فجملة من دعا على الأوّل جملة اسميه، وعلى التقدير الثاني جملة فعليه، و شافيا و ناصرا منصوبان على الحائيه و الواو في قوله و ما هدد زايده، و كنت بمعنى ما زلت اي ما زلت لا أهدد بالحرب.

قال الشّارح المعتزلي: و هذه كلمه فصيحہ كثيرا ما يستعملها العرب، و قد ورد في القرآن العزيز كان بمعنى ما زال في قوله: و كان الله عليما حكيمًا، و نحو ذلك من الآي و المعنى: لم يزل الله عليما حكيمًا.

المعنى

اشاره

قد أشرنا أنّ هذه الخطبه من خطب الجمل واردة في معرض التّعرض على النّاكثين و قد وقع التّصريح بذلك في بعض طرقها حسبما تأتي إليها الاشاره، و قد كتّى عنهم بحزب الشّيطان و جنود إبليس كما قال: (ألا و إنّ الشّيطان قد ذمر حزبه) و حشا قبيله (و استجلب جلبه) و جمع جمعه (ليعود الجور إلى أوطانه) كما كان عليها أولا (و يرجع الباطل إلى نصابه) و أصله الذي كان عليه سابقا (و الله ما أنكروا على منكرا) و هو قتل عثمان حيث نسبوه إليه عليه السّلام و زعموا أنّه منكر فأنكروه عليه فردّهم بانكار كونه منكرا، و على تقدير تسليمه بعدم صحّته لنسبته إليه و على كلّ تقدير فانكارهم عليه يكون منكرا (و لا جعلوا بيني و بينهم نصفا) و عدلا إذ لو جعلوا ميزان العدل في البين يظهر بطلان دعواهم (و) ذلك ل (أنّهم ليطالبون حقّا) أي حقّ قصاص (هم تركوه) حيث أمسكوا النّكير على قاتليه (و دما هم سفكوه) لأنّهم أوّل من ألب الناس على عثمان و أغرى بدمه، كما يشهد به قوله عايشه: اقتلوا نعثلا قتل الله نعثلا.

يدلّ عليه ما في روايه أبي مخنف الآتيه من قوله: اللهمّ إنّ طلحه نكث بيعتي و ألب على عثمان حتّى قتله ثمّ عضهني به و رمانى اللهمّ فلا تمهله

و عن الطبرى فى تاريخه أنّ عليّاً كان فى ماله بخير لما أراد الناس حصر عثمان فقدم المدينة و الناس مجتمعون على طلحه فى داره، فبعث عثمان إليه عليه السّلام يشكو أمر طلحه فقال عليه السّلام: أما أكفيكه؟ فانطلق إلى دار طلحه و هى مملوءة بالناس فقال له يا طلحه: ما هذا الأمر الذى صنعت بعثمان؟ فقال طلحه: يا أبا الحسن بعد أن مسّ الحزام الطيبين (1)، فانصرف علىّ عليه السّلام إلى بيت المال فأمر بفتحه فلم يجدوا المفتاح، فكسر الباب و فرّق ما فيه علىّ الناس فانصرفوا من عند طلحه حتّى بقى وحده، فسّر عثمان بذلك، و جاء طلحه إلى عثمان فقال له: يا أمير المؤمنين إننى أردت أمراً فحال الله بينى و بينه و قد جئتكَ تائباً، فقال: و الله ما جئت تائباً و لكن جئت مغلوباً، الله حسبك يا طلحه.

و روى أنّ الزبير لَمَّا برز لعلّى عليه السّلام يوم الجمل قال له: ما حملك يا عبد الله علىّ ما صنعت؟ قال: أطلب بدم عثمان، فقال: أنت و طلحه و ليطماه و إنّما توبتكَ من ذلك أن تقدّم نفسك و تسلّمها إلى ورثته.

و بالجمله فقد ظهر ممّا ذكرناه أنّه لا ريب فى دخولهم فى قتل عثمان و مع مكان ذلك الدّخول لا يجوز لهم المطالبة بدمه.

توضيح ذلك أنّ دخولهم فيه إمّا أن يكون بالشركه، و إمّا أن يكون بالاستقلال و علىّ أىّ تقدير فليس لهم أن يطلبوا بدمه و قد أشار إلى الشقّ الأوّل بقوله: (فلان كنت شريكهم فيه فإنّ لهم لنصيبتهم منه) و اللازم عليهم حينئذ أن يبدءوا بأنفسهم و يسلموها إلى أولياء المقتول ثمّ يطالبوا بالشريك، و إلى الشقّ الثانى بقوله: (و ان كان ولوه) و باشروه (دونى فما التبعه إلّا قبلهم) و اللازم عليهم حينئذ أن يخصّوا أنفسهم بالمطالبه (و أنّ اعظم حجّتهم لعلّى أنفسهم) حيث يدعون دعوى ضررها عايد إليهم لقيام الحجّه فيها عليهم (يرتضعون أمّا قد فطمت) أى يطلبون الشىء بعد فواته لأنّ الأمّ إذا فطمت ولدها فقد انقضى إرضاعها.

و لعلّ المراد به أنّ مطالبتهم بدم عثمان لغو لا فايده فيه، و يحتمل أن يكون

ص: ٣١٠

١- (١) الطبى حلمه الثدى و جاوز الحزام الطيبين اذا اشتد الامر ش.

المراد بالآم التي قد فطمت ما كان عادتهم في الجاهليّة من الحميّة و الغضب و إثارة الفتن، و بفظامها اندراسها بالاسلام فيكون قوله: (و يحيون بدعه قد اميتت) كالتفسير له.

و قال الشّارح البحراني: استعار لفظ الأم للخلافه في بيت المال لبنها و المسلمون أولادها المرتضعون، و كئى بارتضاعهم لها عن طلبهم منه من الصّيلات و التّفصيلات، مثل ما كان عثمان يصلهم به و يفضل بعضهم على بعض و كونها قد فطمت عن منعه عليه السّلام و قوله: و يحيون بدعها اشاره إلى ذلك التّفصيل، فأنه كان بخلاف سنّه رسول الله و البدعه مقابله السنّه، و إماتتها تركه عليه السّلام في ولايته ذلك (يا خبيه الدّاعى) احضرى فهذا أوان حضورك و الدّاعى هو أحد الثلاثة طلحه و الزّبير و عايشه، كما صرّح به الشّارح المعتزلى أيضا.

ثمّ قال على سبيل الاستصغار لهم و الاستحغار (من دعا) أى أحقر القوم دعاهم هذا الدّاعى (و إلى ما اجيب) أى أقبح بالأمر الذى أجابوه إليه فما أفحشه و أرذله (و إنى لراض ب) قيام (حجّه الله عليهم) و هو أمره سبحانه بقتال الفئه الباغيه كما قال: فان بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله (و) ب (علمه فيهم) بما يصنعون (فان أبوا) عن طاعتي و امتنعوا من الملازمه على مبايعتي مع قيام هذه الحجّه من الله سبحانه عليهم (أعطيتهم حدّ السّيف) القاطع امتثالا لأمر الله سبحانه و ابتغاء لمرضات الله (و كفى به) أى بذلك السّيف حالكونه (شافيا من الباطل و ناصرنا للحقّ) هذا.

(و من العجب) كلّ العجب (بعثتهم إلى) مع علمهم بحالى فى الشّجاعه و الحرب و الصّبر على المكاره (بأن ابرز للطعان و) تهديدهم علىّ ب (أن اصبر للجلاد) ثكلتهم الثّواكل و (هبلتهم الهبول) كيف يهدّدونى و يرهبونى (لقد كنت و ما اهدّد بالحرب و) ما زلت (لا ارهب بالضّرب) و ذلك (لأننى على يقين من ربّى) و على بصيره من أمرى (و غير شبهه من دينى) فليس لمثلنى أن يهدّد و يرهب، لأنّ الموقن بأنّه على الحقّ ناصر لله ذابّ عن دين الله أشدّ صبورا و أقوى جلدا و أثبت قدما فى

قد أشرنا سابقا إلى أنَّ هذه الخطبة ملتقطه من خطبه طويله مرويه في شرح البحراني، وقدّمنا لك أيضا في شرح كلامه العاشر أنَّ هذا الكلام أيضا من فصول هذه الخطبه فينبغي أن نورد الخطبه بتمامها حتّى يتّضح لك الحال، ثمّ نشير إلى بعض ما وردت فيها فقرات من هذه الخطبه على غير انساق و انتظام بتوفيق الله المتعال.

فأقول: تمام الخطبه على ما رواها الشّارح البحراني أنّه عليه السّلام حين بلغه أنّ طلحه و الزّبير خلعا بيعته قال بعد حمد الله و الثّناء عليه و الصّلاه على رسوله:

أيّها النّاس إنّ الله افترض الجهاد فعظّمه و جعله نصرته و ناصره، و الله ما صلحت دنيا و لا دين إلّا به، و قد جمع الشّيطان حزبه، و استجلب خيله، و من أطاعه ليعود له دينه و سنّته و خدعه، و قد رأيت امورا قد تمخّضت (١) و الله ما أنكروا عليّ منكرا و لا جعلوا بيني و بينهم نصفا، و أنّهم ليطلبون حقّا تركوه، و دما سفكوه، فان كنت شريكهم فيه فإنّ لهم لنصيبهم منه، و إن كانوا ولوه دوني فما الطلبة إلّا قتلهم و إنّ أوّل عدلهم لعلی أنفسهم و لا اعتذر ممّا فعلته و لا تبرّء مما صنعت و إنّ معي لبصيرتي ما لبست و لا لبس عليّ، و إنّها للفئه الباغيه فيها الحّم (٢) و الحمّه طالت جلبتها و انكفت (٣) جونتها (٤)، ليعودنّ الباطل في نصابه.

يا خبيّه الدّاعي من دعي لو قيل (٥) ما انكر في ذلك و ما امامه و فيمن سنّته و الله إذا لزاح الباطل من نصابه و انقطع لسانه، و ما أظنّ الطريق له فيه واضح حيث

ص: ٣١٢

-
- ١- (١) تحركت م.
 - ٢- (٢) الحم بتشديد الميم و فتح الحاء بقيه الاليه التي اذبيت و اخذ دهنها و الحمه السواد و هما استعارتان لارذال الناس و عوامهم لمشابهتهم حم الاليه و ما اسود منها من قله المنفعه و الخير، ابن ميثم
 - ٣- (٣) استدارت.
 - ٤- (٤) و الجونه بالضم القدر
 - ٥- (٥) يعنى لو سأل سائل مجادلا لهؤلاء الدعاة الى الباطل عما انكروه من امرى و عن امامهم - الذى به يقتدون و فيمن سنتهم التى اليها يرجعون يشهد لسان حالهم بأنى انا امامهم و فى سنتهم فانزاح باطلهم الذى اتوا به و انقطع لسانه، ابن ميثم.

نهج و الله ما تاب (١) من قتلوه قبل موته، و لا تنصّل (٢) من خطيئه و ما اعتذر إليهم فعذروه، و لا دعى فنصروه و أيم الله «لا قرطن لهم حوضا أنا ما نحتة» (٣) لا يصدرون عنه برى و لا يعبون (٤) حسوه (٥) ابدأ و أنها لطيه نفسى بحجّه الله عليهم و علمه فيهم و اتى راعيهم فمعدّر إليهم فان تابوا و أقبلوا و أجابوا و أنابوا فالتّويه مبذوله، و الحقّ مقبول و ليس على كفيل، و إن أبوا أعطيتهم حدّ السّيف و كفى به شافيا من باطل و ناصر المؤمن، و مع كلّ صحيفه شاهدها و كاتبها، و الله إنّ الزّبير و طلحه و عايشه ليعلمون أنّى على الحقّ و هم مبطلون هذا.

و فى شرح المعتزلى عن أبى مخنف قال: حدّثنا مسافر بن عفيف بن أبى الأخنس قال: لما رجعت رسل علىّ من عند طلحه و الزّبير و عايشه يؤذنونه بالحرب قام فحمد الله و أثنى عليه و صلى على رسوله ثمّ قال:

أيّها النّاس إنّى قد راقبت هؤلاء القوم كى يرعوا و يرجعوا، و وبّختهم بنكتهم و عزّفتهم بغيهم فلم يستحيوا، و قد بعثوا إلىّ أن ابرز للطعان فاصبر للجلاد، و إنّما تمنيك نفسك أمانى الباطل و تعدك الغرور ألا هبلتهم الهبول لقد كنت و ما أهدد بالحرب، و لا ارهب بالضّرب و لقد أنصف القاده من راماهما، فليرعدا و ليبرقوا، فقد رأونى قديما و عرفوا نكايتى فكيف رأونى أنا أبو الحسن الذى فللت حدّ المشركين و فرقت جماعتهم، و بذلك القلب ألقى عدوىّ اليوم، و إنّى لعلى ما وعدنى ربّى من النّصر و التّأييد، و على يقين من أمرى و فى غير شبهه من دينى.

أيّها النّاس إنّ الموت لا يفوته المقيم و لا يعجزه الهارب ليس عن الموت محيد

ص: ٣١٣

١- (١) اى عثمان.

٢- (٢) اى تبرء

٣- (٣) هكذا نقله هنا و ذكر فى المختار العاشر: لا فرطن لهم حوضا أنا ماتحه، و لعله الصحيح، «المصحح»

٤- (٤) العب الشرب من غير مص.

٥- (٥) الحسوه بالضم قدر ما يحسى مره واحده منه.

و لا محيص من لم يقتل مات، و إنّ أفضل الموت القتل، و الذى نفس على بيده لألف ضربه بالسيف أهون من موته واحده على الفراش اللهم إنّ طلحه نكث بيعتى و ألب على عثمان حتى قتله ثم عضهني به و رمانى اللهم فلا- تمهله، اللهم إنّ الزبير قطع رحمى و نكث بيعتى و ظاهر على عدوى فاكفنيه الموت بما شئت.

و عن أبى الحسن على بن محمد المداينى عن عبد الله بن جناده قال: قدمت من الحجاز اريد العراق فى أول أماره على، فمررت بمكة فاعترمت ثم قدمت المدينة فدخلت مسجد رسول الله إذا نودى الصلاه جامعه فاجتمع الناس و خرج على متقلدا سيفه فشخصت الأبصار نحوه فحمد الله و صلى على رسوله ثم قال:

أما بعد فإنه لما قبض الله نبيه صلى الله عليه و آله و سلم قلنا نحن أهله و ورثته و عترته و أولياؤه دون الناس، لا ينازعنا سلطانه أحد و لا يطمع فى حقنا طامع إذ انتزى لنا قومنا فغصبونا سلطان نبينا و سرنا سوقه يطمع فينا الضعيف، و يتعزز علينا الدليل فبكت العين منا لذلك، و خشنت الصدور و جزعت النفوس و أيم الله لو لا مخافه الفرقه بين المسلمين، و أن يعود الكفر و يبور الدين، لكننا على ما غير «غير ما ظ» كنا لهم عليه فولى الامر و لاه لم يألوا الناس خيرا ثم استخرجتمونى أيها الناس من بيتى فبايعتمونى على شأن منى لأمركم و فراسه تصدقنى ما فى قلوب كثير منكم و بايعنى هذان الرجلان فى أول من بايع يعلمون ذلك، و قد نكثا و غدرا و نهضا إلى البصره بعائشه ليفرقا جماعتكم، و يلقيا بأسكم بينكم.

اللهم فخذهما بما عملا أخذه واحده راييه، و لا تنعش لهما صرعه و لا تقلهما عثره، و لا تمهلها فوفا، فأنهما يطلبان حقا تركاه و دما سفكاه اللهم إنى أقتضيك وعدك فإنك قلت و قولك الحق لمن بغى عليه لينصرته الله اللهم فأنجز لى موعدى و لا تكلنى إلى نفسى أنك على كل شىء قدير أقول: و هذه الروايه كما ترى صريحه فى اغتصاب الخلافه و أنها انتزعت منه عليه السلام ظلما و جورا من دون أن يكون له عليه السلام رضا فيه كما أنها صريحه (1) فى أن تولى و لاه السوء لها لم يكن قصدا للخير منهم، و إنما كان حبا للرياسه و أتباعا للهوى

ص: ٣١٤

١- (١) يدل على ذلك قوله: فولى الامر و لاه لم يألوا الناس خيرا، منه.

و من العجب أنّ الشّارح المعتزلي مع روايته هذه يزعم أنّه عليه السّلام إنّما ترك الأمر إليهم برضى منه و ميل، و أنّهم تولوا الأمر ملاحظه لصالح الشّريعة و مراعاة لمصلحه الاسلام، كما مرّ تفصيلا في شرح الخطبه الشّقشقيّه، فجزاهم الله عن الاسلام و أهله شرّ الجزاء.

و عن الكليني قال: لَمَّا أَرَادَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمَصِيرَ إِلَى الْبَصْرَةِ قَامَ فَخَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ بَعْدَ أَنْ حَمِدَ اللَّهَ وَ صَلَّى عَلَيَّ رَسُولَهُ:

إِنَّ اللَّهَ لَمَّا قَبَضَ نَبِيَّهُ اسْتَأْثَرَتْ عَلَيْنَا قَرِيْشٌ بِالْأَمْرِ وَ دَفَعْتَنَا عَنْ حَقِّ نَحْنِ أَحَقُّ بِهِ مِنَ النَّاسِ كَافِهِ، فَرَأَيْتَ أَنَّ الصَّيْبَرَ عَلَيَّ ذَلِكَ أَفْضَلَ مِنْ تَفْرِيقِ كَلِمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَ سَفْكَ دِمَائِهِمْ، وَ النَّاسَ حَدِيثُو عَهْدٍ بِالْإِسْلَامِ، وَ الدِّينَ يَمْخُضُ مَخْضَ الْوُطْبِ، يَفْسُدُهُ أَدْنَى وَ هُنَّ وَ يَعْكُسُهُ أَقْلٌ خَلْفَ (خَلَقَ خ ل) فَوَلِيَّ الْأَمْرِ قَوْمٌ لَمْ يَأْلُو فِي أَمْرِهِمْ اجْتِهَادًا، ثُمَّ انْتَقَلُوا إِلَى دَارِ الْجَزَاءِ وَ اللَّهُ وَلِيُّ تَمْحِيصِ سَيِّئَاتِهِمْ، وَ الْعَفْوِ عَنْ هَفْوَاتِهِمْ فَمَا بَالُ طَلْحَةَ وَ الزَّيْبِرِ وَ لَيْسَا مِنْ هَذَا الْأَمْرِ بِسَبِيلٍ، لَمْ يَصْبِرَا عَلَيَّ حَوْلًا وَ لَا أَشْهَرَا حَتَّى وَ ثَبَا وَ مَرَقَا وَ نَازَعَانِي أَمْرًا لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُمَا إِلَيْهِ سَبِيلًا بَعْدَ أَنْ بَايَعَا طَائِعِينَ غَيْرَ مُكْرَهِينَ؛ يَرْتَضِعَانِ أَمَّا قَدْ فَطِمْتَ، وَ يَحْيِيَانِ بَدْعَهُ قَدْ أَمِيتَ أَدَمَ عَثْمَانَ زَعْمًا وَ اللَّهُ مَا التَّبَعَهُ إِلَّا عِنْدَهُمْ وَ فِيهِمْ وَ إِنَّ أَعْظَمَ حُجَّتَهُمْ لَعَلِّي أَنفُسَهُمْ، وَ أَنَا رَاضٍ بِحُجَّتِهِ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ عِلْمُهُ فِيهِمْ فَانْ فَاءَ أَوْ أَنَا بِأَفْحَظِّهِمَا أَحْرَزَ أَوْ أَنفُسَهُمَا غَنَمًا وَ اعْظَمَ بِهِمَا غَنِيمَةً وَ إِنَّ أَبْيَا أَعْطَيْتَهُمَا حَدَّ السَّيْفِ وَ كَفَى بِهِ نَاصِرًا لِحَقِّ وَ شَافِيًا لِبَاطِلٍ، ثُمَّ نَزَلَ.

و عن أبي مخنف عن زيد بن صوحان قال: شهدت عليًا بندي قار و هو معتم بعمامه سوداء و ملتف بساج يخطب، فقال في خطبته:

الحمد لله على كل أمر و حال في الغدو و الآصال، و أشهد أن لا إله إلا الله و أنّ محمّدا عبده و رسوله، انبعثه رحمه للعباد، و حياه للبلاد، حين امتلأت الأرض فتنه و اضطرب جبلها و عبد الشيطان في أكنافها و اشتمل عدو الله إبليس على عقايد أهلها فكان محمّدا بن عبد الله بن عبد المطلب الذي أطفأ الله به نيرانها، و أحمد به شرارها، و نزع به أوتادها و أقام به ميلها امام الهدى، و النبي المصطفى، فلقد صدع بما أمر به

و بلغ رسالات ربّه فأصلح الله به ذات البين، و آمن به السّبل، و حقن به الدّماء، و الف به بين ذوى الضّعافين الواغره فى الصّدور حتّى أتاه اليقين.

ثمّ قبضه الله إليه حميدا ثمّ استخلف النّاس أبا بكر فلم يأل جهده، ثمّ استخلف أبو بكر عمر فلم يأل جهده، ثمّ استخلف النّاس عثمان فنال منكم و نلتم منه حتّى إذا كان من أمره ما كان، أتيتمونى لتبايعونى فقلت لا- حاجه لى فى ذلك و دخلت منزلى فاستخرجتمونى فقبضت يدى فبسطتموها و تداككتم علىّ حتّى ظننت أنّكم قاتلى و أنّ بعضكم قاتل بعض فبايعتمونى و أنا غير مسرور بذلك، و لا جذل و قد علم الله سبحانه أنّى كنت كارها للحكومه بين امّه محمّد صلى الله عليه و آله و سلّم.

و لقد سمعته يقول: ما من وال يلى شيئا من أمر امتى إلّا أتى به يوم القيامة مغلوله يدها إلى عنقه على رءوس الخلايق، ثمّ ينشر كتابه فان كان عادلا نجا، و إن كان جائرا هوى حتّى اجتمع علىّ ملاءكم و بايعنى طلحه و الزّبير و أنا أعرف الغدر فى أوجههما، و النكث فى أعينهما ثمّ استأذنانى فى العمره فأعلمتهما أن ليس العمره يريدان، فسارا إلى مكّه و استخفّا عايشه و خدعاها و شخصا معها أبناء الطلقاء، فقدموا البصره و قتلوا بها المسلمين، و فعلوا المنكر.

و يا عجبا لاستقامتهما علىّ أبى بكر و عمر و بغيهما علىّ و هما يعلمان أنّى لست دون أحدهما، و لو شئت أن أقول لقلت: و لقد كان معاويه كتب إليهما من الشّام كتابا يخدعهما فيه فكتماه عنى و خرجا يوهمان الطّعام أنّهما يطلبان بدم عثمان، و الله ما أنكرا علىّ منكرا، و لا جعلنا بينى و بينهم نصفا، و إنّ دم عثمان لمعصوب بهما و مطلوب منهما.

يا خبيّه الدّاعى إلى مدعى إنّما ذا اجيب و الله إنّهما لعلى ضلاله صمّاء، و جهاله عمياء، و إنّ الشّيطان قد ذمر لهما حزبه، و استجلب منهما خيله و رجله ليعد الجور إلى أوطانه و يردّ الباطل إلى نصابه، ثمّ رفع يديه فقال:

اللهمّ إنّ طلحه و الزّبير قطعانى و ظلمانى و ألبا علىّ و نكثا بيعتى فاحلل ما

الترجمه

از جمله خطبه شریفه آن حضرت است در مذمت طلحه و زبیر و اتباع ایشان که نسبت دادند خون عثمان علیه اللعنه و التیران را بان امام عالمیان: آگاه باش بدرستی که شیطان لعین برانگیخت گروه خود را و بکشید سپاه خود را تا باز گرداند ستم را بجایهای خود و راجع گرداند باطل را بأصل خود، بخداوند سوگند انکار نکرده اند بر من فعل منکر را که عبارت است از نسبت قتل عثمان بمن، و نگردانیده اند میان من و خودشان انصاف و عدل را و بدرستی که آنها هر آینه طلب میکنند حقیرا که خود ترک کرده اند و خونی را که خود ریخته اند پس اگر بودم من شریک ایشان در آن خون پس بتحقیق ایشان راست نصیب ایشان از آن خون و اگر ایشان خودشان مباشر آن خون شدند بدون من پس در این صورت نیست عقوبت بازخواست مگر از ایشان و بدرستی که بزرگترین حجه ایشان بر نفسهای ایشان است، شیر می خواهند از مادری که از شیر باز گرفته بچه خود را، و زنده میکنند بدعتی را که میرانیده شده است، ای نومیدی دعوت کنند حاضر باش که وقت حضور تو است چه کس است آنکه دعوت نمود او را این داعی، و بچه چیز جواب داده شد و بدرستی که من خوشنودم بحجه خدا بر ایشان و بعلم حق تعالی در شان آن جمع پریشان، پس اگر امتناع بکنند از طاعت من که طاعت خداست بدهم بایشان تیزی شمشیر بران را و کافست آن شمشیر در حالتی که شفا دهنده است از باطل و یاری دهنده میباشد از برای أهل حق، و از جمله امور عجیبه است فرستادن ایشان بسوی من این که بیرون آی از برای نیزه زدن و صبر کن از برای شمشیر کشیدن، بی فرزند باد مادر ایشان و در ماتم ایشان گریه کند زنهای گریه کننده هر آینه بوده ام که تهدید کرده نشده ام بمحاربه و تخویف کرده نشده ام بمضاربه، و بدرستی که من بر یقینم از پروردگار خود و بی شبهه ام از دین استوار خویش،

پس تهدید و تخویف بی ثمر خواهد شد.

و من خطبه له علیه السلام و هی الثالثه و العشرون من المختار

اشاره

فی باب الخطب و شرحها

فی ضمن فصلین

الفصل الاول

اشاره

و هو مروی فی الکافی باختلاف تطلع علیه بعد الفراغ من شرح ما أورده السيد هنا أمّیا بعد، فإنّ الأمر ينزل من السّماء إلى الأرض كقطر المطر، إلى كلّ نفس بما قسم لها من زياده و نقصان، فإذا رأى أحدكم لأخيه غفيره فى أهل أو مال أو نفس، فلا تكوننّ له فتنه، فإنّ المرء المسلم ما لم يغش دنائه تظهر، فيخشع لها إذا ذكرت، و يغرى بها لئام الناس، كالفالج الياسر الذى ينتظر أوّل فوزه من قداحه، توجب له المغنم، و يرفع بها عنه المغرم، و كذلك المسلم البرىء من الخيانه، ينتظر إحدى الحسنين: إمّيا داعى الله فما عند الله خير له، و إمّيا رزق الله فإذا هو ذو أهل و مال و معه دينه و حسبه، إنّ المال و البنين حرث الدنيا و العمل الصّالح حرث الآخرة، و قد يجمعهما الله لأقوام، فاحذروا من الله ما حدّركم من نفسه، و اخشوه خشيه ليست بتعذير، و اعملوا فى غير رياء و سمعه، فإنّه من يعمل لغير الله يكله الله إلى من عمل له، نسئل الله منازل الشهداء، و معايشه السّعداء، و مرافقه الأنبياء.

ص: ٣١٨

(الغفيرة) قال الرضى: هي ههنا الزيادة والكثرة من قولهم للجمع الكثير الجَم الغفير و يروى عفوه من أهل أو مال و العفوه الخيار من الشيء يقال أكلت عفوه الطعام أى خياره.

أقول: و يحتمل أن يكون العفوه من العفو بمعنى الزيادة أيضا، و به فسّر قوله تعالى: و يستلونك ما ذا ينفقون قل العفو قال الشاعر:

و لكننا يعضّ السيف منا باسوق عافيات الشحم كوم

أى زائدات الشحم و (غشى) فلانا كرضى أتاها و (غرى) به كرضى أيضا ولع به و أغراه به ولعه و (الفالج) الفايز من السهام من الفلج و هو الظفر و الفوز و (الياسر) القامر و اللاعب بالمسير قال سبحانه: يستلونك عن الخمر و الميسر قل فيهما إثم كبير و منافع للناس، و هو كمنزل اشتقاقه إمّا من اليسر و هو السهولة لأنه أخذ لمال الرجل يسر و سهوله من غير كدّ و لا تعب، أو من اليسار لأنه سبب يساره، و قيل من اليسر بمعنى التجزئه لأنّ كلّ شىء جزئته فقد يسرته يقال: يسروا الشىء أى اقسموه فالجزور نفسه يسمّى ميسرا لأنه يجزء أجزاء، و الياسر الجازر لأنه يجزء لحم الجزور ثمّ يقال للضارين بالقдах و المتقامين على الجزور: إنهم يا سرون، لأنهم بسبب ذلك الفعل يجزءون لحم الجزور.

قال الفيروز آبادى: الميسر كمنزل اللّعب بالقдах أو هو الجزور التى كانوا يتقامرون عليها، كانوا إذا ارادوا أن ييسروا اشتروا جزورا نسئه و نحروه قبل أن ييسروا و قسموه ثمانية و عشرين قسما أو عشرة أقسام، فاذا خرج واحد باسم رجل رجل ظهر فوز من خرج لهم ذوات الانصباء و غرم من خرج له الغفل و قال الزمخشري فى الكشاف: كانت لهم عشرة قдах و هى: الأزلام و الأقالام الفذ و التوام و الرقيب و الحلس بفتح الحاء و كسر اللام و قيل بكسر الحاء و سكون اللام و المسبل و المعلى و النافس و المنيح و السفيح و الوغد، لكل واحد منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها و يجزءونها عشرة أجزاء و قيل ثمانية و عشرين جزء إلا لثلاثة

و هي المنيح و السفيح و الوغد و لبعضهم في هذا المعنى شعر:

لى فى الدنيا سهام ليس فيهنّ ربيح و أساميهنّ و غد و سفيح و منيح

فللفذّ سهم و للتوأم سهمان و للرقيب ثلاثه و للحلس أربعة و للنّافس خمس و للمسبل ستّه و للمعلّى سبعة يجعلونها فى الرّبابه و هى الخريطه و يضعونها على يد عدل ثمّ يجلبها يدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قد حا منها، فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء أخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح، و من خرج له قدح لا نصيب له لم يأخذ شيئاً و غرم ثمن الجزور كلّه، و كانوا يدفعون تلك الانصباء إلى الفقراء و لا يأكلون منها و يفتخرون بذلك و يذمّون من لم يدخل فيه و يسمونه البرم انتهى و (التعذير) إظهار العذر ممّن لا عذر له فى الحقيقه، قال الفيروز آبادى قوله تعالى: «وَجَاءَ الْمُعَذَّرُونَ»، بتشديد الدال المكسوره أى المعتذرون الذين لهم عذر، و قد يكون المعذر غير محقّ فالمعنى المقصّرون بغير عذر قال: و قرء ابن عباس بالتخفيف من أعذر و كان يقول: و الله لهكذا انزلت، و كان يقول: لعن الله المعذّرين و كان المعذّر عنده إنّما هو غير المحقّ و بالتّخفيف من له عذر.

الاعراب

الباء فى قوله بما قسم لها بمعنى على، و ما فى قوله ما لم يغش دنائه ظرفيّة مصدرية، و جملة تظهر منصوب المحلّ على أنّها صفة لدناءه، و جملة فيخشع أيضا منصوب المحلّ لكونها عطفاً على تظهر، و مثلها جملة يغرى بها، و قوله كالفالج خبر أنّ، و الياسر صفة و أصل الكلام كالياسر الفالج أى كالقامر الفايز و قدم الوصف على الموصوف على حدّ قوله سبحانه: و غرابيب سود.

قال الشّارح المعتزلى: و حسن ذلك ههنا إنّ اللفظتين صفتان و ان كانت إحداهما مرتّبه على الاخرى، و جملة توجب له المغنم صفة للفوزه، و يرفع إمّا بالبناء على الفاعل و فيه ضمير مستتر راجع إلى الفالج، و المغرم منصوب على المفعوليه أو بالبناء على المفعول، و المغرم مرفوع على النيباه عن الفاعل، و قوله: فاذا هو ذو أهل

إذا للمفاجاه، و العمل الصّالح بالرّفْع و التّصّب، و قوله: ليست بتعذير، أى ليست بذات تعذير، أى تقصير فخذف المضاف كقوله تعالى: «قُتِلَ أَصِيحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ»، أى ذى النار، و من فى قوله: من يعمل شرطيه و يعمل و يكله مجزومان على حدّ قوله: من يعمل سوء يجز به.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ مدار هذه الخطبه الشّريفه على تأديب الفقراء بعدم الوقوع فى الفتنه من الحسد و نحوه بما يشاهدونه فى الاغنياء و على تأديب الاغنياء بالتّزهيد عن المال و جمعه و على العمل بالاخلاص و إخلائه من السّمعه و الرّياء و على التّرجيب فى صلّه الأرحام و التّرهيب عن القطيعه بذكر منافع الصّله و مفساد القطيعه، و مدار هذا الفصل على التّلاثه الاول، كما أنّ مدار الفصل الآتى على الزّابع.

إذا عرفت ذلك فأقول: إنّ عليه السّلام مهدّ أولاً مقدّمه شريفه لىبنى عليها غرضه و محصلها أنّ جميع الامور إنّما هو بقضاء إلهي و قدر ربّانيّ و أنّ ما يحدث من زياده أو نقصان أو يتجدّد فيما يكون به صلاح حال الخلق فى أمر المعاش و المعاد إنّما هو صادر عن القسمه الرّبانيّه، فلو تفكّر فى ذلك العاقل و تدبّر فيه رضى بما قدّره الله تعالى فى حقّه و ما قسمه عليه و على غيره، فاذن لا يقع فى الفتنه و الحسد لو رأى لغيره مزيه عليه و إلى هذه المقدّمه أشار بقوله:

(أما بعد) حمد الله سبحانه و الصّلاه على رسوله و آله (فانّ الأمر) أى الامورات المقدّره الحادّثه فى العالم السّفلى (ينزل من السّماء إلى الأرض) و يخرج من القوّه إلى الفعل و يوجد فى المواد السّفليه الخارجيه بعد أن كان ثابتا فى الصّيحاف العلويه (ك) نزول (قطر المطر) إلى الأرض بأيدى المدبّرات كما قال سبحانه: «تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَ الرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ»، أى كلّ أمر قدّره الله فى حقّ العباد و قسمه (إلى كلّ نفس) بمقدار (ما قسم لها) و قدّر فى حقّها (من زياده أو نقصان) أو قلّه أو كثره كما قال تعالى: «وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَ مَا نُنزَلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ»

(فاذا) كان نزول الامور بتقدير الله سبحانه و تفريقها بتقسيم الملك العادل على وفق الحكمة و اقتضاء المصلحة و (رأى أحدكم لأخيه) المؤمن (غفيره) و زياده (فى أهل أو مال أو نفس) أو رفعه أو مكانه (ف) لا بد له أن يرضى بقسمه الجبار و أن (لا تكونن) رؤيه هذه الغفيره (له فتنه) و لا توجب له ضلالا و لا توقع له فى الحسد و لا تبعث له إلى الرغبه إلى الأغنياء و اخلاص السعى لهم و لخدمتهم للطمع بما فى أيديهم (فان) هذه كلها تكون شاغله له عن سلوك سبيل الحق، حاجبه عن التوجه إلى الله، مانعه عن الوصول إلى رضوان الله و فيها دنائه النفس و رذاله الطبع و (المرء المسلم ما لم يغش دنائه تظهر) و لم يأت على رذاله تشهر بين الناس (فيخشع لها إذا ذكرت) و يستحيى من ذكرها و يلزمه بارتكابها الخجل (و تغرى بها لثام الناس) و عوامهم فى فعل مثلها أو هتك سره بها كان (كالفالج الياسر) و القامر الفايز (الذى ينتظر) فى قماره و لعبه بالاقداح (أول فوزه من قداحه توجب له) هذه الفوزه (المغنم) و يأخذ بها نصيبه الموسوم به (و ترفع بها عنه المغرم) و يدفع ضرر الغرامه عنه.

و (كذلك المرء المسلم) الصيائن لنفسه الحافظ لدينه العارى من الدنائه و (البرئ من الخيانه ينتظر) فى حياته مع صبره عن المعصيه فوز (إحدى الحسنين إماما) أن يدعو (داعى الله) بقبضه إليه فيستجيب له و يفوز إذن بالتعميم المقيم و يدخل الجنة التى عرضها الأرض و السماء (فما عند الله خير له) و أبقى و هى فوزه لا تفنى (و إماما) أن يفتح له أبواب (رزق الله) و يدركه كرامه الله (فاذا هو ذو أهل و مال و معه دينه و حسبه) فيفوز الفوز العظيم مع الأمن من العذاب الأليم و هو أفضل عند العاقل من الفتنه بالغير و الالتفات عن الله و تدليس لوح النفس برذائل الأخلاق من الحسد و نحوه.

و ذلك من حيث (إن المال و البنين حرث الدنيا و العمل الصالح حرث الآخرة) و من كان يريد (1) حرث الآخرة نزد له فى حرثه و من كان يريد حرث الدنيا نوته

ص: ٣٢٢

١- (١) الآيه فى سورة الشورى منه.

منها و ما له فى الآخره من نصيب، فحرث الدنیا حقير و حرث الآخره جليل خطير، و المال و البنون زينہ الحياه الدنیا و الباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا و خير أملا.

(و قد يجمعهما الله لأقوام) و ما كان قولهم(١) إلا- أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا و إسرافنا فى أمرنا و ثبت أقدامنا و انصرنا على القوم الكافرين، فأتيهم الله ثواب الدنيا و حسن ثواب الآخره و الله يحب المحسنين (فاحذروا من الله) و اتقوه (بما حذرکم من نفسه) بقوله: «فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» (و اخشوه خشيه) صادقہ (ليست ب) ذات (تعذير) إذ الاعتذار إنما ينفع عند من هو جاهل بالسراير و محجوب عما فى الضماير.

و أقيا الله العالم الخبير بما فى الصيودور فليس للاعتذار عنده نفع و لا ثمر، و يتبؤ الانسان(٢) يومئذ بما قدم و أخر، بل الانسان على نفسه بصيره و لو ألقى معاذيره، فيجزى المعتذرون جزاء ما كانوا يعملون، فيومئذ(٣) لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم و لا هم يستعتبون.

(و اعملوا فى غير رياء و لا سمعه) أى عملا خالصا مخلصا عنهما و فى حذف المتعلق دلالة على العموم فيشمل جميع الأعمال و يدل على وجوب الاخلاص فى الكل كما قال الصادق عليه السلام: لا بد للعبد من خالص التيه فى كل حركه و سكون لأنه إذا لم يكن بهذا المعنى يكون غافلا و الغافلون قد وصفهم الله تعالى فقال: إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا، و قال: اولئك هم الغافلون.

قال بعض العلماء فى تفسير ذلك: يجب أن يكون للعبد فى كل شىء يفعلہ و عمل يعمل من تيه اخلاص حتى فى مطعمه و مشربه و ملبسه و نومه و نكاحه، فإن ذلك كله من أعماله التى يسأل عنها و يجازى عليها فان كانت لله و فى الله كانت فى

ص: ٣٢٣

١- (١) اقتباس من الآيه الشريفه فى سوره آل عمران. منه.

٢- (٢) اقتباس من الآيه فى سوره القيامه، منه.

٣- (٣) الآيه فى سوره الروم.

ميزان حسانه، و إن كانت فى سبيل الهوى و لغير الله كانت فى ميزان سيئاته، و كان صاحبها فى الدنيا على مثال البهايم الزاتعه و الأنعام المهمله السيارقه و لا يكون على الحقيقه إنسانا مكلفا موقفا و كان من الذين ذكرهم الله بقوله: أغفلنا قلبه عن ذكرنا أى وجدناه غافلا كقولك: دخلت بلده فاعمرتها أى وجدتها عامره فهو غافل عما يأتيه و يذره متبعا لهواه فيما يورده و يصدره.

ثم علل عليه السّلام و جوب ترك الرّيا بقوله:(فإنه من يعمل لغير الله يكله الله إلى من عمل له) و يقطع عنه ميامن لطفه و أطفاف نظره.

و معناه ما رواه أحمد بن فهد فى عدّه الدّاعى عن النّبى صلّى الله عليه و آله و سلّم قال يقول الله تعالى: أنا خير شريك و من اشرك معى شريكا فى عمله فهو لشريكى دونى لأننى لا أقبل إلا ما خلص لى.

قال: و فى حديث آخر أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا ثم اشرك فيه غيرى فأنا منه برىء و هو للذى أشرك به دونى هذا.

و لما كان همته عليه السّلام مقصوره على طلب السّعاده الاخرويّه أردف كلامه بقوله (نسأل الله منازل الشّهداء و معاشه السّعداء و مرافقه الأنبياء) قال الشّارح البحرانى و فى ذلك جذب للسّامعين إلى الاقتداء به فى طلبها و العمل بها و بدء عليه السّلام بطلب أسهل المراتب الثلاثه للانسان و ختم بأعظمها فإنّ من حكم له بالشّهاده غايته أن يكون سعيدا، و السّعيد غايته أن يكون فى زمرة الأنبياء رفيقا لهم، و هذا هو التّرتيب اللّايق من المؤدّب الحاذق، فإنّ المرتبه العاليه لا تنال دفعه دون نيل ما هو أدون منها.

تكميل استبصارى

فى بيان معنى الرّياء

و ذكر بعض ما وردت فيه من الآيات و الأخبار و الإشاره إلى أقسامه و إلى الدّواء النّافع له فالكلام فى مقامات أربعه.

المقام الاول

فى تحقيق معنى الرّياء و السّمعه

فنقول: إنّ الرّياء هو ترك الاخلاص بملاحظه

غير الله فيه و أصله من الرّؤيه كأنه لا- يعمل إلا- إذا رأى النّاس و رأوه، و السّمعه بالضمّ كالزّياء إلا أنّها تتعلّق بحاسّه السّمع و الرّياء بحاسّه البصر.

و عن الفارابى فى ديوان الأدب يقال: فعل ذلك رياء و سمعه إذا فعل ذلك ليراه النّاس و يسمعوا به.

و قال الغزالي فى إحياء العلوم: الرّياء مشتقّ من الرّؤيه، و السّمعه مشتقّه من السّماع و إنّما الرّياء أصله طلب المنزله فى قلوب النّياس بايرائهم خصال الخير الا أنّ الجاه و المنزله تطلب فى القلب بأعمال سوى الله، و اسم الرّياء مخصوص بحكم العاده بطلب المنزله فى القلوب بالعبادات و إظهارها، فحدّ الرّياء هو إرادته العباد بطاعه الله، فالمرائى هو العابد، و المرائى هو النّاس المطلوب رؤيتهم بطلب المنزله فى قلوبهم، و المرائى به هو الخصال التى قصد المرائى إظهارها، و الرّياء قصد إظهار ذلك.

أقول: و الأولى ما ذكرناه، لكونه شاملا- للعبادات و غيرها فعلا و تركا حسبما تعرفه فى الأقسام الآتية، و ما ذكره مختصّ بفعل العبادات فقط فلا يعمّ.

الثانى

فى ذكر بعض ما ورد فيه من الآيات و الأخبار.

قال الله سبحانه: فويل للمصلّين الذينهم عن صلاتهم ساهون، و الذينهم يراؤن و قال النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم: إنّ النّار و أهلها يعجّون من أهل الرّياء، فقيل: يا رسول الله كيف تعجّ النّار؟ قال: من حرّ النّار التى يعدّون بها.

و قال أيضا: ينادى المرائى يوم القيامة بأربعة أسماء: يا كافر، يا فاجر، يا غادر يا خاسر، ظلّ «ضلّ» سعيك، و بطل عملك، و لا خلاق لك، التمس الأجر ممّن كنت تعمل له يا مخادع و قال أيضا: إنّ أوّل ما يدعى يوم القيامة رجل جمع القرآن، و رجل قاتل فى سبيل الله، و رجل كثير المال فيقول الله عزّ و جلّ للقارى ألم اعلمك ما انزلت على رسولى؟ فيقول: بلى يا ربّ فيقول: ما عملت به فيما علمت؟ فيقول: يا ربّ قمت به فى

آناء الليل و أطراف النهار، فيقول الله تعالى: كذبت و تقول الملائكة كذبت: و يقول الله تعالى: إنما أردت أن يقال فلان قارى فقد قيل ذلك.

و يؤتى بصاحب المال فيقول الله تعالى: ألم أوسع عليك حتى لم أضعك تحتاج إلى أحد؟ فيقول: بلى يا رب، فيقول: فما عملت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصل الرحم و أتصدق، فيقول الله تعالى: كذبت، و تقول الملائكة: كذبت، و يقول الله تعالى: بل أردت أن يقال فلان جواد و قد قيل ذلك.

و يؤتى بالذى قتل فى سبيل الله فيقول الله تعالى: ما فعلت؟ فيقول: امرت بالجهاد فى سبيل الله فقاتلت حتى قتلت، فيقول الله تعالى: كذبت، و تقول الملائكة كذبت، و يقول الله تعالى: بل أردت أن يقال فلان جرى شجاع فقد قيل ذلك، ثم قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: أولئك خلق الله تسعهم نار جهنم، و هذه الأخبار رويناها من كتاب الأنوار للمحدث الجزائري.

و فى الوسائل عن الكليني بإسناده عن فضل أبى العباس عن أبى عبد الله عليه السلام قال:

ما يصنع أحدكم أن يظهر حسنا و يسر سينا ليس يرجع إلى نفسه فيعلم أن ذلك ليس كذلك و الله عز و جل يقول: بل الانسان على نفسه بصيره، إن السريره إذا صحت قويت العلانية.

و عن السكونى عنه عليه السلام أيضا قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: سيأتى على الناس زمان تخبث فيه سرايرهم و تحسن فيه علانيتهم طمعا فى الدنيا، لا يريدون به ما عند ربهم يكون دينهم رياء لا يخالطهم خوف يعمهم الله بعقاب فيدعونه دعاء الغريق فلا يستجيب لهم.

و عن البرقي فى كتاب المحاسن عن يحيى بن بشير التبال عمّن ذكره عن أبى عبد الله عليه السلام قال: من أراد الله عز و جلّ بالقليل من عمله أظهره الله أكثر ممّا أراد به، و من أراد الناس بالكثير من عمله فى تعب من بدنه و سهر من ليله أبى الله إلا أن يقلله فى عين من سمعه و روى الصدوق فى كتاب عقاب الأعمال بإسناده عن عليّ بن جعفر عن أخيه

موسى بن جعفر عن أبيه عن آبائه صلوات الله عليهم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يؤمر برجال النار فيقول الله عز وجل لمالك: قل للنار: لا تحرق لهم أقداما فقد كانوا يمشون بها إلى المساجد، ولا تحرق لهم وجوه «ها ظ» فقد كانوا يسبغون الوضوء، ولا تحرق لهم أيدي فقد كانوا يرفعونها بالدعاء، ولا تحرق لهم ألسنه فقد كانوا يكثرون تلاوة القرآن، قال: فيقول لهم خازن النار: يا أشقيا ما كان حالكم؟ قالوا: كنا نعمل لغير الله عز وجل فقبل لنا خذوا ثوابكم ممن عملتم.

و في الوسائل عن الكليني بإسناده عن جراح المدائني عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: «فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعباده ربّه أحدا» قال: الرجل يعمل شيئا من الثواب لا يطلب به وجه الله إنما يطلب تزكيه النفس يشتهي أن يسمع به الناس فهذا الذي أشرك بعباده ربّه، ثم قال: ما من عبد أسرّ خيرا فذهبت الأيام أبدا حتى يظهر الله له خيرا، و ما من عبد يسرّ شرا فذهبت الأيام حتى يظهر الله له شرا.

و عن السكوني عنه عليه السلام أيضا قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إن الملك ليصعد بعمل العبد مبهتجا به فاذا سعد بحسناته يقول الله عز وجل: اجعلوها في سجين إنّه ليس آتاي أراد به.

و عن علي بن عقبه عن أبيه قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: اجعلوا أمركم هذا لله و لا تجعلوا للناس فأنه ما كان لله فهو لله و ما كان للناس فلا يصعد إلى الله.

و في عدّه الداعي لأحمد بن فهد الحلبي عن الشيخ أبي جعفر محمّد بن أحمد بن علي القمي نزيل الرّي في كتابه المنبى عن زهد النبي عن عبد الواحد عمّن حدّثه عن معاذ بن جبل قال: قلت: حدّثني بحديث سمعته من رسول الله و حدّثته من دقائق ما حدّثك به قال نعم و بكى معاذ.

ثم قال: بأبي و أمي حدّثني و أنا رديفه فقال: بينا نحن نسير إذ رفع بصره إلى السماء فقال صلى الله عليه وآله وسلم: الحمد لله الذي يقضى في خلقه ما أحبّ، ثم قال: يا معاذ

قلت: لبيك يا رسول الله و سيد المؤمنين، قال: يا معاذ قلت: لبيك يا رسول الله امام الخير و نبي الرحمة قال صلى الله عليه و آله و سلم احديثك شيئا ما حدثت نبي امته ان حفظته نفعك عيشك و ان سمعته و لم تحفظه انقطعت حجتك عند الله.

ثم قال صلى الله عليه و آله و سلم، ان الله خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السماوات فجعل في كل سماء ملكا قد جللها بعظمته و جعل على كل باب من أبواب السماء بوابا فيكتب الحفظه عمل العبد من حين يصبح إلى حين يمسي ثم ترفع الحفظه بعمله و له نور كنور الشمس، حتى إذا بلغ سماء الدنيا فتزكّيه و تكثره فيقول الملك قفوا و اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك الغيبه فمن اغتاب لا أدع عمله يتجاوزني إلى غيري أمرني بذلك ربي.

قال: صلى الله عليه و آله و سلم ثم يجيء الحفظه عن الغد و معهم عمل صالح فتمرّ به و تزكّيه و تكثر حتى تبلغ السماء الثانية فيقول الملك الذي في السماء الثانية: قفوا و اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه إنما أراد بهذا العمل عرض الدنيا أنا صاحب الدنيا لا أدع عمله يتجاوزني إلى غيري و هو يحب الدنيا.

قال: ثم تصعد الحفظه بعمل العبد مبتهجا بصدقه و صلاه فتعجب به الحفظه و تجاوزه إلى السماء الثالثة فيقول الملك قفوا و اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك صاحب الكبر فيقول: إنّه عمل و تكبر على الناس في مجالسهم أمرني ربي أن لا أدع عمله يتجاوزني إلى غيري.

قال: و تصعد الحفظه بعمل العبد يزهر كالكوكب الدرّي في السماء له دوى بالتسبيح و الصوم و الحجّ فتمر به إلى السماء الرابعة فيقول لهم الملك: قفوا و اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه و بطنه أنا ملك العجب إنّه كان يعجب بنفسه و إنّه عمل و أدخل نفسه العجب أمرني ربي أن لا أدع عمله يتجاوزني إلى غيري.

قال: و تصعد الحفظه بعمل العبد كالعروس المزفوفه إلى أهلها فتمرّ به إلى ملك السماء الخامسة بالجهاد و الصّيدقه ما بين الصّلاتين و كذلك العمل له رنين كرنين

الابل عليه ضوء كضوء الشمس فيقول الملك: قفوا أنا ملك الحسد و اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه و احمـلوه على عاتقه، إنـه كان يحسد من يتعلم أو يعمل لله بطاعته و إذا رأى لأحد فضلا في العمل و العباده حسده و وقع فيه فيحمـلوه على عاتقه و يلعنه عمله.

قال: و تصعد الحفظه بعمل العبد من صلاه و زكاه و حج و عمره فيتجاوز به إلى السماء السادسة فيقول الملائكه: قفوا أنا صاحب الرّحمه اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه و اطمسوا عينيه، لأنّ صاحبه لم يرحم شيئا إذا أصاب عبدا من عباد الله ذنبا للآخره أو ضرباً في الدنيا شمت به أمرنى ربّى أن لا أدع عمله يجاوزنى إلى غيرى.

قال: و تصعد الحفظه بعمل العبد بفقّه و اجتهاد و ورع و له صوت كالرعد و ضوء كضوء البرق و معه ثلاثه آلاف ملك فتمرّ بهم إلى ملك السماء السابعة فيقول الملك: قفوا و اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك الحجاب أحجب كلّ عمل ليس لله إنـه أراد رفعه عند القوادم ذكرنا في المجالس وصيتنا في المدائن أمرنى ربّى أن لا أدع عمله يتجاوزنى إلى غيرى ما لم يكن لله خالصا.

قال: و تصعد الحفظه بعمل العبد مبتهجا به من صلاه و زكاه و صيام و حج و عمره و خلق الحسن و صمت و ذكر كثير تشييعه ملائكه السماوات و الملائكه السبعه بجماعتهم فيطون الحجب كلّها حتى يقوموا بين يديه سبحانه فيشهدوا له بعمل و دعاء فيقول سبحانه: أنتم حفظه عمل عبدى و أنا رقيب على ما فى نفسه إنـه لم يردنى بهذا العمل عليه لعنتى فيقول الملائكه: عليه لعنتك و لعنتنا.

قال: ثمّ بكى معاذ قال: قلت: يا رسول الله ما أعمل و اخلص قال: اقتد نبّيك يا معاذ فى اليقين قال: قلت: أنت رسول الله و أنا معاذ قال: فان كان فى عملك تقصير يا معاذ فاقطع لسانك عن إخوانك و عن حملة القرآن، و لتكن ذنوبك عليك لا تحمّلها على إخوانك، و لا تزكّ نفسك بتذميم إخوانك، و لا ترفع نفسك بوضع

إخوانك، و لا تراء بعملك، و لا تداخل من الدنيا فى الآخرة، و لا تفحش فى مجلسك لكى يحذروك لسوء خلقك، و لا تناج مع رجل و أنت مع آخر، و لا تعظم على الناس فتقطع عنك خيرات الدنيا، و لا تمزق الناس فتمزقك كلاب أهل النار، قال الله تعالى: «و الناشطات نشطا» أفتدرى ما الناشطات؟ إنه كلاب أهل النار تنشط اللحم و العظم قلت: و من يطيق هذه الخصال؟ قال: يا معاذ أما أنه يسير على من يسر الله تعالى عليه قال: و ما رأيت معاذا يكثر تلاوه القرآن كما يكثر تلاوه هذا الحديث

الثالث

فى أقسام الرّيا و الوجوه المتصوّره فيه،

و هى كثيره إلا أنّها منشعبه عن قسمين أحدهما الرّياء المحض و الثانى الرّياء المشوب.

أما الرّياء المحض فهو أن لا يكون مراده بالعباده إلاّ الدنيا و رؤيه الناس كالذى يصلّى بين أظهر الناس، و لو كان منفردا لكان لا يصلّى بل ربّما يصلّى من غير طهاره مع الناس، فهذا يجب أن يترك لأنّه معصيه لا طاعه فيه أصلا و أمّا الرّياء المشوب فهو يتصوّر على وجوه.

أحدها أن يعقد على الاخلاص قلبه ثمّ يطرأ الرّياء و دواعيه مثل أن يفتتح الصّلاه بالاقبال فيدخل عليه داخل أو ينظر إليه ناظر فيقول له الشيطان: رد صلاتك حسنا حتّى ينظر إليك هذا الناظر بعين الوقار فتحشع جوارحه و يحسن صلاته.

و ذلك مثل ما روى أنّ رجلا لا يقدر على الاخلاص فى العمل فاحتال و قال:

إنّ فى ناحيه البلد مسجدا مهجورا لا يدخله أحد فأمضى إليه ليلا و أعبد الله فيه، فمضى إليه فى ليله ظلما و كان ذات رعد و برق و مطر فشرع فى العباده فبينما هو فى الصلاه إذ دخل عليه داخل فأحسّ به فدخله السرور برؤيه ذلك الدّاخل له و هو مشغول بالعباده فى الليله المظلمه، فأخذ فى الجدّ و الاجتهاد فى عبادته إلى أن جاء النهار فنظر إلى ذلك الدّاخل فاذا هو كلب أسود قد دخل المسجد ممّا أصابه من المطر فندم الرّجل على ما فعل و قال: يا نفس إنّى فررت من أن اشرك بعباده ربى أحدا فوقعت أن أشركت فى عبادته كلبا و أسفا و اويلا على هذا

الثاني أن يأتيه الشيطان من معرض الخير و يقول له: اعمل هذا العمل ليقتدى بك الناس فيحصل لك أجر من عمل به، و هذه المكيدة أعظم من الأولى و ينخدع بها من لا ينخدع بتلك و هو عين الريا لأنه إذا رأى هذه الحالة خيرا لا يرتضى بغيره تركها فلم تركه و هو في الخلوه و ليس أحد أغرّ على الانسان من نفسه.

الثالث أن يتبته العاقل لهاتين و يستحيى من المخالفه بين صلاته في الخلاء و الملاء فيحسن صلاته في الخلوه ليطابق الجلوه، و هذا أيضا من الريا لأنه حسن صلاته في الخلوه ليحسن في الملاء فكان نظره في عمله إلى الناس.

الرابع أن ينظر إليه الناس و هو في صلاته فيعجز الشيطان عن ايقاعه في الرياء بأن يقول له: اخشع لأجلهم و لكن يقول له: تفكر في عظمه الله و جبروته و من أنت واقف بين يديه و استحي أن ينظر الله إلى قلبك و أنت غافل عنه فيحضر بذلك و تجتمع جوارحه و يظن أن ذلك عين الاخلاص و هو عين الريا فإن خشوعه لو كان لنظره إلى عظمه الله لم يكن حالته في الخلوه هكذا؟ الخامس أن يكمل العباده على الاخلاص لكن عرض له بعد الفراغ حب اظهارها لتحصيل بعض الأغراض، و ذلك بأن يخدعه الشيطان و يقول له: إنك قد أكملت العباده الخالصه و قد كنت في ديوان المخلصين و لا يقدر فيها ما يتجدد و إنما ينضم إلى ما حصله بها من الخير الآجل خير عاجل فيحدث به و يظهره، و هو أيضا مبطل للعمل و مفسد له و إن سبق.

قال الصادق عليه السلام من عمل حسنه سرا كتبت له سرا فإذا أقر بها محيت و كتبت جهرا، فإذا أقر بها ثانيا محيت و كتبت رياء و فضل عمل السر على عمل الجهر سبعون ضعفا، نعم لو تعلق باذا عته غرض صحيح كما لو أراد ترغيب الغير فيه إذا لم يمكن الترغيب بدونه لم يكن به بأس.

السادس أن يترك العمل خوفا من الريا، و هذا أيضا من خدائع إبليس اللعين لأن غرضه الأقصى ترك العمل فاذا لم تجب إليه و اشتغلت به فيدعوك إلى

الرّيا وغيره فاذا تركته فقد حصلت غرضه.

قال ابن فهد في عدّه الدّاعى و مثال ذلك من سلم إليه مولاة حنطه فيها قليل من المباين إمّا شعير أو مدر، و قال: خلّصها من التراب مثلا- و نقّها منه تنقيه جيّده بالغه، فيترك أصل العمل و يقول: أخاف إن اشتغلت به ألاّ يخلص خلاصا صافيا و يترك العمل من أصله.

السّابع أن يترك العمل لا لذلك بل خوفا على النّاس أن يقولوا إنّه مرأى فيعصون الله تعالى به، و هذا أيضا كسابقه رياء خفى لأنّ ترك العمل خوفا من أن يقال له: إنه مرأى عين الرّياء، و لو لا حبّه لمحمدتهم و خوفه من مذمّتهم فما له و لقولهم إنّه مرأى أو قالوا إنّه مخلص و أىّ فرق بين ترك العمل خوفا من قولهم: إنّه مرأى و بين أن يحسن العمل خوفا من قولهم: إنّه مقصّر غافل مع ما فى ذلك من سوء الظنّ بالمسلمين، و من إطاعه الشّيطان فى ترك العمل.

الثّامن أن يكون ترك العمل إشفاقا على المسلمين بأن يقول له إبليس اللعين: اترك العمل إشفاقا على المؤمنين من وقوعهم فى الاثم بظنّ السّوء و تركك العمل إشفاقا عليهم يقوم مقام العمل و يحصل لك بذلك الثّواب لأنّ نظر المصلحه للمسلمين حسنه فيعادل الثّواب الحاصل من العمل بل هو أفضل لأنّه متعدّد إلى الغير؛ و هذا الخيال من غوايل النّفس الأماره المايله إلى الكسالة و البطاله و مكيدته عظيمة من الشّيطان الخبيث لما لم يجد إليك مسلكا فصدّك من هذا الطريق و زيّن لك هذا التّمنيق.

قال ابن فهد و وجه فساده يظهر من وجوه:

الأوّل أنّه عيّّل لك الوقوع فى الاثم المتيقّن فانّك ظننت أن يظنّوا بك أنّك مرأى، و هذا ظنّ سوء و على تقدير وقوعه منهم يلحقهم به إثم و ظنّك هذا بهم أيضا ظنّ سوء يلحقك به الاثم إذا لم يكن مطابقا لما ظننت بهم و تركت العمل من أجله فعدلت من ظنّ موهوم إلى إثم معلوم، و حذرا من لزوم اثم لغيرك فأوقيت فيه نفسك.

ص: ٣٣٢

الثاني أنك إذن وافقت إرادته الشيطان بترك العمل الذي هو مراده، و ترك العمل و البطاله موجب لاجتراء الشيطان عليك و تمكنه منك، لأن ذكره تعالى و التولى فى خدمته يقربك منه و بقدر ما تقرب منه تبعد من الشيطان و ان فيه موافقه للنفس الأماره بميلها إلى الكساله و البطاله و هما ينبوع آفات كثيره إن كان لك بصيره.

الثالث مما يدللك أن هذا من غوائل النفس و ميلها إلى البطاله أنك لما نظرت إلى فوات الثواب الحاصل لك من البطاله و إلى فوات وقوعهم فى الائم آثرتهم على نفسك بتخفيف ما يلزمهم من الائم بسوء الظن و حرمت نفسك الثواب، و تفكر فى نفسك و تمثل فى قلبك بعين الانصاف لو حصل بينك و بينهم فى شىء من حظوظ العاجله منازعه إما فى دار أو مال أو ظهر لك نوع معيشه تظن فيها فايده و حصول أ كنت تؤثرهم على نفسك و تتركه لهم؟ كلا و الله بل كنت تناقشهم مناقشه المشاقق و تستأثر عليهم فيما يظهر لك من أنواع المعيشه إن أمكنك فرصه الاستيثار و تقلى الحبيب و تقضى القريب.

التاسع أن يقول لك اللعين إذا كنت لا تترك العمل لذلك فاحف العمل فإن الله سيظهره عليك فاما إذا أظهرته فيمكن أن تقع فى الريا، و هذا التلبيس عين الريا لأن إخفاك له كى يظهر بين الناس هو بعينه العمل لأجل الناس، و ما عليك إذا كان مرضيا عند الله تعالى أن يظهر للناس أو يخفى.

الرابع

فى علاج الريا

و هو على ما ذكره الغزالي فى إحياء العلوم أن الانسان يقصد الشىء و يرغب فيه لظنه أنه خير له و نافع و لذيذ إما فى الحال و إما فى المآل فان علم أنه لذيذ فى الحال و لكنّه ضارّ فى المآل سهل عليه قطع الرّغبه عنه كمن يعلم أن العسل لذيذ و لكن إذا بان له أن فيه سمّا أعرض عنه، فكذلك طريق قطع هذه الرّغبه أن يعلم ما فيه من المضرّه

و مهما عرف العبد مضره الريا و ما يفوته من صلاح قلبه و ما يحرم عنه فى الحال من التوفيق و فى الآخره من المنزله عند الله و ما يتعرض له من العقاب العظيم و المقت الشديد و الخزي الظاهر حيث ينادى على رءوس الخلايق يا فاجر يا غادر يا مرائى أما استحييت؟ إذ اشتريت بطاعه الله عرض الدنيا، و راقبت قلوب العباد و استهزأت بطاعه الله و تحببت إلى العباد بالتبغض إلى الله، و تزيت لهم بالشين عند الله، و تقربت إليهم بالبعد من الله، و تحمدت إليهم بالتذمم عند الله، و طلبت رضاهم بالتعرض لسخط الله أما كان أحد أهون عليك من الله؟ فمهما تفكر العبد فى هذا الخزي و قابل ما يحصل له من العباد و التزين لهم فى الدنيا بما يفوته فى الآخره و بما يحبط عليه من ثواب الأعمال مع أن العمل الواحد به ربما كان يترجح ميزان حسناته لو خلص فاذا فسد بالريا خول إلى كفه السيئات فترجح به و يهوى إلى النار؛ فلو لم يكن فى الرياء إلا إحباط عباده واحده لكان ذلك كافيا فى معرفه ضرره و إن كان مع ذلك سائر حسناته راجحه، فقد كان ينال بهذه الحسنه علو الرتبة عند الله فى زمرة النبيين و الصديقين، و قد حط عنهم بسبب الريا و ردّ إلى صف النعال من مراتب الأولياء هذا.

مع ما يتعرض له فى الدنيا من تشتت الهم بسبب ملاحظه قلوب الخلق، فإنّ رضا الناس غايه لا تدرك فكلّ ما يرضى به فريق يسخط به فريق، و رضا بعضهم فى سخط بعضهم، و من طلب رضاهم فى سخط الله سخط الله عليهم و أسخطهم أيضا عليه ثم أئى غرض له فى مدحهم و ايثار ذمّ الله لأجل حمدهم، و لا يزيدهم حمدهم رزقا و لا أجلا، و لا ينفعه يوم فقره و فاقتة و هو يوم القيامة.

و أميا الطمع فيما فى أيديهم فبأن يعلم أنّ الله هو المسخر للقلوب بالمنع و الاعطاء و لا رازق إلا الله و من طمع فى الخلق لم يخل من الدلّ و الخيبه، و إن وصل إلى المراد لم يخل عن المنه و المهانه فكيف يترك ما عند الله برجاء كاذب و وهم فاسد؟ و قد يصيب و قد يخطى و إذا أصاب فلا تفى لذته بألم منته و مدلته.

و أما ذمهم فلم يحذر منه و لا يزيده ذمهم شيئاً فإذا قرر في قلبه آفة هذه الأسباب و ضررها فترت رغبته و أقبل على الله قلبه، فإن العاقل لا يرغب فيما يكثر ضرره و يقل نفعه، و يكفيه أن الناس لو علموا ما في بطنه من قصد الرياء و إظهار الاخلاص لمقتوه، و سيكشف الله عن سره حتى يبغضه إلى الناس و يعرّفهم أنه مرء و ممقوت عند الله و لو اخلص لله لكشف الله لهم إخلاصه و حبه إليهم و سخرهم له و اطلق ألسنتهم بالمدح و الثناء عليه.

أقول و هو كما روى أنّ رجلاً من بنى إسرائيل قال: لأعبدن الله تعالى عباده اذكر بها فمكث مدّة مبالغاً في الطاعات و جعل لا يمرّ بملاء من الناس إلا قالوا متصّع مرء، فأقبل على نفسه و قد قال: اتعبت نفسيك و ضيّعت عمرك في لا شيء فينبغي أن تعمل لله سبحانه فغير نيته و أخلص عمله لله تعالى، فجعل لا يمرّ بملاء من الناس إلا قالوا ورع تقى هذا.

مع أنّ مدح الناس لا ينفعه و هو عند الله مذموم و من أهل النار، و ذمّ الناس لا يضرّه و هو عند الله محمود و من أهل الجنة فمن أحضر في قلبه الآخرة و نعيمها المؤبّد و المنازل الرفيعة عند الله استحققر ما يتعلّق بالخلق أيام الحياه مع ما فيه من الكدورات و المنقصات و كيف يرضى العاقل أن يجعل ثمن عمله مدح الناس له و ما في أيديهم من حطام الدّنيا و زخارفها مع أنّها على تقدير النّيل إليها ثمن بخس و رضا الله سبحانه هو الجزاء الأوفى.

فلو قيل لك: إنّ ههنا رجلاً معه جوهر نفيس يساوى مائة ألف دينار و هو محتاج إلى ثمنه بل إلى بيعه عاجلاً و إلى أضعافه ثمنا فحضر من يشتري منه متاعه بأضعاف ثمنه مع حاجته إلى الاضعاف فأبى بيعه بذلك و باعه بفلس واحد أ لست تحكم بسفاهه ذلك البايع و نقصان عقله؟ فحال المرائى بعينه مثل حال هذا البايع، فإنّ ما يناله العبد بعمله من حطام الدّنيا و مدح الناس له بالاضافه إلى ثواب الآخرة و مرضات الله سبحانه أقلّ من فلس في جنب ألف دينار بل أقلّ من نسبته إلى الدّنيا و ما فيها؛ هذا كلّه هو الدّواء العلمى

و أما الدواء العملى فهو أن يعوّد نفسه إخفاء العبادات و إغلاق الأبواب دونها كما يغلق الأبواب دون الفواحش حتى يقنع قلبه بعلم الله و اطلاعه على عبادته و لا تنازعه النفس إلى طلب علم غيره سبحانه.

و لذلك كان عيسى يقول للحواريين إذا صام أحدكم فليدهن رأسه و لحيته و يمسح شفتيه بالزيت لئلا يرى الناس أنه صائم، و إذا أعطى يمينه فليخف عن شماله و إذا صلى فليرخ ستر بابه فإن الله يقسم الثناء كما يقسم الرزق.

و قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إن في ظل العرش ثلاثة يظلمهم الله بظلمة يوم لا ظل إلا ظله: رجلان تحابا في الله و افترقا عليه، و رجل تصدق بيمينه صدقه فأخفاها عن شماله، و رجل دعت امرأه ذات جمال فقال: إننى أخاف الله رب العالمين.

فلا- دواء للرياء مثل الاخفاء و ذلك يشق في بدايه المجاهده و إذا صبر عليه مدّه بالتكلف سقط عنه ثقله و هان عليه ذلك بتواصل ألطاف الله و ما يمدّ به عباده من حسن التوفيق و التأييد و التسديد، و لكن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فمن العبد المجاهده، و من الله الهدايه و من العبد قرع الباب و من الله فتح الباب، و الله لا يضيع أجر المحسنين، و إن تك حسنه يضاعفها و يؤت من لدنه أجرا عظيما.

تكملة

هذا الفصل من الخطبه الشريفه رواه ثقه الاسلام الكليني فى الكافي عن عدّه من أصحابنا عن سهل بن زياد عن عبد الرحمن بن أبى نجران عن عاصم بن حميد عن أبى حمزه عن يحيى بن عقيل عن حسن عليه السلام قال: خطب أمير المؤمنين صلوات الله عليه فحمد الله و أثنى عليه و قال:

أمّا بعد فأنّما هلك من كان قبلكم حيث ما عملوا من المعاصى و لم ينههم الرّباتيون و الأحبار عن ذلك، و إنهم لما تبادوا فى المعاصى و لم يتبهم الرّباتيون و الأحبار عن ذلك نزلت لهم العقوبات، فأمروا بالمعروف، و انهوا عن المنكر، و اعلموا أنّ الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر لم يقربا أجلا و لن يقطعوا رزقا،

إِنَّ الْأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ كَقَطْرِ الْمَطَرِ، إِلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا قَدَّرَ اللَّهُ مِنْ زِيَادَةٍ أَوْ نَقْصَانٍ، فَإِنْ أَصَابَ أَحَدَكُمْ مَصِيبٌ فِي أَهْلِ أَوْ مَالٍ أَوْ نَفْسٍ وَرَأَى عِنْدَ أَخِيهِ غَفِيرَةً فِي أَهْلِ أَوْ مَالٍ أَوْ نَفْسٍ فَلَا يَكُونَنَّ لَهُمْ فِتْنَةٌ، فَإِنَّ الْمَرْءَ الْمُسْلِمَ لِبَرِيءٍ مِنَ الْخِيَانَةِ مَا لَمْ يَغْشَ دَنَاءَهُ تَظْهَرُ فَيُخْشَعُ لَهَا إِذَا ذَكَرَتْ وَيَغْرَى بِهَا لِثَامِ النَّاسِ كَانَ كَالْفَالِجِ الْيَاسِرِ الَّذِي يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزِهِ مِنْ قَدَاحِهِ، تَوْجِبُ لَهُ الْمَغْنَمُ وَيَرْفَعُ عَنْهُ بِهَا الْمَغْرَمُ، وَكَذَلِكَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ الْبَرِيءُ مِنَ الْخِيَانَةِ يَنْتَظِرُ مِنَ اللَّهِ إِحْدَى الْحَسَنَيْنِ إِمَّا دَاعِيَ اللَّهِ فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ، وَإِمَّا رِزْقَ اللَّهِ فَإِذَا هُوَ ذُو أَهْلِ وَ مَالٍ وَ مَعَهُ دِينُهُ وَ حَسْبُهُ إِنَّ الْمَالَ وَ الْبَنِينَ حَرْثُ الدُّنْيَا، وَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ حَرْثُ الْآخِرَةِ، وَ قَدْ يَجْمَعُهُمَا اللَّهُ لِأَقْوَامٍ فَاحْذَرُوا مِنَ اللَّهِ مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ، فَاخْشَوْهُ خَشْيَةً لَيْسَتْ بِتَعْذِيرٍ، وَ اعْمَلُوا فِي غَيْرِ رِيَاءٍ وَ سَمِعَهُ فَإِنَّهُ مِنْ يَعْمَلُ لِغَيْرِ اللَّهِ يَكِلُهُ اللَّهُ إِلَى مَنْ عَمِلَ لَهُ، نَسَأَلُ اللَّهَ مَنَازِلَ الشَّهَدَاءِ، وَ مَعَايِشَةَ السَّعْدَاءِ، وَ مِرَافِقَةَ الْأَنْبِيَاءِ.

الترجمه

از جمله خطب آن امام عالمیانست در تأدیب فقراء با عدم حسد باغنیاء و تأدیب أغنیاء با ترهید از جمع مال دنیا و در اخلاص اعمال و افعال از سمعه و ریا می فرماید اما بعد از حمد الهی و درود حضرت رسالت پناهی پس بدرستی که امر الهی نازل می شود از آسمان بر زمین، و خارج می شود از قوه بعمل، و موجود می شود در مواد سفلیه بعد از وجود در صحایف علویه مانند قطره های باران بسوی هر نفسی بمقدار آنچه قسمت شده بر او از زیاده و نقصان، پس هر گاه ببیند یکی از شما مر برادر خود را زیادتی در اهل یا مال یا نفس یا سایر آنها پس باید که نباشد مر او را فتنه و فساد چون وقوع در حسد و عناد پس بدرستی مرد مسلمان ما دام که نیاید بر سر دنائت و ناکسی که ظاهر شود آن دنائه از او در میان مردمان پس چشم بر هم نهد از خجالت برای ظهور آن دنائه در وقت مذاکره مردم آن دنائت را، و حریص کرده شوند مردمان دنی در فعل مثل آن می شود آن مرد مسلم مثل فیروزی یا بنده قمار بازنده که انتظار کشد اول بردن را از تیرها و چوبهای آن که آن بردن واجب می گرداند از برای آن غنیمت را و برداشته می شود از او بجهه آن بردن غرامت و مثل همین قمارباز است مرد مسلمان که بریست از خیانت انتظار می کشد

از جانب خداوند یکی از این دو حالت را یا خواننده خدا بسوی او پس آنچه که نزد خداوند از اصناف کرامت و انواع رحمت است بهتر است مر او را، و یا روزی خدا پس ناگاه می شود او صاحب اهل و مال در حالتی که با اوست دین و حسب و علم و ادب او بدرستی مال و اولاد کشت این سرای فانیند، و عمل صالح کشت دار باقی است.

و گاهی جمع می فرماید خداوند هر دو این کشت را از برای گروهی که متّصف بشوند بصفّت توکل، پس بترسید از خداوند به آن چه که ترسانده شما را با او از خودش، و بترسید از او ترسیدنی که نباشد در او عذرخواهی و دروغ، و عمل نمائید عمل خالصی که خالیست از ریا و سمعه، پس بدرستی هر که عمل نماید از برای غیر خدا واگذار میکند خداوند تعالی او را بر آن کس که عمل کرده از برای او، می خواهیم از خدای تعالی منزلهای شهیدان، و زندگانی سعیدان، و رفاقتی پیغمبران و همراهی ایشان را.

الفصل الثانی

اشاره

و هو مروی فی الکافی باختلاف کثیر و زیاده و نقصان حسبما تطلع علیه:

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا يَسْتَعْنِي الرَّجُلُ وَ إِن كَانَ ذَا مَالٍ عَنْ عَشِيرَتِهِ، وَ دَفَاعَهُمْ عَنْهُ بِأَيْدِيهِمْ وَ أَلْسِنَتِهِمْ، وَ هُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ حَيْثُ مِنْ وَرَائِهِ، وَ التَّمَهُمْ لَشَعْتِهِ وَ أَعْطَفَهُمْ عَلَيْهِ عِنْدَنَا زَلَّةٌ إِذَا نَزَلَتْ بِهِ، وَ لِسَانَ الصَّيِّدِ يَقْضِيهِ اللَّهُ لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْمَالِ يُوْرَثُهُ غَيْرُهُ. مِنْهَا أَلَّا لَا يَعْدِلَنَّ أَحَدُكُمْ عَنِ الْقَرَابَةِ، يَرِي بِهَا الْخِصَاصَةَ أَنْ يَسُدَّهَا بِالذِّى لَا يَزِيدُهُ إِذْ أَمْسَكَهُ، وَ لَا يَنْقُصُهُ إِذْ أَهْلَكَهُ، وَ مَنْ يَقْبُضُ يَدَهُ عَنِ عَشِيرَتِهِ فَإِنَّمَا يَقْبُضُ مِنْهُ عَنَّهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ وَ يَقْبُضُ مِنْهُمْ عَنْهُ أَيْدِيٌ كَثِيرَةٌ، وَ مَنْ تَلَّنَ حَاشِيَتَهُ يَسْتَدِمُ مِنْ قَوْمِهِ الْمَوْدَةَ.

ص: ۳۳۸

(الحيطة) بكسر الحاء و سكون الياء الحفظ يقال حاطه حوطا و حيطة و حياطه حفظه و صانه و (لم) الله شعته قارب بين شتيت اموره و جمعها و (الخصاصه) الفقر قال سبحانه: «يؤثرون على أنفسهم و لو كان بهم خصاصة» و (حاشيه) الرجل نفسه و جانبه، و حاشيته أيضا أتباعه و خواصه و أهله.

الاعراب

جملة يرى فى محلّ النَّصب على الحالیه، و أن يسدّها فى موضع الجرّ بدلا من القرابه، و حاشيته بالرفع فاعل تلن، و فى روايه الكافى الآتيه يلن بالياء التّحتانيه فحاشيته بالرفع أو بالنّصب مفعول له بواسطه الحرف أى يلن لحاشيته.

المعنى

اشاره

اعلم أنّه لما أدب الفقراء بترك الحسد على الأغنياء بما مرّ تفصيلا فى الفصل السّابق أردف ذلك ب تأديب الأغنياء بعدم الزّهد عن الأرحام الفقراء و البعد عنهم و عن سدّ خلتهم و جبر فاقتهم فقال: (أيّها النَّاس إنّه لا- يستغنى الرّجل و إن كان ذا مال) و صاحب ثروه (عن عشيرته) و قبيلته (و) عن (دفاعهم عنه بأيديهم) صوله قبائل (و) ذبّهم عنه (بالسنتهم) مسبه قائل.

و ذلك لأنّ المال و الثّروه لا- يغنى عن الاخوان و العشيره بل أشدّ النَّاس حاجه إلى الأعوان و الأتباع هم أكثر النَّاس ثروه و غفيره، ألا ترى الملوكة و المتشبهين بهم من أرباب الأموال كم حاجتهم إلى الأصحاب و الأعوان فى الأعمال و الأفعال و أحقّ النَّاس بعدم الاستغناء عنه هم عشيره الرّجل و أقرباءه (و هم أعظم النَّاس حيطة من ورائه) و حفظا لجانبه (و ألمهم لشعته) و أجمعهم لمتفرّق اموره (و أعطفهم عليه عند نازله) أو مصيبه (إذا نزلت به) و ذلك لجبهه القرب الباعثه لدواعى الشّفقه عليه (و لسان الصّيدق) و الذكر الجميل المترتب على البذل و الانفاق (يجعله الله للمرء فى النَّاس) و بينهم (خير له من) جمع (المال) و امساكه حتّى (يورثه غيره) و لنعم ما قال حاتم فى هذا المعنى مخاطبا لامراته ماريه:

أمارى ان يصيح صداى لقفره من الأرض لا ماء لدى و لا خمر

ترى أنّ ما انفتحت لم يك ضربى و أنّ يدى ممّا بخلت به صفر

أمارى ما يغنى الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوما و ضاق به الصدر

أمارى إنّ المال غاد و رايح و يبقى من المال الأحاديث و الذكر

و قد علم الأقسام لو أنّ حاتما أراد ثراء المال كان له وفر

(ألا لا يعدلنّ أحدكم عن الأرحام و القرابه يرى بها) الفاقه و (الخصاصه أن يسدّها ب) فضل ماله (الذى لا يزيده إن أمسكه و لا ينقصه إن اهلكه) أى لا ينفع ذلك الشّخص إمساكه و لا يضرّه الفاقه لكونه زايذا على قدر الحاجه و فاضلا على معيشته (و من يقبض يده عن عشيرته فأنما تقبض منه عنهم يد واحده و تقبض منهم عنه أيدي كثيره) قال السيّد: ما أحسن هذا المعنى فإنّ الممسك خيره عن عشيرته إنّما يمسك نفع يد واحده فاذا احتاج إلى نصرتهم و اضطرّ إلى مرافدتهم(1) قعدوا عن نصره و تناقلوا عن صوته فممنع ترافد الأيدي الكثيره و تناهض الأقدام الجمه.

(و من تلى حاشيته) و يحسن خلقه و يتواضع للنّاس (يستدم من قومه الموّده) لأنّ لين الجانب و حسن الخلق و التواضع جالب للافه و كاسب للموّده كما أنّ التّكبر و الجفاه و خشونه الطبعه باعثه على الانقطاع و العداوه قال سبحانه:

«وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنَّفُضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَ شَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ» هذا كلّه إن حملنا لفظ الحاشيه على النّفس و الجانب، و إن حملناه على الأتباع و الخواصّ فيكون المقصود به التّأديب لهم باصلاح حال الأتباع.

بيان ذلك أنّ الاتباع هم الذين عليهم يدور تدبير صلاح حال الرّجل فبحسب شدّتهم و غلظتهم و لينهم و تواضعهم يكون النّاس أقرب إليه و أبعد منه و بذلك يتفاوت

ص: ٣٤٠

بغضهم و محبتهم له و انسهم و نفاهم عنه، فيلزم على الرجل إصلاحهم كما يلزم عليه إصلاح نفسه و يلحقه اللوم و الذم بترك الأول كما يلحقانه بترك الثاني، إذ بتواضعهم و لبيته جانبهم يستدام المحبة و يستجلب المودة كما أن تواضعه بنفسه يستديمها و يستجلبها و لنعم ما قيل:

و إذا ما اخترت وّد صديق فاختر وده من الغلمان

تبصره

اعلم أنّ هذا الفصل من الخطبه قد رواه الكليني في الكافي بزياده و نقصان و تقديم و تأخير لا بأس بالإشارة إليه، و السند فيه محمّد بن يحيى عن أحمد بن محمّد بن عيسى عن عثمان بن عيسى عن يحيى عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين:

لن يرغب المرء عن عشيرته و إن كان ذا مال و ولد، و عن مودّتهم و كرامتهم و دفاعهم بأيديهم و ألسنتهم، هم أشدّ الناس حيطه من ورائه و أعطفهم عليه و ألمهم لشعته، إن أصابته مصيبه و أنزل به بعض مكاره الأمور، و من يقبض يده عن عشيرته فأنما يقبض عنهم يدا واحده و يقبض عنه منهم أيدي كثيره، و من يلن حاشيته يعرف صديقه منه الموده و من بسط يده بالمعروف إذا وجده يخلف الله له ما أنفق في دنياه و يضاعف له في آخرته، و لسان الصديق للمر يجعله الله في الناس خير من المال بأكله و يورثه، لا يزداد أحدكم كبرا و عظما في نفسه و نايا عن عشيرته إن كان موثرا في المال، و لا يزداد أحدكم في أخيه زهدا و لا - منه بعدا إذا لم ير منه مروه و كان معوزا في المال، لا يغفل أحدكم عن القرابه بها الخصاصه أن يسدها بما لا ينفعه إن أمسكه، و لا يضره إن استهلكه.

تكملة

قد عرفت جملة من ثمرات صله الأرحام و مفاصد قطيعتها في هذه الخطبه مثل كونهم معاونين للرجل و حامين له و الدّائين عنه و كون البرّ عليهم موجبا للذكر الخير و الثناء الجميل و كون الممسك عنهم بمنزلة الطالب لمنفعه يد واحده المفوت على نفسه منافع أيدي كثيره، و قد اشير إلى طائفه ممّا يترتب عليهما من الآثار

و الثمرات وراء ما مرّ في سائر الروايات، ولا بأس بالإشارة إلى بعضها ممّا رواها ثقة الاسلام الكليني في الكافي.

فباسناده عن إسحاق بن عمّار قال: بلغني عن أبي عبد الله عليه السّلام أنّ رجلا أتى النّبىّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال: يا رسول الله أهل بيتي أبوا إلاّ توثبا عليّ و قطيعه لى و شتيمة فأرفضهم؟ قال صلّى الله عليه وآله: إذن يرفضكم الله جميعا، قال: فكيف أصنع؟ قال: تصل من قطعك، و تعطى من حرمك، و تعفو عمّن ظلمك، فإنّك إذا فعلت ذلك كان لك من الله عليهم ظهير.

و عن محمّد بن عبد الله قال: قال أبو الحسن الرضا عليه السّلام: يكون الرّجل يصل رحمه فيكون قد بقى من عمره ثلاث سنين فيصيرها الله ثلاثين سنة و يفعل الله ما يشاء و عن أبي حمزه قال: قال أبو جعفر عليه السّلام صله الأرحام تزكى الأعمال، و تنمى الأموال، و ترفع البلوى، و تيسر الحساب، و تنسىء في الأجل.

و عن أبي حمزه عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: صله الأرحام تحسّن الخلق، و تسمع الكفّ، و تطيب النّفس، و تزيد في الرّزق، و تنسىء في الأجل.

و عن حنان بن سدير عن أبيه عن أبي جعفر عليه السّلام قال: قال أبو ذر رضى الله عنه:

سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول: حافّتا الصّراط يوم القيامة الرّحم و الأمانة، فإذا مرّ الوصول للرّحم المؤدى للأمانة نفذ إلى الجنّة، و إذا مرّ الخائن للأمانة القطوع للرّحم لم ينفعه معهما عمل، و تكفأ به الصّراط في النّار.

و عن الحكم الحنّاط قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام: صله الرّحم و حسن الجوار يعمران الدّيار، و يزيدان في الأعمار.

و عن إسحاق بن عمّار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: إنّ صله الرّحم و البرّ ليهوّنان الحساب، و يعصمان من الدّنوب فصلوا أرحامكم، و برّوا باخوانكم و لو بحسن السّلام و ردّ الجواب.

و عن عبد الصّمد بن بشير قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام: صله الرّحم (1) يهون الحساب يوم القيامة و هى منسأه في العمر، و تقى مسارع السّوء، و صدقه اللّيل تطفى غضب الرّبّ

ص: ٣٤٢

١- (١) فى الوافى عن الكافى الحديث هكذا: صله الرحم تهوّن الحساب يوم القيامة، و هى منسأه فى العمر، و تقى مصارع السوء إلخ المصحح (١).

و عن إسحاق بن عمار قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ما نعلم شيئا يزيد في العمر إلا صله الرحم حتى أن الرجل يكون أجله ثلاث سنين فيكون وصولا للرحم، فيزيد الله في عمره ثلاثين سنة فيجعلها ثلاثا و ثلاثين سنة، و يكون أجله ثلاث «ثلاثا ظ» و ثلاثين سنة فيكون قاطعا للرحم فيقصه «فينقصه» الله ثلاثين سنة و يجعل أجله إلى ثلاث سنين، و الروايات في هذا الباب كثيرة، و فيما رويناها كفايه إنشاء الله.

الترجمه

ای گروه مردمان بدرستی که مستغنی نمی شود مرد و اگر چه بوده باشد صاحب جاه و مال از قبیله خود و از رفع کردن ایشان مکروه را از او بدستهای خود و زبانهای خود و ایشان بزرگترین مردمانند از حیثیت حفظ و حمایت از پس او، و جمع کننده ترین مردمانند مر کارهای پریشان او را، و مهربان ترین خلقند بر او هنگام فرود آمدن بلا اگر فرود آید باو، و زبان صدق و ذکر خیر که می گرداند خدای تعالی از برای مرد در میان مردمان بهتر است از برای او از مالی که ارث بگذارد آن را بغیر خود آگاه باشید باید میل نکند و عدول ننماید یکی از شما از خویش و قوم در حالتی که بیند در او فقر و پریشانی از آنکه سد کند فقر آن را بمال زاید خود که افزون نمی گرداند او را اگر امساک کند و نگه دارد آن را، و کم نمی سازد اگر بذل نماید و انفاق کند آن را، و هر که قبض و نگه دارد دست خود را از قبیله خود پس بدرستی که نگه داشته می شود از جانب او از خویشان یکدست و فراهم گرفته می شود از جانب ایشان از او دستهای بسیار، و هر که نرم باشد جانب او و خوش نفس باشد طلب دوام می کند از قوم خود محبت را.

و من خطبه له علیه السلام و هی الرابعه و العشرون من

اشاره

المختار فی باب الخطب

و لعمری ما علی من قتال من خالف الحق و خابط الغی من إدهان

ص: ۳۴۳

و لا- إيهان، فاتَّقوا اللهَ عبادَ اللهِ و فزوا من اللهِ إلى اللهِ، و امضوا في الّذى نهجه لكم، و قوموا بما عصبه بكم، فعلىّ ضامن لفلجكم آجلا إن لم تمنحوه عاجلا.

اللغة

(خابط الغي) بصيغه المفاعله خبط كلّ منهما في الآخر، و الغي الضلاله و (الادهان) و المداهنه المصانعه و المنافقه قال سبحانه: «وَدُّوا لَوْ تُدْهِئُونَ فَيْدُهُنَّ» و (الايهان) مصدر أوهنه أى أضعفه و (نهج) الأمر أوضحه و جعله نهجا أى طريقا بينا و (عصبه بكم) أى ربطه و ناطه كالعصابه التى يشدّ بها الرّأس و (الفلج) بالضّمّ الفوز و منه الفالغ الذى قد مرّ فى الخطبه السابقه و (منحه) كضربه و منعه أعطاه و الاسم المنحه و هى العطيه.

الاعراب

العمر بفتح العين و ضمّنها البقاء و لا تستعمل فى القسم إلاّ بالفتح قال بعض المحقّقين: قول الشّخص لعمري مبتدأ محذوف الخبر وجوبا و التقدير قسمى أو يمينى و هو داير بين فصحاء العرب، قال تعالى: «لعمرك إنّهم لفي سكرتهم يعمهون» لا يقال: إنّ الحلف بغير الله تعالى منهيّ عنه.

لأنّ نقول: ليس المراد به القسم الحقيقى بجعل غيره تعالى مثله فى التّعظيم بل المراد صورته لترويج المقصود أو الكلام على حذف المضاف أى فبواهب عمري و عمرك.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ مقصوده عليه السّلام بهذا الكلام الرّد على قول من قال إنّ متابعتة لمحاربيّه و مصانعتهم كان اولى من محاربتهم، فتبّه على فساد ذلك القول و بطلان هذا الزّعم و قال:(لعمري ما علىّ من قتال من خالف الحقّ و) جهاد من (خابط

الغنى من) مساهله و (ادهان و لا) ضعف و (ايهان) إذ مقاتله أهل التمرد و الضلاله واجبه و المداهنه فيها معصيه.

و لذلك إن الله سبحانه أوحى إلى شعيب النبي إني معذب من قومك مائة ألف أربعين ألفا من شرارهم و ستين ألفا من خيارهم، فقال: يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟ فأوحى الله إليه داهنوا أهل المعاصي و لم يغضبوا بغضبي (فاتقوا الله عباد الله) بالحذر عن معاصي الله (و فرّوا من) غضب (الله إلى) رحمه (الله و امضوا في) الطريق (الذي نهجه لكم) و شرعه في حقكم و هو جاده الشريعة التي يجب سلوكها لكل أحد (و قوموا بما عصبه بكم) و ربطه عليكم و هو الأوامر الشرعية و التكاليف الالهيه و إذا قمتم بواجب ما امرتم من هذه الأوامر (فعلي) بن أبي طالب (ضامن لفلجكم آجلا) في دار القرار بجنات تجري من تحتها الأنهار (إن لم تمنحوه عاجلا) في دار الدنيا لعدم تمام استعدادكم له، و قد يتم الفوز بالسعادة العاجليه و الآجلية لمن وفته قوته بالقيام بهما و كمل استحقاقه لذلك في علم الله سبحانه و لما كان حصول السعادة و الفوز للدرجات العاليه من لوازم التقوى ظاهر اللزوم في علمه عليه السلام لا جرم كان ضامنا له و زعيما به.

اشراق

في بيان معنى التقوى لغه و شرعا و ما يترتب عليه من الثمرات الدنيويه

و الاخرويّه.

فقول: التقوى في اللغة الاتقاء و هو اتخاذ الوقايه، و في العرف هي الاحتراز بطاعه الله عن عقوبته.

و قيل هي بحسب العرف الشرعي تعود إلى خشية الحق سبحانه المستلزمه للاعراض عن كلما يوجب الانتفات عنه من متاع الدنيا و زينتها و تنحيه مادون وجهه القصد.

و قال الصادق عليه السلام في تفسيرها: أن لا يفقدك حيث أمرك، و لا يراك حيث نهاك.

ص: ٣٤٥

وقال بعض العارفين: إنّ خيرات الدّنيا والآخرة جمعت تحت لفظه واحده و هي التقوى انظر إلى ما فى القرآن الكريم من ذكرها، فكم علن عليها من خير و وعد لها من ثواب و أضاف إليها من سعادته دنيويّه و كرامه اخرويّه.

و فى عدّه الدّاعى هى العدّه الكافيه فى قطع الطريق إلى الجنّه بل هى الجنّه الواقيه من متالف الدّنيا والآخرة، و هى الممدوحه بكلّ لسان و المشرفه لكلّ إنسان، و قد شحن بمدحها القرآن و كفاها شرفاً قوله تعالى: «وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ» و لو كان فى العالم خصله هى أصلح للعبد و أجمع للخير و أعظم بالقدر و أولى بالايغال و انجح للامال من هذه الخصله التى هى التقوى؛ لكان الله أوصى بها عباده لمكان حكمته و رحمته، فلمّا أوصى بهذه الخصله الواحده. جمع الأولين و الآخرين و اقتصر عليها علم أنّها الغايه التى لا يتجاوز عنها و لا مقتصر دونها و القرآن مشحون بمدحها و عدّد فى مدحها خصالاً:

الأول المدحه و الثناء «و إن تصبروا و تتقوا فإنّ ذلك من عزم الامور».

الثانى الحفظ و التحصين من الأعداء «و إن تصبروا و تتقوا لا يضرّكم كيدهم شيئاً».

الثالث التأييد و النصر «إنّ الله مع المتقين» الرابع إصلاح العمل «يا أيّها الذين آمنوا اتقوا الله و قولوا قولاً سديداً يضيّلخ لكم أعمالكم» الخامس غفران الذّنوب «و يغفر لكم ذنوبكم» السادس محبه الله «إنّ الله يحبّ المتقين» السابع قبول الأعمال «إنّما يتقبّل الله من المتقين» الثامن الاكرام «إنّ أكرمكم عند الله اتقاكم» التاسع البشاره عند الموت «الذين آمنوا و كانوا يتتقون لهم البشرى فى الحياه الدّنيا و فى الآخره»

العاشر النَّجَاهُ عَنِ النَّارِ «ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا».

الحادى عشر الخلود فى الجنَّة «أَعَدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ».

الثانى عشر تيسير الحساب «وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ».

الثالث عشر النَّجَاهُ مِنَ الشَّدَايِدِ وَالرِّزْقِ الْحَلَالِ «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا» فانظر ما جمعت هذه الخصلة الشَّريفة من السِّعَادَاتِ فَلَا تَنْسَ نَصِيكَ مِنْهَا.

الترجمه

از جمله خطب شریفه آن حضرت است در اظهار ثبات قدم خود در محاربه جماعت طاغیه و ردّ قول کسی که قایل بمداهنه اوست در محاربه و ترهیب مردمان از تمرد و عصیان و ترغیب ایشان بطاعت خداوند عالمیان می فرماید: قسم بزندگانى خود که نیست بر من از مقاتله مخالفین حق و شریعت و سالکین طریق ضلالت هیچ مدارا کردن و سستی نمودن، پس بترسید از خداى بنندگان خدا و بگریزید بسوی رحمت خدا از غضب خدا و بروید در آن راهی که روشن ساخته است آن را از برای شما، و قیام نمائید به آن چه باز بسته است آن را بشما، و هر گاه این طور حرکت نمائید پس علی بن ابی طالب ضامن است بر رستگاری شما در آخرت اگر داده نشوید فیروزی و بمراد خود نرسید در دنیا

و من خطبه له علیه السلام و هی الخامسة و العشرون من

اشاره

المختار فى باب الخطب

و هی من أواخر خطبه خطب بها بعد فراغه من صفین و انقضاء أمر الحکمین و الخوارج، و قد تواترت علیه الأخبار باستیلاء أصحاب معاویه على البلاد و قدم علیه عاملاه على الیمن و هما عبید الله بن العباس و سعید بن نمران لما غلب علیهما بسر بن أرتاه

ص: ۳۴۷

فقام عليه السلام إلى المنبر ضجرا يتناقل أصحابه عن الجهاد و مخالفتهم له في الرأي فقال عليه السلام:

ما هي إلا الكوفة أقبضها و أسطها إن لم تكوني إلا أنت تهبّ أعاصيرك فقبحك الله ثم تمثّل بقول الشاعر:

لعمر أيبك الخير يا عمرو إنني على و ضر من ذا الإناء قليل

ثم قال:

أنبت بسرا قد أطلع على اليمن و إنني و الله لأظنّ هؤلاء القوم سيدالون منكم باجتماعهم على باطلهم، و تفرقكم عن حقكم، و بمعصيتكم إمامكم في الحقّ، و طاعتهم إمامهم في الباطل، و بأدائهم الأمانة إلى صاحبهم، و خيانتكم صاحبكم، و بصلاحهم في بلادهم، و فسادكم، فلو ائتمنت أحدكم على قعب لخشيت أن يذهب بعلاقته، أللهم إنني قد مللتهم و ملّوني، و سئمتهم و سئموني فأبدلني بهم خيرا منهم، و أبدلهم بي شرّا منّي، أللهم مث قلوبهم كما يماث الملح في الماء أما و الله لوددت أن لي بكم ألف فارس من بني فراس بن غنم:

هنا لك لو دعوت أتاك منهم فوارس مثل أرميه الحميم

ثم نزل عليه السلام من المنبر

ص: ٣٤٨

قال السَّيِّد: الارميه جمع رمى و هو السَّحاب، و الحميم فى هذا الموضع وقت الصَّيف و إنّما خصَّ الشَّاعر سحاب الصَّيف بالذَّكر لآنه أشدَّ جفولا و أسرع خفوقا، لآنه لا ماء فيه، و ذلك لا يكون فى الأكثر إلآ فى الشَّتاء و أراد الشَّاعر وصفهم بالسَّرعه إذا دعوا و الاغاثه إذا استغيثوا.

اللغه

(قبض) من باب ضرب و (بسط) من باب نصر و (هبت) الرِّيح من باب نصر هاجت و (الأعاصير) جمع إعصار و هى الرِّيح المستديره على نفسها قال تعالى «فأصابها إعصار فيه نار» و (الوضر) بقيه الاسم «الدسم ظ» فى الاناء و يستعار لكل بقيه من شىء يقل الانتفاع بها و (اطلع) فلان علينا إذا ظهر و (أدالنا) الله من عدونا اى جعل الدوله و الغلبه لنا عليهم و (القعب) قدح من خشب مقعر و (علاقته) ما يتعلّق به عليه و (مات) زيد الملح فى الماء إذا أذابه، و بنو فراس بن غنم بفتح الغين و سكّون التّون حى معروف بالشَّجاعه من بنى كنانه و هم بنو فراس بن غنم بن ثعلبه ابن مالك بن كنانه و (الجفول) فى كلام الرّضى الاسراع و (الخفوق) الطيران

الاعراب

كلمه ما نافية و هى مبتدأ و إلآ الكوفه خبر، و أقبضها خبر ثان أو خبر لمبتدأ محذوف أى أنا أقبضها، و المرجع لكلمه هى هو المملكه نزل حضورها فى ذهنه عليه السَّلام منزله الذّكر السَّابق أى ما مملكتى إلآ الكوفه، و يحتمل أن يكون هى ضمير شأن و الكوفه مبتدأ و أقبضها خبرا عنه و نظيره فى احتمال الضمير للأمرين قوله: «كلا إنّها لظى».

و قوله: إن لم تكونى إلآ أنت كلمه أنت تأكيد للضمير المستتر و هو اسم تكون و الخبر محذوف، و جمله تهبّ أعاصيرك فى موضع الحال، و تقدير الكلام إن لم تكونى إلآ- أنت عدّه لى و جنّه اتقى بها العدوّ و حظّا من الملك و الخلافه مع ما عليه حالك من المذام فقبحا لك، و يمكن أن يقدّم المستثنى منه حالا أى إن لم

تكونى على حال إلا- أن تهب فيك الأعاصير دون أن يكون فيك من يستعان به على العدو فقبحك الله، و الخير بالجزر صفه لايبك، و قليل صفه لو ضرر، و الضمير المستتر فى قوله: أن يذهب بعلاقته، راجع إلى الأحد، و الباء للتعديه أو إلى القعب و الباء بمعنى مع و الباء فى قوله إن لى بكم للعرض.

المعنى

اعلم أنه ينبغي لنا أن نذكر نسب معاويه عليه اللعنه و الهاويه فى هذا المقام أولاً، ثم نشير إلى اطلاع بسر على اليمن اجمالاً و ما جرى من جوره و ظلمه على شيعه أمير المؤمنين فى اليمن و غيرها، ثم نرجع إلى شرح الخطبه فأقول:

قال العلامة الحلّي قدّس سرّه فى كشف الحقّ روى أبو المنذر هشام بن محمّد السائب الكلبي فى كتاب المثالب كان معاويه لعماره بن الوليد المخزومى، و لمسافر ابن أبى عمرو، و لأبى سفيان، و لرجل آخر سمّاه، و كانت هند امّه من المعلمات و كان أحبّ الرجال إليها السودان، و كانت إذا ولدت اسود دفتته، و كانت حمامه إحدى جدّات معاويه لها رايه فى ذى المجاز.

و ذكر أبو سعيد إسماعيل بن عليّ السّمعاني الحنفي من علماء العامه فى مثالب بنى اميّه، و الشّرخ أبو الفتوح جعفر بن محمّد الهمداني من علمائهم فى كتاب البهجه المستفيد أنّ مسافر بن عمرو بن اميّه بن عبد شمس كان ذا جمال و سخاء، فعشق هنداً و جامعها سفاحاً و اشتهر ذلك فى قريش، فلما حملت و ظهر السّفاح هرب مسافراً من أبيها إلى الحيره، و كان فيها سلطان العرب عمرو بن هند و طلب أبوها عتبه أبا سفيان و وعده بمال جزيل و زوّجه هنداً فوضعت بعد ثلاثه أشهر معاويه ثمّ و رد أبو سفيان على عمرو بن هند فسأله مسافر عن حال هند فقال: إنى تزوّجتها فمرض و مات.

و فى البحار من كتاب الغارات لإبراهيم بن محمّد الثّقفى عن يوسف بن كليب المسعودى عن الحسن بن حماد الطائى عن عبد الصّمد البارقي قال: قدم عقيل على

علِيّ عليه السّلام و هو جالس في صحن مسجد الكوفة فقال: السّلام عليك يا أمير المؤمنين و رحمه الله و بركاته قال: و عليك السّلام يا أبا يزيد ثمّ التفت إلى الحسن بن عليّ فقال: قم و انزل عمّك، فذهب به و أنزله و عاد إليه فقال عليه السّلام له: اشتر له قميصا جديدا و رداء جديدا و ازارا جديدا و نعلا- جديدا فغدا على عليّ عليه السّلام في الثّياب فقال: السّلام عليك يا أمير المؤمنين قال: و عليك السّلام يا أبا يزيد قال: يا أمير المؤمنين ما أراك أصبت من الدّنيا شيئا إلاّ هذه و إنّي لا ترضى نفسى من خلافتك بما رضيت به لنفسك فقال: يا أبا يزيد يخرج عطائي فادفعه إليك.

فارتحل عن عليّ إلى معاويه فلمّا سمع به معاويه نصب كراسيّه و أجلس جلسائه فورد عليه فأمر له بمأه ألف درهم فقبضها فقال له معاويه: أخبرني عن العسكرين فقال: مررت بعسكر عليّ بن أبي طالب فاذا ليل كليل التّبيّ و نهار كنهار التّبيّ إلاّ أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم ليس في القوم، و مررت بعسكرك فاستقبلني قوم من المنافقين ممّن نفر برسول الله ليله العقبه.

فقال: من هذا الذي عن يمينك يا معاويه؟ قال: هذا عمرو بن العاص قال:

هذا الذي اختصم فيه ستّه نفر فغلب عليه جزارها فمن الآخر؟ قال: الضّحّاك بن قيس الفهري قال: أما و الله لقد كان أبوه جيّد الاخذ لعسب(١) التّيؤس خسيس التّفنّس.

فمن هذا الآخر؟ قال: أبو موسى الأشعري قال: هذا ابن المراقه السّراقه.

فلمّا رأى معاويه أنّه قد أغضب جلسائه قال: يا أبا يزيد ما تقول فيّ؟ قال: دع عنك قال: لتقولنّ قال: أتعرف حمامه؟ قال: و من حمامه؟ قال: أخبرتك، و مضى عقيل فأرسل معاويه إلى النّسابة فقال: أخبرني من حمامه؟ قال: أعطمني الأمان على نفسى و أهلى فأعطاه قال: حمامه جدّتك و كانت بغيّه في الجاهليه لها رايه تؤتى قال الشيخ: قال أبو بكر بن رنين هي أمّ امّ أبي سفيان و في شرح المعتزلى معاويه هو أبو عبد الرّحمان معاويه بن أبي سفيان صخر بن

ص: ٣٥١

١- (١) العسب ضراب الفحل او مائه أو نسله و الولد ق.

حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، و أمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، و هو الذي قاد قريشا في حروبها إلى النبي و كانت هند تذكر في مكة بفجور و عهر و قال الزمخشري في كتاب ربيع الأبرار: كان معاوية يغري إلى أربعه: إلى مسافر بن أبي عمرو، و إلى عماره بن الوليد بن المغيرة، و إلى العتاس عبد المطلب، و إلى الصياح مغن كان لعماره بن الوليد.

قال: و قد كان أبو سفيان ذميما قصيرا و كان الصباح عسيفا(1) لأبي سفيان شابا و سيما، فدعته هند إلى نفسها فغشبهها و قالوا إن عتبة بن أبي سفيان من الصباح أيضا و قالوا أنها كرهت أن تضعه في منزلها فخرجت إلى أجياد فوضعتة هناك، و في هذا المعنى يقول حسّان بن ثابت أيام المهاجاء بين المشركين و المسلمين في حياه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قبل عام الفتح:

لمن الصبي بجانب البطحاء في الترب ملقى غير ذي مهد

بخلت به بيضاء انسه من عبد شمس صلته الخد

قال الشارح: ولي معاوية اثنتي و أربعين سنه منها اثنتا و عشرون سنه ولي فيها اماره الشام منذ مات أخوه يزيد بن أبي سفيان بعد خمس سنين من خلافه عمر إلى أن قتل أمير المؤمنين علي عليه السلام في سنه أربعين، و منها عشرون سنه خليفه إلى أن مات في سنه ستين.

قال: و كان معاوية على اس الدهر مبغضا لعلي عليه السلام شديد الانحراف عنه و كيف لا يبغضه و قد قتل أخاه يوم بدر و خاله الوليد بن عتبة و شرك اتا في جده و هو عتبة أو في عمه و هو شبيهه على اختلاف الروايه و قتل من بنى عبد شمس نفرا كثيرا من أعيانهم و أمائلهم، ثم جاءت الطامة الكبرى واقعه عثمان فنسبها كلها إليه بشبهه إمساكه

ص: ٣٥٢

عنه و انصواء كثير من قتلته إليه عليه السّلام فتأكدت البغضه و ثارت الأحقاد و تذكرت تلك التراث الاولى حتى أفضى الأمر إلى ما أفضى إليه.

قال: و قد كان معاويه مع عظم قدر عليّ عليه السّلام في النفوس و اعتراف العرب بشجاعته و أنّه البطل الذي لا يقام له يتهدّده و عثمان بعد حيّ بالحرب و المنابذه و يرأسه من الشام رسائل خشنه ثم قال: و معاويه مطعون في دينه عند شيوخنا يرمى بالزندقه و قد ذكرنا في نقض السّيفيانيه على شيخنا أبي عثمان الجاحظ ما رواه أصحابنا في كتبهم الكلاميّة عنه من الالحاد و التّعريض لرسول الله و ما تظاهر به من الجبر و الارحاء، و لو لم يكن شيء من ذلك لكان في محاربتة الامام عليه السّلام ما يكفي في فساد حاله لا سيّما على قواعد أصحابنا و كونهم بالكبيره الواحده يقطعون على المصير إلى التّار و الخلود فيها إن لم يكفّرها التّوبه.

و أما بسر بن ارطاه و قيل ابن أبي ارطاه و كيفيه خروجه و ظهوره على البلاد فهو أنّ قوما بصنعاء كانوا من شيعة عثمان يغطمون قتله لم يكن لهم نظام و لا رأس فبايعوا لعليّ عليه السّلام على ما في أنفسهم و عامل عليّ على صنعاء يومئذ عبيد الله بن العباس ابن عبد المطلب و عامله على الجند سعيد بن نمران.

فلما اختلف الناس على عليّ بالعراق و قتل محمّد بن أبي بكر بمصر و كثرت غارات أهل الشّام تكلموا و دعوا إلى الطلب بدم عثمان فبلغ ذلك عبيد الله بن عباس فأرسل إلى اناس من وجوههم فقال ما هذا الذي بلغني عنكم؟ قالوا: أنا لم نزل ننكر قتل عثمان و نرى مجاهده من سعى عليه فحبسهم فكتبوا إلى من في الجند من أصحابهم فثاروا بسعيد بن نمران فأخرجوه من الجند و أظهروا أمرهم و خرج إليهم من كان بصنعاء و انضمّ إليهم كلّ من كان على رأيهم و لحق بهم قوم لم يكونوا على رأيهم إرادته أن يمنعوا الصّدقه.

و التقى عبيد الله بن عباس و سعيد بن نمران و معهما شيعة عليّ فقال ابن عباس لابن نمران: و الله لقد اجتمع هؤلاء و إنهم لنا لمقاربون و إن قاتلناهم لا نعلم على

من تكون الدبره فهلّم لنكتب إلى أمير المؤمنين نخبرهم فكتبنا إليه عليه السّلام يخبر انه الخبر، فلمّا دخل كتابهما ساء عليا عليه السّلام و أغضبه فكتب إليهما كتابا يوبّخهما على سوء تدبيرهما في ترك قتال أهل اليمن، و كتب إلى اهل الجند و صنعاء كتابا يهدّدهم فيه و يذكّرهم الله سبحانه فأجابوه بأنّا سامعون مطيعون إن عزلت عنّا هذين الرّجلين عبید الله و سعیداً، قالوا: و كتبت تلك العصابه حين جاءها كتاب عليّ عليه السّلام إلى معاويه يخبرونه و كتبوا في كتابهم:

معاوى الآ تشرع السير نحونا نباع عليّنا أو يزيد اليمانيا

فلمّا قدم كتابهم إلى معاويه دعى بسر بن أبى أرطاه و كان قاسى القلب فظا سفّكا للدّماء، لا رأفه عنده و لا رحمه فأمره أن يأخذ طريق الحجاز و المدينه و مكّه حتّى ينتهى إلى اليمن و قال له: لا- تنزل على بلد أهله على طاعه عليّ إلاّ بسطت عليهم لسانك حتّى يروا أنّهم لا- نجاه لهم و انك محيط بهم ثمّ اكفف عنهم و ادعهم إلى البيعه لى فمن أبى فاقتله و اقتل شيعة عليّ حيث كانوا.

فتوجّه بسر نحو اليمن و لمّا قرب المدينه كان عامل عليّ عليها أبو أيوب الأنصارى فخرج عنها هاربا فدخل بسر المدينه فخطب النّاس و شتمهم و تهدّدهم ثمّ شتم الانصار و تهددهم حتّى خاف النّاس أن يوقع بهم و دعى النّاس إلى بيعه معاويه فبايعوه و نزل فأحرق دورا كثيره و أقام بالمدينه أيّاما ثمّ قال لهم إنّى قد عفوت عنكم و إن لم تكونوا لذلك بأهل و قد استخلفت عليكم أبا هريره فأياكم و خلافه.

ثمّ خرج إلى مكّه و قتل فى طريقه رجالا- و أخذ أموالا- و بلغ أهل مكّه خبره فتنحّى عنها عامه أهلها و خافوا و هربوا فخرج ابنا عبید الله بن العباس و هما سليمان و داود و أمهما حوريه و تكنّى أمّ حكيم مع أهل مكّه فاضلوهما عند بئر ميمون ابن الحضرمى و هجم عليهما بسر فأخذهما و ذبحهما فقالت أمهما:

ها من احسّ بابنّى اللذين هما كالذرّتين تشطّى عنهما الصّدف

ها من احسّ با بنّى اللذين هما سمعى و قلبى فقلبى اليوم مختطف

ها من احسّ با بنّى اللذين هما منّ العظام فمخّى اليوم مزدهف

تَبَّتْ بَسْرًا وَ مَا صَدَّقَتْ مَا زَعَمُوا مِنْ قَتْلِهِمْ وَ مِنْ الْإِفْكِ الَّذِي افْتَرَقُوا

الابيات و لَمَّا قَرِبَ بَسْرٌ مِنْ مَكَّةَ هَرَبَ قَتْمُ بْنُ الْعَبَّاسِ وَ كَانَ عَامِلَ عَلِيٍّ وَ دَخَلَهَا بَسْرٌ فَشْتَمَ أَهْلَ مَكَّةَ وَ أَتَبَهُمْ ثُمَّ خَرَجَ وَ اسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا شَيْبَةَ بْنِ عَثْمَانَ وَ دَخَلَ الطَّائِفَ وَ بَاتَ بِهَا وَ خَرَجَ مِنْهَا فَأَتَى نَجْرَانَ فَقَتَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ الْمَدَانِ وَ ابْنَهُ مَالِكًَا وَ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ هَذَا صَهْرًا لِعَبِيدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ، ثُمَّ جَمَعَهُمْ وَ قَامَ فِيهِمْ وَ قَالَ: يَا أَهْلَ نَجْرَانَ يَا مَعْشَرَ النَّصَارَى وَ إِخْوَانَ الْقُرُودِ أَمَا وَ اللَّهُ إِنْ بَلَغَنِي عَنْكُمْ مَا أَكْرَهُ لِأَعُودَنَّ عَلَيْكُمْ بِالَّتِي تَقْطَعُ النَّسْلَ وَ تَهْلِكُ الْحَرْثَ وَ تَخْرِبُ الدِّيَارَ، وَ تَهْدُدُهُمْ طَوِيلًا.

ثُمَّ سَارَ حَتَّى أَتَى أَرْحَبَ فَقَتَلَ أَبَا كَرْبٍ وَ كَانَ يَتَشَبَّعُ وَ يُقَالُ: إِنَّهُ سَيِّدٌ مِنْ كَانَ بِالْبَادِيَةِ مِنْ هَمْدَانَ فَقَدَّمَهُ فَقَتَلَهُ، وَ أَتَى صَنْعَاءَ وَ قَدْ خَرَجَ عَنْهَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ وَ سَعِيدُ بْنُ نَمْرَانَ وَ قَدْ اسْتَخْلَفَ عُبَيْدُ اللَّهِ عَلَيْهَا عُمَرَ بْنَ أَرَاكَةَ الثَّقَفِيَّ فَمَنْعَ بَسْرًا مِنْ دُخُولِهَا وَ قَاتَلَهُ فَقَتَلَهُ بَسْرٌ وَ دَخَلَ صَنْعَاءَ فَقَتَلَ مِنْهَا قَوْمًا، وَ أَتَاهُ وَفَدَّ مَارِبَ فَقَتَلَهُمْ وَ لَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ.

ثُمَّ خَرَجَ مِنْ صَنْعَاءَ وَ أَتَى أَهْلَ حِيَانَ وَ هُمُ شِيعَةُ لَعْلِيٍّ فَقَاتَلَهُمْ وَ قَاتَلُوهُ فَهَزَمَهُمْ وَ قَتَلَهُمْ قَتْلًا وَزِيْعًا ثُمَّ رَجَعَ إِلَى صَنْعَاءَ وَ قَتَلَ بِهَا مَائَةَ شَيْخٍ مِنْ أَبْنَاءِ فَارِسٍ.

وَ رَوَى أَبِي وَدَاكٍ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ سَعِيدُ بْنُ نَمْرَانَ الْكُوفِيَّ فَعَتَبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَيْهِ وَ عَلِيٌّ عُبَيْدُ اللَّهِ أَنْ لَا يَكُونَا قَاتِلًا بَسْرًا، فَقَالَ سَعِيدٌ قَدْ وَ اللَّهُ قَاتَلْتُ وَ لَكِنْ ابْنُ عَبَّاسٍ خَذَلَنِي وَ أَبِي أَنْ يَقَاتِلَ، وَ لَقَدْ خَلَوْتُ بِهِ حِينَ دَنَا مِنَّا بَسْرٌ فَقُلْتُ:

إِنَّ ابْنَ عَمِّكَ لَا يَرْضَى مِنِّي وَ مِنْكَ بَدُونَ الْجَدِّ فِي قِتَالِهِمْ قَالَ: لَا وَ اللَّهُ مَا لَنَا بِهِمْ طَاقَةٌ وَ لَا يَدَانَ فَقِمْتُ فِي النَّاسِ فَحَمَدْتُ اللَّهَ ثُمَّ قُلْتُ: يَا أَهْلَ الْيَمَنِ مَنْ كَانَ فِي طَاعَتِنَا وَ عَلِيٌّ يَبِيعُهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَالْتَمِئْ إِلَيْ، فَأَجَابَنِي مِنْهُمْ عَصَابَةٌ فَاسْتَقَدَمَتْ بِهِمْ فَقَاتَلْتُ قِتَالًا ضَعِيفًا وَ تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنِّي وَ انصرفت.

قَالَ أَبُو مَخْنَفٍ فَتَدَبَّرَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَصْحَابَهُ لِبَعْثِ سَرِيهِ فِي أَثْرِ بَسْرٍ فَتَثَاقَلُوا فَقَامَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْمَنْبَرِ ضَجْرًا بَتَثَاقُلِ أَصْحَابِهِ عَنِ الْجِهَادِ وَ مَخَالَفَتِهِمْ لَهُ فِي الرَّأْيِ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

(ما هي إلا الكوفه أقبضها و أبسطها) أى أتصرّف فيها كما يتصرّف الانسان فى ثوبه بقبضه و بسطه.

و الكلام فى معرض التحقير أى ما أصنع بتصرّفى فيها مع حقارتها، و يحتمل أن يكون المراد عدم التمكن التام من التصرف فيها لنفاق أهلها كمن لا- يقدر على لبس ثوب بل على قبضه و بسطه، أو المراد بالبسط بث أهلها للقتال عند طاعتهم و بالقبض الاقتصار على ضبطهم عند المخالفه.

قال الشّارح البحرانى: أقبضها و أبسطها كنايةتان عن وجوه التصرف فيها، أى إنّ الكوفه و التصرف فيها بوجوه التصرف حقير بالنسبه إلى ساير البلاد التى عليها الخصم فما عسى أصنع بتصرّفى فيها و ما الذى أبلغ به من دفع الخصم و مقاومته و هذا كما يقول الرّجل فى تحقير ما فى يده من المال القليل إذا رام به أمرا كثيرا: إنّما هو هذا الدّنيا فما عسى أبلغ به من الغرض.

ثمّ قال عليه السّلام على طريق صرف الخطاب (فان لم تكونى إلا أنت) عدولا من الغيبه إلى الخطاب على حدّ قوله: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ»، يعنى إن لم تكن مملكتى من الدّنيا إلا أنت حال كونك (تهبّ أعاصيرك) و تنبعث منك الآراء المختلفه و الفتن المضلّه و يثور الشقاق و النّفاق (فقبّحك الله ثمّ تمثّل) لأجل استصغاره أمرها (بقول الشّاعر:

لعمر ابيك الخير يا عمرو اننى على و ضر من ذا الاناء قليل)

تشبيها للكوفه بالوضر الباقى فى الاناء فى حقارتها بالنسبه إلى ما استولى عليها خصمه من الدّنيا كحقاره الوضر بالنسبه إلى ما يشتمل عليه الاناء من الطعام، فاستعار لفظ الاناء للدّنيا و لفظ الوضر القليل للكوفه يعنى إننى على بقيّه من هذا الأمر كالوضر القليل فى الاناء.

(ثمّ) شرع فى استنفارهم إلى الجهاد ف (قال: أنبئت بسرا قد اطلع على اليمن و ظهر على أهلها و إننى و الله لأظنّ هؤلاء القوم) المنافقين القاسطين (سيد الون منكم) و يغلبون عليكم (ب) الأسباب التى توجب دولتهم و غلبتهم عليكم و هو (اجتماعهم على

باطلهم) و هو التصرف الغير الحق في البلاد (و تفرقكم عن حقاكم) و هو التصرف المستحق باذن ولي الامر (و بمعصيتكم امامكم في الحق و طاعتهم امامهم في الباطل) في اوامره الباطله و احكامه الضاله (و بادائهم الامانه الى صاحبهم) حيث لزموا بعهدده و وفوا ببيعته (و خيانتكم صاحبكم) حيث تركتم لموارزته في القتال و نقضتم عهده و غدرتم له (و بصلاحتهم في بلادهم) حيث راقبوا انتظام امورهم (و فسادكم) و السر في جميع ذلك ما قاله الجاحظ من ان أهل العراق أهل نظر و ذوو فطن ثاقبه و مع الفطنه و النظر يكون التنقيب(1) و البحث، و مع التنقيب و البحث يكون القدح و الطعن و الترجيح بين الرجال و التمييز بين الرؤساء و اظهار عيوب الامراء و أهل الشام ذوو بلادده و تقليد و جمود على رأى واحد لا يرون النظر و لا يسألون عن مغيب الأحوال و هذا هو العله في عصيان أهل العراق على الامراء و طاعه أهل الشام لهم ثم بالغ عليه السيلا م في ذمهم بالخيا نه على سبيل الكنايه و قال: (فلو ائتمنت أحدكم على قعب خشب لخشب أن يذهب) ذلك القعب (بعلاقته) ثم شكى إلى الله سبحانه منهم بقوله: (اللهم انى قد مللتهم) لكثره ما تكرر منى الأمر لهم بالجهاد و الذب عن دين الله المنافى لطبايعهم و المنافر عنه قلوبهم المشغوله بالدنيا و زخارفها و البقاء فيها (و ملونى) لانى دعوتهم إلى الله سبحانه و إلى تحصيل مرضاته ليلا و نهارا فلم يزد هم دعوتى إلا فرارا (و سئمتهم و سئمونى).

ثم أردف تلك الشكايه بالتضرع إلى الله فى الخلاص منهم ثم بالدعاء عليهم بقوله: (فأبدلنى بهم خيرا منهم) كلمه الخير هنا بمنزلتها فى قوله سبحانه: «اولئك خير أم جنه الخلد» على سبيل التنزل أو التحكم؛ أو اريد بها المعنى الوصفى بدون تفضيل و لعل المراد بذلك قوم صالحون ينصرونه و يوفقون لطاعته، أو ما بعد الموت من مرافقه النبى و آله و غيره من الأنبياء و الصديقين و الشهداء و الصالحين و حسن اولئك رفيقا، و تمنيه لفوارس فراس بن غنم ربما يؤيد الأول.

ص: ٣٥٧

و أما قوله: (و أبدلهم بى شرا منى) فرّما استشكل صدور مثل هذا الدّعاء عنه عليه السّلام من وجهين:

أحدهما أنّه يقتضى أن يكون هو ذا شرّ و قد ثبت أنّه كان منزّها عن الشرور الثّانى أنّه كيف يجوز أن يدعو بوجود الشرور و وجود الأشرار و اجيب عن الأوّل بوجهين أحدهما أنّ صيغه افعل لم يرد بها التّفضيل و إنّما اريد بها أصل الوصف فالمعنى أبد لهم بمن فيه شرّ غيرى الثّانى أن يكون شرّا منى بحسب عقايد أهل الكوفه إنّ فى شرّ عليهم و اعتقادهم أنّه ذو شرّ لا يوجب كونه كذلك.

و عن الثّانى بوجهين أيضا أحدهما أنّ دعائه عليه السّلام بما يبذلهم بمن هو شرّ منه مشتمله على مصلحه مقتضيه لحسنه و هو أنّ هذا الدّعاء ربما يكون مخوفا لهم جاذبا لاكثرهم إلى الله سبحانه مع ما فيه مضافا إلى ما ذكر من أنّ نزول الأمر المدعوق به عليهم بعده ممّا يتبهم على فضله و يذكرهم أنّ ابتلائهم بذلك إنّما هو لتركهم أوامر الله و خروجهم عن طاعته و طاعه وليه الثّانى لعله إنّما دعى عليهم لعلمه أنّه لا يرجى صلاحهم فيما خلقوا لأجله و من لا يرجى صلاحه بل يكون وجوده سببا لفساد النّظام فعدمه أولى فيكون الدّعاء عليهم مندوبا إليه.

و على ذلك يحمل أيضا دعاؤه بقوله: (اللّهمّ مث قلوبهم) بتوارد الهمّ و الغمّ و الخوف عليهم (كما يماث الملح فى الماء) و ذلك الدّعاء تأسّ منه عليه السّلام بالسّابقين من الأنبياء فى الشّكايه من قومهم إلى الله و الدّعاء عليهم كنوح عليه السّلام إذ قال ربّ إنّى دعوت قومى ليلا و نهارا فلم يزدهم دعائى إلاّ فرارا، ثمّ ختم بالدّعاء على من لم يرج صلاحهم بقوله: ربّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا.

روى إنّ اليوم الذى دعا عليهم فيه بهذا الدّعاء ولد فيه الحجاج بن يوسف، و روى أنّه ولد بعد ذلك اليوم بأوقات يسيره و فعله بأهل الكوفه مشهور حتّى قيل لو جاءت كلّ امّه بخبيثها و فاسقها و فاجرها و جثنا بالحجاج وحده لزدنا عليهم.

و عن مروج الذهب للمسعودى أنّ امّ الحجاج ولدته لا دبر له فتقب له دبر و أبى

أن يقبل الشدى.

و فى الحديث أن ابليس تصوّر لهم بصوره الحارث بن كلده فقال: اذبحوا له تيساو العقوه من دمه و اطلوا به وجهه و بدنه ففعلوا به ذلك فقبل الشدى فلأجل ذلك كان لا يصبر عن سفك الدماء و كان يخبر عن نفسه أنّ أكبر لذاته فى سفك الدماء و ارتكاب امور لا يقدر عليها غيره.

و احصى من قتل بأمره سوى من قتل فى حروبه فكانوا مائه ألف و عشرين ألفا و وجد فى سجنه خمسون ألف رجل و ثلاثون ألف امرئه و لم يجب على أحد منهم قتل و لا قطع و كان يحبس الرجال و النساء فى موضع واحد لا سقف له، فاذا أوى المسجونون إلى الجدران يستظلون بها من حرّ الشمس رمتهم الحرس بالحجاره، و كان طعامهم خبز الشعير مخلوطا بالملح و الرماد.

و من أعجب ما روى أنه وجد على منبره مكتوبا «قُلْ تَمَنَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ» فكتب تحته «قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» ثم قال عليه السلام (أما و الله لو ددت أن لى بكم ألف فارس من بنى فراس بن غنم) و هو حى معروف بالشجاعه حسبما اشير إليه و تمثّل بقول أبى جندب الهذلى.

(هنالك لو دعوت أتاك منهمفوارس مثل ارميه الحميم)

و الخطاب لأمّ زيناغ و ضمير منهم راجع إلى بنى تميم بقرينه الذى قبله و هو قوله:

ألا يا أمّ زيناغ اقيمى صدور العيس نحو بنى تميم

و معنى البيت واضح ممّا ذكره السيد و مقصوده عليه السلام بالتمثّل تمنى كون القوم الذين وّد كونهم عوضا عن قومه بصفه الفوارس الذين اشار إليهم الشاعر فى سرعه الاجابه و المبادره إلى الاغائه، و مقصوده فى جميع ذلك توبيخ أهل الكوفه و تحقيرهم بتناقلهم عن الجهاد.

قال الكلبي و أبو مخنف و لما تناقل أصحابه عن الخروج فى اثر بسر بن ارطاه فأجابه إلى ذلك جاريه بن قدامه السدى فبعثه فى ألفين فشخص إلى البصره ثم أخذ طريق الحجاز حتى قدم اليمن و سأل عن بسر فقيل: اخذ فى بلاد بنى تميم فقال:

أخذ في ديار قوم يمنعون أنفسهم.

و بلغ بسرا مسير جاريه فانحدر إلى اليمامة و أخذ جاريه بن قدامه السير ما يلتفت إلى مدينه مَرَّ بها فلا أهل حصن و لا يعرج على شيء إلا أن يرمل بعض أصحابه من الزاد فيأمر أصحابه بمواساته أو يسقط بعير رجل أو تحفى دابته فيأمر أصحابه بأن يعقبوه حتى انتهوا إلى أرض اليمن فهربت شيعه عثمان حتى لحقوا بالجبال و اتبعهم شيعه علي و تداغت عليهم من كل جانب و أصابوا منهم و صمد نحو بسر و بسر بين يديه يفتر من جهه إلى جهه اخرى حتى أخرجه من أعمال علي عليه السلام كلها فلما فعل به ذلك أقام جاريه بحرس نحو من شهر حتى استراح و أراح أصحابه و وثب الناس ببسر في طريقه لما انصرف من بين يدي جاريه لسوء سيرته و فظاظته و ظلمه و غشمه و أصاب بنو تميم ثقلا من ثقله في بلاده.

فلما وصل بسر معاويه قال: احمد الله يا أمير المؤمنين إنني سرت في هذا الجيش أقتل عدوك ذاهبا جائيا لم ينكب رجل منهم نكبه فقال معاويه: الله قد فعل ذلك لا أنت و كان الذي قتل بسر في وجهه ذلك ثلاثين الفا و حرق قوما بالنار روى أنه دعا علي عليه السلام على بسر فقال: اللهم إن بسرا باع دينه بالدنيا و انتهك محارمك و كانت طاعه مخلوق فاجر آثر عنده من عندك اللهم فلا تمته حتى تسلبه عقله و لا توجب له رحمتك و لا ساعه من نهار، اللهم العن بسرا و عمروا و معاويه و ليحل عليهم غضبك و لتنزل بهم نعمتك و ليصبهم بأسك و زجرك لا تردّه عن القوم المجرمين.

فلم يلبث بسر بعد ذلك إلا يسرا حتى وسوس و ذهب عقله فكان يهذى بالسيف و يقول: اعطوني سيفا اقتل به لا يزال يردد ذلك حتى اتخذ له سيف من خشب و كانوا يدنون منه المرفقه فلا يزال يضربها حتى يغشى عليه فلبث كذلك إلى أن مات عليه لعنه الله و الملائكه و الناس أجمعين.

الترجمه

از جمله خطب آن حضرت است که فرمود در حالتی که بتواتر رسید خبرها

ص: ۳۶۰

بغالب شدن أصحاب معاویه علیه اللعنه بر شهرها و آمدند بسوی آن حضرت عاملان او که حاکم بودند بر یمن عبد الله بن عباس و سعید بن نمران وقتی که غالب شده بود بر ایشان بسر بن ابی ارقطاه ولد الزنا، پس برخواست آن حضرت بطرف منبر در حالتی که تنگدل بود بجهه گرانی أصحاب خود از جهاد و بجهه مخالفت کردن ایشان با او در رأی پس فرمود:

نیست مملکت من مگر کوفه در حالتی که قبض میکنم آن را و بسط میکنم آن را: یعنی همین کوفه است که محلّ تصرف من است بحل و عقد و امر و نهی و اعتماد نمودن بر مردمان آن در حرب و ضرب نه سایر بلاد، اگر نباشی ای کوفه مگر تو که باشی سپر دشمن و ساز لشکر من در حالتی که وزد گردبادهای تو، پس قبیح گرداند خدای تعالی تو را.

پس آن حضرت بجهه تحقیر کوفه متمثل شد بقول شاعر که معنیش اینست:

قسم بزندگان پدر تو که بهتر مردمانست ای عمرو بتحقیق که من واقع شده ام بر چربی اندکی که باقی مانده است از این ظرف طعام، یعنی کوفه در نظر من در غایت حقارتست مانند چربی که می ماند بعد از اکل در ظرف بعد از آن فرمودند که:

خبر داده شدم که بسر بن ابی ارقطاه رسیده بدیار یمن و بدرستی من قسم بخدا هر آینه گمان میکنم آن قوم را که زود باشد که دولت و تسلط داده شوند از قبل شما بسبب اتفاق ایشان بر باطل خود و تفرق شما از حقّ خود، و بجهه معصیه شما امام خود را در امر حق و اطاعت ایشان امام خود را در امر باطل، و بسبب ادا کردن ایشان امانت و عهد را بصاحب خودشان و خیانت کردن شما در امانت، و بجهه صلاح ایشان در شهرهای خود در جمیع امور ملکی و فساد شما در بلاد خودتان، پس اگر امین گردانم یکی از شما را بر قدح چوبین هر آینه می ترسم که ببرد آن را با دوال و دسته اش.

بار خدایا بدرستی که من تنگدل شده ام از ایشان و تنگدل شده اند ایشان از من، و سیر شده ام من از ایشان و سیر شده اند ایشان از من، پس بدل کن برای من

ایشان را به بهتر از ایشان، و عوض کن برای ایشان مرا بکسی که متّصف بصفّت شرارت بوده باشد، خداوندا بگداز بترس و عذاب قلبهای ایشان را چنانچه گداخته می شود نمک در آب، آگاه باشید بخدا سوگند هر آینه دوست می دارم این که باشد مرا بعوض شما هزار سوار از فرزندان فراس بن غنم آنجا اگر بخوانی و آواز دهی آیند بسوی تو از ایشان سوارانی مثل ابرهای تابستان با سرعت و استیلا

و من خطبه له علیه السّلام و هی السّادسه و العشرون من

اشاره

المختار فی باب الخطب

و هی ملتقطه من خطبه طویلّه خطب بها قبل مسیره إلى النّهر وان حسبما تطلع علیه و شرحها فی ضمن فصول ثلاثه

الفصل الاول

اشاره

إنّ الله بعث محمّدا صلّى الله علیه و آله و سلّم نذیرا للعالمین، و أمینا علی التّنزیل، و أنتم معشر العرب علی شرّ دین و فی شرّ دار، منیخون بین حجاره خشن و حیّات صمّ، تشرّبون الكدر، و تأکلون الجشب، و تسفکون دمائکم، و تقطعون أرحامکم، الأصنام فیکم منصوبه، و الآثام بکم معصوبه.

اللغه

(أناخ) التّاقه أبرکها و (الصّم) بالصّم إمّا جمع صمّاء و هی الأرض الغلیظه أو جمع أصمّ و هی الحیّه التي لا تقبل الرّقی، و الرّجل الأصم لا یطعم فیّه، و لا یردّ عن هواه، و أصمه الله فهو أصمّ أي به انسداد السّمع و ثقل الاذن و (کدر) کدرا و تکدّر نقیض صفا فهو کدر و کدر کفخذ و فخذ بکسر العین و سکونها

ص: ۳۶۲

و (جشب) الطعام فهو جشب و جشب أى غليظ أو بلا ادم و (المعصوبه) المشدوده

الاعراب

و أنتم معشر العرب اه جمله حالیه، منیخون خبر بعد خبر، و حیّات صمّ ان كان الصّم جمع صمّاه فالحیّات مضافه إليها و إن كان جمع أصمّ فهی صفة لها، و جمله تشربون و تالیها حالیه أيضا.

المعنى

اعلم أنّ هذا الفصل من الخطبه وارد فى بیان حال العرب فى أيام الجاهلیه و ما كانوا علیه یومئذ من الضنك و الضیق، و من سوء الحال فى أمر المعاش و المعاد و تذكره بما منّ الله سبحانه به علیهم من بعث الرّسول فیهم و تبدیله سبحانه بوجوده الشّریف سوء حالهم بحسن الحال فى الدنیا و الآخره حیث جعلوا ذرافاهیه و سعه و نعمه، و فتحوا البلاد و غنموا الأموال و كسروا الجیوش و فاقوا الملوك و كان لهم الذكر الباقى و الشّرف الثّابت و اهدتوا إلى دین الاسلام الذی هو طریق دار السلام فاکتسبوا السّعاده الباقیه و فازوا المقامات العالیه.

إذا عرفت ذلك فلنعد إلى شرح كلامه علیه السّلام فأقول: قوله: (انّ الله بعث محمّدا صلّى الله علیه و آله و سلّم نذیرا للعالمین) خصّ النّذاره بالذّكر و اختارها على البشاره إذا لمقصود فى هذا المقام التّوبیخ للعرب و ترقيق قلوبهم المشتمله على الغلظه و الفضاظه، و لا-رب أنّ الانذار أقوى فى التّريق و الرّدع، و ذلك لأنّ عامّه الخلق إلاّ قليلا منهم أنظارهم مقصوره على زخارف الدّنیا و شهواتها غافلون عن نعم الآخره و لذّاتها، فلا یرغبون عن النّعم الحاضره بما یشّرون بها من النّعم الغایبه، و لا یقابلون اللّذایذ الموجوده بلذایذ الموعوده، لكون هذه عندهم نقدا و تلك نسیئه و كان السّبب الأقوى فى الرّدع و الالتفاف إلى الله إنّما هو الانذار و التّخویف فاختر كونه نذیرا على كونه بشیرا (و) اردفه بكونه (أمینا على التّنزیل) غیر خائن و لا مقصّر فى تبلیغ آیاته و لا مبدّل لكلماته (و أنتم معشر العرب على شرّ دین) حیث عبدتم الأصنام و الأوثان

و اتَّخَذْتُمْ لِلَّهِ الْأَنْدَادَ وَالشَّرَكَاءَ (و فى شَرِّ دَار) أَرَادَ بِهَا تَهَامَهُ أَوْ نَجْدَ أَوْ الْبَوَادِىَ الَّتِى كَانُوا يَسْكُنُونَهَا، ثُمَّ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْبِلَادَ.

و وصفها بالشَّرِّ من حيث فساد أمر معاشهم فيها كما فسَّره بقوله: (مَنِيخُونَ) أى مقيمون (بين حجاره خشن) صلب لا نداوه فيها و لا- نبات (و حَيَاتِ صَمِّ) لِأَنَّ أَرْضَ الْعَرَبِ عَلَى غَلْظَتِهَا وَ خَشُونَتِهَا ذَاتُ حَيَاتٍ كَثِيرَةٍ، وَ عَلَى التَّرْكِيبِ الْوَصْفِىِّ فَالْمُرَادُ بِهَا الْحَيَاتِ الَّتِى لَا تَقْبَلُ الْعُوذَةَ وَ لَا تَنْزَجُ بِالصَّوْتِ لَشِدَّةِ قُوَّتِهَا.

قال البحرانى: و وصفها بالصَّمِّ لِأَنَّ حَيَاتِ تِلْكَ الْأَرْضِ عَلَى غَايَةِ مِنَ الْقُوَّةِ وَ حِدَّةِ السَّمُومِ لِاسْتِيلَاءِ الْحَرَارَةِ وَ الْيَبَسِ عَلَيْهَا.

و قال الشَّارِحُ الْمَعْتَزَلِىُّ: وَ يَجُوزُ أَنْ يَعْنَى بِهَا الْمَجَازَ وَ هُوَ الْأَحْسَنُ يُقَالُ لِلْأَعْدَاءِ حَيَاتٍ، وَ الْحَيَّةُ الصَّيْمَاءُ أَدهى من التى ليست بصَّمَاءَ لِأَنَّهَا لَا- تَنْزَجُ بِالصَّوْتِ يُقَالُ لِلْعَدُوِّ أَيْضًا إِنَّهُ لِحَجَرٍ خَشِنٍ الْمَسِّ إِذَا كَانَ أَلْدَّ الْخِصَامِ (تَشْرَبُونَ الْكُدْرَ) لِأَنَّ غَالِبَ مِيَاهِ الْعَرَبِ هُوَ الْغَدْرَانُ وَ الْآبَارُ أَمَّا الْغَدْرَانُ فَأَصْلُهَا مَاءُ الْمَطَرِ يَنْزِلُ عَلَى الْأَوْدِيَةِ السَّيْبِخَةِ وَ الْقَفَارِ الْمَلْحَةِ فَيَسِيلُ حَتَّى يَقَعَ فِى تِلْكَ الْغَدْرَانِ فَيَكُونُ مَرًّا مَلْحًا اجْجَا ثَمَّ يَتَكَدَّرُ وَ يَتَعَفَّنُ مِنْ طَوْلِ الزَّمَانِ وَ وَقُوعِ الشَّمْسِ عَلَيْهَا وَ تَأْتِرُهُ بِهَا وَ أَمَّا الْآبَارُ فَمُضَافًا إِلَى وَقُوعِ مَاءِ الْمَطَرِ الْمَوْصُوفِ فِيهَا رَبَّمَا تَنْزَلُ الْعَشَائِرُ حَوْلَهَا وَ يَنْيخُونَ أَبَاعِرَهُمْ هُنَاكَ فَيُثَوِّرُ الرِّيحُ الْبَارَ «أَبْوَالِ ظ» الْأَبَاعِرُ وَ أُرْوَاثُهَا وَ سَائِرُ كَثَافَاتِ الْقَوْمِ بَعْدَ ارْتِحَالِهِمْ مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ حَتَّى يَقَعَ عَلَى تِلْكَ الْآبَارِ فَيَكُونُ مِيَاهُهَا كَثِيفًا كَدْرًا.

و ربما امسكنا عن شرب الماء و صبرنا على العطش يوما أو يومين فى مسافرتنا إلى مكَّه زادها الله شرفا لما شاهدناه من كثافه تلك المياه بما يتنفَّر عنه الطبع مع كون سفرنا فى أيام الشتاء و ربَّما كُنَّا نَشْرَبُ عَوْضَ الْمَاءِ السَّكَنْجَبِيِّنِ وَ سَائِرِ الْأَشْرَبَةِ الَّتِى كَانَتْ مَعَنَا (وَ تَأْكُلُونَ الْجَشْبَ) فَانَّكَ تَجِدُ عَامَّتَهُمْ يَأْكُلُ مَا ذَبَّ مِنْ حَيْوَانٍ، وَ بَعْضُهُمْ يَخْلَطُ الشَّعِيرَ بِنَوَى التَّمْرِ وَ يَطْحَنُهَا وَ يَتَّخِذُ مِنْهَا خَبْزًا

قيل: كانت العرب لم تعرف طيبات الأَطعمه إنّما كان طعامهم اللحم يطبخ بالماء و الملح حتّى أدرك معاويه فاتّخذ ألوان الأَطعمه قال أبو بردة: كانوا يقولون: من أكل الخبز سمن، فلمّا فتحنا خيبراً جهضناهم عن خبزهم فقعدت عليه آكل و أنظر في اعطافى هل سمنت.

و قال خالد بن عمير العددي: شهدت فتح الامله فاصبنا سفينه مملوّه جوزا فقال رجل، ما هذه الحجاره؟ ثمّ كسر واحده فقال: طعام طيب و قال بعضهم: أصابوا جراباً من الكافور فخالوها الملح فذاقوه فقالوا لا ملوحه لهذا الملح ففطن ناس من أهل الخبره فجعلوا يعطونهم جراباً من ملح و يأخذون جراباً من الكافور و قدم إلى أعرابيّ خبز عليه لحم فأكل اللحم و ترك الخبز و قال: خذ الطبق و كان بنو أسد يأكلون الكلاب و لذلك قال الفرزدق:

إذا اسدّى جاع يوماً ببلده و كان سميناً كلبه فهو آكله

و قال بعضهم نزلت برجل فأضافنى فأتى بحيه مشويه شوّاهاً فأطعمنيها ثمّ أتى بماء منتن فسقانيه فلمّا أردت الارتحال قال: ألاّ قمت لطعام طيب و ماء نمير؟ و كان أحدهم يتناول الشّعْر المحلوق فيجعله في جفنه من الدقيق ثمّ يأكله مع ما فيه من القمل قال شاعرهم:

بنى أسد جاءت بكم قمليه بها باطن من داء سوء و ظاهره

و من طعامهم الفظ و هو ماء الكرش و قيل لأعرابي: ما تأكلون؟ فقال: نأكل ما دبّ و درج إلاّ أمّ جبين فقال:

لتهنّ ام جبين العافيه و قال أبو نواس:

و لا تأخذ عن الاعراب طعاماً و لا عيشاً فعيثهم جديب

و كان روبه يأكل الفار فليل: لم لا تستقدره؟ فقال: هو و الله لا يأكل إلاّ فاخرات متاعنا.

و بنو تميم يعيرون بأكل الضب قال أبو نواس فى هجوهم.

إذا ما تميمى أتاك مفاخرها فقل عدّ عن ذا كيف أكلك للضبّ

قال الاصمعي دنوت من بعض الأخبيه في البادية فسقيت لبنا في إناء فلما شربته قلت هل كان هذا إلا إناء «الاناء» نظيفا؟ فقيل: نعم نأكل منه في النهار ونبول فيه بالليالي فاذا أصبحنا سقينا فيه الكلب فلحسه و نقاها، فقلت: لعنك الله و لعن هذه النظافه (و تسفكون دمائكم و تقطعون أرحامكم) فانّ القتل و الغاره كان شعار العرب في أيام الجاهليّه حتّى أنّ الوالد ربّما كان يقتل ولده و بالعكس قال سبحانه:

«و إذا المؤوده سئلت بأى ذنب قتلت» قال ابن عباس المرأه إذا حان وقت ولادتها حفرت حفرة و قعدت على رأسها فان ولدت بنتا رمت بها في الحفرة و إن ولدت غلاما حبسته (الأصنام فيكم منصوبه و الآثام بكم معصوبه) استعار لفظ العصب للزوم الآثام لهم في تلك الحال

الترجمه

از جمله خطب آن حضرت است در بیان حال عرب در ایام جاهلیت می فرماید بدرستی که خداوند سبحانه و تعالی مبعوث فرمود محمّد بن عبد الله را در حالتی که ترساننده بود عالمیان را از بدی افعال ایشان، و امین بود بر آنچه نازل می شد بر او می رسانید آن را بدون زیاده و نقصان و حال آنکه شما جماعت عرب بر بدترین دین بودید و در بدترین خانها مقیم بودید، در میان سنگهای درشت و مارهای با شدت و صلابت در حالتی که می آشامیدید آبهای ناصاف را و می خوردید طعام غلیظ و بی ادم را و می ریختید خونهای یکدیگر را و قطع می کردید خویشان خودتان را، بتان در میان شما نصب کرده شده بودند و گناهان بر شما بسته گردیده.

الفصل الثانی منها

اشاره

فنظرت فإذا ليس لي معين إلا أهل بيتي، فضننت بهم عن الموت، و أغضيت على القذى، و شربت على الشّجى، و صبرت على أخذ الكظم، و على أمر من طعم العلقم.

ص: ۳۶۶

(ضننت) بكسر التّون و يروى بالفتح أيضا من الضّنه و هو البخل و (اغضيت) على كذا طبقت عليه جفنى و (القذى) ما يقع فى العين من تبين و نحوه يوجب اذيتها و (الشّجى) ما اعترض فى الحلق من نشب و عظم و قد مرّ هذان اللفظان فى الخطبه الشّقشقيّه و (أخذ بكظمه) محرّكه و هو مجرى نفسه و (العلقم) شجر بالغ المراره و يقال فى العرب على كلّ مرّ.

الاعراب

كلمه إذا فى قوله: فاذا ليس لى معين، للظرف، و التّونين عوض عن الجملة المضاف إليها اى فنظرت فاذا غصبونى حقّى ليس لى معين، و كلمه على فى الموارد الأربعة إمّا للاستعلاء المجازى أو بمعنى مع على حدّ قوله: «وَإِنَّ رَبَّكَ لَمَدُوٌّ مَّغْفَرُهُ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ» و أمرّ صفة لموصوف محدوف.

المعنى

اعلم أنّ هذا الفصل من كلامه حكاية لحاله الذى كان هو عليه بعد ارتحال الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم و ما جرى عليه من الظلم و الجور فى اغتصاب الحقّ الذى كان له عليه السّلام فكأنّه يقول: إنهم بعد غضبهم للخلافه تفكّرت فى أمر المقاومه و الدّفاع عن هذا الأمر الذى كنت أولى به (فنظرت فاذا ليس لى معين) يعيننى (إلاّ- أهل بيتى) و هم كانوا قليلين غير مقاومين للمخالفين (فضننت بهم عن الموت) لعلمى بأنهم لو قاتلوا لقتلوا (و) لمّا علمت عدم حصول المقصود بهؤلاء النّفرة (أغضيت) و طبقت جفونى (على القذى و شربت على الشّجى) و كنى الاغضاء و الشّرب على القذى و الشّجى عن تحمله على الامور التى يصعب التّحمل عليها لصعوبتها و شدّتها و ألمها و أذيتها كما يشهد به قوله: (و صبرت على أخذ الكظم و على) امور (امرّ من طعم العلقم) لشده مرارتها من حيث إنّ فيها الألم النّفسانى و فى العلقم الألم البدنى

واعلم أنّ هذا الكلام منه صريح في اغتصاب الخلافة و نصّ على أنّ تركه مطالبته لم يكن من رغبه و اختيار، و إنّما كان جبرا و اضطرارا، و قد اشرنا إلى ذلك في مقدّمات الخطبه الشّشقيّه و ذكرنا ثمّه أخبار السّقيفه الدّاله على انتحال الخلافة من طرق الخاصّه، و المقصود الآن ذكر بعض الأخبار العامّيّه الصّريحه في ذلك ممّا رواها الشّارح المعتزلي عن رواّتهم، لأنّه أثبت حجّجه و أقوى استنادا فأقول:

قال الشّارح: اختلفت الرّوايات في قصّه السّقيفه فالذى تقول الشّيعه و قد قال قوم من المحدثين بعضه وروود كثير منه أنّ عليّا عليه السّلام امتنع من البيعه حتّى اخرج كرها، و أنّ الزّبير بن العوام امتنع من البيعه و قال: لا- ابايع إلاّ عليّا، و كذلك أبو سفيان بن حرب و خالد بن سعيد بن العاص بن اميّه بن عبد شمس و عباس بن عبد المطلب و بنوه و أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب و جميع بنى هاشم و قالوا: إنّ الزّبير شهر سيفه فلما جاء عمر و معه جماعه من الانصار و غيرهم قال في جملة ما قال: خذوا سيف هذا فاضربوا به الحجر و يقال: إنّ اخذ السّيف من يد الزّبير فضرب به حجرا فكسره و ساقهم كلّهم بين يديه إلى أبي بكر فحملهم على بيعته و لم يتخلف إلاّ عليّ وحده فإنّه اعتصم بيت فاطمه فتحاموا إخراجهم منه قسرا و قامت فاطمه عليها السلام إلى باب البيت فاسمعت من جاء يطلبه فتفرّقا و علموا أنّه بمفرده لا يضرّ شيئا فتركوه و قيل: إنّهم أخرجوه فيمن اخرج و حمل إلى أبي بكر فبايعه، و قد روى أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري كثيرا من هذا فأما حديث التّحريق و ما جرى مجراه من الامور الفظيحه و قول من قال:

إنّهم اخذوا عليّا يقاد بعمامته و الناس حوله فأمر بعيد، و الشّيعه منفرد به على أنّ جماعه من أهل الحديث قد رووا نحوه و سندكر ذلك.

و قال أبو جعفر إنّ الأنصار لما فاتها ما فاتها ما طلبت من الخلافة قالت أو قال بعضها

لا نبايع إلا عليًا، و ذكر نحو هذا علي بن عبد الكريم المعروف بابن الاثير الموصلى فى تاريخه.

فأما قوله: لم يكن لى معين إلا أهل بيتى فضننت بهم عن الموت، فقول ما زال عليه السّلام يقوله: و لقد قاله عقيب وفات رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم قال: لو وجدت أربعين ذوى عزم ذكر ذلك نصر بن مزاحم فى كتاب صفين و ذكره كثير من أرباب السيره.

و أما الذى يقوله جمهور المحدثين و أعيانهم فإنه امتنع من البيعه سته اشهر و لزم بيته فلم يبايع حتى ماتت فاطمه فلما ماتت بايع طوعا و فى صحيحى مسلم و بخارى كانت وجوه الناس إليه و فاطمه عليها السلام لما تمت «ماتت ظ» بعد فلما ماتت فاطمه عليها السلام انصرفت وجوه الناس عنه و خرج من بيته فبايع أبا بكر و كانت مدّه بقائها بعد أبيها عليه الصّلاه و السّلام سته أشهر قال: و روى أحمد بن عبد العزيز قال: لما بويغ لأبى بكر كان الزبير و المقداد يختلفان فى جماعه من الناس إلى علي عليه السّلام و هو فى بيت فاطمه فيتشاورون و يتراجعون امورهم فخرج عمر حتى دخل على فاطمه عليها السّلام و قال: يا بنت رسول الله ما من أحد من الخلق أحب إلينا من أبيك، و ما من أحد أحب إلينا منك بعد أبيك، و أيم الله ما ذاك بما نعى ان اجتمع هؤلاء النفر عندك ان امر بتحريق البيت عليهم فلما خرج عمر جاؤها فقالت تعلمون أنّ عمر جائنى و حلف لى بالله إن عدتم ليحرقن عليكم البيت و أيم الله ليمضين لما حلف له فانصرفوا عنّا راشدين فلم يرجعوا إلى بيتها و ذهبوا و بايعوا لأبى بكر قال: و من كتاب معاويه المشهور إلى علي عليه السّلام: و عهدك أمس تحمل قعيده بيتك ليلا على حمار و يداك فى يدي ابنيك الحسن و الحسين يوم بويغ أبو بكر فلم تدع أحدا من أهل بدر و السّوابق إلا دعوتهم إلى نفسك و مشيت إليهم بامرئتك و أوليت إليهم بابنيك و استنصرتهم على صاحب رسول الله فلم يجيبك منهم إلا أربعة أو خمسهم، و لعمرى لو كنت محققا لأجابوك، و لكنك ادّعت باطلا و قلت ما لا يعرف و رمت ما لا يدرك، و مهما نسيت فلا أنسى قولك لأبى سفيان لما حرّكك

و هتيجك: لو وجدت أربعين ذوى عزم لنا هضت القوم فما يوم المسلمين منك بواحد و روى أيضا من كتاب أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن حباب بن يزيد عن جرير بن المغيرة أن سلمان و الزبير و الأنصار كان هواهم أن يبايعوا عليا بعد النبي فلما بويع أبو بكر قال سلمان: أصبتم الحيره و أخطأتم المعدن.

و عن حبيب بن أبي ثابت قال: قال سلمان يومئذ: أصبتم ذا ألسن منكم و خالفتم أهل بيت نبيكم لو جعلوها فيهم ما اختلف عليكم اثنان و لأكلتموها رغدا و روى أيضا عن غسان بن عبد الحميد قال: لما أكثر في تخلف علي عليه السلام عن بيعه أبي بكر و اشتد عمر و أبو بكر عليه في ذلك خرجت أم مسطح بن اثاثه فوقفت عند القبر و قالت:

كانت امور و انباء و انبته «هنبته» لو كنت شاهدا لم تكثر الخطب

إننا فقدناك فقد الارض و ابلها و اختل قومك فاشهدهم و لا تغب

و من كتاب الجوهري أيضا عن أبي الاسود قال: غضب رجال من المهاجرين في بيعه أبي بكر بغير مشوره و غضب علي و الزبير فدخلا بيت فاطمه معهما السلاح فجاء عمر في عصابه منهم اسيد بن حصين و سلمه بن سلامه بن وقش و هما من بنى عبد الأشهل فصاحت فاطمه و ناشدتهم فأخذوا سيفي علي و الزبير فضربوا بهما الجدار حتى كسروهما ثم أخرجهما عمر يسوقهما حتى بايعا ثم قام أبو بكر فخطب الناس و اعتذر إليهم و قال: إن بيعتي كانت فلتة و قى الله شرها و خشيت الفتنة و أيم الله ما حرصت يوما قط و لقد قلدت أمرا عظيما ما لى به طاقه و لا يدان و لوددت ان اقوى الناس عليه مكانى، و جعل يعتذر إليهم فقبل المهاجرون عذره، إلى آخر ما رواه.

و قد روى باسناد آخر ذكره أن ثابت بن قيس بن شماس كان مع الجماعه الذين حضروا مع عمر في بيت فاطمه عليها السلام، و ثابت هذا أخو بنى الحرث ابن الخزرج.

و روى أيضا أن محمدا بن مسلمه كان معهم و أن محمدا هو الذى كسر سيف الزبير و عن سلمه بن عبد الرحمن قال: لما جلس أبو بكر على المنبر كان علي و الزبير

و ناس من بنى هاشم فى بيت فاطمه، فجاء عمر إليهم فقال: و الذى نفسى بيده لتخرجن إلى البيت أو لتحرقن البيت عليكم، فخرج الزبير مصلتا سيفه فاعتنقه رجل من الأنصار و زياد بن لبيد فدقّ به فبدو (فبدر) السيف فصاح به أبو بكر و هو على المنبر: اضرب به الحجر قال أبو عمرو: فلقد رأيت الحجر فيه تلك الضربة و يقال هذه ضربه سيف الزبير ثم قال أبو بكر: دعوهم فسيأتى الله بهم قال: فخرجوا إليه بعد ذلك فبايعوه.

و قد روى الجوهري فى روايه اخرى أنّ سعد بن أبى وقاص كان معهم فى بيت فاطمه عليها السلام و المقداد بن الاسود أيضا و أنّهم اجتمعوا إلى أن يبايعوا عليًا فأتاها عمر ليحرق عليهم البيت فخرج إليه الزبير بالسيف و خرجت فاطمه تبكى و تصيح فنهت من الناس و قالوا ليس عندنا معصيه و لا خلاف فى خير اجتمع عليه الناس، و إنّما اجتمعنا لنؤلف القرآن فى مصحف واحد ثم بايعوا ابا بكر فاستمرّ الأمر و اطمئنّ الناس.

و قد روى الجوهري أيضا عن داود بن المبارك قال: أتانا عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن عليّ بن أبى طالب و نحن راجعون من الحجّ فى جماعه فسألناه عن مسائل و كنت احد من سأل فسألته عن أبى بكر و عمر فقال: اجيبك بما أجاب به عبد الله بن الحسن فإنّه سئل عنهما فقال: كانت فاطمه صديقه ابنه نبيّ مرسل فماتت و هى غضباء على قوم فنحن غضباب لغضبها.

و روى أيضا بإسناده عن جعفر بن محمّد عن أبيه عليهما السلام عن ابن عباس قال: قال لى عمر: أمّا و الله أن كان صاحبك أولى الناس بالأمر بعد وفات رسول الله إلا- أنا خفناه على اثنتين، قلت: ما هما؟ قال: خشيناها على حدائث سنّه و حبه بنى عبد المطلب.

و عن الشعبي قال: سأل أبو بكر و قال اين الزبير؟ فقيل: عند عليّ عليه السلام و قد تقلّد سيفه فقال: قم يا عمر يا خالد بن الوليد انطلقا حتّى تأتياى بهما فانطلقا فدخل عمر و قام خالد على باب البيت من خارج فقال عمر للزبير: ما هذا السيف؟

فقال: نبايع عليًا، فاخترته عمر فضرب به حجرا فكسره ثم أخذ بيد الزبير فأقامه ثم دفعه وقال: يا خالد دونك فامسكه ثم قال لعلي: قم فبايع لأبي بكر فتلكأ واحتبس فأخذ بيده وقال: قم فأبى أن يقوم فحمله و دفعه كما دفع الزبير فاخرجه و رأت فاطمه ما صنع بهما فقامت على باب الحجره و قالت: يا ابا بكر ما أسرع ما اغرتم على أهل بيت رسول الله، و الله لا أتكلّم عمر حتّى ألقى الله، إلى آخر ما رواه ثم قال الشارح و اعلم أنّ الآثار و الأخبار فى هذا الباب كثيره و من تأملها و أنصف علم أنّه لم يكن هناك نصّ صريح مقطوع به لا- تختلجه الشكوك و لا يتطرّق إليه الاحتمالات كما تزعم الاماميّه، فإنّهم يقولون: إنّ الرسول نصّ نصا صريحا جليًا ليس بنصّ الغدير و لا خبر المنزله و لا ما شابههما من الأخبار الوارده من طرق العامّه و غيرها، بل نصّ عليه بالخلافه و بامرّه المؤمنين و أمر المسلمين أن يسلموا عليه بذلك فسلموا عليه بها، و صرّح لهم فى كثير من المقامات بأنّه خليفه عليهم من بعده و أمرهم بالسّمع و الطاعه له.

و لا ريب أنّ المنصف إذا سمع ما جرى لهم بعد وفات رسول الله يعلم قطعاً أنّه لم يكن هذا النصّ، و لكن قد يسبق إلى النفوس و العقول أنّه قد كان هناك تعريض و تلويح و كناية و قول غير صريح و حكم غير مثبت، و لعلّه كان يصدّه عن التصريح بذلك أمر يعلمه و مصلحه يراعيها و وقوف مع إذن الله تعالى فى ذلك.

فأمّا امتناع عليّ من البيعه حتّى اخرج على الوجه الذى اخرج عليه فقد ذكره المحدّثون و رواه السّير و قد ذكرنا ما قاله الجوهري فى هذا الباب و هو من رجال الحديث و من الثقات المأمونين، و قد ذكر غيره من هذا النّحو ما لا يحصى كثره فأمّا الامور الشنيعه المستهجنه التى يذكرها الشّيعه من إرسال قنفذ إلى بيت فاطمه و أنّه ضربها بالسّوط فصار فى عضدها كالدملج و بقى اثره إلى ان ماتت، و ان عمر ضغطها بين الباب و الجدار فصاحت يا ابتاه يا رسول الله و القت جنينا ميتا، و جعل فى عنق عليّ حبل يقاد به و هو يعتلّ و فاطمه خلفه تصرخ بالويل و الثّبور،

و ابنه حسن و حسين معهما يبيكان و أنّ عليًا لما احضر سألوه البيعه فامتنع فهدد بالقتل فقال: إذن تقتلون عبدا لله و أخا رسول الله فقالوا أمّا عبد الله فنعم و أمّا أخو رسول الله فلا، و أنّه طعن في أوجههم بالتفاق و سطر صحيفه الغدر التي اجتمعوا عليها، و بأنهم أرادوا أن ينفروا ناقة رسول الله ليله العقبه، فكله لا أصل له عند أصحابنا و لا يثبت أحد منهم و لا رواه أهل الحديث و لا يعرفونه و إنّما هو شيء تنفرد الشيعة بنقله انتهى.

أقول و العجب كلّ العجب من الشّارح كيف ينكر وجود النصّ الصّريح الذي لا يحتمل التّأويل مع وجود التّصوص التي رواها هو و غيره من رسول الله في حقّ أمير المؤمنين بأنّه الامام و الخليفه و الوصىّ و الوليّ و ما شابهها من الألفاظ الصّريحه في الخلافه، و قد مضت شطر منها في مقدّمات الخطبه الشّقشقيّه و يأتي كثير منها في مواقعها بعد ذلك انشاء الله.

و أمّا عدم إفادتها للقطع عند من استحوذ عليه الشّيطان و أنساه ذكر ربّه، و كان قلبه مشوبا بالشّبّهات و الشّكوك فلا غرو فيه

إذا لم يكن للمرء عين صحيحه فلا غرو أن يرتاب و الصّبح مسفر

و أعجب من ذلك أنّه مع روايته لتلك الأخبار و تصحيحه لها و حكمه بوثاقه رواها يقول: إنّ أمير المؤمنين ترك الأمر إليهم اختيارا و طوعا، مع أنّ هذه الأخبار كما ترى صريحه في أنّ خروجه من بيته و بيعته لأبى الفضيل لم يكن إلّا كرها و إجبارا و ترك المقاومه لهم لم يكن إلّا عجزا لا اختيارا.

ثمّ لا أدري أنّه كيف ينكر حديث التّحريق و يزعم أنّه ممّا انفردت به الشيعة مع روايه الجوهري له و كونه من الثّقات المأمونين عنده.

و قد رواه غير واحد من روايتهم أيضا مطابقا لما روته الشيعة منهم إبراهيم ابن سعيد الثّقفي قال: حدّثنا أحمد بن عمرو البجلي قال: حدّثنا أحمد بن حبيب العاملي عن أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السّلام قال: و الله ما بايع عليّ عليه السّلام حتّى رأى الدّخان قد دخل عليه بيته، رواه المرتضى في الشّافى.

و فيه أيضا عن البلادري عن مسلمة بن محارب عن سليمان التميمي عن أبي عون أن أبا بكر ارسل إلى عليّ فلم يبايع فجاء عمر معه قيس فتلّاه فاطمه على الباب فقال: يا بن الخطاب أترأى محرقاً؟ قال: نعم و ذلك أقوى فيما جاء به أبو بكر و جاء عليّ عليه السلام فبايع.

قال السيد (ره) عقيب هذا الحديث: و هذا الخبر قد روته الشيعة من طرق كثيرة و إنّما الطريق أن يرويه شیوخ محدّثی العامّة لكنّهم كانوا يروون ما سمعوا بالسّلامه و ربّما تنبهوا على ما يروونه عليهم فكفّوا عنه، و أيّ اختيار لمن يحرق عليه بابه حتى يبايع.

الترجمه

بعض دیگر از فقرات این خطبه است که بیان می فرماید در او حال خود را بعد از ارتحال حضرت رسول صلی الله علیه و آله و سلّم و شکایه می نماید از اهل جلافة که غصب خلافة کردند، و می گوید که چون اهل عناد حقّ مرا غصب نمودند پس نظر کردم من در تدبیر امور خود پس آن زمان که غصب خلافت کردند نبود مرا یاری دهنده مگر اهل بیت خود که معدود قلیلی بود نسبت بمخالفین، پس بخل ورزیدم بایشان از مرگ یعنی ایشان را از معارک مهالک نگاه داشتم و بپوشانیدم چشم خود را بر چیزی که اذیت می کشید از او دیده من، و آشامیدم زهر آب ستم مخالفان را در حینی که بودم گلوگیر از غصّه و غم، و صبر کردم بر خشم فرو خوردن بر چیزی که تلخ تر بود از چشیدن درخت علقم با وجود آنکه درختی است در غایت تلخی و مراره.

الفصل الثالث منها

اشاره

و لم يبايع حتى شرط أن يؤتیه علی البيعه ثمنا، فلا ظفرت يد البایع «المبايع خ ل» و خزیت أمانه المبتاع، فخذوا للحرب أهبتها،

ص: ۳۷۴

و أعدّوا لها عدّتها، فقد شبّ لظاها، و علا سناها، و استشعروا الصبر، فإنّه أدعى للنصر.

اللغة

(خزيت) من الخزى و هو الذلّ و الاهانة و (الاهبه) كالمعده بضمّ الفاء فيهما ما يعدّ للحرب من السّلاح و الآلات و (شبّ لظاها) بالبناء على الفاعل اى ارتفع لهبها، أو بالبناء على المفعول اى اوقدت نارها و (السّناء) الصّوء (أدعى للنصر) و فى بعض النسخ أحزم للنصر من حزمت الشّىء إذا شدّته كأنه يشدّ النّصر

الاعراب

فاعل يبايع عايد إلى عمرو بن العاص، و جملة فلا ظفرت دعائيه لا محلّ لها من الاعراب، و اسناده إلى الامانه من باب التّوسع، و الحرب مؤنّث سماعيّ و لذلك اعيد الضّمائر الخمسه بعدها إليها مؤنّثه.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ هذا الفصل من كلامه بيان لحال عمرو بن العاص مع معاويه (و) يقول إنّ عمروا (لم يبايع) لمعاويه (حتّى شرط أن يؤتیه) معاويه (على البيعه) مصر طعمه و (ثمنا فلا- ظفرت) و لا- فازت (يد البايع) و هو عمرو فى بيعته بالثمن او بما يأمله (و خزيت امانه المبتاع) و هو معاويه و قال الشّارح المعتزلى: البايع معاويه و المبتاع هو عمرو، و لعلّه نظر إلى أنّ معاويه باع مصر له ببيعته و لكنّه خلاف ظاهر الكلام حيث إنّ عليه السلام جعل البيعه مثنى فيكون مصر ثمنا فالأظهر ما ذكرناه.

ثمّ أمر عليه السّلام بتهيئه أسباب الجهاد مع القاسطين بقوله:(فخذوا للحرب اهبتها) اى سلاحها (و أعدوا لها عدّتها فقد شبّ لظاها) و لهبها(و علا سناها) و ضوؤها، استعار لفظ اللّظا و السّنا عن أمارات الحرب لكون كلّ منهما علامه لما فيه مظنّه

الهلا-ك، ثم أمر بالصبر في الحرب بقوله: (واستشعروا الصبر) اى اجعلوه شعارا لكم كالثوب الملازم للجسد (فانه) اى الصبر (ادعى للنصر) و من أقوى أسبابه و اعلم أن كفيته تلك المبايعه على ما رواه المحدث العلامة المجلسى و الشارح المعتزلى جميعا من كتاب الصيغين لنصر بن مزاحم مع إسقاط الزوايد منا هو أنه عليه السلام حين قدم الكوفه بعد فراغه من قتال الناكثين كتب إلى معاويه كتابا على ما يأتى ذكره فى الكتاب فى باب المختار من كتبه إنشاء الله يدعوه فيه إلى البيعه و أرسل جرير بن عبد الله البجلي رسولا- إليه مع كتابه فقدم عليه به الشام فقراه و اغتم بما فيه و ذهبت به أفكاره كل مذهب و طاول جريرا بالجواب عن الكتاب حسبما تطلع على تفصيله فى شرح كلامه الثالث و الأربعين فى باب المختار من الكتب حتى كلم قوما من أهل الشام فى الطلب بدم عثمان فأجابوه و بايعوه على ذلك و أوثقوا له على أن يبذلوا انفسهم و أموالهم أو يدركوا ثاره أو يفنى الله ارواحهم فلما أمسى معاويه اغتم بما هو فيه و استحته جرير بالبيعه فقال: يا جرير إنها ليست بخلصه و إنه أمر له ما بعده فابلغنى ريقى حتى أنظر، و دعا ثقاته فقال له أخوه عتبه بن أبى سفيان: استغن بعمر بن العاص فانه من قد علمت فى دهائه و رأيه و قد اعتزل أمر عثمان فى حياته و هو لامرك أشد اعتزالا إلا أن يثمن له دينه فسيبيعك فانه صاحب دنيا.

فكتب معاويه إلى عمرو: أما بعد فانه قد كان من أمر على و طلحه و الزبير ما قد بلغك و قد سقط إلينا مروان بن الحكم فى نفر من أهل البصره و قدم علينا جرير بن عبد الله فى بيعه على و قد حبست نفسى عليك حتى تأتيني فاقبل اذا كرك امورا لا تعدم مغتبتها إنشاء الله.

فلما قدم الكتاب على عمر و استشار ابنه عبد الله و محمدا فقال: ما تريان؟ فقال عبد الله: أرى أن نبى الله قبض و هو عنك راض و الخليفتان من بعده، و قتل عثمان و أنت عنه غايب فقر فى منزلك فلست مجعولا خليفه و لا تريد على أن تكون حاشيه لمعاويه

على دنيا قليله أو شكتما أن تهلكا فتستويا (فتسويا خ ل) في عقابها وقال محمّد: أرى أنّك شيخ قريش و صاحب أمرها و أن تصرم هذا الأمر و أنت فيه غافل تصاغر أمرك فالحق بجماعه أهل الشّام و كن يدا من أيديها و اطلب بدم عثمان فأنّه سيقوم بذلك بنو اميّة.

فقال عمر و أمّا أنت يا عبد الله فأمرتنى بما هو خير لى فى دينى، و أمّا أنت يا محمّد فأمرتنى بما هو خير لى فى دنياى و أنا ناظر فيه فلمّا جنّه الليل رفع صوته ينشد أبياتا(1) فى ذلك ردّدها فقال عبد الله: ترحل الشّيح.

و دعى غلاما له يقال له وردان: و كان داهيا ماردا فقال: ارحل يا وردان ثمّ قال: احطط يا وردان ثمّ قال: ارحل يا وردان احطط يا وردان فقال له: وردان خلطت أبا عبد الله أمّا أنّك إن شئت أنبأتك بما فى نفسك قال: هات و يحكك قال:

اعترك الدّنيا و الآخرة على قلبك فقلت: علىّ معه الآخرة فى غير الدّنيا و فى الآخرة عوض من الدّنيا، و معاويه معه الدّنيا بغير آخرة و ليس فى الدّنيا عوض من الآخرة فانت واقف بينهما قال: فأنك و الله ما أخطات فما ترى يا وردان؟ قال: أرى أن تقييم فى بيتك فان ظهر أهل الدّين عشت فى عفو دينهم، و إن ظهر أهل الدّنيا لم يستغنوا عنك قال الآن لما شهدت (شهرت خ ل) العرب مسيرى إلى معاويه.

فارتحل و صار حتّى قدم على معاويه و عرف حاجه معاويه إليه فباعده من نفسه و كاید كلّ واحد منهما صاحبه فقال له معاويه يوم دخل عليه: أبا عبد الله طرقتنا فى ليلتنا هذا ثلاثة أخبار ليس فيها ورد و لا صدر قال: و ما ذاك؟ قال: منها أنّ محمّد بن أبى حذيفه كسر سجن مصر فخرج هو و أصحابه و هو من آفات هذا الدّين، و منها أنّ قيصر زحف بجماعه الرّوم ليغلب على الشّام، و منها أنّ عليّا نزل الكوفه متهيئا للمسير إلينا.

فقال عمرو: كلّ ما ذكرت عظيما أمّا امر ابن أبى حذيفه فما يعظمك من

ص: ٣٧٧

رجل خرج في اشباهه ان تبعث إليه رجلا يقتله أو يأتيك به و إن قاتل لم يضرك و أما قيصر فاهد له الوصايف و آنيه الذهب و الفضه و سله الموادعه فأنه اليها سريع، و أما عليّ فلا و الله يا معاويه ما يسوى العرب بينك و بينه في شيء من الأشياء و انّ له في الحرب لحظا ما هو لأحد من قريش و أنه لصاحب ما هو فيه إلا أن تظلمه قال نصر و روى عمر بن سعد بإسناده قال: قال معاويه لعمر: يا أبا عبد الله إنني أدعوك إلى جهاد هذا الرجل الذي عصى ربّه و شقّ عصا المسلمين و قتل الخليفه و أظهر الفتنه و فرّق الجماعه و قطع الرّحم، قال عمرو: من هو؟ قال: عليّ قال عمرو:

و الله يا معاويه ما أنت و عليّ حملي بعير مالك هجرته و لا سابقته و لا صحبته و لا فقهه و لا علمه، و و الله إنّ له مع ذلك جدّا و جدودا و خطئا و خطوه و بلاء من الله حسنا فما تجعل لي على أن شايعتك على ما تريد قال: حكمك قال: مصر طعمه قال: فتلكأ(١) عليه معاويه قال له: أبا عبد الله أما تعلم أنّ مصر مثل العراق قال: بلى و لكنّها إنّما تكون لي إذا كانت لك و إنّما تكون لك إذا غلبت علينا على العراق.

قال: فدخل عليه عتبه بن أبي سفيان فقال: أ ما ترضى أن تشتري عمروا بمصر إن هي صفت لك ليتك لا تغلب على الشام فقال معاويه: يا عتبه بت عندنا الليله قال فلما جنّ الليل على عتبه رفع صوته يسمع معاويه بأبيات(٢) يحثّه فيها على ارضاء عمرو فلما سمع معاويه ذلك أرسل إلى عمرو و أعطها إياه، فقال عمرو: ولي الله عليك بذلك شاهد قال له معاويه: نعم لك الله عليّ بذلك إن فتح الله علينا الكوفه فقال عمرو: و الله على ما نقول و كيل فخرج عمرو من عنده فقال له ابناه: ما صنعت؟ قال: أعطانا مصر طعمه قالوا: و ما مصر في ملك قال: لا أشبع الله بطونكما إن لم يشبعكما مصر.

ص: ٣٧٨

١- (١) أي ماطل في الجواب.

٢- (٢) الابيات المذكوره في شرح المعتزلي، منه.

قال: و كتب له معاويه بمصر كتابا و كتب على أن لا ينقض شرط طاعته فكتب عمرو أن لا ينقض طاعته شرطا و كاید كل منهما صاحبه.

قال و كان مع عمرو ابن عمّ له فتى شابّ و كان داها فلما جاء عمرو بالكتاب مسرورا عجب الفتى و قال: لا تخبرنى يا عمرو بأى رأى تعيش فى قريش أعطيت دينك و منيت دنيا غيرك، أ ترى أهل مصر و هم قتله عثمان يدفونها إلى معاويه و علىّ حىّ؟ و أ تراها إن صارت لمعاويه لا يأخذها بالحرف الذى قدّمه فى الكتاب؟ فقال عمرو: يابن أخى إنّ الأمر لله دون علىّ و معاويه و أنشد الفتى فى ذلك شعرا(1) فقال له عمرو: يابن عمّ لو كنت مع علىّ و سعنى بيتى و لكنتى مع معاويه فقال له الفتى: إنك إن لم ترد معاويه لم تردك و لكنك تريد دنياه و تريد دينك.

و بلغ معاويه قول الفتى فطلبه فهرب و لحق بعلىّ فحدّثه بأمر عمرو و معاويه، قال: فسّر ذلك علينا و قرّبه قال: و غضب مروان و قال: ما بالى لا اشتري كما اشتري عمر و فقال له معاويه: انما نبتاع لك قال نصر فلما كتب الكتاب قال معاويه لعمرو ما ترى؟ قال: امض الرأى الأوّل فبعث مالك بن هبيرة الكندى فى طلب محمّد بن أبى حذيفة فأدركه و قتله، و بعث إلى قيصر بالهدايا فوادعه، ثمّ قال: ما ترى فى علىّ؟ قال: إنّه قد أتاك فى طلب البيعه خير أهل العراق و من عند الناس فى أنفس الناس و دعواك أهل الشّام إلى ردّ هذا البيعه خطر شديد، و رأس أهل الشّام شرحيل بن السّمط الكندى و هو عدوّ لجريير المرسل إليك فابعث إليه و وطى له ثقاتك فليفشوا فى الناس أنّ علينا قتل عثمان و ليكونوا أهل الرّضا عند شرحيل فإنّها كلمه جامع لك أهل الشّام على ما تحبّ و إن تعلقت بقلب شرحيل لن تخرج منه بشىء أبدا.

فكتب إلى شرحيل أن جرير بن عبد الله قدم علينا من عند علىّ بن أبى طالب بأمر مفضع فاقدم، فدعى معاويه بريد بن لبيد و بسر بن أرطاه و عمرو بن سفيان و مخارق ابن الحرث الزبيدى و حمزه بن مالك و عابس بن سعيد الطائى و هؤلاء رؤساء قحطان و اليمن و كانوا ثقات معاويه و خاصّته و بنى عمّ شرحيل بن السّمط فأمرهم أن يلقوه

ص: ٣٧٩

١- (١) و هو مذکور فى شرح المعتزلى، منه.

و يخبروه أنّ عليًا قتل عثمان.

فلما قدم كتاب معاوية على شرحبيل و هو بحمص استشار بأهل اليمن فاختلفوا عليه، فقام إليه عبد الرحمن بن غنم و هو صاحب معاذ بن جبل و ختنه و كان أفقه أهل الشام، فنهاه عن المسير إلى معاوية و وعظه و نهاه أيضا عياض اليماني و كان ناسكا فأبى شرحبيل إلا أن يسير إلى معاوية فلما قدم تلقاه الناس فاعظموه و دخل على معاوية.

فقال له معاوية: يا شرحبيل إنّ جرير بن عبد الله يدعوننا إلى بيعه عليّ و عليّ خير الناس لو لا- أنّه قتل عثمان و حبست نفسي عليك و إنّما أنا رجل من أهل الشام أرضى ما رضوا و أكره ما كرهوا فقال شرحبيل: أخرج و أنظر، فلقاه هؤلاء النفر الموطئون له فكلّهم أخبره أنّ عليًا قتل عثمان، فرجع مغضبا إلى معاوية فقال:

يا معاوية أباي الناس إلا أنّ عليًا قتل عثمان، و الله إن بايعت له لنخرجك من شامنا أو لنقتلنك.

فقال معاوية: ما كنت لاخالف عليكم ما أنا إلا رجل من أهل الشام قال:

فردّ هذا الرجل إلى صاحبه فعرف معاوية أنّ شرحبيل قد نفذت بصيرته في حرب أهل العراق و أنّ الشام كلّها مع شرحبيل و عند ذلك استعدّ للقتال و كتب إلى عليّ عليه السلام ما ستعرفه في شرح الكلام الثالث و الأربعين إنشاء الله.

تكملة

قد اشرنا سابقا إلى أنّ هذا الفصل من كلامه عليه السلام كالفصلين السابقين ملتقط من كلام طويل له عليه السلام و لكونه مشتملا على مطالب نفيسة أحببنا أن نورد هنا بتمامه فأقول: روى العلامة المجلسي في البحار و الشارح المعتزلي في شرح الكلام السابع و الستين جميعا من كتاب الغارات لإبراهيم بن مسعود الثقفي عن رجاله عن عبد الرحمن بن جندب عن أبيه قال دخل عمرو بن الحمق و حجر بن عدى و حبه العرنى و الحارث الأعور و عبد الله بن سبا على أمير المؤمنين بعد ما افتتحت مصر و هو مغموم حزين فقالوا له: بين لنا ما قولك في أبي بكر و عمر؟ فقال لهم عليّ عليه السلام:

هل فرغتم لهذا و هذه مصر قد افتتحت و شيعتى قد قلت أنا مخرج إليكم كتابا اخبركم فيه عما سألتكم و أسألكم أن تحفظوا من حقى ما ضيعتم فاقروه على شيعتى و كونوا على الحق و هذه نسخه الكتاب:

من عبد الله على أمير المؤمنين إلى قراء كتابى هذا من المؤمنين و المسلمين السلام عليكم فأتى أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو أما بعد فإن الله بعث محمدا نذيرا للعالمين أمينا على التنزيل و شهيدا على هذه الأمة؛ و أنتم معاشر العرب يومئذ على شر دين و فى شر دار منيخون على حجاره خشن و جنادل صم و شوك مبثوث فى البلاد، تشربون الماء الخبيث و تأكلون الطعام الجشب و تسفكون دمائكم و تقتلون أولادكم و تقطعون أرحامكم و تأكلون أموالكم بينكم بالباطل، سبلكم خائفه و الأصنام فيكم منصوبه، و لا يؤمن أكثركم بالله إلا و هم مشركون.

فمن الله عز و جل عليكم بمحمد فبعثه إليكم رسولا- من أنفسكم و قال فيما انزل من كتابه: «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ» و قال: «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ» و قال:

«لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ» و قال: «ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ» فكان الرسول إليكم من أنفسكم بلسانكم، فعلمكم الكتاب و الحكمة و الفرائض و السنه، و أمركم بصله أرحامكم و حقن دمائكم و صلاح ذات البين، و أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها، و أن توفوا بالعهد و لا تنقضوا الايمان بعد توكيدها.

و أمركم أن تعاطفوا و تباروا و تباشروا و تباذلوا و تراحموا، و نهاكم عن التناهب و التظالم و التحاسد و التبغى و التقاذف و عن شرب

الحرام و بخرس المكيال و نقص الميزان، و تقدّم اليكم فيما تلى عليكم أن لا- تزنا و لا- تربوا و لا- تأكلوا أموال اليتامى، و أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها و أن لا تعثوا فى الأرض مفسدين، و لا تعتدوا إنّ الله لا يحبّ المعتدين.

فكلّ خير يدنى إلى الجنّه و يباعد من النار أمركم به، و كلّ شرّ يدنى إلى النار و يباعد من الجنّه نهاكم عنه.

فلما استكمل مدّته من الدّنيا توفّاه الله إليه سعيدا حميدا فى لها مصيبه خصّصت الأقربين و عمّت جميع المسلمين، ما اصبوا قبلها بمثلها و لن يعابنوا بعدها اختها فلما مضى لسبيله صلّى الله عليه و آله و سلّم تنازع المسلمون الأمر من بعده، فو الله ما كان يلقي فى روعى و لا يخطر على بالى أنّ العرب تعدل هذا الأمر بعد محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم عن أهل بيته و لا أنّهم تتخوه عنّى من بعده.

فما راعنى إلا انثيال النّاس على أبى بكر و اجفالههم(١) إليه لىبايعوه، فأمسكت يدى و رأيت أنّى أحقّ بمقام محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم و ملّه محمّد فى النّاس ممّن تولى الأمر بعده.

فلبثت بذلك ما شاء الله حتّى رأيت راجعه من النّاس رجعت عن الاسلام تدعو إلى محق دين الله و ملّه محمّد، فخشيت إن لم أنصر الاسلام و أهله أن أرى فيه ثلما و هدمًا تكون المصيبه (المصاب خ ل) بهما أعظم من فوات ولايه اموركم التى إنّما هى متاع أيام قلائل ثمّ يزول ما كان منها كما يزول السّراب و كما يتفشع السحاب فمشيت عند ذلك إلى أبى بكر فبايعته و نهضت فى تلك الأحداث حتّى زاغ الباطل و زهق و كانت كلمه الله هى العليا و لو كره الكافرون، فتولى أبو بكر تلك الامور و سدّد و ليس و قارب و اقتصد، فصحبته مناصحا، و أطعته فيما أطاع الله فيه جاهدا.

و ما طمعت أن لو حدث به حدث و أنا حتّى أن يردّ إلى الأمر الذى بايعته فيه طمع مستيقن و لا يئسّ منه يائس من لا يرجوه، و لو لا خاصه ما كان بينه و بين عمر لظننت أنّه لا يدفعها عنّى

ص: ٣٨٢

١- (١) الاجفال الاسراع لغه.

فلَمَّا احتضر بعث إلى عمر فولاه فسمعنا و أطعنا و ناصحنا و تولى عمر الأمر فكان مرضى (١) السَّيرِهِ ميمون النقيبه حتَّى إذا احتضر قلت فى نفسى لن يعتدلها عنى ليس يدافعها عنى فجعلنى سادس سته فما كانوا لولايه أحد أشد كراهته منهم لولايتى عليهم، فكانوا يسمعونى عند وفات الرسول احاج أبابكر و أقول يا معشر قريش إنا أهل البيت أحق بهذا الأمر منكم، أما كان فينا من يقرأ القرآن و يعرف السنه و يدين بدين الحق؟ فخشى القوم إن أنا وليت عليهم أن لا يكون لهم من الأمر نصيب ما بقوا فأجمعوا إجماعا واحدا فصرفوا الولايه إلى عثمان و أخرجونى منها رجاء أن ينالوها و يتداولوها إذ يسوا أن ينالوها من قبلى ثم قالوا هلّم فبايع و إلاّ جاهدناك فبايعت مستكرها و صبرت محتسبا فقال قائلهم: يا بن ابى طالب إنك على هذا الأمر لحريص فقلت: إنهم أحرص منى و أبعد، أينا أحرص أنا الذى طلبت تراثى و حقى الذى جعلنى الله و رسوله أولى به أم أنتم إذ تضربون وجهى دونه و تحولون بينى و بينه فبهتوا و الله لا يهدى القوم الظالمين.

اللهم إنى استعديك على قريش فانهم قطعوا رحمتى و أضاعوا اناتى و صغروا عظيم منزلتى و أجمعوا على منازعتى حقا كنت أولى به منهم فسلبوني ثم قالوا:

ألا إن فى الحق أن تأخذه و فى الحق أن تمنعه فاصبر كمد (٢) أو مت أسفا و حنقا فنظرت فاذا ليس معى رافد و لا ذاب و لا ناصر و لا مساعد إلا أهل بيتى فضننت بهم عن المنيه فاغضيت على القذى و تجرعت ريقى على الشجى و صبرت من كظم الغيظ على أمر من العلقم و ألم للقلب من خرالشفار.

حتّى إذا نقتم على عثمان أتيتموه فقتلتموه ثم جئتمونى لتبايعونى فأبيت

ص: ٣٨٣

-
- ١- (١) أى ظاهرا عند الناس و كذا ما مر فى وصف أبى بكر و آثار التقيه و المصلحه فى الخطبه ظاهره بل الظاهر انها من الحافات المخالفين، بحار
 - ٢- (٢) الكمد الحزن المكتوم.

عليكم و امسكت يدي فنازعتونى و دافعتونى و بسطتم يدي فكففتها، و مددتموها فقبضتها، و ازدحمتم علىّ حتى ظننت أنّ بعضكم قاتل بعضكم و أنّكم قاتلى فقلتُم بايعنا لا نجد غيرك و لا نرضى إلاّ بك بايعنا لا نفترق و لا تختلف كلمتنا فبايعتكم و دعوت الناس إلى بيعتى، فمن بايع طوعا قبلته منه و من أبى لم اكرهه و تركته فبايعنى فيمن بايعنى طلحه و الزبير و لو أبيا ما أكرهتهما كما لم أكره غيرهما.

فما لبثنا إلاّ يسيرا حتى بلغنى أنّهما قد خرجا من مكّه متوجّهين إلى البصره فى جيش ما منهم رجل إلاّ قد أعطانى الطاعه و سمح لى بالبيعه، فقد ما على عاملى و خزّان بيت مالى و على أهل مصر فى الذين كلّهم على بيعتى و فى طاعتى، فشئتوا كلمتهم و أفسد و اجماعتهم، ثمّ دبوا على شيعتى من المسلمين فقتلوا طائفه منهم غدرا، و طائفه صبّرا، و طائفه منهم غضبوا لله فشهبوا سيوفهم و ضربوا بها حتى لقوا الله صادقين.

فو الله لو لم يصيبوا منهم إلاّ رجلا واحدا متعمّدين لقتله لحلّ لى به قتل ذلك الجيش بأسره فدع ما أنّهم قد قتلوا من المسلمين أكثر من العده الّتى دخلوا بها عليهم، و قد أدال الله منهم فبعدا للقوم الظالمين.

ثمّ إنّى نظرت فى أمر أهل الشّام فاذا أعراب أحزاب و أهل طمع جفاه طغاه يجتمعون من كلّ أوب من كان ينبغى أن يؤدّب أو يولى عليه و يؤخذ على يديه ليسوا من المهاجرين و لا- الأنصار و لا- التّابعين باحسان، فسرت إليهم فدعوتهم إلى الطاعه و الجماعه فأبوا إلاّ شقاقا و فراقا و نهضوا فى وجوه المسلمين ينظّمونهم بالنّبل و يشجرونهم بالرّماح فهناك نهدت إليهم بالمسلمين فقاتلتهم.

فلما عبّهم السّلاح و وجدوا ألم الجراح رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها فأبأتكم أنّهم ليسوا بأهل دين و لا قرآن و أنّهم رفعوها غدرا و مكيدته و خديعه و وهنا و ضعفا فامضوا على حقّكم و قتالكم، فأبيتم علىّ و قلتُم اقبل منهم فان أصابوا إلى ما فى الكتاب جامعونا على ما نحن عليه من الحقّ، و إن أبوا كان أعظم لحجّتنا

عليهم فقبلت منهم و كفت عنهم إذ دنيتم و أبيتم و كان الصّٰلِح بينكم و بينهم على رجلين يحييان ما أحى القرآن و يميتان ما أمات القرآن، فاختلف رأيهما و تفرّق حكمهما و نبذا حكم القرآن و خالفا ما فى الكتاب فجنبهما الله السيّداد و لآهما فى الضّلاله، فنبذا حكمهما و كانا أهله فانخزلت فرقه منّا فتركانهم ما تركونا حتّى إذا عثوا فى الأرض يقتلون و يفسدون أتيناهم فقلنا ادفعوا إلينا قتله إخواننا ثمّ كتاب الله بيننا و بينكم قالوا:

كلّنا قتلهم و كلّنا استحلّ دماءهم و دمائكم و شدّت علينا خيلهم و رجالهم فصرعهم الله مصارع الظالمين.

فلما كان ذلك من شأنهم أمرتكم أن تمضوا من فوركم ذلك إلى عدوّكم فقلتم: كلّت سيوفنا و نفدت نبالنا و نصلت (١) سنه رماحنا، و عاد اكثرها قصدا فارجع بنا إلى مصرنا لنستعدّ بأحسن عدّتنا فاذا رجعت زدت فى مقاتلتنا عدّه من هلك منّا و فارقنا فإنّ ذلك أقوى لنا على عدوّنا.

فأقبلت بكم حتّى إذا ظللتكم (٢) على الكوفه أمرتكم أن تنزلوا بالنخيله و أن تلزموا معسكركم و أن تضمّوا قواضيكم و أن توطنوا على الجهاد أنفسكم و لا- تكثرُوا زيّاره أبنائكم و نسائكم فإنّ أهل الحرب لمصابروها، و أهل القشيم فيها غاصيه فلا من بقى منكم صبر و ثبت، و لا من دخل المصر عاد إلّى و رجع، فنظرت إلى معسكرى و ليس فيه خمسون رجلا:

فلما رأيت ما أتيتم دخلت إليكم فلم أقدر إلى أن تخرجوا إلى يومنا هذا فما تنتظرون أ ما ترون أطرافكم قد انتقصت، و إلى مصركم قد فتحت، و إلى شيعتى بها قد قتلت، و إلى مسالحكم (٣) تغرى (٤)، و إلى بلادكم، تغزى، و أنتم ذوو عدد

ص: ٣٨٥

١- (١) نصل السهم إذا خرج منه النصل و نصل السهم إذا ثبت نصله ق.

٢- (٢) اظل على الشىء اشرف.

٣- (٣) المسالِح الثغور.

٤- (٤) اى خاليه عن الرجال و السلاح.

كثير، و شوكة و بأس شديد.

فما بالكم لله أنتم من أين تؤتون، و مالكم تسحرون، و أنى تؤفكون، و لو عزمتم و أجمعتم لم تراموا إلا أن القوم قد اجتمعوا و تناشبا و تناصحا و أنتم قد دينتم و تغاشستم و افترقتم ما أنتم إن اتمتم عندى على هذا بمنقذين فانتهاوا عما نهيتهم و اجمعوا على حقكم و تجردوا لحرب عدوكم قد أبدت الرغوه من التصريح (١) و بين الصبح لذي عينين.

إنما تقاتلون الطلقاء و أبناء الطلقاء و اولى الجفاء و من أسلم كرها فكان لرسول الله انف (٢) الاسلام كله حربا أعداء الله و السنه و القرآن و أهل البدع و الأحداث و من كانت بواقه تتقى و كان على الاسلام و أهله مخوفا آكله الرشا و عبده الدنيا.

لقد انهى إلى أن ابن النابغه لم يبايع معاويه حتى اعطاه و شرط له أن يؤتیه اتيه هي أعظم مما فى يده من سلطانه الا صفرت يد هذا البايع دينه بالدنيا، و خزيت أمانه هذا المشتري بنصره فاسق غادر بأموال المسلمين و أن فيهم من قد شرب فيكم الخمر و جلد الجلد (الحدخ) يعرف بالفساد فى الدين و فى الفعل السيئ و أن فيهم من لم يسلم حتى رضخ له رضيعه (رضخه خ) فهؤلاء قادة القوم و من تركت ذكر مساويه من قاداتهم مثل من ذكرت منهم بل هو شرّ و يودّ هؤلاء الذين ذكرت لو ولوا عليكم فأظهروا فيكم الكفر و الفساد و الفجور و التسلط بالجبرية و اتبعوا الهوى و حكموا بغير الحق، و لأنتم على ما كان فيكم من تواكل و تخاذل خير منهم و أهدي سبيلا فيكم العلماء و الفقهاء و التجباء و الحكماء و حمله الكتاب و المتهجدون بالأسحار و عمّار المساجد بتلاوه القرآن.

أفلا تسخطون و تهتمون أن ينازعكم الولاية عليكم سفهاؤكم و الأشرار الأرازل منكم فاسمعوا قولى و أطيعوا أمرى إذا أمرت فو الله لئن أطعتموه لا تغورون، و إن عصيتموه لا ترشدون.

ص: ٣٨٦

١- (١) التصريح اللبن الخالص اذا ذهب رغوته.

٢- (٢) انف كل شىء اوله و انف البرد اشده.

خذوا للحرب اهبتها و أعدوا عدتها فقد شبت نارها و علا سناؤها و تجرد لكم فيها الفاسقون كي يعذبوا عباد الله و يطفئوا نور الله الا- إنه ليس أولياء الشيطان من أهل الطمع و المكر و الجفاء بأولى في الجدد في غيهم و ضلالهم من أولياء الله أهل البر و الزهاده و الاخبات بالجد في حقهم و طاعه ربهم و مناصحه إمامهم.

ای و الله لو لقيتهم فردا و هم ملاء الأرض ما باليت و لا استوحشت و أتى من ضلالتهم التي هم فيها و الهدى الذي نحن عليه لعلی ثقہ و بينه و يقين و بصيره، و إني إلى لقاء ربي لمشتاق و لحسن ثوابي لمنتظر و لكن أسفا يعتريني و حزنا يخامرني أن يلي أمر هذه الامه سفهاؤها و فجارها، فيتخذوا مال الله دولا و عباد الله خولا و الفاسقين حزبا.

و أيم الله لو لا ذلك لما أكثرت تأنيبكم و تحريضكم، و لتركتم إذا دينتم و أبيتتم حتى ألقاهم بنفسى متى حم (١) لى لقائهم، فو الله إني لعلی الحق، و إني للشهادة لمحّب.

ف «انفروا خفافاً و ثقلاً و جاهدوا بأموالكم و أنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون»، و لا تناقلوا إلى الأرض فتفروا بالخسف و تبوءوا بالذلّ و يكن نصيبكم الآخر إن أخوا الحرب ليقظان و من ضعف أودى (٢) و من ترك الجهاد كان كالمغبون المهين.

اللهم اجمعنا و إياهم على الهدى، و زهدنا و إياهم في الدنيا، و اجعل الآخرة خيرا لنا و لهم من الأولى، و السلام.

الترجمه

بعض ديگر از اين خطبه اشاره است بر قصه بيعت عمرو عاص بر معاويه ملعون می فرمايد که بيعت نکرد عمرو عاص حتى اين که شرط نمود آنکه بدهد معاويه باو بر بيعت او ثمن و بهائي که عبارت بود از حکومت مصر، پس مظفر مباد دست بيعت کننده

ص: ٣٨٧

١- (١) حم ای قدر و احم ای حان وقته، لغه.

٢- (٢) اودى فلان هلك.

و خوار و ذلیل باد عهد و پیمان بیعت نموده شده، پس اخذ نمائید از برای جنک اسلحه جنک را و مهیا سازید از برای او ساز و یراق آن را، و بتحقیق که افروخته شد آتش حرب و بلند شد شعله او و شعار خود نمائید صبر و شکیبائی را در معرکه قتال پس بدرستی که استشعار صبر اقوی داعی است از برای انتصار و ظفر و الله اعلم.

و من خطبه له علیه السلام و هی السابعة و العشرون من

اشاره

المختار فی باب الخطب

و هذه من مشاهیر خطبه و صدرها مرویه فی الوسائل من الکافی عن أحمد بن محمد بن سعید عن جعفر بن عبد الله العلوی و عن أحمد بن محمد الكوفی عن علی بن العباس عن إسماعیل بن إسحاق جمیعا عن أبی روح فرخ بن فروه عن مسعده بن صدقه عن ابن أبی لیلی عن أبی عبد الرحمن السلمی عنه علیه السلام.

و رواها المبرّد فی أوائل الكامل و العلامه المجلسی فی البحار من معانی الأخبار للصدوق بزیاده و نقصان لیطلع علیها بعد الفراغ من شرح ما أورده السید فی الكتاب و هو قوله:

أمّا بعد، فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنّه، فتحه الله لخاصّه أولیائه و هو لباس التقوی و درع الله الحصینه و جنّته الوثیقه، فمن تركه رغبه عنه ألبسه الله ثوب الدلّ و شمله البلاء، و دیث بالصغار و القماء، و ضرب علی قلبه بالأسداد، و أدیل الحقّ منه بتضییع الجهاد، و سیم الخسف و منع النصف. ألا و إنّی قد دعوتکم إلى قتال هؤلاء القوم لیلا و نهارا و سرّا

ص: ۳۸۸

وإعلاننا، وقلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غزى قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا، فتواكلتم و تخاذلتم حتى شنت عليكم الغارات، و ملكت عليكم الأوطان، و هذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار، و قد قتل حسان بن حسان البكري و أزال خيلكم عن مسالحتها، و لقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة، و الأخرى المعاهدة فينتزع حجلها و قلبها و قلائدها و رعائها، ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع و الإسترحام، ثم انصرفوا وافرين ما نال رجلا منهم كلم، و لا أريق له دم. فلو أن امرء مسلما مات من بعد هذا أسفا ما كان به ملوما، بل كان به عندي جديرا، فيا عجا عجا و الله يميت القلب و يجلب الهمة من اجتماع هؤلاء على باطلهم، و تفرقكم عن حقاكم، فقبحا لكم و ترحا، حين صرتم غرضا يرمى، يغار عليكم و لا تغيرون، و تغزون و لا تغزون، و يعصى الله و ترضون، فإذا أمرتكم بالسير في أيام الحرّ قلتم هذه حمارة القيظ أمهلنا يسبخ عنا الحرّ، و إذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلتم هذه صباره القرّ أمهلنا ينسلخ عنا البرد، كلّ هذا فرارا من الحرّ و القرّ، فإذا كنتم من الحرّ و القرّ تفرّون فأنتم و الله من السيف أفرّ.

يا أشباه الرجال ولا رجال، حلوم الأطفال، و عقول ربّات الحجال، لوددت أنّي لم أركم و لم أعرفكم، معرفه و الله جرّت ندما و أعقبت سدا، قاتلكم الله لقد ملتّم قلبي قيحا، و شحنتم صدرى غيظا، و جرّعتمونى نغب التّهمام أنفاسا، و أفسدتى على رأيتى بالعصيان و الخذلان، حتّى قالت قريش: إنّ ابن أبى طالب رجل شجاع، و لكن لا علم له بالحرب لله أبوهم، و هل أحد منهم أشدّ لها مراسا، و أقدم فيها مقاما منّى، لقد نهضت فيها و ما بلغت العشرين، و ها أنا ذا قد ذرّفت على السّتين و لكن لا رأى لمن لا يطاع.

اللغة

(درع) الحديد مؤنث سماعى و قد يذكّر و (الجنّه) بالضمّ كلّ ما وقى و (شملة) ربّما يفرء بالثاء و هى كساء تغطى به و الفعل أظهر كما هو المضبوط و (ديته) ذلك و منه المديوث الذى لا غيره له و (الصيّغار) الدّل و الضّيم و (القماء) بالمد الصيّغار و عن الزّاوندى القما بالقصر و هو غير معروف، و فى روايه الكافى القماءه قال فى القاموس: قما كجمع و كرم قماءه و قماءه و قماءه بالضمّ و الكسر ذلّ و صغر و (الاسداد) بفتح الهمزة جمع السّدّ و هو الحاجز يقال: ضربت عليه الارض بالاسداد سدت عليه الطرق و عميت عليه مذاهبه و فى بعض النسخ بالاسهاب يقال اسهب الرّجل بالبناء للمفعول إذا ذهب عقله من اذى يلحقه و (اديل الحقّ منه) أى يغلب الحقّ عليه فيصيبه الوبال كقول سيّد العابدين عليه السّلام فى الصّحيفه ادل لنا و لا تدل منّا، و الاداله الغلبه و (سيم) بالبناء للمفعول من سامه خسفا أى كلفه ذلا و النصف ()

بكسر التّون الانصاف و (عقر) الشّيء بالضمّ أصله و وسطه و (التّواكل) أن يكل الأمر كلّ واحد منهم إلى صاحبه يقال تواكل القوم اتكل بعضهم على بعض و تخاذلوا و منه رجل و كل اى عاجز يكل أمره إلى غيره و (شنت) أى مزقت قال الشّارح المعتزلى: و ما كان من ذلك متفرّقا نحو إرسال الماء على الوجه دفعه بعد دفعه فهو بالشّين، و ما كان ارسالا غير متفرّق فهو بالشّين المهمله و (اخو غامد) هو سفيان بن عوف الغامدى منسوب إلى الغامد قبيله من اليمن و (الانبار) بلد قديم من بلاد العراق على الفرات من الجانب الشّرقى و (المسالح) جمع مسلحه و هى الحدود التى رتب فيها ذو الأسلحه لدفع العدو كالشّعر و (المعاهده) بصيغه اسم الفاعل ذات العهد و هى الذميه و (الحجل) بفتح الحاء و كسرهما الخلخال و (القلب) بالضمّ سوار المرأه و (الرّعات) جمع رعته بفتح الرّاء و سكون العين و فتحها و هى القرط، و الرّعات أيضا ضرب من الحلّى.

و (الاسترجاع) قول إنّنا لله و إنّنا إليه راجعون، و قيل ترديد الصّوت بالبكاء و (الاسترحام) مناشده الرّحم أى قول انشدك الله و الرّحم، و قيل طلب الرّحم و هو بعيد و (انصرفوا وافرین) اى تامين يقال و فر الشّيء أى تمّ و وفرت الشّيء أى أتممته.

و فى روايه المبرد و الصّدوق موفورين، و هو بمعناه و (الكلم) الجرح و (التّرح) محرکه ضدّ الفرح و (الغرض) الهدف و (خماره القيظ) بتشديد الرّاء شدّه حرّه و (تسبخ الحرّ) بالشّين و الباء و الخاء المعجمه سكن و فتر كسيخ تسييخا و (صباره) الشّتاء بالتّشديد شدّه برده و (القرّ) بضمّ القاف البرد أو يخصّ بالشّتاء و (رّبّات الحجال) النّساء أى صواحبها أو اللّاتى ربّين فيها، و هى جمع حجله و هى بيت يزّين فيها.

و (السّيدم) الحزن و (قاتلكم الله) كناية عن اللّعن و الابعاد و (القيح) الصّدید بلادم و (النّغب) جمع نغبه كالجرعه لفظا و معنى و (التّهمام) بفتح التاء

الهمّ و (انفاسا) أى جرعه بعد جرعه و (لله أبوهم) كلمه مدح و لعلّها استعملت هنا للتعجب و (المراس) مصدر مارسه أى زاوله و عاجه و (ذرفت على الستين) بتشديد الرّاء أى زدت.

الاعراب

لباس التّقوى بحذف المضاف أى لباس أهل التّقوى، و يمكن عدم الحذف بالتأويل الآتى و إضافه الثّوب إلى الدّل بيّتيه، و الباء فى قوله بتضييع الجهاد للسّببىه و سيم الخسف الثّائب عن الفاعل ضمير من، و الخسف بالتّصّب مفعول أى كلف بالخسف و الزم اه، و كلمه على فى قوله و ملكت عليكم تفيّد الاستعلاء بالقهر و الغلبه و الضمير فى قوله ما كان به راجع إلى الموت المستفاد من مات.

و قوله: فيا عجا منسوب على النداء اصله يا عجبى اى احضر هذا أوانك، و عجا الثّانى إمّا توكيد له أو منصوب بالمصدرية أى أيّها النّاس تعجبوا منهم عجا، و القسم معترض بين الصّفه و الموصوف.

و قبحا و ترحا منصوبان على المصدرية، و لا- رجال خبره محذوف، و حلوم الاطفال و عقول ربّات الحجال إمّا بالتّصّب على حذف حرف النّداء أى يا ذوى حلوم الاطفال و ذوى عقول النّساء، و فى بعض النّسخ بالرفع أى حلومكم حلوم الاطفال و عقولكم عقول النّساء، و معرفه يمكن أن يكون فعله محذوفا أى عرفتكم معرفه جرت ندما، و أنفاسا مفعول مطلق لجرعتمونى على غير لفظه، و الضّمائر الثلاثه للحرب و هى مؤنّثه و قد يذكّر.

المعنى

أشاره

اعلم أنّ هذه الخطبه الشّريفه ممّا خطب بها فى أواخر عمره الشّريف، و ذلك بعد ما انقضى وقعه صفين و استولى معاويه على البلاد و أكثر القتل و الغاره فى الأطراف و أمر سفیان بن عوف الغامدى بالمسير إلى الأنبار و قتل أهلها.

و تفصيله هو ما رواه الشّارح المعتزلى من كتاب الغارات لابراهيم بن محمّد الثّقفى عن ابن الكنود.

قال: حدّثني سفيان بن عوف الغامدي، قال دعاني معاوية فقال: إنني باعثك في جيش كثيف ذي اداة و جلاده فالزم لي جانب الفرات حتّى تمرّ بهيت فتقطعها فان وجدت بها جندا فاغر عليهم و إلا فامض حتّى تغير على الأنبار فان لم تجد بها جندا فامض حتّى توغل المداين، ثمّ اقبل إلى و اتق أن تقرب الكوفه و اعلم أنّك إن أغرت على الأنبار و أهل المداين فكأنّك أغرت على الكوفه، إنّ هذه الغارات يا سفيان على أهل العراق ترعب قلوبهم، و تفرح كلّ من له فينا هوى منهم، و تدعو الينا كل من خاف الدوائر، فاقتل من لقيت ممّن ليس هو على مثل رأيك، و اخرب كلّ ما مررت به من القرى، و احرب الأموال فانّ حرب الأموال شبيهة بالقتل، و هو أوجع للقلب.

قال: فخرجت من عنده فعسكرت و قام معاوية في الناس خطبهم فقال: أيها الناس انتدبوا مع سفيان بن عوف فانّه وجه عظيم فيه اجر سريعه فيه ادبتكم إن شاء الله ثمّ نزل.

قال: فوالله لا إله غيره ما مرّت ثالثه حتّى خرجت في سته آلاف، ثمّ لزمت شاطئ الفرات فاغذت السّير حتّى أمرّ بهيت فبلغهم أنّي قد غشيتهم فقطعوا الفرات فمررت بها و ما بها غريب كأنّها لم تحلّل قط، فوطيتها حتّى أمرّ بصدوراء ففرّوا فلم ألق بها أحدا فامضى حتّى افتتح الأنبار و قد انزر و ابى فخرج صاحب المسلحه فوقف الى فلم اقدم عليه حتى أخذت غلمانا من أهل القرية فقلت لهم: أخبروني كم بالانبار من أصحاب عليّ؟ قالوا: عدّه رجال المسلحه خمسمائه و لكنّهم قد تبدّدوا و رجعوا إلى الكوفه و لا ندري بالذي يكون فيها قد يكون مأتى رجل.

فنزلت فكتبت أصحابي كتائب ثمّ أخذت أبعثهم إليه كتيبه بعد كتيبه فيقاتلهم و الله و يصير لهم و يطاردهم و يطاردون في الأزقه فلما رأيت ذلك انزلت إليهم نحو من مأتين و أتبعتهم الخيل، فلمّا حملت عليهم الخيل و أمامها الرّجال تمشى لم يكن شيء حتّى تفرّقوا، و قتل صاحبهم في نحو من ثلاثين رجلا، و حملنا ما كان في الأنبار من الأموال ثمّ انصرفت.

فو الله ما غزوت غزاه كانت أسلم و لا أقرّ للعيون و لا أسرّ للنفوس منها و بلغني

أنها رعبت الناس فلما عدت إلى معاوية حدثته الحديث على وجهه فقال: كنت عند ظني بك لا تنزل في بلد من بلداني إلا قضيت فيه مثل ما يقضى فيه أميره وإن أحببت توليته وليتك، وليس لأحد من خلق الله عليك أمر دوني قال: فوالله ما لبثنا إلا يسيرا حتى رأيت رجال أهل العراق يأتوننا على الأبل هزّابا من عسكر علي عليه السلام.

قال إبراهيم و قدم عالج من أهل الأنبار على علي فأخبره الخبر قصد المنبر فخطب الناس و قال: إن أحاكم البكري قد أصيب بالأنبار و هو معتزل لا يخاف ما كان و اختار ما عند الله على الدنيا، فانتدبوا إليهم حتى تلاقوهم فان أصبتم منهم طرفا انكلتموهم عن العراق ابدا ما بقوا.

ثم سكت عنهم رجاء أن يجيبوه أو يتكلم متكلم منهم بكلمه، فلم ينفس أحد منهم بكلمه فلما رأى صمتهم نزل و خرج يمشى راجلا- حتى اتى النخيله و الناس يمشون خلفه حتى أحاط به قوم من أشرافهم فقالوا: ارجع يا أمير المؤمنين نحن نكفيك، فقال: ما تكفونني و لا تكفون أنفسكم، فلم يزالوا به حتى صرفوه إلى منزله، و هو واجم كئيب.

و دعى سعيد بن قيس الهمداني فبعثه من النخيله في ثمانيه آلاف، و ذلك إنه اخبر أن القوم جاءوا في جمع كثيف، فخرج سعيد بن قيس على شاطئ الفرات في طلب سفیان بن عوف حتى إذا بلغ عامات، سرح أمامه هاني بن الخطاب الهمداني فاتبع آثارهم حتى دخل أدنى أرض قنسرين، و قد فاتوه فانصرف.

قال: و لبث علي عليه السلام حتى ترى فيه الكأبه و الحزن حتى قدم عليه سعيد بن قيس و كان تلك الأيام عليلا فلم يقو على القيام في الناس بما يريده من القول، فجلس بباب السده التي تصل إلى المسجد و معه ابناه حسن و حسين عليهما السلام و عبد الله بن جعفر.

و دعا سعدا مولاه، فدفع إليه الكتاب و أمره أن يقرأه على الناس، فقام سعد بحيث يسمع علي عليه السلام صوته و يسمع ما يرد الناس عليه ثم قرء الخطبه هذه (أما بعد فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنّة فتحه الله لخاصّه أوليائه) كما رواه في الكافي

عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن التوفلي عن السيكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: للجنة باب يقال باب المجاهدين يمضون إليه فاذا هو مفتوح وهم متقلدون بسيوفهم وجمع في الموقف والملائكة ترحب بهم.

و المراد بخواص الأولياء المخلصون له في المحبة والعبادة، و من المعلوم أنّ الجهاد في سبيل الله لوجه الله لا لغرض آخر من خواص الكاملين في العبادة والخالصين في المحبة.

و ذلك لأن المرء المسلم إذا فارق أهله و أولاده و سلك إلى الجهاد مع علمه بأن العدو لو قهره قتله و يملك أمواله و يستبيح ذريته و مع هذه كلها يوطن نفسه على الصبر و الثبات امتثالاً لأمر الله و طلباً لمرضاته سبحانه فذلك الولي الكامل و المؤمن الخالص في مقام الايمان و العبودية، و حقيق بأن يدخل في زمرة:

«أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» و أن يستبشر بشاره: «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعِندًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبِشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» (و هو لباس التقوى) أي به يتقى في الدنيا من غلبه الأعداء، و في الآخرة من حرّ النار كما يتقى بالثوب من الحرّ و البرد، أو هو يدفع المضارّ عن التقوى و يحرسها، أو عن أهل التقوى بحذف المضاف (و درع الله الحصينه) الواقيه (و جنته الوثيقه) المحكمه بها يحفظ النفس من المضارّ و يحترز من ذوى الأشرار (فمن تركه) كراهه له (و رغبه عنه ألبسه الله ثوب الدّل) في الآخرة و الاولى (و شمله البلاء) و فتنه الأعداء (و ديث بالصغار و القماء).

كما قال صلوات الله وسلامه عليه وآله: (١) فمن ترك الجهاد ألبسه الله ذلًا - و فقرا في معيشتة، و محقا في دينه إن الله أغنى أمتي بسنابك خيلها و مراكز رماحها (و ضرب على قلبه بالاسداد) فعجز عن تدبير مصالحة و عميت عليه مذاهبه و ضاقت له مسالكه (و اديل الحق منه بتضييع الجهاد) فتورط في الضلال و لحقه الوبال (و سيم الخسف) و الذل (و منع النصف) و العدالة.

و قد تحصل ممّا ذكره عليه السلام منافع الجهاد و مصالحة و مفاصد تركه و معايبه، و فيه تحضيض على القيام به، و ترهيب عن القعود عنه، فانه و إن كان شاقا على النفس في بادى الأمر من حيث كون أعظم ما يميل إليه الطبع الحياه؛ و كون بقاء النفس للنفس مطلوبًا إلا أنه بعد ملاحظه ما يترتب على القيام به من المنافع و الثمرات و على القعود عنه من المضارّ و العيوبات يسهل عليه القيام به، و يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله كما قال تعالى:

«كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَ هُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَ عَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ عَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَ هُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» يعنى أن الشىء ربما كان شاقا عليكم فى الحال و هو سبب للمنافع الجليله فى المستقبل و بالعكس، و لأجله حسن شرب الدواء المرّ فى الحال لتوقع حصول الصيحه فى المستقبل، و حسن تحمّل الأخطار فى الأسفار بتوقع حصول الرّيح و الجهاد كذلك لأنّ تركه و إن كان يفيد فى الحال صون النفس عن خطر القتل و صون المال عن الانفاق، و لكن فيه أنواع من المضارّ الدنيويه و الاخرويّه، كالذلّ و الفقر و حرمان بالغنيمه و محقّ الدين و طمع الأعداء، حيث إنّ العدو إذا علم ميل نظرائه إلى الدّعه و السّكون قصد بلادهم و حاول قتلهم فامّا أن يأخذهم

ص: ٣٩٤

١- (١) رواه فى الكافى عن أبى عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم.

و يستبيح دمائهم و أموالهم و يسبي ذراريهم، و إما أن يحتاجوا إلى قتاله من غير اعداد آله و سلاح.

و هذا يكون كترك مداواه المريض مرضه في أول ظهوره بسبب مراره الدواء، ثم يصير في آخر الأمر مضطراً إلى تحمّل أضعاف تلك الثفره و المشقه، مضافا إلى ما يفوته من الثمرات الجليله في الدنيا و الآخره من الأمن و سلامه الوقت و الفوز بالغنيمه و حلاوه الاستيلاء على الأعداء، و الدرجات التي وعدّها الله بقوله:

«فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَ كُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسَيْنِي وَ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَ مَغْفِرَةً وَ رَحْمَةً وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا» و البشرى التي بشر بها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم للشهداء منهم بقوله: للشّهد سبغ خصال(1) من الله أول قطره منه مغفور له كلّ ذنب، و الثانيه يقع رأسه في حجر زوجته من الحور العين و تمسحان الغبار عن وجهه و تقولان مرحبا بك و يقول هو مثل ذلك لهما، و الثالثه يكسى من كسوه الجنّه، و الرابعه تبتدره خزنه الجنّه بكلّ ريح طيبه أيهم يأخذه معه، و الخامسه أن يرى منزله، و السادسه يقال لروحه اسرح في الجنّه حيث شئت، و السابعه أن ينظر في وجه الله و أنّها لراحه لكلّ نبيّ و شهيد.

و كيف كان فأنّه عليه السلام لما صدر خطبته بذكر منافع الجهاد و مضارّه فعلا و تركا أشار إلى مقصوده الذي مهّد له تلك المقدمه و هو حثّهم على جهاد معاويه و أصحابه فقال: (الا و انى قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم) القاسطين الفاسقين (ليلا و نهارا و سرّا و إعلانا و قلت لكم: اغزوه قبل أن يغزوكم فو الله ما غزى قوم قط في عقر دارهم الا ذلّوا).

و سرّ ذلك ما أشار اليه الشّارح البحرانى، و هو أنّ للأوهام أفعال عجيبيه

ص: ٣٩٧

١- (١) رواه في الوسائل عن زيد بن على عن ابيه عن آبائه قال قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) الحديث منه.

فى الأبدان تاره بزياده القوه و تاره بنقصانها حتى أنّ الوهم ربّما كان سببا لمرض الصّحيح لتوهّمه المرض و بالعكس، فكان السبب فى ذلّ من غزى فى عقر داره و إن كان معروفا بالشّجاعه هو الأوهام.

أمّا أوهامهم فلاّنها تحكّم بأنّها لم تقدم على غزوهم إلاّ لقوه غازيهم و اعتقادهم فيهم الضّعف بالنّسبه إليه، فينفعل إذن نفوسهم عن ذلك الأوهام، و تنقهر عن المقاومه و تضعف عن الانبعاث و تزول غيرتها و حميتها فتحصل على طرف رذيله الذلّ.

و أمّا أوهام غيرهم فلاّ أنّ الغزو الذى يلحقهم يكون باعثا لكثير الأوهام على الحكم بضعفهم و محرّكا لطمع كلّ طامع فيهم، فيشير ذلك لهم أحكاما و حميه يعجزهم عن المقاومه.

ثمّ إنّّه أشار إلى ما قابلوا به نصحه بقوله (فتواكلتم) أى وكلّ كلّ واحد منكم أمره إلى غيره (و تخاذلتم) أى خذل بعضهم بعضا (حتىّ شنتّ عليكم الغارات) و صبّت من كلّ جانب دفعه بعد دفعه (و ملكت عليكم الأوطان) بالقهر و الغلبه و العدوان (و هذا أخو غامد) سفيان بن عوف الغامدى (قد وردت خيله الانبار) بأمر معاويه اللّعين الجبار (و قد قتل حسان بن حسان البكرى) و كان من اصحابه واليا على الأنبار.

روى إبراهيم بن محمّد الثّقفى فى كتاب الغارات عن عبد الله بن قيس عن حبيب ابن عفيف قال: كنت مع حسان بالانبار على مسلحها إذ صبحنا سفيان بن عوف فى كتاب تلّمع الأبصار منها فها لونا و الله و علمنا إذ رأيناهم أنّه ليس لنا طاقه بهم و لا يد، فخرج إليهم صاحبنا و قد تفرّقنا فلم يلقهم نصفنا، و أيم الله لقد قاتلناهم فأحسّينا قتالهم حتىّ كرهونا، ثمّ نزل صاحبنا و هو يتلو قوله تعالى:

«فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا» ثمّ قال لنا: من كان لا يريد لقاء الله و لا يطيب نفسا بالموت فليخرج عن القرية

ما دمنا نقاتلهم؛ فإنّ قتالنا إيّاهم شاغل لهم عن طلب هارب، و من أراد ما عند الله فما عند الله خير للأبرار، ثمّ نزل في ثلاثين رجلا، فهمت بالنزول معه ثمّ أبت نفسى فتقدّم هو و أصحابه فقاتلوا حتّى قتلوا رحمهم الله.

(و أزال خيلكم عن مسالحها) و حدودها المعدّه لها (و لقد بلغنى أنّ الرّجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمه و) المرأه (الآخري المعاهده ف) كان (ينترع) منها (حجلها) و خلخالها (و قلبها) و سوارها (و قلائدها) من نحرها (و رعائها) من آذانها (ما) يمكن ان (تمتنع منه إلّا) بالتدلل و (بالاسترجاع) و الخضوع (و الاسترحام ثمّ انصرفوا) بعد القتل و الغاره (وافرين) تامين غير مرزويين (ما نال رجل منهم كلم و لا اريق له دم فلو أنّ امرء مسلما) ذا غيره و حميه (مات من بعد هذا أسفا ما كان به ملوما بل كان به عندى جديرا) و حقيقا.

(فيا عجبا عجبا) أيّ عجب (و الله يميت) ذلك العجب (القلب و يجلب الهمّ من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم) مع علمهم بأنّهم على الباطل (و تفرّقكم عن حقّكم) مع معرفتكم بأنّكم على الحقّ (فقبحا لكم و ترحا) و هما (حين) تشاقلتم عن الجهاد حتّى (صرتم غرضا يرمى) بالنبال ألاّ تستحيون من سوء عملكم و لا تخجلون من قبح فعلكم (يغار عليكم و لا تغيرون و تغزون و لا تغزون و يعصى الله) بقتل الأنفس و نهب الأموال و هتك العرض و تخريب البلاد (و) أنتم (ترضون) بذلك إذ لو لا رضاكم لما تمكّن العدو منكم و لما هجم عليكم (فاذا أمرتكم بالسّير إليهم فى أيّام الحرّ) تخلفتم عن أمرى و اعتذرتم و قلتّم هذه حماره القيظ) و هجمه الصيف (أمهلنا حتّى يسبخ عنّا الحرّ) و يفتّر عنّا الهجر (و إذا أمرتكم بالسّير إليهم فى) أيّام (الشتاء) عصيتم أمرى و قلتّم هذه صباره القرّ أمهلنا ينسلخ عنّا البرد) و ينفضى القرّ و (كلّ هذا) الاستمهال و الاعتذار (فرارا من الحرّ و القرّ فاذا كنتم من الحرّ و القرّ تفرّون) مع هوانهما (فأنتم و الله من السّيف أفرّ) على شدّته إذ لا مناسبه بين شدّه الحرّ و القرّ و بين القتل بالسّيف و المجاهده مع الأبطال.

(يا أشباه الرجال) خلقه و صوره (و لا رجال) غيره و حميه حلومكم (حلوم الأطفال و) عقولكم (عقول ربات الرجال).

أميا وصفهم بحلوم الأطفال فلأن ملكه الحلم ليس بحاصل للطفل و إن كانت قوه الحلم حاصله له لكن قد يحصل له ما يتصور بصوره الحلم كعدم التسرع إلى الغضب عن خيال يرضيه و أغلب أحواله أن يكون ذلك في غير موضعه و ليس له ملكه تكسب نفسه طمأنينه كما في حق الكاملين فهو إذن نقصان، و لما كان تاركوا أمره عليه السلام قد تركوا المقاوله حلما عن أدنى خيال كتركهم الحرب بصفين عن خدعه أهل الشام لهم بالمسالمة و طلب المحاكمه و رفع المصاحف، فقالوا إخواننا في الدين لا يجوز لنا قتالهم، كان ذلك حلما في غير موضعه حتى كان من أمرهم ما كان بأشبه رضى الصبيان.

و أما إلحاق عقولهم بعقول النساء فلاشتراك في القصور و النقصان و قله المعرفه بوجوه المصالح المخصوصه بتدبير الحرب و المدن ثم إنه عرفهم محبته لعدم رؤيتهم و معرفتهم بقوله (لوددت أنى لم أركم) رؤيه أبدا (و لم أعرفكم معرفه) أصلا (و الله لقد جرت معرفتكم على ندم) و سئما (و أعقبت) حزنا و (سدما) ثم دعا عليهم بقوله (قاتلكم الله) أى لعنكم.

قال ابن الأنباري: المقاتله من القتل فاذا أخبر الله بها كان معناها اللعنه منه، لأن من لعنه الله فهو بمنزله المقتول الهالك، يعنى أن المقاتله لما كان غير ممكن بحسب الحقيقه فى حق الله سبحانه فاذا اسند الله سبحانه لا بد و أن يراد بها لوازمها، كاللعن و الطرد و البعد و منع اللطف و نحوها.

(لقد ملأت قلبى) لسوء أعمالكم سديدا و (قيحا و شحنتم صدرى) بقبح فعالكم غضبا و (غيظا و جرعثمونى نغب التهمام) و جرع الهموم (أنفاسا) أى جرع بعد جرعه (و أفسدت على رأيتى بالعصيان و الخذلان) و معنى إفسادهم له خروجه بسبب عدم التفاتهم إليه عن أن يكون منتفعا به لغيرهم (حتى لقد قالت

قريش: إن ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب).

و ذلك لأنّ النَّاس إذا رءوا من قوم سوء تدبير أو مقتضى رأى فاسد كان الغالب أن ينسبوه إلى رئيسهم و مقدّمهم، و لا يعلمون أنّه من تقصير القوم لا- من قصور الرّئيس، و لذلك تعجّب منهم و ردّ توهمهم بقوله: (لله أبوهم و هل أحد أشدّ لها) للحراب (مراسا) و معالجه (و أقدم فيها مقاما) و ممارسه (مئى و لقد) صرفت فيها تمام عمرى و (نهضت فيها و ما بلغت العشرين و ها أنا قد ذرّفت على السّتين).

ثمّ بيّن أنّ السّبب فى فساد حال أصحابه ليس ما تخيّل قريش فيه من ضعف الرّأى فى الحرب و قله التّدبير، بل عدم طاعتهم له فيما يراه و يشير إليه و ذلك قوله (و لكن لا رأى لمن لا يطاع) فإنّ الرّأى الذى لا يقبل بمنزله الفاسد و إن كان صوابا، و المثل له.

قيل: و إنّما قال أعداؤه لا رأى له، لأنّه كان متقيّدا بالشّريعه لا يرى خلافها و لا يعمل بما يقتضى الدّين تحريمه، و قد قال هو عليه السّلام: لو لا الدّين و التقى لكنت أدهى العرب، و غيره من الخلفا كان يعمل بمقتضى ما يستصلحه و يستوقفه سواء كان مطابقا للشّرع أو لم يكن هذا.

روى فى البحار من كتاب إرشاد القلوب باسناده إلى أبى جعفر الباقر عليهما السّلام قال: بينما أمير المؤمنين يتجهّز إلى معاويه و يحرض النّاس على قتاله إذا اختصم إليه رجلاّن فى فعل فعجل أحدهما فى الكلام و زاد فيه، فالتفت إليه أمير المؤمنين عليه السّلام و قال له: اخسأ، فاذا رأسه رأس الكلب، فبهت من حوله و أقبل الرّجل بإصبعه المسبّحه يتصرّع إلى أمير المؤمنين عليه السّلام و يسأله الاقاله فنظر إليه و حرّك شفّته فعاد كما كان خلقا سويا.

فوثب إليه بعض أصحابه فقال له: يا أمير المؤمنين هذه القدره لك كما رأينا و أنت تجهز إلى معاويه فما لك لا تكفيناه ببعض ما أعطاك الله من هذه القدره؟ فأطرق قليلا و رفع رأسه إليهم و قال:

و الذى فلق الحبّه و برئ النّسمه لو شئت أن أضرب برجلي هذه القصيره فى

طول هذه الفيافي و الفلوات و الجبال و الأودية حتى أضرب بها صدر معاوية على سريره فاقبله على أم رأسه لفعلت، و لو أقسمت على الله عزّ و جلّ أن اوتى به قبل أن أقوم من مجلسي هذا و قبل أن يرتدّ إليّ أحد منكم طرفه لفعلت، و لكننا كما وصف الله في كتابه: عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول و هم بأمره يعملون.

ثمّ روى في البحار من الارشاد باسناده إلى ميثم التمار قال: خطب بنا أمير المؤمنين عليه السلام في جامع الكوفة فأطال في خطبته و أعجب الناس تطويلها و حسن و عظها و ترغيبها و ترهيبها، إذ دخل نذير من ناحيه الأنبار مستغيثا يقول: الله الله يا أمير المؤمنين في رعيتك و شيعتك، هذه خيل معاوية قد شنت علينا الغاره في سواد الفرات ما بين هميت و الأنبار.

فقطع أمير المؤمنين عليه السلام الخطبه و قال: ويحك بعض خيل معاوية قد دخل الدسكره التي تلى جدران الأنبار فقتلوا فيها سبع نسوه و سبعة من الأطفال ذكرانا و سبعة إناثا و شهروا بهم و وطئوهم بحوافر الخيل و قالوا هذه مراغمه لأبي تراب.

فقام إبراهيم بن الحسن الأزدي بين يدي المنبر فقال يا أمير المؤمنين هذه القدره التي رأيت بها و أنت على منبرك إنّ في دارك خيل معاوية ابن آكله الأكباد و ما فعل بشيعتك و لم يعلم بها هذا فلم تغضى عن معاوية.

فقال له: ويحك يا إبراهيم ليهلك من هلك عن بينه و يحيى من حيّ عن بينه، فصاح الناس من جوانب المسجد يا أمير المؤمنين فالى متى يهلك من هلك عن بينه و يحيى من حيّ عن بينه؟ و شيعتك تهلك، فقال لهم: ليقضى الله أمرا كان مفعولا.

فصاح زيد بن كثير المرادى و قال: يا أمير المؤمنين تقول بالأمس و أنت تجهز إلى معاوية و تحرضنا على قتاله و يحتكم إليك الرّجلان في الفعل فتعمل «فيعجل ظ» عليك أحدهما في الكلام فتجعل رأسه رأس الكلب فتستجير بك فترده بشرا سويا.

و نقول لك ما بال هذه القدره لا تبلغ معاوية فتكفينا شرّه فتقول لنا:

و فالح الحبه و بارئ التسمه لو شئت أن أضرب برجلي هذه القصيره صدر معاويه لفعت، فما بالك لا تفعل ما تريد إلا أن تضعف نفوسنا فنشك فيك فندخل النار.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: لأفعلن ذلك و لأعجلنه على ابن هند، فمدّ رجله على منبره فخرجت عن أبواب المسجد و ردها إلى فخذه و قال: معاشر الناس أقيموا تاريخ الوقت و أعلموه فقد ضربت برجلي هذه الساعه صدر معاويه فقلبتة عن سريره على أم رأسه فظن أنه قد احيط به، فصاح يا أمير المؤمنين فأين النظرة؟ فرددت رجلى عنه.

و توقع الناس ورود الخبر من الشام و علموا أن أمير المؤمنين عليه السلام لا يقول إلا حقًا، فوردت الأخبار و الكتب بتاريخ تلك الساعه بعينها من ذلك اليوم بعينه أن رجلا جاءت من ناحيه الكوفه ممدوده متصلة فدخلت من أبواب معاويه و الناس ينظرون حتى ضربت صدره، فقلبتة عن سريره على أم رأسه فصاح يا أمير المؤمنين و أين النظرة؟ و ردت تلك الرجل عنه، و علم الناس ما قال أمير المؤمنين إلا حقًا.

تكملة

قد أشرنا سابقا إلى أن هذه الخطبه من خطبه المشهوره، و أنها مما رواها جماعه من العامه و الخاصه، و لما كانت روايه الصدوق مخالفه لروايه السيد في بعض فقراتها أحببنا ايرادها بسند الصدوق أيضا ازديادا للبصيره فأقول:

روى في البحار و الوسائل من كتاب معاني الأخبار للصدوق عن محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني عن عبد العزيز بن يحيى الجلودى عن هشام بن عليّ و محمد بن زكريّا الجوهري، عن ابن عايشه باسناد ذكره أن عليّا انتهى إليه أن خيلا لمعاويه ورد الأتبار فقتلوا عاملا له يقال له: حسيان بن حسان، فخرج مغضبا يجرّ ثوبه حتى أتى النخيله و اتبعه الناس فرقى رباوه من الأرض فحمد الله و أثنى عليه و صلى على نبيه ثم قال:

أما بعد فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنّة فتحه الله لخاصّه أوليائه و هو

لباس التَّقوى و درع اللّٰه الحصينه و جَنَّتْه الوثيقه، فمن تركه رغبه عنه ألبسه اللّٰه ثوب الدّلّ و سيماء الخسف (١) و ديث بالصغار، و قد دعوتكم إلى حرب هؤلاء القوم ليلا و نهارا و سرّا و إعلانا و قلت لكم: اغزوهم من قبل أن يغزوكم فو الذى نفسى بيده ما غزى قوم قط فى عقر ديارهم إلاّ ذلّوا.

فتواكلتم و تخاذلتم و ثقل عليكم قولى و اتخذتموه ورائكم ظهريّا (٢) حتّى شنت عليكم الغارات، هذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار و قتلوا حسان بن حسان و رجالا منهم كثيرا و نساء.

و الذى نفسى بيده لقد بلغنى أنّه كان يدخل على المرأه المسلمه و المعاهده فينتزع أحجالهما و رعثهما (٣) ثمّ انصرفوا موفورين لم يكلم أحد منهم كلما فلو أنّ امرء مسلما مات من دون هذا أسفا ما كان عندى فيه ملوما بل كان عندى به جديرا.

يا عجباً كلّ العجب من تظافر هؤلاء القوم على باطلهم، و فسلكم عن حقّكم إذا قلت لكم اغزوهم فى الشّتاء قلتّم هذا أوّان قرّ و صرّ، و إن قلت لكم اغزوهم فى الصّيف قلتّم هذا حماره القيظ انظرنا ينصرم الحرّ عنا، فاذا كنتم من الحرّ و البرد تفرّون فأنتم و اللّٰه من السّيف أفرّ.

يا أشباه الرّجال و لا-رجال، و يا طعام الأحلام، و يا عقول ربّات الحجال و اللّٰه لقد أفسدتم علىّ رأبى بالعصيان و لقد ملتّم جوفى غيظا حتّى قالت قريش إنّ ابن أبى طالب شجاع و لكن لا رأى له فى الحرب، لله درّهم و من ذا يكون أعلم بها و أشدّ لها مراسا منّى، فو اللّٰه لقد نهضت فيها و ما بلغت العشرين، و لقد نيفت اليوم علىّ السّتين، و لكن لا رأى لمن لا يطاع يقولها ثلاثا.

فقام إليه رجل و معه أخوه فقال: يا أمير المؤمنين أنا و أخى هذا كما قال

ص: ٤٠٤

١- (١) سيماء الخسف علامه الخسف.

٢- (٢) أى لم تلتفت اليه يقال لا تجعل حاجتى منك بظهرى أى لا تطرحها غير ناظر اليها صدوق

٣- (٣) - هى الشنوف واحدها رعته و جمعها رعاث و جمع الجمع رعث، ص.

اللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ حكاية عن موسى: رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي، فَمَرْنَا بِأَمْرِكَ فَوَاللّٰهِ لَنُنْهَتَنَّ «كُذًّا» إِلَيْهِ وَ لَوْ حَالَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَهُ جَمْرُ الْغُضَا وَ شَوْكُ الْقِتَادِ، فَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ أَيْنَ تَقَعَانِ مِمَّا أُرِيدُ، ثُمَّ نَزَلَ.

قال إبراهيم في كتاب الغارات، إنّ القائم إليه العارض عليه جندب بن عفيف الأزدي هو، و ابن أخ له يقال له عبد الرحمان «بن ظ» عبد الله بن عفيف، و الله أعلم بحقايق الوقايح.

الترجمه

از جمله خطب شریفه آن حضرتست در تویخ اصحاب خود بجهه تناقل ایشان از قتال و جدال و تحضیض ایشان بجهاد معاویه رئیس بدعت و ضلال می فرماید بعد از حمد الهی و درود نامتناهی بر حضرت رسالت پناهی:

پس بدرستی که جهاد دری است از درهای بهشت عنبر سرشت، گشاده است آن را خداوند و دود بجهه دوستان خاصه خود، و اوست لباس پرهیزکاری و تقوی و زره استوار خدا و سپر محکم حق سبحانه و تعالی، پس هر که ترک نماید آن را بیوشاند خدا او را جامه خواری، و شامل شود او را بلا- و گرفتاری، و خار گردانیده شود بمذلت و بی اعتباری، و زده شود بر دل او بذهاب عقل و بیخردی، و گردانیده شود حق از او، و مغلوب می شود بجهه تضييع کارزار، و الزام می شود بذلت و خواری، و ممنوع می شود از انصاف و دادگری.

آگاه باشید که بتحقیق خواندم شما را به محاربه این فرقه طاغیه شب و روز و در نهان و آشکار، و گفتم بشما که جنگ کنید با ایشان پیش از آنکه ایشان با شما جنگ نمایند پس بخدا قسم که هیچ غذا کرده نشد قومی هرگز در اصل خانه خودشان مگر این که خوار و ذلیل شدند پس موكول کردید شما کار خود را بیکدیگر، و خوار نمودید شما بیکدیگر را، تا این که ریخته شد غارتها پیاپی بر شما، و گرفته شد از شما وطن ها با غلبه و استیلا.

و این مرد که برادر غامد و سفیان بن عوف غامدی است بتحقیق که وارد

شده لشکریان او بشهر انبار، و بیقین که کشته است حسان بن حسان بگری را و زایل نموده سواران شما را از سرحدات آنها، و بتحقیق که رسید بمن آنکه مردان قبیله داخل شده بر زن مسلمه و بر کافر ذمیّه پس بر می کنده خلخال و دست برنجهای او را، و گردن بندها و گوشواره های آن را، امتناع نتوانسته است آن زن از آن مرد مگر با گریه و زاری و با قسم دادن بقرابت و خویشی.

پس آن قوم بد نهاد بعد از غارت کردن مراجعت نموده اند در حالتی که تمام بوده اند در حین مراجعت با غنیمت، نرسیده بمردی از ایشان هیچ زخمی و ریخته نشده او را خونی، پس اگر بمیرد مرد مسلمان پس از این ظلم دل سوز از روی غم و اندوه نباشد بمردن ملامت کرده شده، بلکه هست نزد من بآن لایق گردیده.

ای بسا تعجب ای قوم تعجب کنید چه تعجیبی بخدای لا یزال که می میراند دل را، و می کشد اندوه را از انفاق آن گروه بر باطل خود، و از تفرقه شما از حق خود، پس زشت باد روی شما و حزن باد بر شما هنگامی که گشتید هدف تیرانداخته شده، غارت میکنند بر شما و غارت نمی کنید و جنگ میکنند با شما و جنگ نمی نمائید، و نافرمانی کرده می شود خدا و شما خوشنود می باشید.

پس هرگاه امر میکنم شما را برفتن سوی دشمنان در ایام تابستان می گوئید که این شدت گرماست مهلت ده ما را تا سبک شود از ما گرما، و هر وقتی که امر میکنم شما را بسیر نمودن بطرف خصمان در وقت زمستان می گوئید که این شدت سرماست ما را بگذار تا برطرف شود از ما سرما.

این همه عذرها از برای گریختن است از گرما و سرما پس چون بودید از گرما و سرما می گریزید پس شما بخدا سوگند از شمشیر گریزانتر هستید.

ای جماعت شبیه بمردان بحسب شکل و صورت و نیستید مردان از روی معنی و حقیقت، حلمهای شما مانند حلمهای بچگانست، و عقلهای شما مانند عقلهای زنان، هر آینه دوست می داشتم آنکه نمی دیدم شما را و نمی شناختم شما را شناختی که بخدا سوگند که کشیده است ندامت و پشیمانی را و متعقب شده است

لعنت کند خدا شما را هر آینه پر کردید دل مرا از ریم و زرداب، و پر ساختید سینه مرا از خشم و التهاب، و نوشانیدید مرا جرعه های غم و اندوه را نفس نفس، و فاسد ساختید رأی مرا بر من با معصیت و خذلان تا آنکه گفتند قریش بدرستی که پسر اُبی طالب مردی است شجاع و لکن مهارت در حرب ندارد.

خدا نگه دار باد پدران ایشان را آیا هیچیک از ایشان سخت تر است مر حرب را از روی علاج و مقدم تر است در حرب از روی ایستادن از من، هر آینه قیام نمودم در معارک قتال با شجاعان و ابطال در حالتی که نرسیده بودم بیست سالگی، و اکنون که سن من افزون گشته بر شصت سال، یعنی در عرض این مدت غالباً مشغول بوده ام بر جنگ و جدال، و لکن هیچ رأی نیست کسی را که فرمانبردار نشود و اطاعت او را نکنند.

الی هنا انتهى الجزء الثالث من هذه الطبعه النفیسه و قد تصدی لتصحيحه و تهذيبه العبد: «السید ابراهیم المیانجی» و وقع الفراغ فی شهر ذی القعدة الحرام سنه ۱۳۷۸ و یلیه الجزء الرابع انشاء الله و أوله أول المختار الثامن و العشرين و الحمد لله كما هو أهله.

بسمه تعالی

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

آیا کسانی که می‌دانند و کسانی که نمی‌دانند یکسانند؟

سوره زمر / ۹

مقدمه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان، از سال ۱۳۸۵ هـ. ش تحت اشراف حضرت آیت الله حاج سید حسن فقیه امامی (قدس سره الشریف)، با فعالیت خالصانه و شبانه روزی گروهی از نخبگان و فرهیختگان حوزه و دانشگاه، فعالیت خود را در زمینه های مذهبی، فرهنگی و علمی آغاز نموده است.

مرامنامه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان در راستای تسهیل و تسریع دسترسی محققین به آثار و ابزار تحقیقاتی در حوزه علوم اسلامی، و با توجه به تعدد و پراکندگی مراکز فعال در این عرصه و منابع متعدد و صعب الوصول، و با نگاهی صرفاً علمی و به دور از تعصبات و جریانات اجتماعی، سیاسی، قومی و فردی، بر مبنای اجرای طرحی در قالب «مدیریت آثار تولید شده و انتشار یافته از سوی تمامی مراکز شیعه» تلاش می نماید تا مجموعه ای غنی و سرشار از کتب و مقالات پژوهشی برای متخصصین، و مطالب و مباحثی راهگشا برای فرهیختگان و عموم طبقات مردمی به زبان های مختلف و با فرمت های گوناگون تولید و در فضای مجازی به صورت رایگان در اختیار علاقمندان قرار دهد.

اهداف:

۱. بسط فرهنگ و معارف ناب ثقلین (کتاب الله و اهل البیت علیهم السلام)
۲. تقویت انگیزه عامه مردم بخصوص جوانان نسبت به بررسی دقیق تر مسائل دینی
۳. جایگزین کردن محتوای سودمند به جای مطالب بی محتوا در تلفن های همراه، تبلت ها، رایانه ها و ...
۴. سرویس دهی به محققین طلاب و دانشجو
۵. گسترش فرهنگ عمومی مطالعه
۶. زمینه سازی جهت تشویق انتشارات و مؤلفین برای دیجیتالی نمودن آثار خود.

سیاست ها:

۱. عمل بر مبنای مجوز های قانونی
۲. ارتباط با مراکز هم سو
۳. پرهیز از موازی کاری

۴. صرفا ارائه محتوای علمی

۵. ذکر منابع نشر

بدیهی است مسئولیت تمامی آثار به عهده ی نویسنده ی آن می باشد .

فعالیت های موسسه :

۱. چاپ و نشر کتاب، جزوه و ماهنامه

۲. برگزاری مسابقات کتابخوانی

۳. تولید نمایشگاه های مجازی: سه بعدی، پانوراما در اماکن مذهبی، گردشگری و...

۴. تولید انیمیشن، بازی های رایانه ای و ...

۵. ایجاد سایت اینترنتی قائمیه به آدرس: www.ghaemiyeh.com

۶. تولید محصولات نمایشی، سخنرانی و...

۷. راه اندازی و پشتیبانی علمی سامانه پاسخ گویی به سوالات شرعی، اخلاقی و اعتقادی

۸. طراحی سیستم های حسابداری، رسانه ساز، موبایل ساز، سامانه خودکار و دستی بلوتوث، وب کیوسک، SMS و...

۹. برگزاری دوره های آموزشی ویژه عموم (مجازی)

۱۰. برگزاری دوره های تربیت مربی (مجازی)

۱۱. تولید هزاران نرم افزار تحقیقاتی قابل اجرا در انواع رایانه، تبلت، تلفن همراه و... در ۸ فرمت جهانی:

JAVA.۱

ANDROID.۲

EPUB.۳

CHM.۴

PDF.۵

HTML.۶

CHM.۷

GHB.۸

و ۴ عدد مارکت با نام بازار کتاب قائمیه نسخه :

ANDROID.۱

IOS.۲

WINDOWS PHONE.۳

WINDOWS.۴

به سه زبان فارسی ، عربی و انگلیسی و قرار دادن بر روی وب سایت موسسه به صورت رایگان .

در پایان :

از مراکز و نهادهایی همچون دفاتر مراجع معظم تقلید و همچنین سازمان ها، نهادها، انتشارات، موسسات، مؤلفین و همه

بزرگوارانی که ما را در دستیابی به این هدف یاری نموده و یا دیتا های خود را در اختیار ما قرار دادند تقدیر و تشکر می
نماییم.

آدرس دفتر مرکزی:

اصفهان - خیابان عبدالرزاق - بازارچه حاج محمد جعفر آواده ای - کوچه شهید محمد حسن توکلی - پلاک ۱۲۹/۳۴ - طبقه
اول

وب سایت: www.ghbook.ir

ایمیل: Info@ghbook.ir

تلفن دفتر مرکزی: ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

دفتر تهران: ۰۲۱ - ۸۸۳۱۸۷۲۲

بازرگانی و فروش: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور کاربران: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹



مرکز تحقیقات رایانگی

اصفهان

گامی

WWW



برای داشتن کتابخانه های تخصصی
دیگر به سایت این مرکز به نشانی

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

مراجعه و برای سفارش با ما تماس بگیرید.

۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹

